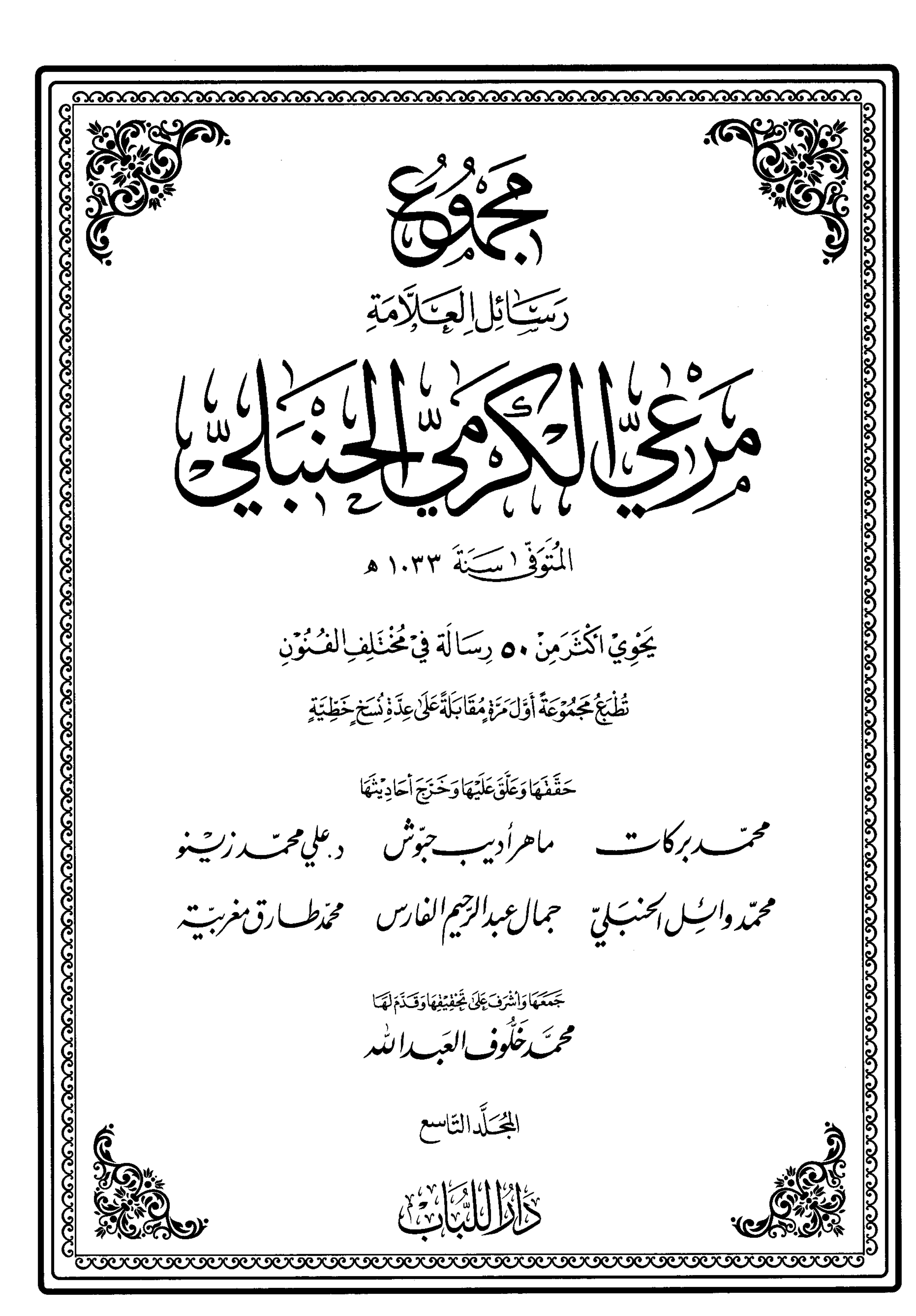


مجموع

رسائل العلامة

مرعي الكرمي الحنبلي

المتوفى سنة ١٠٣٣ هـ

يحوي أكثر من ٥٠ رسالة في مختلف الفنون

تطبع مجموعة أول مرة مقابلة على عدة نسخ خطية

حققها وعلق عليها وخرج أحاديثها

محمد بركات — ماهر أديب حبوش — د. علي محمد زينو

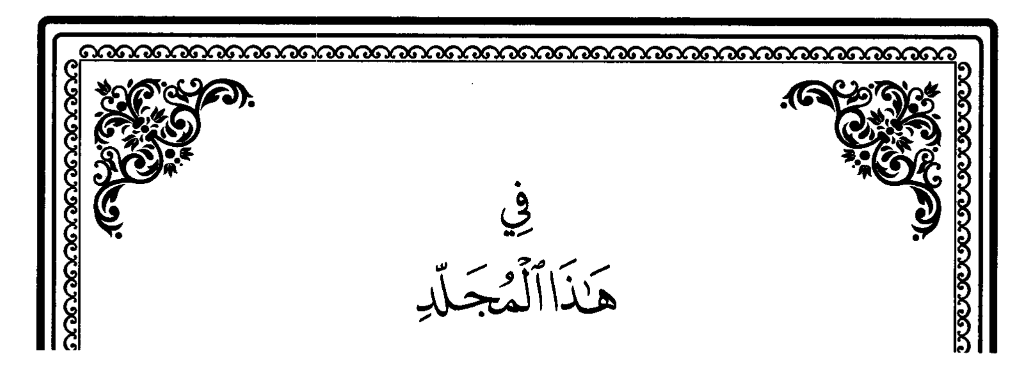
محمد وائل الحنبلي — جمال عبد الرحيم الفارس — محمد طارق مغربية

جمعها وأشرف على تحقيقها وقدم لها

محمد خلوف العبد الله

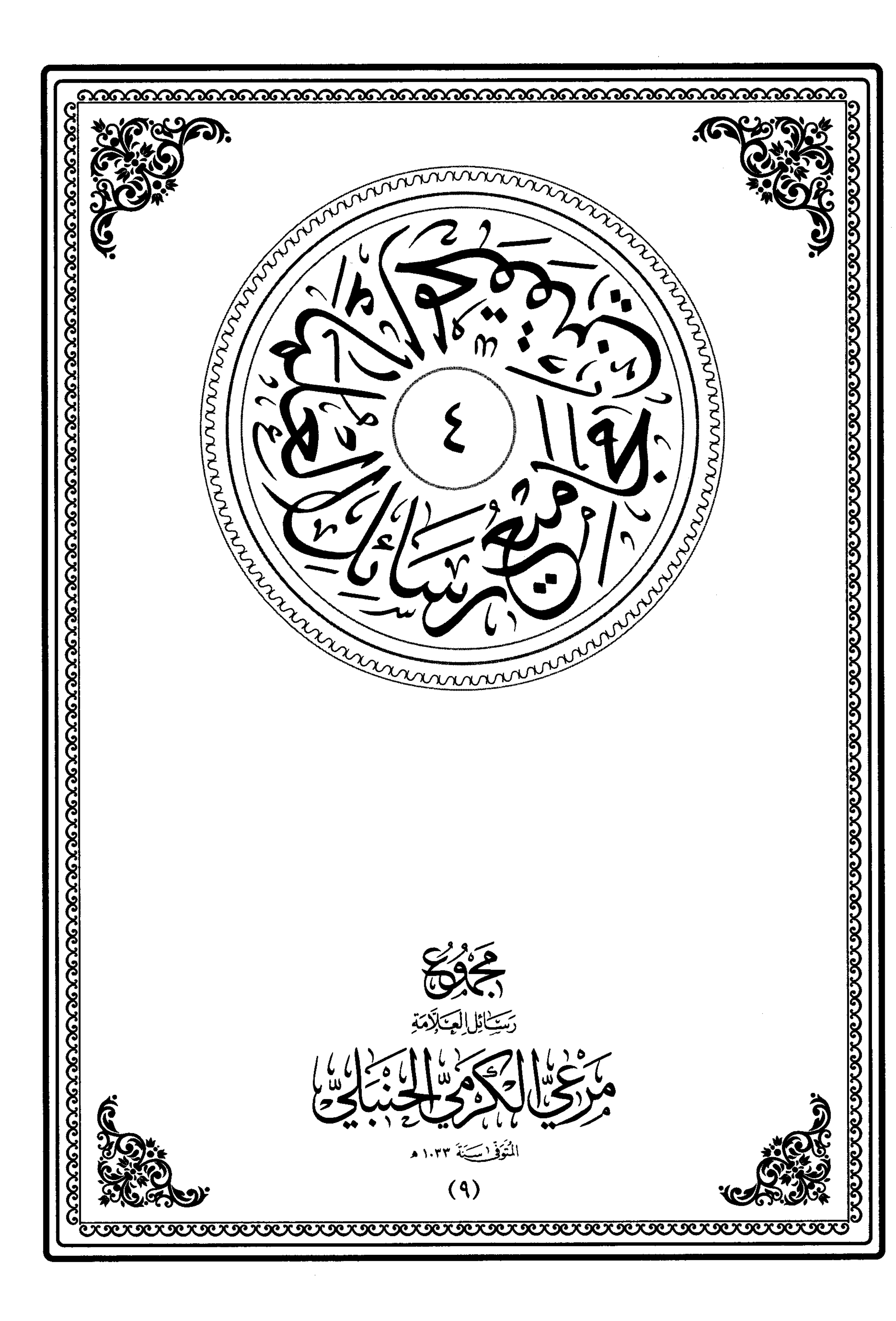
المجلد التاسع

دار اللباب



الموضوع	الصفحة

* * *


٤
مجموع
رسائل العلامة
مرعي الكرمي الحنبلي
المتوفى سنة ١٠٣٣ هـ
(٩)

الطبعة الأولى

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م



9 786052 279199

الخطوط بقلم: عدنان الشيخ عثمان

الإخراج الفني: خالد محمد ياسين علوان



دار اللُّباب للدِّراسات وتحقيق التُّراث

تركيا - اسطنبول - الفاتح - اسكندر باشا - كزتاش - مفرق بنك الكويت

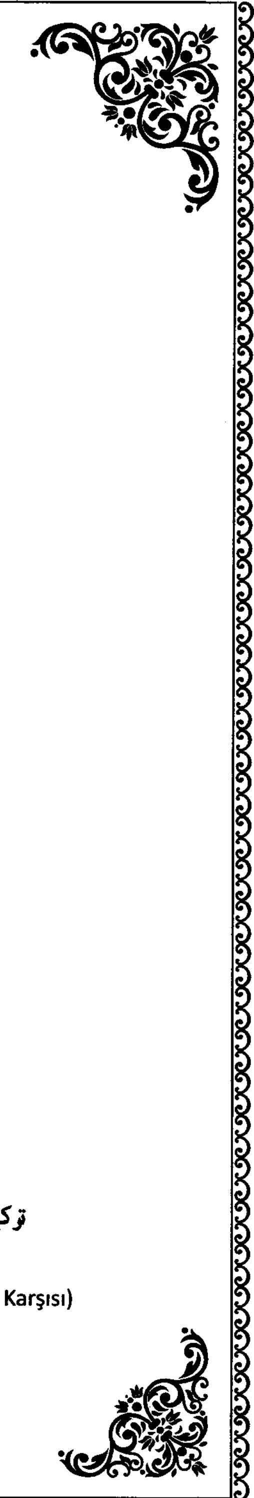
مقابل مستشفى الفاتح - بناء رقم ٧ - ط ٥

İskenderpaşa mh. Kıztaşı cd. No:7 D:5 Fatih (Özel Fatih Hastanesi Karşısı)

Lubab Yazma Eserleri İhya ve İlmi Araştırma Yayınları

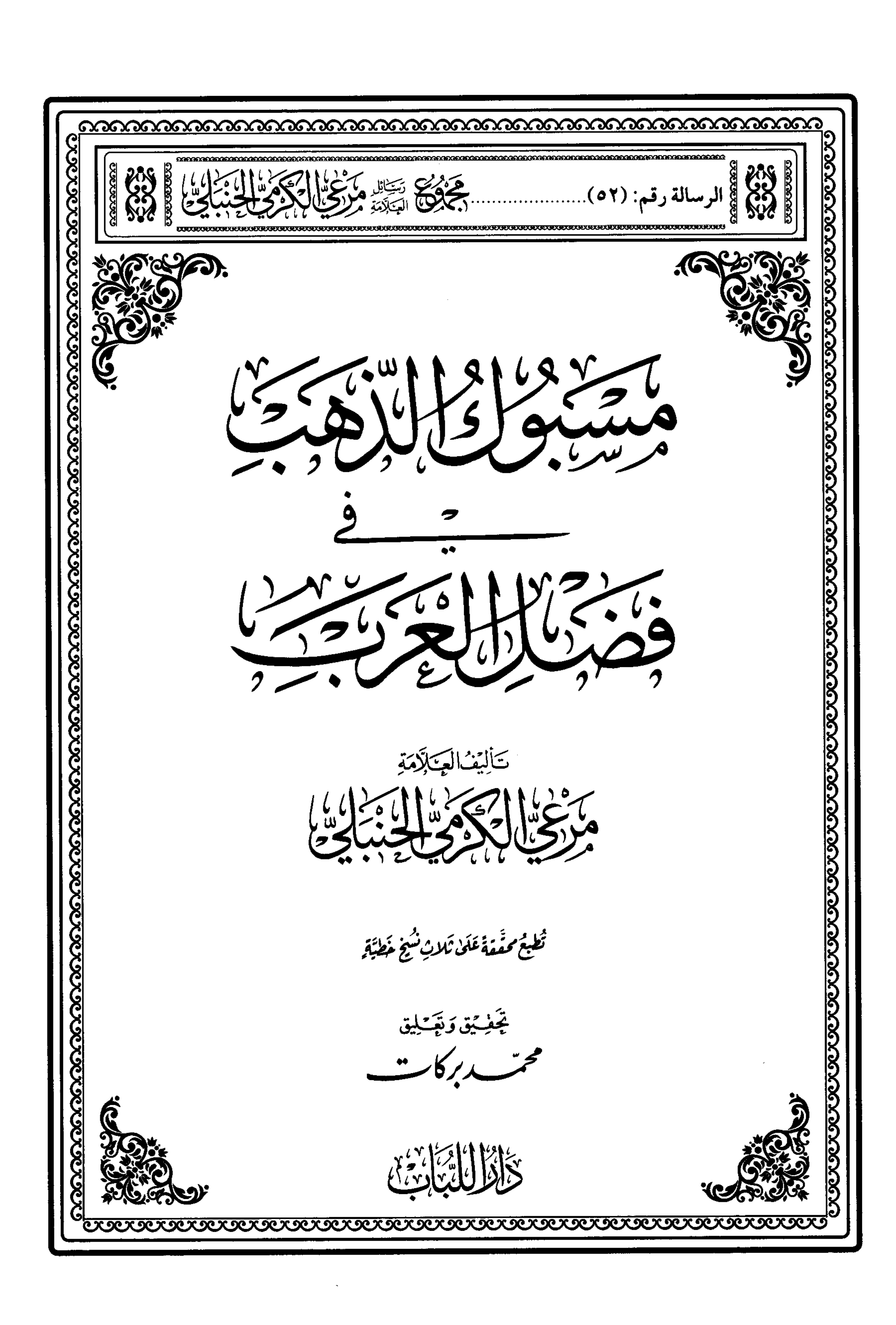
Tel: 00902125255551 - Mob: 00905454729850

Www.allobab.com - Email: info@allobab.com









مجموع رسائل العلامة مرعي الكرمي الحنبلي .... الرسالة رقم: (٥٢)

مسبوك الذهب في فضل العرب

تأليف العلامة

مرعي الكرمي الحنبلي

تطبع محققة على ثلاث نسخ خطية

تحقيق وتعليق

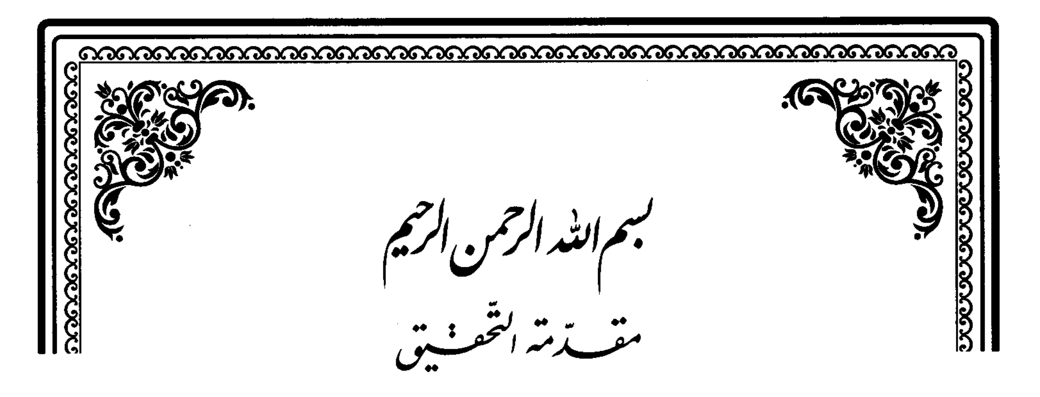
محمد بركات

دار اللباب

مكتبة راغب باشا (ر)

مكتبة لا له لي (ي)

مكتبة لا له لي (ل)



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ، وأفضلُ الصلاةِ وأتمُّ التسليمِ على المبعوثِ رحمةً للعالمين، محمَّدٍ النبيِّ العربيِّ، وعلى آلهِ وصحبهِ أجمعينَ.

وبعدُ:

فهذا كتابُ «مَسبوكِ الذَّهبِ في فضلِ العربِ، وشَرفِ العلمِ على شَرفِ النَّسَب» للعلَّامةِ مرعيِّ بنِ يوسُفَ الكرميِّ رحمه الله.

تناولَ المصنفُ فيه مسائلَ:

منها: بيانُ مَنْ هُم العربُ، ومَنْ هم العَجَمُ، ثمَّ ذكرَ الأدلةَ النقليةَ والعقليةَ أيضاً التي تدلُّ على فضلِ العربِ على العَجَم.

ومنها: بيانُ شرفِ العلمِ وشرفِ النَّسبِ، أيُّهما أفضلُ؟ حيثُ ذكرَ التفصيلَ فيهما.

ومِن هذه المسائلِ بيانُ معنى الأَعرابِ، وبيانُ أنَّ العربَ أفضلُ من الأعرابِ.

وختمَ بإيرادِ أحاديثَ فيها النهيُ عن التشبُّهِ بالأعاجمِ.

هذا وقد أكثرَ المصنفُ النقلَ عن كتابِ «اقتضاءِ الصِّراط المستقيم» لابنِ تيميَّةَ رحمه الله، كما أنَّه صرَّح ببعضِ المصادرِ التي نقلَ عنها.

وقد كانَ لنا شرفُ خدمةِ هذا الكتابِ، وتخريجِ الأحاديثِ الواردةِ فيه، وبيانِ درجتِها، وعزوِ الأقوال إلى قائلها، وإثباتِ فروقِ النُّسخ الخطِّيةِ.

وقد اعتمدنا في تحقيقِه على **ثلاث نُسخ خطِّية: الأولى**: نُسخة مكتبةِ لا له لي، المحفوظة في المكتبة السليمانية بتركيا، وهي نسخةٌ مقروءةٌ خطُّها جيدٌ، مقابَلَةٌ، نسخَها أحمدُ بنُ يحيى الأكرميُّ الصالحيُّ الحنفيُّ، وذلك سنةَ (١٠٤١هـ). ورمزنا لها بـ(ي).

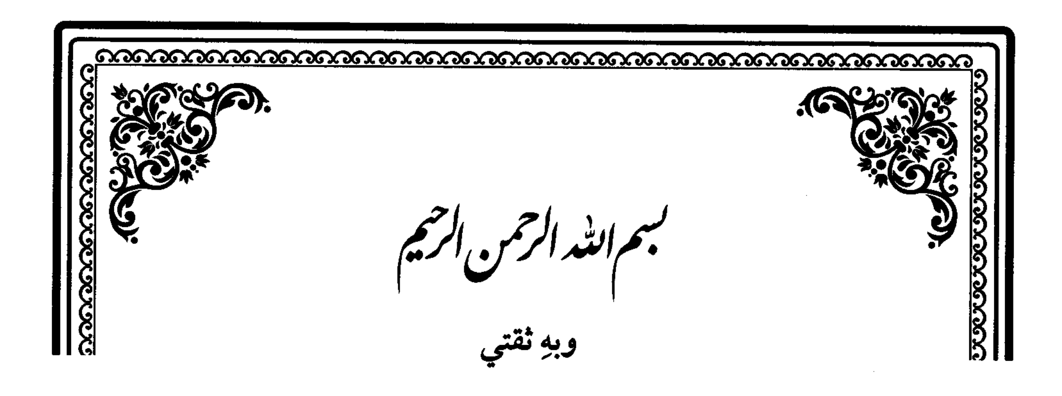
والثانية: نسخة من مكتبة لا له لي أيضاً، ورمزنا لها بـ(ل).

والثالثةُ: نسخةُ مكتبةِ راغب باشا، وهي من محفوظاتِ المكتبة السليمانية بتركيا. وهي نسخةٌ مقروءةٌ، مقابلةٌ، ناسخُها محمدُ يعقوب المقدسي بن محمد بن يحيى بن يوسف والد المؤلف، وكان نسخها سنةَ (١١٤٣هـ). ورمزنا لها بـ(ر).

نرجو من اللهِ تعالى التوفيقَ والسَّدادَ، وحُسْنَ القَبولِ، إنَّه تعالى سميعٌ مجيبُ الدعاءِ. وصلَّى الله على سيدِنا محمدٍ وعلى آلهِ وصحبهِ وسلَّم.

المحقق

* * *



وبهِ ثقتي

قالَ العبدُ الفقيرُ إلى اللهِ تعالى مرعيُّ بنُ يوسفَ الحنبليُّ المقدسيُّ لطفَ الله به، آمين:

الحمدُ للهِ الذي تفضَّلَ ووهَبَ، وأبعدَ من شاءَ وقرَّبَ، يخلُقُ ما يشاءُ ويختارُ، ما كانَ لهم الخيَرةُ، وإنا لنعجَبُ ولم ندرِ ما الحكمَةُ والسببُ.

والصلاةُ والسلامُ على المبعوثِ من خيرِ بني آدمَ وأشرَفِ قبائلِ العربِ، وعلى آلِهِ وأصحابِهِ الحائزينَ أعلى الرُّتَب، والجائزينَ على بحرِ البلاغةِ والأدبِ، وبعدُ:

فهذِه مسائلُ تُستعذَبُ، ودلائلُ تُستغرَبُ، تتعلَّقُ بفضلِ العربِ وما حازوهُ من شرفِ النسبِ والحسبِ، وسمَّيتُه:

«مسبوكَ الذهبِ في فضلِ العربِ، وشرفِ العلمِ على شرفِ النسَبِ»

فأقولُ وعلى اللهِ أعتمِدُ ومن فضلِهِ أستمِدُّ:

مقدمةٌ

اعلَـم أرشَـدَكَ اللهُ: أن العُربَ ـ بالضـمِّ وبالتحريكِ ـ خـلافُ العجَمِ، والعُجم ـ بالضـمِّ والتحريـكِ ـ خـلافُ العربِ، مـن أيِّ جنـسٍ كانَ، من تـركٍ ورومٍ، وهندٍ، وبربـرٍ، وزنجٍ.

والعربُ العاربَةُ والعربُ العَرْباءُ: الخُلَّصُ منهم، وعربٌ مُتَعرِّبةٌ ومُسْتَعرِبةٌ: دُخلاءُ بينَهُم[١].

ويقالُ: العربُ العاربةُ هم الذين تكلَّموا بلسانِ يَعرُبَ بن قحطانَ، وهو اللسانُ القديمُ، والعربُ المُسْتعرِبةُ هم الذين تكلَّمُوا بلسانِ إسماعيلَ، وهي لغةُ أهلِ الحجازِ وما والاها[٢].

قالَ في «القاموسِ»: والعَربُ سكَّانُ الأمصارِ، والأعرابُ منهم سكَّانُ الباديةِ[٣].

وكلامُ النُّحاةِ يخالِفُ كلامَ «القاموسِ»، فإنهم قالوا أَبى سيبويهِ أن يجعَلَ الأعرابَ جمعَ عربٍ؛ لأن الجمعَ أعمُّ من المفرَدِ، والعربُ يعمُّ الحاضرِينَ والبادِينَ، والأعرابُ خاصٌّ بالبادِينَ[٤].

قيلَ: بل الأعرابُ جمعُ عربيٍّ[٥].

---

(١) انظر: «الصحاح» (١/ ١٧٩).

(٢) انظر: «تهذيب» (٢/ ٢٢١).

(٣) انظر: «القاموس» (١١٣) (عرب).

(٤) انظر: «الكتاب» (٣/ ٣٧٩).

(٥) كـذا في النسـخ: «عربـي»، والذي فـي «المعاجم»: جمـع أعرابي. انظـر: «الصحـاح» (١/ ١٧٨) و«الزاهـر» (٢/ ٥٦).

وقيلَ: اسمُ جنسٍ جمعيٌّ لا واحدَ لهُ من لفظِهِ، يفرَّقُ بينه وبينَ واحدِهِ بياءِ النسبِ؛ مثل: رومٍ وروميٍّ، وزنجٍ وزنجيٍّ، وهذا أظهَرُ.

واعلَم: أنَّ العربَ موجودَةٌ من قَبْلِ إسماعيلَ وإبراهيم، فإنَّ اللهَ تعالى قد بعَثَ إليهم قبلَ إسماعيلَ هوداً وصالحاً عليهِما السلامُ، وما قيلَ من أنَّ إسماعيلَ أبو العربِ فلعلَّ المرادَ أشرفُ العربِ أو غالبُ العربِ، ثم رأيتُ في حديثِ الترمذِيِّ وحسَّنهُ عن النبيِّ ﷺ قالَ: «سامٌ أبو العربِ، وحامٌ أبو الحبشِ، ويافثٌ أبو الرومِ»[١].

ورأيتُ صاحبَ «تاريخِ الخميسِ» ذكرَ ما حاصِلهُ أن أبناءَ نوحٍ عليهِ السلامُ ثلاثةٌ، سامٌ وهو أبو العرَبِ وفارسٍ والرومِ، ويافِثُ وهوَ أبو التركِ ويأجوجَ ومأجوجَ والخزَّر والصَّقالِبةِ، وحامٌ وهوَ أبو السودانِ من الحبشَةِ والزنجِ والقبطِ والإفرنجِ.

قالَ: ومن أولادِ سامٍ عراقٌ وكرمانُ وخُراسانُ وفارسٌ ورومٌ، وباسمِ كلِّ واحدٍ سميتِ المملكَةُ التي حلَّ بها[٢].

قالَ: وأما ولدُ إرمَ بنِ سامِ بنِ نوحٍ، فإنهم احتقَروا الناسَ بما أنعمَ اللهُ عليهِم من القوةِ والبطشِ واللسانِ العربيِّ، وكانوا سبعةَ إخوةٍ، وهم: عادٌ، وكانَ أعظمَهم قوةً وبطشاً، وثمودُ وصَحارُ ووبارُ وطسمٌ وجَدِيسٌ وحماسم، وهؤلاءِ كلُّهم تفرَّقوا بجزيرةِ العربِ، وهم العربُ السالفةُ الأولى الذين انقرَضَ غالِبُهم[٣].

قالَ: وقد فهَّمَ اللهُ تعالى العربيةَ لعمليقٍ وطَسمٍ وعادٍ وعبيلٍ وثمودَ وجدِيسٍ[٤].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٢٣١)، وأحمد (٢٠٠٩٩) من حديث سمرة بن جندب.

(٢) انظر: «تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس» للديار بكري (١/ ٧٥ـ٧٦).

(٣) انظر: «الخميس» (١/ ٧٣ـ٧٤).

(٤) انظر: «الخميس» (١/ ٧٣).

وقالَ صاحبُ «تاريخِ الملوكِ التبابعَةِ وملوكِ حميرَ»: إن هوداً عليهِ السلامُ بنُ عابرِ بنِ شالخِ بنِ أرفخشد بن سامِ بن نوحٍ، هو أبو العرَبِ العاربةِ[١]، وإنَّ ابنَهُ قحطانَ هو وليُّ عهدِهِ قد لزِمَ طريقَتهُ واقتدَى بها[٢]، وأنَّ يعرُبَ بنَ قحطانَ بنِ هودٍ هو أولُ من ألهمَهُ اللهُ تعالى العربيةَ المحضةَ. وقالَ: فأبلغَ واختصرَ فأوجزَ واشتقَّ اسمَ العربيةِ من اسمهِ[٣]. وأن يشجُبَ بنَ يعرُبَ قامَ مقامَهُ في النهيِ والأمرِ، وحازَ اليمنَ والحجازَ، وأن سبأَ بن يشجُبَ كانَ ملِكاً عظِيماً وهو أولُ من سبى السبيَ، غزا ملوكَ بابلَ وفارِسَ والرومَ والشامَ حتى أتى المغرِبَ، ثم رجعَ إلى اليمنِ فبنى السدَّ الذي ذكرَهُ اللهُ تعالى واسمُهُ العرِمُ وقسَّمَ الملكَ بين ولدَيهِ حميرَ وكهلانَ[٤].

واعلَم أن آدمَ عليهِ السلامُ هو أولُ من تكلَّمَ بالعربيةِ، بل بالألسنةِ كلِّها بجميعِ لغاتِها وعلَّمَها أولادَهُ، فلما افترَقوا في البلادِ وكثُروا اقتصرَ كلُّ قومٍ على لغةٍ[٥].

وما رويَ أن أولَ من تكلَّمَ بالعربيةِ إسماعيلُ[٦] أو يعرُبُ بنُ قحطانَ[٧]، فالمرادُ: من ولدِ إبراهيمَ أو من قبيلَتِهِ، وعلى هذا فالظاهرُ أن لغَةَ العربِ قديمةٌ، بل وسائرُ اللُّغاتِ، وأن من كانَ يتكلَّمُ بالعربيةِ من بني آدمَ قبلَ الطوفانِ فهم العربُ، أو أن العرَبَ والعجَمَ والرومَ والتركَ والحبَشَ أوصافٌ حادِثةٌ بعد الطوفانِ، وأنه كانت

(١) انظر: «خلاصة السير الجامعة لعجائب أخبار الملوك التبابعة» لنشوان الحميري (ص ٢).

(٢) المصدر السابق (ص ٦).

(٣) المصدر السابق (ص ٨).

(٤) المصدر السابق (ص ١٠ و١١ و١٢).

(٥) انظر: «تاريخ الخميس» (١/ ٦٢).

(٦) انظر: «المنتظم» (١/ ٣٠٥)، و«الدر المنثور» (٥/ ٥١٧).

(٧) انظر: «مرآة الزمان» (٢/ ٤٥٠).

للناسِ أوصافٌ وأجناسُ أخَرُ قبلَ الطوفانِ نُسخَتْ ونُسيَتْ، فإن الطوفانَ عمَّ أهلَ الأرضِ جميعاً بحيثُ لم يبقَ على وجهِ الأرضِ أحدٌ.

ونوحٌ عليهِ السلامُ هوَ الأبُ الثاني للبشَرِ، قالَ تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾ [الصافات: ٧٧] ثم تناسَلُوا وكثُروا وتكلَّموا باللغاتِ كُلِّها، إما بإلهامٍ منَ اللهِ تعالى كما مرَّ، أو بتلقِّيها من نوحٍ عليهِ السلامُ، وتلقَّاها أولادُهُ عنهُ، هذا محلُّ تردُّدٍ، ولم أرَ في ذلكَ نقلاً، والأقرَبُ تلقِّيها من نوحٍ عليهِ السلامُ، فإنَّ اللغةَ لا يحيطُ بها إلا ملَكٌ أو نبيٌّ.

واعلَم: أن **الأعرابَ** في الأصلِ اسمٌ لسكانِ باديةِ أرضِ العربِ، فإن كلَّ أمةٍ لها حاضرةٌ وباديةٌ، فباديةُ العربِ الأعرابُ، وباديَةُ الرومِ الأرمَنُ، وباديَةُ التركِ التركمانُ، وباديةُ الفرسِ الأكرادُ.

وأرضُ العربِ هي جزيرةُ العربِ التي هي من بحرِ القلزمِ شرقي مصرَ إلى بحرِ البصرَةِ، ومن أقصَى حجرٍ باليمنِ إلى أوائلِ الشامِ.

وقالَ أبو عُبَيدٍ: جزيرَةُ العربِ من عدنٍ إلى ريفِ العراقِ طُولاً، ومن تِهامَةَ بكسرِ التاءِ إلى ما وراءَها إلى أطرافِ الشامِ[1].

وسمِّيتْ جزيرةً لأن بحرَ فارسٍ وبحرَ الحبشِ ودِجلةَ والفراتَ قد أحاطَت بها.

إذا تقرَّرَ هذا، فاعلَم أنَّ **جنسَ العربِ أفضَلُ من جنسِ العجمِ**، كما أن جنسَ الرجلِ أفضَلُ من جنسِ المرأةِ.

---

(١) انظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد (٢/ ٦٧) فقد نقله عن الأصمعي، ومثله في «تهذيب اللغة» (١٠/ ٣١٩).

وأما باعتبارِ أفراد الأشخاص فقد يوجَدُ من النساءِ ما هو أفضلُ من ألوفٍ من الرجالِ كمريمَ وفاطمةَ وعائشةَ، وقد يوجَدُ من العجَمِ ما هو أفضلُ من ألوفٍ من العربِ كصهيبٍ الروميِّ، وسلمانَ الفارسيِّ، وبلالٍ الحبشِيِّ وغيرِهم. فإنَّ كل واحدٍ منهم أفضَلُ من ألوفٍ من العرَبِ بلْ أفضَلُ من ألوفٍ من قريشٍ وبني العباسِ والأشرافِ.

ويصحُّ أن نقولَ: إن كلَّ واحدٍ من مثلِ سلمانَ وبلالٍ وصُهَيبٍ لصحبَةِ رسولِ اللهِ أفضَلُ من جعفرٍ الصادِقِ، وموسَى الكاظمِ، وأفضَلُ من أبي حنيفَةَ ومالكٍ والشافعيِّ وأحمدَ.

وهل يصحُّ أن يقالَ: إن الواحدَ من الصحابةِ أفضَلُ من جميعِ أمةِ محمدٍ من غيرِ الصحابةِ المشتملَةِ على الأقطابِ والأنجابِ والأبدالِ، والعلماءِ والشهَداءِ والأولياءِ؟

الظاهرُ صحةُ ذلكَ، وإن كانَ العقلُ يأبى ذلكَ ويستبعِدُهُ، لا سيَّما في الهيئةِ الاجتماعيةِ من الفضلِ والقوةِ غايةَ المزيةِ، فليُتأمل.

والدليلُ على فضلِ العربِ من وجهينِ: من المنقولِ والمعقولِ.

أما النقلُ: فقد روَى الطبرانيُّ والبيهقيُّ وأبو نُعَيمٍ والحاكمُ عن ابنِ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «إن اللهَ تعالى خلَقَ الخلقَ فاختارَ من الخلقِ بني آدمَ، واختارَ من بني آدمَ العربَ، واختارَ من العربِ مُضرَ، واختارَ من مُضرَ قُريشاً، واختارَ من قريشٍ بني هاشمٍ، واختارَني من بني هاشمٍ، فأنا خِيارٌ من خِيارٍ، فمن أحبَّ العربَ، فبُحبِّي أحبَّهم، ومن أبغضَ العربَ فببُغضِي أبغضَهم»[1].

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٣٦٥٠)، والحاكم (٦٩٥٣)، والبيهقي في «الشعب» (١٣٣٠)، =

فهذا النقلُ صريحٌ في فضلِ العربِ على العجمِ، وصريحٌ في فضلِ جنسِ بني آدمَ على جنسِ الملائكةِ، خِلافاً للمعتزلَةِ ومن وافقَهم[١].

وروى الترمذيُّ أيضاً وحسَّنهُ من حديثِ العباسِ رضيَ اللهُ عنه: أن النبيَّ ﷺ قالَ: «إنَّ اللهَ خلقَ الخلقَ، فجعلَني في خيرِ فِرَقهم، ثم خيَّرَ القبائلَ فجعَلني في خيرِ قبيلةٍ، ثم خيَّرَ البيوتَ فجعَلني في خيرِ بيوتِهم، فأنا خيرُهم نفسَاً وخيرُهم بيتاً»[٢].

وروَى الترمذيُّ أيضاً وحسَّنهُ قالَ: جاءَ العباسُ إلى رسولِ اللهِ ﷺ وكأنهُ سمِعَ شيئاً، فقامَ النبيُّ ﷺ على المنبرِ فقالَ: «من أنا؟» فقالوا: أنتَ رسولُ اللهِ، فقالَ: «أنا محمدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ المطلِّبِ»، ثم قالَ: «إن اللهَ خلقَ الخلقَ فجعلَني من خيرِهم، ثم جعلَهم فريقين فجعَلَني في خيرهم فرقةٍ، ثم جعلَهم قبائلَ فجعَلني في خيرِهم قبيلةً، ثم جعلَهم بيوتاً فجعلَني في خيرِهم بيتاً وخيرِهم نفساً»[٣].

وروى الإمامُ أحمدُ هذا الحديثَ في «المسندِ» وفيه: فصعِدَ النبيُّ ﷺ المنبرَ فقالَ: «من أنا؟» فقالوا: أنتَ رسولُ اللهِ، فقالَ: «أنا محمدُ بنُ عبدِ الله بنِ عبد المطلِّبِ، إن اللهَ خلقَ الخلقَ فجعَلَني في خيرِ خلقِهِ، وجعلَهم فرقتَينِ فجعلَني في

= وأبو نعيم في «الدلائل» (١٨)، والعقيلي في «الضعفاء» (٣٨٨١٤)، وابن عدي في «الكامل» (٧/ ٤١٨)، وجعله ابن عدي والعقيلي من الغرائب التي لا يتابع عليها. وقال أبو حاتم كما في «العلل» (٦/ ٤٠٢): حديث منكر.

(١) انظر: «تفسير الرازي» (٢/ ٤٣٧)، و«اقتضاء الصراط» (١/ ٤٢٥).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٦٠٧).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٦٠٨).

خيرِ فرقةٍ، وجعلَهم قبائلَ فجعلَني في خيرِ قبيلةٍ، وجعلهم بيوتاً فجعَلَني في خيرِ بيتٍ، فأنا خيرُكم بيتاً وخيرُكم نفساً»[١].

وروى الحافظُ ابنُ تيميةَ[٢] من طرقٍ معروفةٍ إلى محمد بنِ إسحاقَ الصاغانيِّ بإسنادِهِ إلى ابنِ عمرَ رضيَ الله عنهُ عن النبيِّ ﷺ وفيهِ: «ثم خلَقَ الخلقَ فاختارَ من الخلقِ بني آدمَ، واختارَ من بني آدمَ العربَ، واختارَ من العربِ مضرَ، واختارَ من مضرَ قُريشَاً، واختارَ من قريشٍ بني هاشمٍ، واختارَني من بني هاشمٍ فأنا من خيارٍ إلى خيار، فمن أحبَّ العربَ فبُحبي أحبَّهم، ومن أبغضَ العرَبَ فببُغضي أبغضَهم»[٣].

ففي هذهِ الأحاديثِ كلِّها: أخبرَ رسولُ اللهِ ﷺ أنه تعالى جعَلَ بني آدمَ فرقتَين، والفرقتانِ: العربُ والعجمُ، ثم جعَلَ العربَ قبائلَ، فكانت قريشٌ أفضَلَ قبائلِ العربِ، ثم جعلَ قريشاً بيوتاً، فكانت بنو هاشمٍ أفضَلَ البيوتِ. فالأحاديثُ كلُّها صريحةٌ بتفضِيلِ العربِ على غيرِهم.

وروى الإمامُ أحمدُ ومسلمٌ والترمذِيُّ من حديثِ الأوزاعيِّ، عن شدادٍ، عن واثلَةَ بن الأسقَعِ رضيَ اللهُ عنه قالَ: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «إن اللهَ اصطفَى كنانةَ من ولدِ إسماعيلَ، واصطفَى قُريشاً من كنانةَ، واصطفَى من قريشٍ بني هاشمٍ، واصطفاني من بني هاشمٍ»[٤].

وفي لفظٍ آخرَ: «إن اللهَ اصطفى من ولدِ إبراهيمَ إسماعيلَ، واصطفَى من

(١) أخرجه أحمد (١٧٨٨)، وهو حديث حسن.

(٢) في كتابه: «اقتضاء الصراط» (١/ ٤٣١) وما بعدها.

(٣) سلف تخريجه.

(٤) أخرجه أحمد (١٦٩٨٦)، ومسلم (٢٢٧٦)، والترمذي (٣٦٠٦).

ولـدِ إسـماعيلَ بني كنانـةَ» إلى آخـرهِ. قـالَ الترمذيُّ: هـذا حديـثٌ صحيحٌ[١].

وهذا الحديثُ يقتضِي أن إسماعيلَ وذُرِّيتهُ صفوةُ ولدِ إبراهيمَ، وأنهم أفضلُ من ولدِ إسحاقَ.

ومعلومٌ أن ولدَ إسحاقَ الذين هم بنو إسرائيلَ أفضَلُ من العجمِ، لما فيهم من النبوةِ والكتابِ، وحيثُ ثبتَ فضلُ ولدِ إسماعيلَ على بني إسرائيلَ، فعلَى غيرِهم بطريقِ الأولى.

وقد احتجَّ الشافعيةُ في الكفاءةِ بهذا فقالوا: إن العربَ طبقاتٌ، فلا يكافئُ غيرُ قرشيٍّ من العربِ قرشيةً، وليسَ القرشيُّ كفؤَ الهاشميةِ للحديثِ السابقِ: «إنَّ الله اصطفَى..» إلى آخره[٢].

قالوا: وأولادُ فاطمةَ عليها السلامَ لا يُكافئهم غيرُهم من بقيةِ بني هاشمٍ لأن من خصائصِهِ عليهِ السلامُ أن أولاد بناتِهِ يُنسبُونَ إليهِ[٣].

قالوا: وكذا باقي الأممِ، فلا يكونُ من ليسَ من بني إسرائيلَ كفؤاً لإسرائيليةٍ[٤].

ومذهبُ الإمامِ أحمدَ رحمَهُ اللهُ تعالى أن جميعَ العربِ أكفاءٌ لبعضِهم، كما أن جميعَ العَجمِ أكفاءٌ لبعضِهم[٥]، واعتُبرَ النسبُ في الكفاءةِ، لأن العربَ تفتخِرُ بهِ.

واعلَم أن الأحاديثَ الواردةَ في فضلِ قريشٍ، ثم في فضلِ بني هاشمٍ كثيرةٌ جداً، وليسَ هذا موضِعَها.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٦٠٥).

(٢) انظر: «تحفة المحتاج» (٧/ ٢٧٩).

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق (٧/ ٢٨٠).

(٥) انظر: «المغني» لابن قدامة (٧/ ٣٦).

وأما **العقلُ الدالُّ على فضلِ العربِ**، فقَد ثبتَ بالتواترِ المحسوسِ المشاهَدِ أن العرَبَ أكثرُ الناسِ سخاءً وكرماً، وشجاعةً ومروءةً وشهامةً، وبلاغةً وفصاحةً، ولسانهم أتمُّ الألسِنةِ بياناً وتمييزاً للمعاني جمعاً وفَرقاً بجمعِ المعاني الكثيرَةِ في اللفظِ القليلِ إذا شاءَ المتكلِّمُ الجمعَ، ويميزُ بينَ كلِّ لفظَين مشتَبِهين بلفظٍ آخرَ مختصرٍ، إلى غيرِ ذلكَ من خصائصِ اللسانِ العربيِّ.

ومن كانَ كذلكَ فالعقلُ قاضٍ بفضلِهِ قطعاً عَلى من ليسَ كذلكَ.

ولهم مكارمُ أخلاقٍ محمودةٍ لا تنحَصِرُ، غريزةً في أنفُسِهم، وسجيَّةً لهم جُبِلوا عليها، لكن كانوا قبلَ الإسلامِ طبيعةً قابلةً للخيرِ، ليسَ عندَهم علمٌ مُنَزَّلٌ من السماءِ، ولا هُم أيضاً مشتغِلونَ ببعضِ العلومِ العقليةِ المحضَةِ، كالطبِّ أو الحسابِ أو المنطقِ ونحوِهِ، إنما علمُهم ما سمحَتْ بِهِ قرائحُهم من الشعرِ والخُطَبِ، أو ما حفِظُوه من أنسابِهم وأيامِهم، وما احتاجُوا إليه في دُنياهُم من الأنواءِ والنجومِ أو الحروبِ، فلما بعثَ اللهُ محمداً ﷺ بالهُدَى الذي ما جعَلَ اللهُ في الأرضِ مثلَهُ، تلقَّوه عنهُ بعدَ مجاهدَتِهِ الشديدةِ لهم، ومعالجَتِهم على نقلِهم عن تلكَ العاداتِ الجاهليةِ التي كانَتْ قد أحالَتْ قلوبَهم عن فطرَتها، فلما تلقَّوا عنهُ ذلكَ الهدى زالَتْ تلكَ الرُّيونُ عن قلوبِهم، واستَنارَت بهديِ اللهِ، فأخذُوا هذا الهَدْيَ العظيمَ بتلكَ الفطرةِ الجيدَةِ، فاجتمَعَ لهم الكمالُ التامُّ بالقوةِ المخلوقَةِ فيهم، والهُدَى الذي أنزلَهُ عليهم، ثم خَصَّ قريشاً على سائرِ العربِ بما جعلَ فيهم خلافةَ النبوَّةِ وغيرِ ذلكَ من الخصائصِ، ثم خصَّ بني هاشمٍ بتحريمِ الصدقةِ واستحقاقِ قسطٍ من الفَيْءِ، إلى غيرِ ذلكَ من الخصائصِ، فأعطَى اللهُ سبحانَهُ كلَّ درجةٍ من الفضلِ بحسَبِها، واللهُ عليمٌ حكيمٌ ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [الحج: ٧٥] ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

واعلم: **أنهُ ليسَ فضلُ العربِ ثم قريشٍ ثم بني هاشمٍ بمجرَّدِ كونِ النبيِّ ﷺ** منهم كما يُتوهَّمُ، وإن كانَ هو عليهِ السلامُ قد زادَهم فضلاً وشرفاً بلا ريبٍ، بل هُم في أنفُسِهم أفضَلُ وأشرَفُ وأكمَلُ، وبذلكَ ثبتَ له عليهِ السلام أنّا أفضَلُ نفساً ونسباً، وإلا للزمَ الدورُ وهو باطلٌ.

وبالجملَةِ: فالذي عليهِ أهلُ السنةِ والجماعةِ اعتقادُ أن جنسَ العربِ أفضَلُ من جنسِ العجمِ، عبرانيِّهم وسريانيِّهم وروِمهم وفرِسهم وغيرِهم، وأن قريشاً أفضلُ العربِ، وأن بني هاشمٍ أفضَلُ قريشٍ، وأن رسولَ اللهِ ﷺ أفضَلُ بني هاشمٍ، فهوَ أفضلُ الخلقِ أجمعِينَ وأشرَفُهم نسباً وحسباً، وعلى ذلكَ درجَ السلَفُ والخلَفُ.

قالَ أبو محمدٍ حربُ بن إسماعيلَ الكرمانيُّ صاحِبُ الإمام أحمدَ في وصفِهِ للسنةِ التي قالَ فيها: هذا مذهَبُ أئمةِ العلمِ، وأصحابِ الأثرِ وأهلِ السنةِ المعروفِينَ بها المقتدَى بهم فيها[١].

قالَ: وأدركْتُ مَن أدركْتُ من أهلِ العراقِ والحجازِ والشامِ وغيرِهم عليها، وأن من خالفَها أو طعَنَ فيها أو عابَ قائلَها فهو مبتَدِعٌ خارجٌ من الجماعةِ، زائلٌ عن منهَجِ السنةِ وسبيلِ الحقِّ[٢].

وساقَ كلاماً طويلاً إلى أن قالَ: ونعرِفُ للعربِ حقَّها وفضلَها وسابقَتَها، ونحبُّهم لحديثِ رسولِ اللهِ ﷺ: «حبُّ العربِ إيمانٌ، وبغضُهم نفاقٌ» ولا نقولُ بقولِ الشُّعوبيةِ ـ وأرادَ الموالي الذينَ لا يحبونَ العرَبَ ولا يقرُّونَ بفضلِهم ـ فإن قولَهم بدعةٌ وخلافٌ.

---

(١) انظر: «مسائل حرب الكرماني» (٣/ ٣٦٧)، و«اقتضاء الصراط» (١/ ٤٢٠).

(٢) انظر: «مسائل حرب الكرماني» (٣/ ٣٧٦ ـ ٣٧٧)، و«اقتضاء الصراط» (١/ ٤٢٠). وسيرد تخريج الحديث في التعليق الآتي.

وقد وردَتْ أحاديثُ تؤيِّدُ مذهبَ أهلِ السنةِ والجماعةِ:

وروى الحاكمُ عن أنسٍ عن النبيِّ ﷺ: «حبُّ العربِ إيمانٌ، وبغضُهم كفرٌ مَنْ أحبَّ العربَ فقَد أحبَّني، ومن أبغَضَ العربَ فقد أبغضَني» (١).

ورَوَى الطبرانيُّ عن أنسٍ رضي اللهُ عنه عن النبيِّ ﷺ: «حبُّ قريشٍ إيمانٌ وبغضُهم كفرٌ، وحبُّ العربِ إيمانٌ وبغضُهم كفرٌ، فمن أحبَّ العرَبَ فقد أحبَّني ومن أبغَضَ العربَ فقد أبغضَني» (٢).

وروى ابن عساكرَ والسِّلَفِيُّ عن جابرِ بنِ عبدِ اللهِ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ: قال رسول الله ﷺ: «حب أبي بكر وعمر من الإيمان، وبغضهما كفرٌ، وحب الأنصار من الإيمان، وبغضهم كفر، وحب العرب من الإيمان وبغضهم كفرٌ»(٣).

وروى الترمذيُّ وغيرُهُ عن سلمانَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «يا سلمانُ! لا تبغِضني فتفارِقَ دينَكَ» قلتُ: يا رسولَ اللهِ! كيفَ أبغِضُكَ وبك هداني اللهُ؟ قالَ: «تُبغِضُ العربَ فتُبغِضُني». قالَ الترمذِيُّ: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ(٤).

---

(١) أخرجه الحاكم (٦٩٩٨) مختصراً، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٣٣٣)، وصححه الحاكم وتعقبه الذهبي بقوله: الهيثم بن جماز متروك. اهـ، وكذلك معقل بن مالك ضعيف.

(٢) أخرجه البزار في «مسنده» (٦٩٩٧)، والطبراني في «الأوسط» (٢٥٣٧)، والعقيلي في «الضعفاء» (٤/ ٣٥٥). وقال البزار: لا نعلم رواه عن ثابت إلا الهيثم بن جماز... والهيثم لا يحتج بحديثه إذا انفرد.

(٣) أخرجه ابن عساكر في «تاريخه» (٣٠/ ١٤٤)، و(٤٤/ ٢٢٢)، وإسناده ضعيف جداً، في إسناده عمر بن صبح، وهو متروك، وخليد بن دعلج وهو كثير الخطأ.

(٤) أخرجه الترمذي (٣٩٢٧)، وأحمد (٢٣٧٣١)، والحاكم (٦٩٩٥) وصححه، والعقيلي في «الضعفاء» (٢/ ١٨٤). وقال الترمذي: سمعت محمد بن إسماعيل ـ يعني البخاري ـ يقول: أبو ظبيان لم يدرك سلمان. اهـ. وتعقب الذهبي الحاكم بقوله: قابوس بن أبي ظبيان تكلم فيه.

فجعلَ النبيُّ ﷺ بغضَ العربِ سبباً لِفراقِ الدينِ، وجعلَ بُغضَهم مُقتَضِياً لبغضِهِ عليهِ السلامُ، ولعلَّهُ إنما خاطبَ سلمانَ بهذا، وهو سابقُ الفُرْسِ، وذو الفضائلِ المأثورةِ تنبيهاً لغيرِهِ من سائرِ الفرسِ لما علَّمهُ اللهُ تعالى من أن الشيطانَ قد يدعو بعضَ النفوسِ إلى شيءٍ من ذلك، وهذا دليلٌ على أن بغضَ جنسِ العربِ ومعاداتِهم كفرٌ أو سببٌ للكفرِ، ومقتضاهُ أنهم أفضَلُ من غيرِهم، وأن محبَّتهم سببُ قوةِ الإيمانِ.

وعن أبي هُرَيرةَ رضيَ اللهُ عنه قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «أحبوا العربَ وبقاءَهم، فإن بقاءَهم نورٌ في الإسلامِ، وإن فناءَهم فناءٌ في الإسلامِ». رواهُ أبو الشيخِ ابنُ حيَّانَ(١).

وعن جابرٍ رضيَ الله عنهُ أن النبيَّ ﷺ قالَ: «إذا ذلَّتِ العرَبُ ذلَّ الإسلامُ»(٢). حديثٌ صحيحٌ(٣).

وعن أبي هُريرَةَ رضيَ اللهُ عنه قالَ: قالَ النبيُّ ﷺ: «الناسُ تبعٌ لقريشٍ في هذا الشأنِ، مُسْلِمُهم تبعٌ لمسلِمِهم، وكافرُهم تبعٌ لكافرِهم، والناسُ معادن [خِيارُهم في الجاهليةِ](٤) خيارُهم في الإسلامِ إذا فقهوا». هذا حديثٌ صحيحٌ متَّفقٌ عليهِ(٥).

---

(١) أخرجه أبو الشيخ في «طبقات المحدثين» (٤/ ٢٧٣)، وضعفه السخاوي في «المقاصد الحسنة» (ص ٦٤).

(٢) أخرجه أبو يعلى (١٨٨١) و(٢٠٩٦)، وضعفه البوصيري في «اتحاف الخيرة» (٧/ ٣٢٩). وقال أبو حاتم كما في «العلل» (٦/ ٤٢٧): حديث باطل لا أصل له.

(٣) كذا قال المصنف، وهذا عجيب! ولعله تابع العراقي في كتابه الغريب، وقد اتفق العلماء على تضعيفه. انظر: «المداوي لعلل الجامع الصغير» (١/ ٣٦٦).

(٤) ما بين معكوفتين استدركناه من مصادر التخريج.

(٥) أخرجه البخاري (٣٤٩٥)، و(٣٤٩٦)، ومسلم (١٨١٨).

وقالَ ﷺ: «الأنصارُ لا يحبُّهم إلا مؤمنٌ، ولا يبغِضُهم إلا منافقٌ، فمن أحبَّهم أحبَّهُ اللهُ، ومن أبغضَهم أبغضَهُ اللهُ». حديثٌ صحيحٌ أخرجَهُ الأئمةُ الستةُ[١].

قالَ شيخُ الإسلامِ ابن تيميةَ[٢]: وقد رويَت في ذلكَ أحاديثُ النُّكرَةُ ظاهرةٌ عليها كحديثِ الترمذِيِّ من حديثِ حُصين بن عمرَ بإسنادِهِ عن عثمانَ بن عفانَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «من غشَّ العربَ لم يدخُل في شفاعَتي، ولم تنلهُ مودَّتي». قالَ الترمذِيُّ: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ لا نعرِفه إلا من حديثِ حُصينِ بن عمرَ[٣].

قالَ ابن تيميةَ[٤]: حُصينٌ هذا الذي رواهُ قد أنكَرَ أكثرُ الحفاظِ حديثَهُ. قالَ يحيى[٥] بن معينٍ: ليسَ بشيءٍ، وقالَ ابنُ المدينيِّ: ليسَ بالقويِّ، وقالَ البخاريُّ وأبو زرعةَ: منكَرُ الحديثِ، وقالَ ابن عديٍّ: عامةُ أحاديثِهِ معاضِيلُ، ينفرِدُ عن كلِّ من روى عنهُ[٦]. ومنهُم من يجاوزُ بِهِ الضعفُ إلى الكذبِ[٧].

وروى عبدُ اللهِ بن أحمدَ في «مسندِ أبيهِ» من طريقِ إسماعيلِ بن عياشٍ عن زيد بن جُبيرة بإسنادِهِ عن عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «لا يبغِضُ العربَ إلا منافقٌ»[٨].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٨٣)، ومسلم (٧٥)، والترمذي (٣٩٠٠)، وابن ماجه (١٦٣)، والنسائي في «الكبرى» (٨٢٧٦) من حديث البراء. ولم يخرجه أبو داود.

(٢) انظر: «اقتضاء الصراط» (١/ ٤٣٧) وما بعدها.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٩٢٨)، وعبد الله بن أحمد في «مسند أبيه» وجادةً (٥١٩).

(٤) انظر: «اقتضاء الصراط» (١/ ٤٣٨).

(٥) «يحيى» ليس في النسخ.

(٦) انظر هذه الأقوال في «تهذيب الكمال» (٦/ ٥٢٨).

(٧) انظر: «اقتضاء الصراط» (١/ ٤٣٩).

(٨) أخرجه عبد الله بن أحمد كما في «مسند أبيه» (٦١٤)، وابن عدي في «الكامل» (٤/ ١٥٥)، =

قالَ ابنُ تيميةَ: وزيدُ بن جُبيرةَ عندهم منكَرُ الحديثِ، وروايةُ إسماعيلَ بن عياشٍ عن [غير] الشاميينَ مضطرِبةٌ[١].

وروَى العُقَيلِيُّ في «الضعفاءِ»، والطبرانيُّ في «الكبيرِ»، والحاكِم في «المستَدركِ»، والبيهَقِيُّ في «شعبِ الإيمانِ» عنِ ابن عباسٍ رضيَ اللهُ عنه قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «أحبُّوا العربَ لثلاثٍ؛ لأني عربيٌّ، والقرآنُ عربيٌّ، وكلامُ أهلِ الجنةِ عربيٌّ»[٢].

قالَ الحافِظُ السِّلَفيُّ: هذا حديثٌ حسنٌ. قالَ ابنُ تيميةَ: فما أدرِي أرادَ حُسْنَ إسنادِهِ على طريقَةِ المحدثينَ، أو حُسْنَ متنهِ على الاصطلاحِ العامِّ؟ قالَ: وابنُ الجوزيِّ ذكرَ هذا الحديثَ في «الموضوعاتِ»، وقالَ: قالَ العُقَيليُّ: لا أصلَ لهُ[٣].

وعن أبي هُريرَةَ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «أنا عربيٌّ، والقرآنُ عربيٌّ، ولسانُ أهلِ الجنةِ عربيٌّ». قالَ الحاكِمُ: حديثٌ صحيحٌ رجالُهُ كلُّهم ثقاتٌ[٤].

ومما **يدلُّ على فضلِ العربِ** أيضاً: ما رواهُ البزَّارُ بإسنادِهِ قالَ: قالَ سلمانُ

= وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١/ ٢٩٦) وقال: حديث لا يصح.

(١) انظر: «اقتضاء الصراط» (١/ ٤٤١)، وما بين معكوفتين منه، وهو الصواب.

(٢) أخرجه العقيلي في «الضعفاء» (٣/ ٣٤٨)، والطبراني في «الكبير» (١١٤٤١)، والحاكم (٦٩٩٩)، والبيهقي في «الشعب» (١٣٦٤). وقال العقيلي: منكر لا أصل له. وقال أبو حاتم الرازي كما في «العلل» (٦/ ٤٢٦): هذا حديث كذب. وقال الذهبي: موضوع.

(٣) انظر: «اقتضاء الصراط» (١/ ٤٤٣)، و«الموضوعات» لابن الجوزي (٢/ ٤١).

(٤) لم أقف عليه عند الحاكم. وأخرجه الطبراني في «الأوسط» (٩١٤٧). وفي إسناده شبل بن العلاء، وله مناكير، وفيه عبد العزيز بن عمران، وهو متروك.

رضيَ اللهُ عنهُ: نُفضِّلُكم يا معشرَ العربِ لتفضِيلِ رسولِ اللهِ إياكم، لا ننكِحُ نساءَكم، ولا نؤمُّكُم في الصلاةِ[(١)].

قالَ ابنُ تيميةَ: وهذا إسنادٌ جيدٌ[(٢)].

قالَ: وقد رويَ من طريقٍ آخرَ عن سلمانَ الفارسيِّ رضيَ الله عنه أنهُ قالَ: فضَلتُمونا يا معشرَ العربِ باثنتَين؛ لا نؤمُّكُم، ولا ننكِحُ نساءَكم. ورواهُ سعيدٌ في «سننِه» وغيرُهُ[(٣)].

هذا الحديثُ مما احتجَّ بهِ أكثرُ الفقهاءِ الذين جعلُوا العربيةَ من الكفاءةِ بالنسبةِ إلى العجميِّ قائلينَ: فلا تُزوَّجُ عربيةٌ بعجَميٍّ[(٤)].

قالَ الفقهاءُ في تعليلِ ذلكَ: لأن اللهَ تعالى اصطفَى العربَ على غيرِهم، وميَّزَهم عنهم بفضائلَ جمةٍ[(٥)].

واحتجَّ أصحابُ الإمامِ الشافعيِّ والإمامِ أحمدَ بهذا على أن الشرفَ مما يُستَحقُّ بهِ التَّقديم في الصلاةِ[(٦)].

---

(١) لم أقف عليه في مطبوع البزار، وقد ساق ابن تيمية إسناده إلى سلمان بمثل ما أورده ابن كثير في «جامع المسانيد» (٣/ ٤٩٧)، قال: رواه الطبراني عن إبراهيم بن سعيد الجوهري، عن أبي أحمد الزبيري، عن عبد الجبار بن العباس عن أبي إسحاق، عن أوس بن ضمعج، عن سلمان.
وكذا هو في «مجمع الزوائد» (٤/ ٢٧٥) منسوباً للطبراني فقط. وهو في «المعجم الكبير» (٦١٥٨) بهذا الإسناد.

(٢) انظر: «اقتضاء الصراط» (١/ ٤٤٥).

(٣) أخرجه البيهقي في «السنن» (١٣٧٦٦)، وقال: هذا هو المحفوظ الموقوف.

(٤) انظر: «اقتضاء الصراط» (١/ ٤٤٥).

(٥) انظر: «تحفة المحتاج» (٧/ ٢٧٩).

(٦) انظر: «اقتضاء الصراط» (١/ ٤٤٦)، و«الحاوي الكبير» (٩/ ١٠٣).

ولما وضَعَ الإمام عمرُ بن الخطابِ رضي اللهُ عنه الديوانَ للعطاءِ كتبَ الناسَ على قدرِ أنسابهم، فبدَأَ بأقربهم نسباً إلى رسولِ اللهِ ﷺ، فلما انقضَتِ العرَبُ ذكرَ العجَمَ، هكذا كانَ الديوانُ على عهدِ الخلفاءِ الراشدِينَ وسائرِ الخلفاءِ من بني أُميةَ، والخلفاءِ من بني العباسِ إلى أن تغيَّرَ الأمرُ بعد ذلكَ[1].

وذكرَ غيرُ واحدٍ أن عمرَ بن الخطابِ حينَ وضعَ الديوانَ قالوا لهُ: يبدَأُ أميرُ المؤمنينَ بنفسِهِ، فقالَ: لا ولكِن ضعُوا عمرَ حيثُ وضعَهُ اللهُ تعالى، فبدأ بأهلِ بيتِ رسولِ اللهِ ﷺ، ثم مَن يليهم حتى جاءَت نوبَتُه في بني عديٍّ وهم متأخِّرونَ عن أكثرِ بطونِ قُريشٍ[2].

فانظُروا إلى هذا الإنصافِ من عمرَ حيثُ عرفَ الحقَّ لأهلِهِ وبموجَبِ هذا الاتِّباعِ للحقِّ ونحوِهِ قدَّمهُ على عامةِ بني هاشمٍ فضلاً عن غيرِهم من قريشٍ.

فظهَرَ بما تقرَّرَ أن جنسَ العربِ أفضَلُ من جنسِ العجَمِ، وأن حبَّ العربِ من الإيمانِ وبُغضَهم نفاقٌ أو كفرٌ، وعلى هذا درجَ السلفُ والخلفُ كما تقدَّمَ لك ذكرُهُ.

***

[شرف النسب وشرف العلم]

واعلَم وفَّقكَ اللهُ تعالى أنَّ **فضلَ الجنسِ لا يستلزِمُ فضلَ الشخصِ من حيثُ الدينُ** الذي هو المقصودُ الأعظَمُ وإنْ استلزَمها من حيثُ الكفاءةُ، وهنا مزلَّةُ أقدامٍ وهو أن كثيراً يتوهَّمُ أن شرفَ النسبِ أفضلُ من شرفِ العلمِ،

---

(١) انظر: «اقتضاء الصراط» (١/ ٤٤٦)، و«بحر المذهب» للروياني (٦/ ٢٩٩) وما بعدها.

(٢) انظر: «اقتضاء الصراط» (١/ ٤٥٣)، و«نهاية المطلب» (١١/ ٥٢٩).

ويقـولُ: إن الشـرفَ الذاتـيَّ أفضَـلُ من الشـرفِ الكسـبيِّ وبعضُهم يعكِـسُ. وأظنَّ أن كلاً مـن الفريقَيـنِ لا يعـرِفُ تحقيـقَ وجهِ الأفضليَّـةِ، والصـوابُ التفصيلُ وعدمُ الإطـلاقِ، وهـو أن **شـرفَ النسـبِ أفضَلُ مـن حيـثُ الكفاءةُ**، فـلا يكافـئُ عجميٌّ عالـمٌ بنـتَ عربيٍّ جاهـلٍ، وأن الزوجَةَ الأَمَةَ المسلِمةَ لا تسـاوِي من حيثُ القَسْـمُ الزوجـةَ الحـرَّةَ اليهوديـةَ أو النصرانيـةَ، فللحـرَّةِ ليلتـانِ وللأمـةِ ليلةٌ إلـى غيرِ ذلك من الأحـكامِ.

وشـرفُ العلـمِ أفضلُ مـن حيثُ التقـدُّمُ في الصـلاةِ ومنصبُ الإفتـاءِ والقضاءِ وغيـرِ ذلكَ.

ويُنظَرُ في منصِبِ الخلافةِ والإمامةِ العُظمى، فهل يستَحقُّها قرشيٌّ جاهلٌ أو عجميٌّ فاضلٌ؟ وهذا كلهُ معَ الاتِّصافِ بتقوى اللهِ تعالى، وإلا فالعالمُ الفاسقُ كإبليسَ، والعربيُّ الجاهلُ كفِرعونَ، وكلاهما مذمومٌ.

وأيضاً: فمن اغترَّ في الكفاءةِ بشرفِ النسبِ فيقالُ لهُ: إن العجميَّ وإن كانَ ليسَ كفؤاً للعربيةِ، فالعربيُّ الفاسِقُ أيضاً ليس كفؤاً للعجميَّةِ المَرضِيَّةِ، فإن الشرعَ أيضاً يعتَبرُ في الكفاءةِ منصبَ الدينِ كما يعتَبرُ منصبَ النَّسبِ، ولا يكافئُ العربيُّ الجاهلُ بنتَ العالمِ، صرَّحَ بذلكَ الشافعيَّةُ[1].

إذا علمتَ هذا، فاعلَم أنَّ الذي يُرجَعُ إليهِ ويعوَّلُ في الفضلِ عليهِ هوَ **الشرفُ الكسبيُّ** الذي منهُ العلمُ والتقوى، وهوَ الفضلُ الحقيقيُّ، لا مجرَّدُ الشرفِ الذاتيِّ الذي هوَ شرفُ النسبِ، بشهادَةِ القرآنِ وشهادةِ النبيِّ عليهِ السلام، وشهادةِ الأذكياءِ من الأنامِ:

---

(١) انظر: «مغني المحتاج» (٤/ ٢٧٦).

إنَّ الفَتى من يَقُولُ ها أَنا ذا ليسَ الفَتى من يقُولُ كانَ أبي[١]

فمِنَ الغُرورِ الواضِحِ والحُمْقِ الفاضِحِ أن يفتخِرَ أحدٌ من العرَبِ على أحدٍ من العجمِ بمجرَّدِ نسبِهِ أو حسبِهِ، ومن فعَلَ ذلكَ فإنه مخطئٌ جاهلٌ مغرورٌ، فربَّ حبشيٍّ أفضل عندَ اللهِ تعالى من ألوفٍ من قريشٍ.

قالَ اللهُ تعالى في مثلِ ذلكَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

وقالَ تعالى: ﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢١].

وقالَ تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٣٩].

وقالَ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ٥٨] إلى غيرِ ذلكَ من الآياتِ.

وقالَ النبيُّ ﷺ في الحديثِ الصحيحِ: «إنَّ اللهَ تعالى قد أذهَبَ عنكُم عُبِّيَّةَ الجاهليةِ وفخرَها بالآباءِ، مؤمنٌ تقيٌّ، أو فاجرٌ شقيٌّ، أنتمُ بنو آدمَ، وآدمُ من ترابٍ، ليدعَنَّ رجالٌ فخرَهم بأقوامٍ، إنما هم فحمٌ من فحمِ جهنَّمَ، أو ليكونُنَّ أهونَ على اللهِ من الجِعلانِ التي تدفَعُ بأنفِها النَّتنَ». رواهُ أبو داودَ وغيرُهُ[٢]. وقالَ ابن تيمية: وهو صحيحٌ[٣].

---

(١) انظر: «عيون الأخبار» (٣/ ٢٣)، و«الجليس الصالح» (١/ ١٦٥).

(٢) أخرجه أبو داود (٥١١٦)، والترمذي (٣٩٥٥)، وأحمد (٨٧٣٦) من حديث أبي هريرة، وقال الترمذي: حديث حسن، وقوله: «عبية» يعني: الكبر والنخوة والفخر.

(٣) انظر: «اقتضاء الصراط» (١/ ٢٤٧).

وفي حديثٍ آخرَ بإسنادٍ صحيحٍ: أن النبيَّ ﷺ قالَ في خُطبتِهِ بمنى: «يا أيها الناسُ! ألا إن ربَّكُم عزَّ وجل واحدٌ، ألا وإن أباكُم واحدٌ، ألا لا فضلَ لعربيٍّ على عجميٍّ إلا بالتقوى، لا فضلَ لأسودَ على أحمرَ إلا بالتقوى، ألا قد بلَّغتُ؟» قالوا: نعم؛ قالَ: «ليبلِّغِ الشاهدُ الغائبَ»(١).

وروى مسلمٌ في «صحيحِهِ»: أن النبيَّ ﷺ قالَ: «إني أُوحِيَ إليَّ أن تواضَعوا، حتى لا يفخَرَ أحدٌ على أحدٍ، ولا يبغي أحدٌ على أحدٍ»(٢).

فنهى اللهُ سبحانَهُ وتعالى على لسانِ رسولِهِ عن نوعَي الفخرِ والبغيِ اللذَينِ هما الاستطالةُ على الخلقِ، فمن استطالَ بحقٍ فقد افتخَرَ، وإن كان بغيرِ حقٍ فقد بغَى.

ولا يحلُّ هذا ولا هذا، ولو كانَ الفخرُ بالحسَبِ أو النسَبِ لكانَ لليهودِ فخرٌ وأيُّ فخرٍ؟! فهم أولادُ يعقوبَ إسرائيلِ اللهِ بنِ إسحاقَ ذبيحِ اللهِ(٣) بنِ إبراهيمَ خليلِ اللهِ، إنما الفخرُ بتقوى اللهِ وطاعَتِه بامتثالِ أوامرِهِ واجتنابِ نواهيهِ، ولهذا قالَ ﷺ: «يا فاطمةُ بنتَ محمدٍ! لا أُغني عنكِ من اللهِ شيئاً، يا عباسُ! عمَّ رسولِ اللهِ ﷺ لا أُغني عنكَ من اللهِ شيئاً، يا صفيَّةُ! عمةَ رسولِ اللهِ ﷺ لا أُغني عنكِ من اللهِ شيئاً»(٤).

---

(١) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤٧٧٤) من حديث جابر، وقال: في هذا الإسناد بعض من يُجهل.

وأخرجه أحمد (٢٣٤٨٩) من حديث رجل من أصحاب النبي. وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٦٥) من حديث عياض بن حمار.

(٣) وقيل: الذبيح هو إسماعيل، وهو الأرجح.

(٤) أخرجه البخاري (٤٧٧١)، ومسلم (٢٠٦) من حديث أبي هريرة.

ففي ذلكَ تنبيهٌ منه عليهِ السلامُ لمن انتسَبَ لهؤلاءِ الثلاثةِ أن لا يغترُّوا بالنسبِ، ويتركُوا الكلمَ الطيِّبَ والعملَ الصالحَ.

نعَم؛ من اتقَّى اللهَ تعالى من العرَبِ فقد حازَ فضيلةَ التقوى وفضيلَةَ النسبِ، ومن لم يتَّقِ اللهَ فهو إلى البهائمِ أقرَبُ، قالَ الله تعالى: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤].

وقالَ تعالى: ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ﴾ [البقرة: ٢٢١].

فالفضلُ الحقيقيُّ هو اتِّباعُ ما بعثَ اللهُ تعالى به محمداً ﷺ من الإيمانِ والعلمِ باطناً وظاهراً، لا أنه بمجرَّدِ كونِ الشخصِ عربيّاً أو عجميّاً، أو أسودَ أو أبيضَ، أو بدوِيّاً أو قرَوِيّاً.

وفي «الصحِيحَينِ» عن أبي هُريرةَ رضيَ اللهُ عنه قالَ: كنا جُلُوساً عندَ النبيِّ ﷺ فأُنزِلَت عليهِ سورَةُ الجمعةِ: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾ [الجمعة: ٣] فقالَ قائلٌ: من هُم يا رسولَ اللهِ؟ فلَم يراجِعهُ حتى سألَ ثلاثاً، وفينا سلمانُ الفارسِيُّ، فوضَعَ رسولُ اللهِ ﷺ يدهُ على سلمانَ، ثمَّ قالَ: «لو كانَ الإيمانُ عند الثُريَّا لنالَهُ رجالٌ من هؤلاءِ»[1].

وفي «صحيحِ مسلمٍ» عن أبي هُرَيرةَ رضيَ الله عنهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «لو كانَ الدينُ عند الثُّريَّا لذهَبَ بهِ رجلٌ من فارسٍ» أو قالَ: «من أبناءِ فارسٍ»[2].

وفي روايةٍ ثالثةٍ: «لو كانَ العلمُ عندَ الثُّريَّا لتناولَهُ رجالٌ من أبناءِ فارسٍ»[3].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٩٧)، ومسلم (٢٥٤٦) (٢٣١).

(٢) «صحيح مسلم» (٢٥٤٦) (٢٣٠).

(٣) المصدر السابق.

وروى الترمذيُّ عن أبي هُرَيرةَ أيضاً عن النبيِّ ﷺ في قولهِ تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨]: إنهم من أبناءِ فارسٍ[١].

إلى غيرِ ذلكَ من آثارٍ رُويَت في فضلِ رجالٍ من أبناءِ فارسٍ[٢] الأحرارِ والموالي[٣] مثلَ الحسَنِ وابنِ سِيرينَ وعِكرمةَ مولى ابنِ عبَّاسٍ، وغيرِهم ممن وجِدَ بعدَ ذلكَ فيهم من الراسخِينَ في الإيمانِ والدينِ والعلمِ بحيثُ صاروا في ذلكَ أفضَلَ من كثيرٍ من العربِ، وكذلكَ في سائرِ أصنافِ العجَمِ من الرومِ والتركِ والحبشةِ، فإن الفضلَ الحقيقيَّ هو اتباعُ ما بعَثَ اللهُ بهِ محمداً ﷺ كما تقدَّمَ.

ولهذا كان الذين تناولوا العلمَ والإيمانَ من أبناءِ فارسٍ إنما حصَلَ لهم ذلكَ بمتابعَتِهم الدينَ الحنيفَ ولوازِمَهُ من العربيةِ وغيرِها، ومن نقَصَ من العربِ فإنما هوَ بتخلُّفِهم عن مثلِ ذلكَ، ولهذا كانوا يفضِّلُونَ من الفرسِ من رأَوهُ أقرَبَ إلى متابعَةِ السابِقِينَ من الصحابةِ والتابعِينَ، حتى قالَ الأصمَعيُّ فيما رواه عنهُ أبو طاهرٍ السِّلَفِيُّ في كتابِ «فضلِ الفرسِ» قالَ: عجمُ أصبهانَ قريشُ العجمِ[٤].

وروى أيضاً السِّلَفِيُّ بإسنادٍ معروفٍ عن سعيدِ بن المسيَّبِ قالَ: لو أني لم أكُن من قريشٍ لأحببتُ أن أكونَ من فارسٍ، ثم أحببتُ أن أكونَ من أصبهانَ[٥].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٢٦١)، وقال: حديث غريب في إسناده مقال.

(٢) من قوله: «إلى غير ذلك» إلى هاهنا لم يرد في (ل) و(ي).

(٣) «الموالي» ليس في (ي).

(٤) انظر: «اقتضاء الصراط» (١/ ٤٥١).

(٥) أخرجه أبو نعيم في «أخبار أصبهان» (١/ ٦٣)، وانظر: «اقتضاء الصراط» (١/ ٤٥١).

وروى بإسنادٍ آخرَ عن سعيدِ بن المسيَّبِ قالَ: لو لا أني رجلٌ من قريشٍ لتمنَّيتُ أن أكونَ من أهلِ أصبهانَ، لقولِ النبيِّ ﷺ: «لو كانَ الدينُ معلَّقاً بالثُّريَّا لتناولَهُ ناسٌ من أبناءِ العجمِ أسعدُ الناسِ بها فارسٌ وأصبهان»[١].

قالوا: وكانَ سلمانُ الفارسيُّ من أهلِ أصبهانَ، وكذلكَ عكرمةُ مولى ابنِ عباسٍ[٢].

وآثارُ الإسلامِ كانتْ بأصبَهانَ أظهرَ منها بغيرِها، حتى قالَ الحافظُ عبدُ القادرِ الرُّهاويُّ: ما رأيتُ بلداً بعدَ بغدادَ أكثرَ حديثاً من أصبهانَ[٣].

وكانَ أئمةُ السنةِ علماً وفِقهاً وحدِيثاً فيها أكثرَ من غيرها، وانظُر الآنَ كيفَ أصبَحت دارَ بدعةٍ، وتحتَ سلطانِ الرافضةِ المخذُولينَ، ما شاءَ اللهُ كانَ وما لم يشأ لم يكُنْ، والدُّنيا دارُ تَغيُّرٍ وانقلابٍ.

واعلَم: **أن العرَبَ الذين هم سكَّانُ القُرى والأمصارِ أفضَلُ من الأعرابِ الذين هم سكَّانُ الباديةِ**، فإن اللهَ سُبحانَهُ جعَلَ سُكنى القُرى يقتَضِي من كمالِ الإنسانِ في العلمِ والدينِ ورقَّةِ القلوبِ ما لا يقتَضِيهِ سُكنى الباديةِ، كما أن الباديةَ توجِبُ من صلابةِ البدَنِ والخَلْقِ ومتانَةِ الكلامِ ما لا يكونُ في القُرَى، هذا هو الأصلُ، وقد تكُونُ الباديةُ أحياناً أنفَعَ من القُرى، ولذلكَ جعَلَ اللهُ تعالى الرسلَ من أهلِ القُرى فقالَ سبحانَهُ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ﴾ [يوسف: ١٠٩].

---

(١) أخرجه أبو الشيخ في «طبقات المحدثين بأصبهان» (١/ ١٥٤)، وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (١/ ٦٤)، وانظر: «اقتضاء الصراط» (١/ ٤٥١).

(٢) انظر: «اقتضاء الصراط» (١/ ٤٥١).

(٣) انظر: «اقتضاء الصراط» (١/ ٤٥١).

ولهذا قالَ سبحانهُ: ﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ [التوبة: ٩٧].

وروى أبو داودَ وغيرُهُ عن ابن عباسٍ عن النبيِّ ﷺ قالَ: «من سكَنَ الباديةَ جفا، ومن اتَّبعَ الصيدَ غفِلَ، ومن أتى السلطانَ افتُتِنَ»[1].

ورواه أبو داودَ أيضاً من طريقٍ آخرَ عن أبي هُريرَةَ عن النبيِّ ﷺ بمعناهُ قالَ: «ومن لزِمَ السلطانَ افتتنَ» وزادَ: «وما ازدادَ عبدٌ من السلطانِ دنوّاً إلا ازدادَ من اللهِ بُعْداً»[2].

ولهذا كانوا يقولونَ لمن يستغلِظُونَهُ: إنك لأعرابيٌّ جافٌّ، إنك لجلفٌ جافٌّ. يشيروَن بذلكَ إلى غِلَظِ طبعِهِ وخُلقِهِ.

واعلم: **أن لفظَ الأعرابِ هو في الأصلِ اسمٌ لسكَّانِ باديةِ العربِ**، وإلا فكُلُّ أمةٍ لها حاضرةٌ وبادِيةٌ، فباديةُ العرَبِ الأعرابُ، وباديةُ الرومِ الأرمَنُ، وبادِيةُ الفرسِ الأكرادُ، وباديةُ التركِ التركمانُ، فسائرُ سكانِ البوادي لهم حكمُ الأعرابِ، سواءٌ دخلُوا في لفظِ الأعرابِ، أم لم يدخُلُوا، فجِنسُ الحاضِرةِ أفضَلُ من جنسِ الباديةِ، وأما باعتبارُ الأفرادِ فقد يوجَدُ من أهلِ الباديةِ ما هو أفضَلُ من ألوفٍ من أهلِ الحاضرةِ.

***تنبيهٌ:**

ذكرَ شيخُ الإسلامِ الحافِظُ تقيُّ الدينِ ابنُ تيميةَ رحمَهُ اللهُ: أن اسمَ العربِ

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٨٥٩)، والترمذي (٢٢٥٦)، والنسائي في «الكبرى» (٤٠٨٠٢)، وأحمد (٣٣٦٢). وقال الترمذي: حديث حسن غريب.

(٢) أخرجه أبو داود (٢٨٦٠)، وأحمد (٨٨٣٦). وهو حسن لغيره.

والعجمِ قد صارَ فيهِ اشتباهٌ، فإنَّ اسمَ العجَمِ يعمُّ في اللغةِ كلَّ من ليسَ من العربِ، لكن لما كانَ العلمُ والإيمانُ في أبناءِ فارسٍ أكثرَ منهُ في غيرِهم من العجَمِ كانوا هم أفضَلَ الأعاجِمِ فغلَبَ لفظُ العجمُ في عرفِ العامةِ المتأخِّرينَ عليهم، فصارَ حقيقةً عرفيةً عاميَّةً فيهم.

قالَ: واسمُ العربِ في الأصلِ كانَ اسماً لقومٍ جمعُوا ثلاثةَ أوصافٍ:

أحدُها: أن لسانَهم كانَ اللغةَ العربيةَ.

الثاني: أنهم كانوا مِن أولادِ العربِ.

الثالثُ: أن مساكِنَهم كانت أرضَ العربِ، وهي من بحرِ القلزمِ إلى بحرِ البصرةِ، ومن أقصى حجرٍ باليمنِ إلى أوائلِ الشامِ، وفي هذهِ الأرضِ كانتِ العربُ حينَ المبعَثِ وقبلَهُ، فلما جاءَ الإسلامُ وفُتِحتِ الأمصارُ سكَنُوا سائرَ البلادِ من أقصَى المشرِقِ إلى أقصى المغرِبِ، وإلى سواحلِ الشامِ وأرمينيةَ، وهذه كانَت مساكِنَ فارسٍ والرومِ والبَربَرِ وغيرِهم.

ثم انقسَمت هذهِ البلادُ قسمَين:

منها: ما غلَبَ على أهلِهِ لسانُ العرَبِ حتى لا يعرِفُ عامَّتُهم غيرَهُ أو يعرِفُونَهُ وغيرَه معَ ما دخَلَ في لسانِ العربِ من اللحنِ، وهذا غالبُ مساكِنِ الشامِ والعراقِ ومِصرَ والأندلسِ والمغربِ.

قالَ: وأظنُّ أرضَ فارسٍ وخراسانَ كانَتْ هكذا قديماً.

ومنها: ما العُجمةُ كثيرةٌ فيهم أو غالبةٌ عليهِم كبلادِ التركِ وخُراسانَ وأرمينيَّةَ وأذربيجانَ ونحوِ ذلكَ[1].

---

(١) انظر: «اقتضاء الصراط» (١/ ٤٥٤ ـ ٤٥٥).

وقد روَى الحافظُ السِّلَفيُّ بإسنادِهِ عن أبي هُريرَةَ رضيَ اللهُ عنه عن النبيِّ ﷺ قالَ: «من تكلَّمَ بالعربيةِ فهوَ عربيٌّ، ومن أدرَكَ له أبوان في الإسلامِ فهو عربيٌّ»[١].

قالَ: فهنا ـ إن صحَّ هذا الحديثُ ـ فقد علِّقتْ فيهِ العربيةُ بمجرَّدِ اللسانِ، وعلِّقَ فيه النسبُ بأن يدرِكَ له أبوانِ في الدولةِ الإسلاميَّةِ العربيةِ[٢].

وقد يحتَجُّ بهذا القولِ أبو حنيفَةَ في قولِهِ: إن من ليسَ له أبوانِ في الإسلامِ أو في الحريةِ، ليسَ كفؤاً لمن لهُ أبوانِ في ذلكَ، وإن اشترَكَا في العجمِيَّةِ والعِتاقَةِ.

ومذهبُ أبي يوسُفَ ذو الأبِ كذي الأبوينِ[٣]، وهو مذهَبُ الشافعيةِ؛ حتى قالوا: إن الصحابيَّ ليسَ كفؤاً لبنتِ التابعيِّ[٤].

ومذهبُ[٥] الإمامِ أحمدَ أنه لا عبرةَ بذلكَ[٦].

وروى السِّلَفِيُّ أيضاً بإسنادِهِ، وفيهِ: فصَعِدَ عليهِ السلامُ المنبرَ فحمِدَ اللهَ وأثنى عليهِ ثم قالَ: «أما بعدُ أيها الناسُ! فإنَّ الربَّ ربٌّ واحدٌ، والأبَ أبٌ واحدٌ، والدينَ دينٌ واحدٌ، وأن العربيةَ ليسَتْ لأحدِكم بأبٍ ولا أمٍّ، إنما هيَ لسانٌ، فمن تكلَّمَ بالعربيةِ فهو عربيٌّ»[٧].

---

(١) أورده في «اقتضاء الصراط» (١/ ٤٥٧ ـ ٤٥٨) عن السلفي بإسناده إلى أبي هريرة.

(٢) انظر: «اقتضاء الصراط» (١/ ٤٥٨).

(٣) انظر: «اقتضاء الصراط» (١/ ٤٥٨ ـ ٤٥٩)، و«ملتقى الأبحر» (١/ ٥٠١ ـ ٥٠٢).

(٤) انظر: «نهاية المحتاج» (٦/ ٢٥٧).

(٥) في (ي): «وقد ذهب».

(٦) انظر: «اقتضاء الصراط» (١/ ٤٥٩).

(٧) أخرجه بحشل في «تاريخ واسط» (ص ٢٢٥ ـ ٢٢٦)، وابن عساكر في «تاريخه» (٢١/ ٤٠٧) من حديث أبي سلمة بن عبد الرحمن مرسلاً.

قالَ ابن تيميةَ: وهذا الحديثُ ضعيفٌ؛ لكِنَّ معناهُ ليسَ ببعيدٍ[١]. بل هو صحيحٌ من بعضِ الوجوهِ، ولهذا كانَ المسلِمونَ المتقدِّمونَ لما سكَنُوا أرضَ الشامِ ومصرَ ولغةُ أهلِها روميةٌ وقِبطيةٌ، وأرضَ العراقِ وخراسانَ ولغةُ أهلِها فارسيةٌ، وأرضَ المغرِبِ ولغةُ أهلِها بربَرِيَّةٌ، عوَّدُوا أهلَ هذهِ البلادِ العربيةِ حتى غلَبَتْ على أهلِ هذه الأمصارِ مُسلِمِهم وكافِرِهم، وهكذا كانَتْ خُراسانُ قدِيماً، ثم إنهم تساهَلُوا في أمرِ اللغةِ العربيةِ واعتادُوا الخطابَ بالفارسيةِ حتى غلبَتْ عليهِم، وصارَتِ العربيةُ مهجورةً عندَ كثيرٍ منهم، ولا ريبَ أن هذا مكروهٌ.

وإنما الحسنُ اعتيادُ الخطابِ بالعربيةِ حتى يُلقَّنَها الصغارُ في المكاتبِ وفي الدُّورِ، فيظهَرُ شعارُ الإسلامِ وأهلِهِ، ويكونُ ذلكَ أسهلَ على أهلِ الإسلامِ في فقهِ معاني الكتابِ والسنةِ وكلامِ السلَفِ لا سيَّما ونفسُ اللغةِ العربيةِ من الدينِ، ومعرِفَتها فرضٌ واجبٌ، فإن فهمَ الكتابِ والسنةِ فرضٌ، ولا يُفهَمُ إلا بفهمِ اللغةِ العربيةِ، وما لا يتِمُّ الواجبُ إلا به فهو واجبٌ، ثم منها ما هو واجبٌ على الأعيانِ، ومنها ما هو واجبٌ على الكفايةِ[٢].

وقد روى ابنُ أبي شيبةَ بإسنادِهِ قالَ: كتبَ عمرُ إلى أبي موسى رضيَ اللهُ عنهما: أما بعدُ؛ فتفَقَّهوا في السنةِ، وتفقَّهوا في العربيةِ، وأعرِبُوا القرآنَ فإنه عربيٌّ[٣].

وفي لفظٍ آخرَ عن عمرَ: تعلَّمُوا العربيةَ فإنها من دِينكُم، وتعلَّمُوا الفرائضَ فإنها من دينكِم[٤].

---

(١) انظر: «اقتضاء الصراط» (١/ ٤٦١).

(٢) انظر: «اقتضاء الصراط» (١/ ٥٢٦ _ ٥٢٧).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٩٩١٤).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (٢٩٩٢٦).

وأما الرطانةُ التي هي التكلُّمُ بغيرِ العربيةِ تشبُّهاً بالأعاجمِ، فقد قالَ عمرُ بن الخطابِ: إيَّاكُم ورطانةَ الأعاجمِ، وأن تدخلُوا على المشركِينَ يومَ عيدِهم في كنائسِهم[١].

وفي لفظٍ آخرَ عن عمرَ رضيَ اللهُ عنهُ: لا تعلَّمُوا رطانةَ الأعاجمِ، ولا تدخلُوا على المشرِكينَ في كنائسِهم يومَ عيدِهم، فإن السخطَةَ تنزِلُ عليهِم[٢].

وقالَ الإمام مالكٌ فيما رواهُ ابنُ القاسمِ في «المدوَّنةِ»: لا يُحرِمُ بالأعجميَّةِ، ولا يدعو بها ولا يحلِفُ.

قالَ: ونهى عمرُ رضيَ الله عنه عن رطانةِ الأعاجِمِ[٣].

وسئِلَ الإمامُ أحمدُ عن الدعاءِ في الصلاةِ بالفارسيَّةِ فكرِهَهُ وقالَ: لسانُ سوءٍ، ومذهَبُه أن ذلكَ يبطِلُ الصلاةَ[٤].

وكرِهَ الإمامُ الشافعيُّ لمن يعرِفُ العربيةَ أن يسمِّيَ بغيرِها، أو أن يتكلَّمَ بها خالِطاً بالعجميةِ، وهو ظاهرُ كلامِهِ فيما حكاهُ عنهُ ابنُ عبدِ الحكَمِ[٥].

وقد روَى الحاكمُ عن ابنِ عمرَ رضيَ الله عنهُ عن النبيِّ ﷺ أنه قالَ: «مَنْ أحسَنَ أن يتكلَّمَ بالعربيةِ فلا يتكلَّمْ بالفارسيَّةِ فإنه يورِثُ النفاقَ»[٦].

---

(١) أخرجه عبد الرزاق (١٦٠٩)، والبيهقي في «السنن» (١٨٨٦١).

(٢) انظر التعليق السابق.

(٣) انظر: «المدونة» (١/ ١٦١).

(٤) انظر: «مسائل حرب الكرماني» (١/ ٥٠٩)، و«اقتضاء الصراط» (١/ ٥٢٠).

(٥) انظر: «اقتضاء الصراط» (١/ ٥٢١).

(٦) أخرجه الحاكم (٧٠٠١) وسكت عنه، وقال الذهبي: عمرو بن هارون كذبه ابن معين وتركه الجماعة. وانظر: «اللآلئ المصنوعة» (٢/ ٢٣٨)، و«تنزيه الشريعة» (٢/ ٢٩١).

حديثٌ صحيحٌ على شرطِ الشيخَينِ ورجالُهُ كلُّهم ثقاتٌ[١].

وروَى السِّلَفِيُّ بإسنادِهِ عن نافعٍ عن ابنِ عمرَ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «من يحسِنُ أن يتكلَّمَ بالعربيةِ فلا يتكلَّم بالعجمِيَّةِ، فإنه يُورِثُ النفاقَ»[٢].

ورواهُ أيضاً بإسنادٍ آخرَ عن ابن عمرَ رضي اللهُ عنهما قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «من كان يحسِنُ أن يتكلَّمَ بالعربيةِ فلا يتكلَّم بالفارسيةِ، فإنها تورِثُ النفاقَ»[٣].

وهذانِ الحديثانِ يقتَضِيان تحريمَ الكلامِ بالعجميَّةِ لقادرٍ على العربيةِ إلا لحاجةٍ، والمختارُ أن ذلكَ مكروهٌ.

قالَ ابن تيميةَ: ونُقِلَ عن طائفةٍ أنهم كانوا يتكلَّمونَ بالكلمةِ بعدَ الكلمةِ من العجميَّةِ، والكلمةُ بعدَ الكلمةِ من العجميةِ أمرُها قريبٌ، أو أكثرُ ما كانوا يفعلُونَ ذلكَ إما لكونِ المخاطَبِ أعجميّاً. [أو قد اعتادَ العَجميةَ][٤].

قالَ: وأما اعتيادُ الخطابِ بغيرِ اللغةِ العربيةِ ـ التي هي شعارُ الإسلامِ، ولغةُ القرآنِ ـ حتى يصيرَ ذلكَ عادةً للمصرِ وأهلِهِ، أو لأهلِ الدارِ، أو للرجلِ مع صاحبِهِ، أو لأهلِ السوقِ، أو للأمراءِ، أو لأهلِ الديوانِ، أو لأهلِ الفقهِ، فلا ريبَ أن هذا مَكروهٌ؛ فإنه من التشبُّهِ بالأعاجمِ وهو مكروهٌ؛ لا سيَّما واللسانُ العربيُّ شعارُ الإسلامِ وأهلِهِ، واللغاتُ من أعظمِ شعائرِ الأممِ التي بها يتميَّزونَ[٥].

---

(١) بل متروك، فيه متهم بالكذب، انظر التعليق السابق.

(٢) أورده ابن تيمية في «اقتضاء الصراط» (١/ ٥٢٤)، وابن كثير في «مسند الفاروق» (٢/ ٣٤٥)، وقال: وهذا حديث غريب منكر، بل موضوع مكذوب، والصحيح أنه من قول عمر.

(٣) انظر التعليق السابق.

(٤) انظر: «اقتضاء الصراط» (١/ ٥٢٤ ـ ٥٢٥)، وما بين معكوفتين منه.

(٥) انظر: «اقتضاء الصراط» (١/ ٥٢٦).

وقد قالَ الحنفيةُ في تعليلِ المنعِ من لباسِ الحريرِ في حُجَّةِ أبي يوسفَ ومحمدٍ على أبي حنيفةَ في المنعِ من افتراشِ الحريرِ وتعليقِهِ والسترِ بهِ؛ لأنه من زيِّ الأكاسرَةِ والجبابرَةِ، والتشبُّهُ بهم حرامٌ. قالَ عمرُ: إياكُم وزيَّ الأعاجمَ(١).

وقالَ الشيخُ عبد القادرِ الجيليُّ قدَّسَ اللهُ سِرهُ: ويكرَهُ كلُّ ما خالفَ زيَّ العربِ، وأشبهَ زيَّ الأعاجمِ(٢).

وقالَ: وإذا قدَّمَ ما تُغسَلُ فيهِ الأيدي، فلا يرفَعُ حتى تغسِلَ الجماعةُ أيدِيَها؛ لأن الرفعَ من زيِّ الأعاجمِ(٣).

لا سيَّما وقد وردَ أن كلامَ أهلِ الجنةِ بالعربيةِ؛ لقولهِ عليهِ السلامُ: «أنا عربيٌّ والقرآنُ عربيٌّ، ولسانُ أهلِ الجنةِ عربيٌّ»(٤).

بل وردَ أنه لم ينزِل وحيٌ على نبيٍّ من الأنبياءِ إلا بالعربيةِ لقولِهِ: «والذي نفسِي بيدِهِ ما أنزَلَ اللهُ عزَّ وجلَّ وحياً قطُّ على نبيٍ من الأنبياءِ إلا بالعربيةِ، ثم يكونُ بعدَ ذلكَ النبيُّ يبلِّغُ قومَهُ بلسانِهِم» رواهُ الطبرانيُّ في «المعجَمِ الأوسطِ»(٥).

وقالَ: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ ورجالُهُ كلُّهم ثقاتٌ، واللهُ أعلَمُ.

***

---

(١) انظر: «الهداية» للمرغيناني (٤/ ٣٦٦)، و«اقتضاء الصراط» (١/ ٣٩٣).

(٢) انظر: «الغنية» (١/ ٧٠)، و«اقتضاء الصراط» (١/ ٤٠٠).

(٣) انظر: «الغنية» (١/ ٥٨)، و«اقتضاء الصراط» (١/ ٤٠٠).

(٤) سلف تخريجه.

(٥) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٤٦٣٥). وقال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٥٣): فيه سليمان بن أرقم، وهو ضعيف.

خاتمةٌ

روى البخارِيُّ في «صحيحِهِ» عن أبي هُرَيرَةَ رضيَ الله عنهُ عن النبيِّ ﷺ قالَ: «لا تقومُ الساعةُ حتى تأخُذَ أُمَّتي ما أخذَ القُرونُ شبراً بِشِبرٍ وذِراعاً بذراعٍ». فقيلَ: يا رسولَ اللهِ كفارسٍ والرومِ؟ قالَ: «ومنِ الناسُ إلا أولئكَ؟!»(١).

فأخبرَ عليهِ السلامُ أنه سيكونُ في أمتهِ مضاهاةٌ لفارسَ والرومِ وهمُ الأعاجمُ، فالتشبهُ بفارسَ والرومِ بما ذمَّهُ اللهُ ورسُولهُ، لأن الغالبَ عليهِمْ تعاطِي أمورٍ من أفعالِ الجبَّارينَ والمتكبِّرينَ في الملبَسِ والعمائمِ والقيامِ والركوعِ، أو السجودِ لبعضِهم، أو القيامِ بينَ يديهِ وهو جالسٌ، إلى غيرِ ذلك من الخصائلِ المذمومةِ.

وقد قالَ عليهِ السلامُ: «من تشبَّهَ بقومٍ فهو منهُم»(٢).

وإنما نهتِ الشريعةُ عن التشبُّهِ بمن ارتكَبَ خلافَ الشرعِ؛ لأنه كلما كانَتِ المشابهةُ أكثرَ كان التفاعلُ في الأخلاقِ والصفاتِ أتمَّ وأكملَ حتى يؤولَ الأمرُ إلى أن لا يتميَّزَ أحدُهما عن الآخرِ إلا بالعينِ فقط، وهذا أمرٌ محسوسٌ في بني آدمَ، واكتسابُ بعضِهم أخلاقَ بعضٍ بالمعاشرةِ والمشاكلةِ، بل الآدميُّ إذا عاشرَ نوعاً من الحيوانِ اكتسَبَ بعضَ أخلاقِهِ، ولهذا صارَ الخُيَلاءُ والفخرُ في أهلِ الإبلِ، والسكِينةُ في أهلِ الغنَمِ، وصارَ الجمَّالونَ والبغَّالونَ فيهم أخلاقٌ مذمومةٌ من أخلاقِ الجِمَالِ والبِغالِ، وكذلكَ الكلابونَ، وصارَ الحيوانُ الإنسِيُّ فيهِ بعضُ أخلاقِ الناسِ من المعاشرَةِ والمؤالفَةِ وقلةِ النفرَةِ(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣١٩).

(٢) أخرجه أحمد (٥١١٤)، وأبو داود (٤٠٣١)، والبيهقي في «الشعب» (١١٥٤) من حديث ابن عمر، وإسناده ضعيف، فيه عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان.

(٣) انظر: «اقتضاء الصراط» (١/ ٥٤٨).

قالَ ابنُ تيميةَ بعد تقريرِهِ هذا الكلامَ: وقد رأينا اليهودَ والنصارى الذين عاشَرُوا المسلمينَ هم أقلَّ كفراً من غيرِهم، كما رأينا المسلمينَ الذين أكثَرُوا معاشرةَ اليهودِ والنصارى هم أقلَّ إيماناً من غيرِهم، والمشابهةُ والمشاكلَةُ في الأمورِ الظاهرَةِ توجِبُ مشابهَةً ومشاكلَةً في الأمورِ الباطنةِ على وجهِ المسارَقةِ والتدريجِ الخفِيِّ، فينشَأُ عنها الأخلاقُ والأفعالُ المذمُومةُ، بل في نفسِ الاعتقاداتِ، وتأثيرُ ذلكَ لا يظهَرُ ولا ينضبِطُ، وقد يتعسَّرُ أو يتعذَّرُ زوالُهُ بعد حصولِهِ[١].

وقد روى الإمامُ أحمدُ في «المسندِ» عن عمرَ بن الخطابِ رضيَ اللهُ عنه أنهُ قالَ: عليكُم بالمَعَدِيَّةِ، وذَرُوا التنعُّمَ وزِيَّ العجَمِ[٢].

أمرَ بالمعَدِيَّةِ، وهي زيُّ مَعَدِّ بن عدنانَ وهم العربُ؛ فالمعَدِّيةُ نسبةٌ إلى معدٍّ.

وقالَ الإمامُ مالكٌ فيما رواهُ ابن القاسمِ في «المدوَّنةِ»: قيامُ المرأةِ لزوجِها حتى يجلِسَ من فِعلِ الجبابرةِ، وربما يكونُ الناسُ ينتَظِرونَهُ، فإذا طلعَ قاموا فليس هذا من فعلِ الإسلامِ، وهو مما يُنهى عنهُ من التشبُّهِ بالأعاجمِ.

قالَ: ويكرَهُ تركُ العملِ يومَ الجمعةِ كفعلِ أهلِ الكتابِ في السبتِ والأحدِ.

قيلَ لهُ: فالرجلُ يقومُ للرجلِ لهُ الفضلُ والفقهُ؟ قالَ: أكرَهُ ذلكَ، ولا بأسَ أن يوسِعَ له في مجلسِهِ[٣].

وقالَ أنسٌ رضي الله عنه: لم يكُن شخصٌ أحبُّ إلى الصحابةِ من رسولِ اللهِ ﷺ، وكانوا إذا رأَوه لم يقومُوا له لما يعلَموه من كراهِيتِهِ لذلكَ[٤].

---

(١) انظر: «اقتضاء الصراط» (١/ ٥٤٨).

(٢) أخرجه أحمد (٣٠١)، وإسناده صحيح.

(٣) انظر: «اقتضاء الصراط» (١/ ٣٩٥)، و«المدونة» (١/ ٢٣٤).

(٤) أخرجه أبو يعلى (٣٧٨٤)، والطحاوي في «شرح المشكل» (١١٢٦)، والترمذي في «الشمائل» (٣١٨).

وقد ثبتَ في الصحيحِ من حديثِ جابرٍ: أنه ﷺ صلَّى بأصحابِه قاعِداً لمرضٍ كان بِهِ، فصلُّوا خلفَهُ قياماً، فأمرَهم بالجلوسِ وقالَ: «لا تُعظِّموني كما يعظِّمُ الأعاجِمُ بعضُهم بعضاً»[١].

وقالَ: «من سرَّهُ أن يتمثَّلَ له الرجالُ قياماً فليتبوَّأْ مقعدَهُ من النارِ»[٢].

قال ابنُ تيميةَ: فإذا كانَ عليهِ السلامُ قد نهاهُم معَ قعودِهِ وإن كانوا قامُوا في الصلاةِ حتى لا يتشبَّهوا بمن يقومونَ لعُظمائهم، وبيَّنَ أن من سرَّهُ القيامُ له كانَ من أهلِ النارِ، فكيفَ بما فيهِ من السجودِ لهُ، أو وضعِ الرأسِ وتقبيلِ الأيدي ونحو ذلكَ؟![٣]

وبالجملةِ: فقد دخَلَ في هذهِ الأمةِ من الآثارِ الروميَّةِ والفارسيَّةِ قولاً وعملاً وتشبُّهاً ما لا خفاءَ بِهِ على مؤمنٍ عليمٍ بدينِ الإسلامِ، وليسَ الغرَضُ هنا تفصِيلَ الأمورِ التي وقعَت في الأمةِ من ذلكَ[٤]، وإنما الغرَضُ مجرَّدُ التلويحِ رجاءَ أن يقفَ عليهِ مؤمنٌ موفَّقٌ فينتَفعَ بِهِ ويُعمل بموجَبِهِ.

وفي الحديثِ: «ما ابتدعَ قومٌ بدعةً إلا نزَعَ اللهُ عنهم من السنَّةِ مثلَها»[٥].

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٢٣٠)، والبزار (٦٦٤٢) من حديث أبي أمامة، وليس فيه الصلاة قاعداً. وأخرجه بنحوه مسلم (٤١٣) من حديث جابر.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٧٥٥)، وأبو داود (٥٢٢٩) من حديث معاوية وقال الترمذي: حديث حسن.

(٣) انظر: «مجموع الفتاوى» (٢٧/ ٩٣).

(٤) انظر: «اقتضاء الصراط» (١/ ٩١).

(٥) أخرجه الدارمي (١٠٦)، واللالكائي في «الاعتقاد» (١٢٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٧٣) من قول حسان بن عطية.

نعوذُ باللهِ من شرِّ الابتداعِ، ونسألُهُ سبحانَهُ حسنَ الاتباعِ لما كانَ عليهِ جماعةُ السلفِ الصالحينَ من الصحابةِ والتابعينَ والسابقينَ الأوَّلينَ من الأنصار والمهاجرينَ، وأسألُهُ سبحانه حسنَ الخاتمةِ في خيرٍ وعافيةٍ آمين.

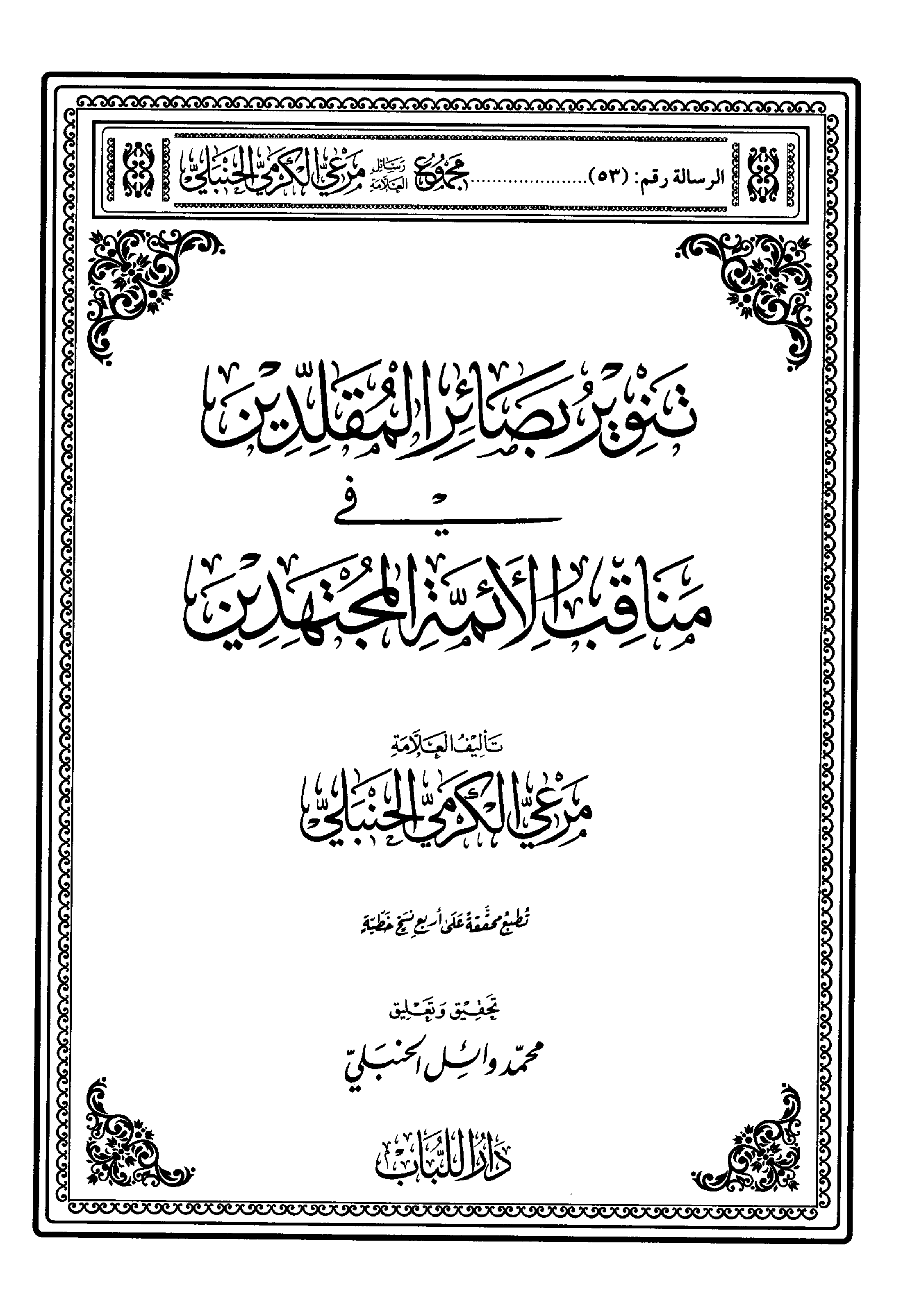
قال مؤلفُه رحمه الله: وكانَ الفراغُ من رقمِ هذه الرِّسالةِ بالجامعِ الأزهرِ في أَواخرِ ربيعٍ الأولِ مِن شهورِ سَنةِ إحدى وثلاثينَ وألف، والحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله على سيدِنا محمَّدٍ خاتَمِ النَّبيينَ وسلَّم، آمين[1].

***

(١) كذا جاء في خاتمة النسخة الخطية (ل).

وجاء في خاتمة النسخة (ي): «تمت هذه النسخة المباركة على يد الفقير إلى ربه أحمد بن يحيى الأكرمي الصالحي ثم الحنفي سنة إحدى وأربعين وألف من الهجرة عفي عنه».

وفي خاتمة النسخة (ر): «تم بخط مؤلفه عفا الله عنه، وذلك بالجامع الأزهر في أواخر ربيع الأول سنة إحدى وثلاثين وألف، ووافق الفراغ من كتابة هذه النسخة المباركة يوم الجمعة المبارك الموافق لرابع عشري شهر صفر الخير، سنة ثلاث وأربعين ومئة وألف، بقلم أفقر الورى وأحوجهم إلى رب البرى من في رعاية ربه العلي محمد يعقوب المقدسي الحنبلي بن المرحوم الشيخ محمد ابن المرحوم الشيخ يحيى بن المرحوم الشيخ يوسف والد المؤلف لهذا الكتاب، جعلنا الله وإياه من المهتدين يوم الحساب. آمين».



مجموع رسائل العلامة مرعي الكرمي الحنبلي .... الرسالة رقم: (٥٣)

تنوير بصائر المقلدين في مناقب الأئمة المجتهدين

تأليف العلامة

مرعي الكرمي الحنبلي

تطبع محققة على أربع نسخ خطية

تحقيق وتعليق

محمد وائل الحنبلي

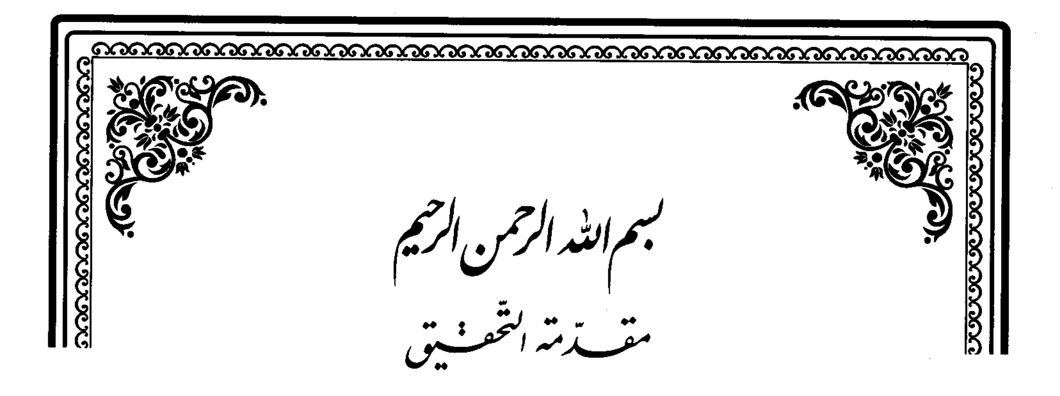
دار اللباب

مكتبة الجامعة الإسلامية (ج)

مكتبة شستربتي (ش)

مكتبة الخزانة الملكية بالمغرب (ك)

مكتبة الجامعة الإسلامية (م)



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة التحقيق

بسم الله، الحمدُ لله، والصلاةُ والسلامُ على سيِّدنا محمدٍ رسولِ الله، وعلى آله وصحبِه ومَن والاه.

وبعدُ:

فإنَّ الله تبارك وتعالى قصَّ لنا في كتابه العظيم أخبارَ الأنبياء والأُمم السابقة؛ لنأتسيَ بمن صَدَق، ونحترِسَ مِن فِعل مَن صَدَف، فقال جلَّ وعلا: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠]، وقال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠]، وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾ [يوسف: ١١١].

قال الإمامُ ابنُ الجوزيِّ في كتابه المُمتع «صيدِ الخاطر»[(١)]: «رأيتُ الاشتغالَ بالفقه وسماعِ الحديث لا يكاد يَكفي في صلاح القلب، إلا أنْ يُمزجَ بالرَّقائق، والنَّظرِ في سير السَّلف الصالحين؛ لأنهم تَناولوا مقصودَ النَّقل، وخَرجوا عن صُور الأفعال المأمورِ بها، إلى ذَوق مَعانيها والمرادِ بها».

وقال أيضًا: «وعليكم بملاحظة سيرِ السَّلف، ومطالعةِ تصانيفِهم وأَخبارِهم، والاستكثارِ مِن مُطالعة كُتبِهم رؤيةً لهم».

---

(١) انظر: «صيد الخاطر» (ص٢٢٨، ٤٥٤).

فيَحسُن بدُعاة زمانِنا وعلمائِنا ذِكرُ عظماءِ الأُمة سَلفًا وخَلفًا؛ ليرجعَ الشابُّ إلى تراجمهم، فيتأدَّبَ بأدبهم، ويتعلَّمَ مِن عِلْمِهم، ويأخذَ ما صفا، ويغضَّ الطرفَ عما كَدَر، فإنما أخَّر أُمتَنا وأَفسد شبابَنا: اتخاذُهم رؤوسًا مجهولةً جَهولة، أَوردتْهم المهالِك، وجعلتْهم تجربةً لكلِّ مُجرِّبٍ وهالك!

وتكلَّم العلامةُ عبدُ الحيِّ اللكنويُّ في مقدِّمة كتابِه «الفوائد البهيَّة»[1] عن أهميَّة فنِّ التراجم وأخبارِ العلماء، ثم قال: «ففيه فوائدُ جمَّة، ومنافعُ مهِمَّة، منها:

- الاطلاعُ على مناقبهم وأوصافهم، ونباهتِهم وجلالتِهم؛ ليَحصل التأدُّبُ بآدابهم، والتخلُّقُ بأخلاقهم، فيُحشرَ في زُمرتهم، ويَدخلَ فيهم وإنْ لم يكن منهم.

- ومنها: الاطلاعُ على آثارهم وحكاياتهم، وفيوضِهم وتصنيفاتِهم، فيَتحرَّكَ عِرقُ الشوق إلى الاهتداء بهديهم، والاقتداءِ بسيرهم».

فأنتَ ترى أننا لا نُريد مِن سرد أخبارِ السابِقِينَ الترنُّمَ ومجرَّدَ السماع، بل هي وسيلةٌ تربويةٌ تأديبيَّة، يتَّصل بها خَلفُ هذه الأمةِ بسلَفِها؛ لتكونَ ـ بإذن الله ـ سببًا لنهضتِنا، ورجوعِ مكانتنا وسُؤدُدِنا.

هذا، وإنَّ كلَّ ما سَبق هو في الكلام على أخبارِ العلماءِ والصالحينَ بشكلٍ عام، فكيف إذا كان عن الأئمَّةِ الأربعةِ المُجتهدين؟! الذينَ كَتب الله لهم القَبولَ في الأرض، ومَلَؤوا الدنيا عِلمًا وفقهًا، وكانوا سببًا لحِفظ الشريعةِ الغرّاءِ إلى زمننا، وإلى ما يشاء الله تعالى... وهم الأئمَّة: **أبو حنيفة النعمان بن ثابت، ومالك بن أنس. ومحمد بن إدريس الشافعي. وأحمد بن حنبل، رحمهم الله أجمعين.**

وكتابُنا الذي بين أيدينا «تنويرُ بصائر المُقلِّدِين في مناقب الأئمَّة المُجتهِدِين»

---

(١) «الفوائد البهية» (ص٢).

هو لعالمٍ عَلَمٍ فقيه، وإمامٍ نابغةٍ نبيه، هو مَرْعيُّ بنُ يوسفَ الكَرْميُّ الحنبليُّ المقدسي (ت١٠٣٣)، الذي يُعدُّ مِن أعلام مذهبِ الحنابلة ومُحقِّقِيهم.

فأنت ترى أنَّ كونَ المؤلِّفِ مِن أعلام الحنابلة لم يَمنعْه ذلك من مدحِ الأئمَّة الثلاثة، بل والتأليفِ بمناقبهم والذبِّ عنهم، وهذه صورةٌ مُشرِقة في تاريخِنا الإسلاميِّ، ينبغي الانتباهُ لها، والاقتداءُ بمثيلاتها، فإنك ستجد في هذا الكتاب كيف غدا المؤلِّفُ كالنَّحلة يلتقط دُررَ الأخبارِ مِن هنا وهناك، وكيف بوَّبها وجمعَ متفرِّقَها بفصولٍ ولاءم بينَها.

إضافةً لنقدِ بعضِ الأخبار التي لا تَليق، والبحثِ عن باعثها وسندِها، وهذا دأبُ أهلِ التحقيق، فرحمه الله تعالى وجزاه خيرًا.

ولله دَرُّ الإمامِ المُقرئِ المُجوِّدِ محمدِ بنِ أحمدَ المَوصليِّ الحنبليِّ المعروفِ بـ: شُعلة، فإنه ألف كتابًا في مناقب الأئمَّة الأربعة، وقال في مقدِّمته: «جمعتُه مِن كُتب الناقلينَ أهلِ الأثر، ورَتَّبتُ ذِكرَهم على ترتيب الأقدم فالأقدم، لا على منزلة الأعلمِ والأعلم؛ إذ يَحتاج ذلك إلى مَن هو أعلى منهم منزلةً»[1].

وقد عِشتُ مع كتاب العلامة مرعيٍّ متأمِّلًا في نصوصِه، وباحثًا في مصادرِه ومراجعِه، فثبت عندي بعدَ بحثٍ ومقارَنة: أنَّ المؤلِّفَ رَجع إلى مصادرَ كثيرةٍ

---

(١) انظر ترجمةَ الإمام شُعلةَ الموصليِّ في «ذيل طبقات الحنابلة» (٤/ ١٦)، وقد أَورد له قصيدةً في التربية والموعظة يَحسُن الاطلاعُ عليها.

ولم يصل لنا خبرٌ عن كتابه في مناقب الأئمَّة الأربعة إلا ما نَقَله الضابطُ العثمانيُّ حاجي خليفة، فإنه ذَكره في «كشف الظنون» (٢/ ١١٨٩) باسم: «غاية الاختصار في مناقب الأربعة أئمَّة الأمصار»، وعنه نقلتُ العبارةَ من مقدِّمة كتابِه، فجزاه الله خيرًا ورحمه.

في علوم مختلفة، إلا أنه اعتمد في ترجمةِ كلِّ إمامٍ على مصدرٍ مُفرَدٍ بترجمتِه، وهذا بيانُ ذلك:

- **ترجمة الإمامِ أبي حنيفة**: المصدرُ الرئيسيُّ فيها كتابُ «عقودِ الجُمان في مناقب الإمام الأعظم[1] أبي حنيفةَ النعمان»، للإمام محمدِ بنِ يوسفَ الصالحيِّ (ت٩٤٢).

- **ترجمة الإمامِ مالك**: المصدرُ الرئيسيُّ فيها كتابُ «ترتيبِ المدارك وتقريبِ المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك»، للإمام القاضي عياضٍ (ت٥٤٤).

- **ترجمة الإمامِ الشافعي**: المصدرُ الرئيسيُّ فيها كتابُ «توالي التأسيس بمعالي محمدِ بنِ إدريس»، للإمام ابن حجر العسقلانيِّ (ت٨٥٢).

- **ترجمة الإمامِ أحمد**: المصدرُ الرئيسيُّ فيها كتابُ «مناقبِ الإمام أحمدَ بنِ حنبل»: للإمام أبي الفرج عبدِ الرحمن ابن الجوزيِّ (ت٥٩٧).

فهذه الكتبُ هي المراجعُ الأمُّ لكتابنا «تنوير بصائر المقلِّدين»، وقد راجعتُ نصوصَه فيها، وأَفدت مِن ذلك عدَّةَ أُمورٍ منها: ترجيحُ فُروقِ النُّسخ، وتصحيحُ تَصحيفاتِها، وتتميمُ بعضِ العِبارات وحلُّ غامضِها ومشكلِها، ومعرفةُ القائلِ عندَ إغفالِه أحيانًا، ومعرفةُ بدايةِ الأقوال وانتهائِها مِن خلال الرُّجوع للمصدر الأُمِّ؛ إذ الاختصارُ أحيانًا يَجعل الكلامَ مُتداخِلًا ببعضِه.

---

(١) لعلهم لقَّبوا أبا حنيفةَ بـ: (الإمام الأعظم)؛ لأنه كان أوَّلَ مَن وَضَع أُسُسَ علومِ الفقه ورتَّب أبوابَه، وهو أكبرُ واحدٍ مِن أئمة المذاهبِ وأقدمُهم وفاةً، وقد ذَكر له هذا اللقبَ جماعةٌ مِن العلماء: كالسمعانيِّ وابنِ الأثيرِ الجزريِّ والذهبيِّ، والصَّفديِّ وتقيِّ الدِّينِ الفاسيِّ والعينيِّ، وابنِ الجزريِّ والسيوطيِّ والقسطلَّانيِّ، والصالحيِّ وابنِ حجرِ الهيتميِّ وابنِ العمادِ الحنبليِّ، وغيرُهم كثيرٌ، والله أعلم.

وقـد اعتمـدت فـي تحقيـقِ الكتـاب وضبطِ نصِّـه على أربـع نُسـخ خطية ولله الحمـد، وهي:

الأولـى: نسـخةُ تِشسْـترْبِتي بإيرلنـدا، وقـد نَسـخها مِن خـطِّ مؤلِّفها علـيُّ بنُ عمـرَ الشَّـنوانيُّ، وذَكر أنـه كتبها عـامَ: (١٠٣٠)، أي: فـي حياة المؤلِّـف. ورمزتُ لها بـ: (ش).

والثانية: نسخةُ مكتبةِ الخزانة الملكيَّة بالمغرب ـ مُمتلكات العلامةِ السيِّدِ عبدِ الحيِّ الكتانيِّ رحمه الله، وقد جاء في آخرها على لسانِ حالِ المؤلِّف أنه فَرَغ منها عامَ: (١٠٢٣)، ورمزتُ لها بـ(ك).

والثالثة: نسخة مكتبة الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، ومزت لها بـ(ج).

والرابعة: نسخة مكتبة الجامعة الإسلامية ـ المكتبة الملكية، ورمزت لها بـ(م).

كما أفدتُ من نسخةُ مكتبةِ برنْستُون بأمريكا، تحتَ رقم: (٩٠٩h)، المنسوخةِ عامَ: (١١٩٢).

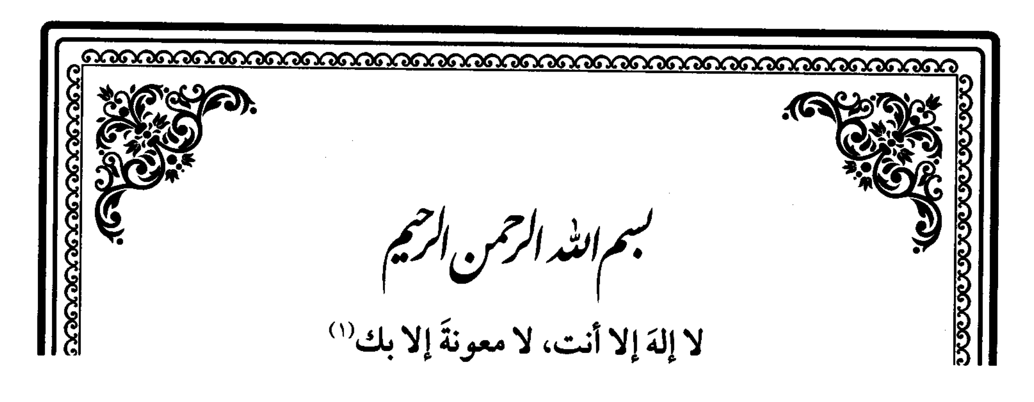
وظهر لي أنَّ نسخةَ تشستربتي فيها نقصٌ عن البقية، ولعل المؤلفَ زاد في الكتاب بَعد إبرازته الأُولى، والله أعلم.

هـذا، وإنـي أَطلب مِـن الله التوفيـقَ والسَّـداد، وأَرجو مِـن أهل العلـم وطلبتِه إرشـادي لأيِّ ملاحظـةٍ أو تنبيـه، ولهـم منـي خالـصُ الدعـاء، ومِـن الله الثـوابُ والجزاء.

المحقق

***





لا إلهَ إلا أنت، لا معونةَ إلا بك[1]

الحمدُ لمَن بَعث النَّبيِّينَ مُبشِّرِينَ ومُنذِرين، وأَنزل معهم الكتابَ بالحقِّ الواضحِ المُبين، وخصَّ منهم أُولي الشَّرائعِ بتبيينِ أحكامِ شرائعِ المُكلَّفِين، وجَعلَ الأئمَّةَ الفقهاءَ لهُم وارِثين، ولآثارهِم في بيانِ الأحكامِ مُتَّبِعينَ ومُقتفِين، فهم أئمَّةُ الهُدى للمُهتدِين، ونجومُ الاقتداءِ للمُقتدِين، خُصوصًا المُجتَهدينَ منهم والرّاسخين.

فمنهم:

ـ أبو حنيفةَ النُّعمانُ عظيمُ المُجتَهِدِين.

ـ ومالكُ بنُ أنسٍ نَجمُ سَننِ المُحدِّثين.

ـ ومحمدُ بنُ إدريسَ رئيسُ الفقهاءِ والأُصوليِّين.

ـ وأحمدُ بنُ حنبلٍ رأسُ الزَاهِدِين وقامِعُ المُبتدِعين، وحُجَّةُ الحقِّ على الخَلْقِ أجمعين.

أحمـدُ الله سـبحانه إذ أنقذنا مِـن غَباوةِ الجَهالـة، وفَترةِ الضَّلالَةِ؛ بمبعثِ سـيِّد المُرسَلين.

وأستغفرُه استغفارَ عبدٍ خائفٍ وَجِلٍ؛ لكونه مِن المُقصِّرين.

وأشكرُه شُكرَ مُعترِفٍ بذنبه، مُغترِفٍ مِن فَيضِ ربِّه، وبه مُستَعين.

---

(١) «لا إله إلا أنت، لا معونةَ إلا بك» مِن (ك)، وفي غيرِها: «وبه ثقتي».

وأَشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شَرِيكَ له، شهادةَ عبدٍ مُخلِصٍ ذَليلٍ مِسكين.

وأَشـهدُ أنَّ محمَّـدًا عبـدُه ورسـولُه النَّبـيُّ الأُمـيُّ الرَّسـولُ الأميـن، صلَّـى اللهُ وسـلَّم عليـه، وعلى سـائرِ إخوانِـه مِن النَّبيـنَ والمرسَـلين، وعلـى آلِ كلٍّ وصَحبِه أجمعين.

أمّا بعدُ:

فيقولُ أحقرُ الوَرى، وأذلُّ الفُقرا، مَرْعيُّ بنُ يوسفَ المقدِسيُّ الحنبليُّ: إنَّ اللهَ سبحانَه وتعالى قد أوجدَ هذا العالَم إيجادًا جميلًا، وفضَّل بني آدمَ على كثيرٍ ممَّن خَلقَ تفضيلًا، وخَصَّ الأنبياءَ بمزيدِ الفَضلِ والكرامات، حتّى غَدوا بذلكَ أنوارَ الكائنات، وأسرارَ المَوجودات.

وجَعـلَ العلمـاءَ لهـم وارثِيـن، ولآثارِهـم مُقتَفِيـن، فـي بيـانِ أحـكامِ شـرائعِ المُكلَّفِيـن، لا سـيَّما الأئمَّـةِ المجتهديـن، رضـوانُ اللهِ تعالى عليهـم أجمعين، فهم فـي الفُـروعِ مُختَلِفون، وفـي الأُصـولِ متَّفِقـون، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾.

فاختـلافُ أولئكَ الأئمَّـةِ رحمةٌ لهذه الأُمَّة، والجميـعُ على هدًى، والاختلافُ رحمـةٌ، فهـم مِن الشَّـريعةِ الغَـراءِ يَسـتمِدُّون، وللمِلَّة الزَّهـراء يَعتمِـدون، وهم مِن أفضـلِ أتبـاع المرسَـلين، وخَيـرِ مَن آمـنَ وصـدَّقَ النَّبيين، لا سـيَّما أئمَّـةِ المذاهبِ الأربعـةِ المُجتَهِديـن، ففَضْلُهـم مشـهورٌ قديمًـا وحديثًـا، وعِلمُهم منشـورٌ تفسـيرًا وحديثًا.

وقد صَنَّفت الأئمَّةُ في فضائِلهم كُتبًا جَمَّة، فمِمَّن جمعَ فيهم:

الإمامُ داودُ إمامُ أهلِ الظاهر[١]، ثمَّ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ إبراهيمَ البُوشَنْجِيُّ[٢] ذو المفاخرِ والمظاهر[٣].

ثمَّ تلاهُما الإمامُ ابنُ أبي حاتمٍ[٤]، والإمامُ الحافظُ الحاكِم[٥].

---

(١) قال التاجُ السبكيُّ في «الطبقات» (٢/ ٢٨٤): «وله في فضائلِ الشافعيِّ مصنَّفاتٌ».

فائدة: أفاد الحافظ ابنُ حجرٍ في «توالي التأسيس» (ص١٩): أنَّ أوَّل مَن جمع في مناقب الإمام الشافعيِّ هو الإمامُ داودُ الظاهري (ت٢٧٠)، إلا أنني وجدت الرازيَّ ذَكر في كتابه «مناقب الشافعي» (ص٢٧): أنَّ للإمام محمدِ بنِ عبد الله بنِ عبدِ الحكم المالكي (ت٢٦٨) كتابًا في فضائل الشافعيِّ، ذَكر فيه نسبَه وافتخارَ مالكٍ به، والله أعلم.

(٢) في النُّسخ: «البوسنجي» وكذا فيما سيأتي داخلَ الكتاب، والصوابُ المثبتُ كما في «توضيح المشتبه» (١/ ٦٤٨)، وانظر ترجمتَه في «تهذيب الكمال» (٢٤/ ٣٠٨).

(٣) ذَكر كتابَ البُوشَنْجِيِّ ونَقل عنه البيهقيُّ في «معرفة السنن والآثار» (١/ ٢١٨).

(٤) اسمُ كتابِه: «آدابُ الشافعيِّ ومناقبُه»، وقد سَعى بطباعة هذا الكتاب وقدَّم له الشيخ محمد زاهد الكوثريُّ الحنفي، وذَكر في مقدِّمته (ص٦): أنه كان مُتشوِّقًا إلى الظفر بنسخةٍ من هذا الكتاب، ثم قال: «فعلمتُ أنَّ في المكتبة الأحمدية في حلبَ الشهباءِ نسخةً منه، فرجوتُ صديقَنا الأستاذَ الألمعيَّ الشيخَ عبدَ الفتاح أبو غدة ـ حفظه الله ورعاه ـ أنْ يَبحثَ عن ناسخٍ هناك، يَنقل الكتابَ على حسابي ففعل، وتفضَّل بمقابلته بالأصل مقابلةً دقيقةً، أَوجبتْ مضاعفةَ شُكري له، والله سبحانه يُكافئه على هذا الجميل».

ولابن أبي حاتمٍ كتابٌ في مناقب الإمام أحمد، ذكره ابنُ أبي يعلى في «طبقات الحنابلة» (٣/ ١٠٤)، ونَقل عنه الذهبيُّ في «السير» (١١/ ١٧٨).

(٥) قال ابنُ القيم في «مفتاح دار السعادة» (٣/ ١٤٤٠): «أبو عبد الله الحاكم: صنَّف في مناقب الشافعيِّ كتابًا كبيرًا، وذَكر علومَه في أبواب»، ووَصَف السبكيُّ في «طبقاته» (١/ ٣٤٤) كتابَ الحاكمِ هذا بأنه مصنفٌ جامعٌ، وقال ابنُ حجرٍ في «توالي التأسيس» (ص٢٠): «ثم جاء الحاكمُ أبو عبد الله فجَمع في ذلك كتابًا حافلًا كثيرَ الفائدة».

ثمَّ الحافظُ البيهقيُّ[١] والحافظُ البغداديُّ الخطيب[٢]، ثمَّ الغزاليُّ[٣] وابنُ الجَوزيِّ[٤] وغيرُهم مِن أُولي النُّهى والتَّقريب.

وبيَّنوا مناقِبَهم ترغيبًا للمُقلِّدين، وتَحبيبًا للمُقتَدِين؛ ليكونوا في الاقتِداءِ بهم على بَصيرةٍ ويَقين.

إلّا أنَّ منهم ما هو المُوجِزُ المُخِلُّ، والمُطنِبُ المُمِلُّ، لم يَفِ بالمقصود، ولم يَستوعِب المَطلوبَ المَحمود، ومنهم مَن يَقتصِر على مَناقبِ إمامٍ واحد، مع ما يأتي به مِن التَّطويل الزّائد.

فلمّا رأيتُ ذلك، ووقَفتُ على ما هنالِك، دعاني داعي المَشيئةِ والإلهام، إلى جَمعِ مؤلَّفٍ فريدٍ في هذا المَقام؛ ليزدادَ الواقِفُ عليه فيهم حبًّا واعتقادًا، ويَجتَنبَ

---

(١) طُبع كتابُ البيهقيِّ بمجلَّدَينِ باسم: «مناقبِ الشافعي»، قال السبكيُّ في «طبقاته» (١/ ٣٤٤): «ثم صَنَّف الحافظُ الكبيرُ أبو بكرٍ البيهقيُّ كتابَه في المناقب، المشهورَ والحسنَ الجامع».
وللإمام البيهقيِّ كتابٌ في مناقب الإمامِ أحمدَ ولكنْ لم أَعثر عليه، ذَكره الذهبيُّ في «السير» (١٨/ ١٦٦)، وابنُ كثير في «البداية والنهاية» (١٠/ ٣٥٩) ونَقل عنه، ورأيتُ كذلك القاضي السعديَّ الحنبليَّ (ت٩٠٠) في كتابه: «الجوهرِ المُحصَّل في مناقب الإمام أحمدَ بنِ حنبل» يَنقل كثيرًا عن كتاب البيهقيِّ في مناقب أحمد، والله أعلم.

(٢) قال الخطيب في «تاريخ بغداد» (٢/ ٤١٤): «لو استوفينا مناقبَ الشافعيِّ وأخبارَه لاشتملتْ على عدَّةٍ مِن الأجزاء، لكنا اقتصرْنا منها على هذا المِقدار؛ مَيلًا إلى التخفيف وإيثارًا للاختصار، ونحن نُورد معالمَ الشافعيِّ ومناقبَه على الاستقصاء في كتابٍ نُفرده لها إن شاء الله».

(٣) لم أقف على كتابٍ مفردٍ للغزاليِّ في مناقبِ الشافعيِّ أو بقيةِ الأئمة المجتهدين، إلا أنه في مقدِّمة «الإحياء» (١/ ٩٢) ذكر نُبذًا من مناقبِ الأئمة الأربعة، مبتدئًا بالإمام الشافعي.

(٤) لابن الجوزي مجلَّدٌ في مناقب الشافعي، ومجلَّدٌ في مناقب أحمد، انظر «سير أعلام النبلاء» (٢١/ ٣٦٩).

المُخالِفُ إذا تأمَّلَ فيه عَجبًا وانتِقادًا، ويَستَنيرَ له بذلكَ فيهم مناهجَ سُبلِه، فيُصبحَ تاليًا: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾.

فهاكَ كتابًا لم يَسمَحِ الزَّمانُ في مناقِبهم بمثلِه، ولم يَنسُجْ ناسِجٌ على مِنوالِه وشَكلِه؛ لتسهيلِ عباراتِه، وتَبيينِ إشارتِه، وتَقليلِ كلامِه، وتحسينِ نِظامِه، مُعتمدًا فيه ما اعتَمدهُ الأئمَّةُ الحُفاظ، فأصبحَ بذلك في غايةِ التَّحريرِ والحِفاظ.

فاشدُدْ بما فيه يَديك، وتَلقَّ بالقَبولِ ما يُعرضُ عليك، فإنَّه جديرٌ بأنْ يُتلقَّى بالقَبول، وأنْ يتضوَّعَ بعَرْفِ نَسيمِه الصَّبا والقَبول، لِما فيه مِن تَحريرِ النُّقولِ، وتَركِ التَّعصُّبِ والفُضول، وسميتُه:

«تنوير بصائرِ المُقلِّدينَ في مناقِبِ الأئمَّةِ المُجتَهِدينَ»

هـذا والفقيـرُ مُعترِفٌ بِقِصَـرِ الباع، مُغترِفٌ مِـن بَحرِ غيرِه للانتِفـاع، مُقِرٌّ بقُصورِ عبارتِـه وحُجـاه، وسَـماعُكَ بالمُعَيدِيِّ خيرٌ مِـن أنْ تَراه؛ لِما هو فيه مِـن ضِيقِ الحال، وتَشـتيتِ البال، وفي الإشـارةِ ما يُغني عن المَقال، ولسـتُ بأهلٍ لِما هنالك، لكنَّ اللهَ سـبحانه هـو وَلـيُّ ذلك، فمِـن فَضلِه أسـتَمِد، وعلـى نَيلِه أعتَمِـد، فهو حَسـبي ونِعمَ الوكيـل، نِعْـمَ المَولى ونِعْـمَ النَّصير(١).

* * *

(١) فائـدة: ذَكـر شـمسُ الدِّيـنِ السـخاويُّ مَـن أَفـرد كلاً مِـن الأئمَّة الأربعـةِ بترجمـةٍ مُسـتقِلَّة، وذلك خاتمـةَ كتابِـه «الجواهـرِ والـدُّرر في ترجمة شـيخ الإسـلام ابنِ حجـر» (٣/ ١٢٥٥)، فلتُنظـرْ فإنها مفيدة.

مُقدِّمة

اعلمْ وفَّقكَ اللهُ تعالى: أنَّ المُجتهدينَ جَمعٌ كثيرٌ وجَمٌّ غَفيرٌ لا يُمكنُ حَصرُهم، وما أَحدٌ وَقفَ عليه، ولا يَعلم عِدَّتهم إلّا الله.

أمّا الصَّحابةُ رضي اللهُ عليهم أجمعين، فكلُّهم مُجتهدون، علماءُ ربانيِّون.

وقد تُوفِّي ﷺ عن نحوِ مئةِ ألفٍ وأربعينَ ألفًا مِن الصَّحابة، ويَكفي في الاقتداءِ بهم قولُه ﷺ في حقِّهم: «أصحابي كالنُّجومِ بأيِّهم اقتدَيتُم اهتدَيتُم»[1].

وأمّا التّابعونَ فمَن بَعدَهم إلى عصرِ الثَّلاثِ مئةٍ، فغالِبُ الفقهاءِ منهم مُجتَهِدون، ولنذكر بعضًا منهم مِن أهلِ المَذاهِب.

- **فمنهم:** ابنُ الزبيرِ عُروةُ.

رَوى عن: أبيه، وأمِّهِ أسماءَ، وخالَتِه عائشةَ، وعليِّ بنِ أبي طالبٍ، وزيدِ بنِ ثابتٍ، وخلائقَ.

ورَوى عنه: أولادُه عثمانُ وعبدُ الله وهشامٌ ويحيى ومحمَّدٌ، وحفيدُه عمرُ بنُ عبدِ الله، والزُّهريُّ، وأبو الزِّنادِ، وخلائقُ.

قال الزُّهريُ: وَجدته بَحرًا لا يُنزِفُ، وقال عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ: ما أحدٌ أَعلمَ منه، وقال أبو الزِّنادِ: فقهاءُ المدينةِ أربعةٌ، فَذَكرَ منهم عُروَةَ.

---

(١) قال الإمام البيهقي: «هذا حديثٌ مشهورٌ، وأسانيدُه كلُّها ضعيفةٌ لم يَثبتْ منها شيءٌ»، انظر «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي: (٢/ ٢٣٠)، وقال الحافظ ابنُ الملقِّن في «البدر المنير» (٩/ ٥٨٤): «هذا الحديثُ غريبٌ لم يَروه أحدٌ مِن أصحاب الكتب المُعتمدة، وله طرقٌ».
ونحوُه قولُه ﷺ: «وأصحابي أمنةٌ لأُمتي، فإذا ذهب أصحابي أَتى أُمتي ما يُوعدون»، أخرجه مسلم: (٤/ ١٩٦١).

وقال العِجليُّ: كان ثقةً رَجلًا صالحًا، لم يَدخُلْ في شيءٍ مِن الفِتنِ.

وقال ابنُ سعدٍ: كان ثقةً كثيرَ الحديثِ، فقيهًا عالمًا ثبتًا مأمونًا، تُوفِّي سنةَ اثنتَين أو ثلاثٍ أو أربعٍ أو خمسٍ وتسعين، ووُلِدَ سنةَ ثلاثٍ وعشرين، أو تسعٍ وعشرين.

ـ ومنهم: ابنُ المنذرِ محمدُ بنُ إبراهيمَ بنِ الحارثِ المدنيُّ أبو عبدِ الله.

رَوى عن: جابرٍ، وأبي سعيدٍ، وأنسٍ، وعلقمةَ بنِ وقاصٍ، وأبي سلمةَ، في آخرين.

رَوى عنه: ابنُه موسى، ويحيى بنُ سعيدٍ الأنصاريُّ، والأوزاعيُّ، وآخرون.

قال ابنُ سعدٍ[1]: كان فقيهًا مُحدِّثا، ووثَّقه ابنُ مَعينٍ وجماعةٌ، وقال أحمدُ: في حديثِه شَيءٌ.

تُوفِّي سنةَ: تسعَ عشرةَ، أو عشرينَ، أو إحدى وعشرينَ ومئة.

ـ ومنهم: عَلقمةُ بنُ قَيسِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ مالكٍ، أبو شِبلٍ النَّخعيُّ الكوفيُّ.

أحدُ الأعلامِ، وُلِد في حياةِ النَّبي ﷺ.

ورَوى عن: الخلفاءِ الأربعةِ وغيرِهم.

ورَوى عنه: ابنُ أخيهِ عبدُ الرَّحمنِ بنُ يزيدَ، وابنُ أخيه إبراهيمُ، وإبراهيمُ بنُ سويدٍ النَّخعيُّونَ، وأبو وائلٍ، وخَلقٌ.

قال مُرَّة الهَمْدَانيُّ: كان مِن الرَّبانيِّين، وقال إبراهيمُ النَّخعيُّ: كان يَقرأُ القُرآنَ في خَمسٍ، وقال أبو ظَبْيانَ: أدركْتُ ناسًا مِن الصَّحابة يَسألون علقَمةَ ويَستفتُونَه.

تُوفِّي سنةَ: إحدى أو اثنتينِ وستِّين، وعاشَ تسعينَ سنةً.

---

(١) في النسخ: «سعيد»، والصوابُ المثبتُ الموافقُ لعبارة «الطبقات» لابن سعد (٧/ ٤٠١).

- **ومنهم:** النَّخَعيُّ إبراهيمُ بنُ يَزيدَ بنِ قيسِ بنِ الأسودِ بنِ عَمرِو بنِ رَبيعةَ الكُوفيُّ، يُكنى أبا عِمرانَ.

كان أحدَ الفقهاءِ الأعلامِ، دَخلَ على عائشةَ وهو صغيرٌ، ورَوى عنها، فقيل: إنَّه لم يَسمعْ منها.

ورَوى عن: خالِه الأسودِ بنِ يَزيدَ، وعلقمةَ بنِ قيسٍ، ومَسروقٍ، وغيرِهم.

رَوى عنه: حَمادُ بنُ أبي سُليمانَ، والأعمشُ، ومنصورٌ، وخلائقُ.

قال الأعمشُ: كان إبراهيمُ صَيرفيَّ الحديث.

وقال العِجليُّ: كان مُفتيَ الكوفةِ هو والشَّعبيُّ.

وتُوفِّي سنةَ: ستٍّ وتسعينَ، قالهُ أبو نُعيمٍ، وعاشَ تسعًا وأربعينَ سنةً، وقيلَ أكثرُ.

- **ومنهم:** سعيدُ بنُ المسيَّبِ القُرشيُّ المَدنيُّ، سيِّدُ فقهاءِ التابعين.

رَوى عن: أبيِه، وعن عمرَ، واختُلِفَ في سماعِه منه، وعن عثمانَ، وعليٍّ، وسعدِ بنِ أبي وقاصٍ، وأبي موسى في آخرين.

رَوى عنه: الزُّهريُّ، وعَمرو بنُ دينارٍ، ويحيى بنُ سعيدٍ الأنصاريُّ، وآخرون كثيرون.

قال قتادةُ: ما رأيتُ أحدًا قَطُّ أعلمَ بالحلالِ والحرامِ منه، وقال مَكحولٌ: ما لقِيتُ أعلمَ منه، وقال سليمانُ بنُ موسى: إنَّه أفقهُ التّابعين، وقال أحمدُ: إنَّه أفضَلُ التّابعين، وقال ابنُ المَدينيِّ: لا أعلمُ أحدًا في التّابعين أوسعَ عِلمًا منه، وهو عِندي أَجَلُّ التّابعينَ، وقال أبو حاتِمٍ: ليس في التّابعين أَنبلُ منه، وقال ابنُ حِبانَ: هو سيِّد التّابعين.

ومُرادهم بذلك في العِلم، وإلّا ففي «صحيحِ مسلم»: «**خيرُ التّابعين رجلٌ يقالُ له: أُويسٌ**» الحديث[1].

وقال الشافعيُّ، وأحمدُ بنُ حنبلٍ، وغيرُ واحدٍ: مَراسيلُ ابنِ المسيَّب صِحاحٌ.

وصلّى الصُّبحَ بوُضوءِ العَتمةِ خمسينَ سنةً، وحجَّ أربعينَ حَجَّةً، وقال: ما نظرتُ إلى قَفا رجلٍ في الصَّلاة منذُ خمسين سنةً؛ لمحافظتِه على الصَّف الأوَّل.

وكانت بنتُه مِن أجملِ النِّساءِ، ومِن أحفَظِ الناسِ لكتابِ الله، وأعلَمِهم بسُنَّة رسولِ الله ﷺ، وأعرَفِهم بحقِّ الزَّوج، خَطَبها عبدُ المَلكِ بنُ مروانَ لابنه الوليدِ حينَ ولّاهُ العهدَ، فأبى سعيدٌ أنْ يزوِّجَه، ثمَّ زوَّجَها لطالِبِ علمٍ فقيرٍ بدِرهمَين، وأعطى لزَوجِها عِشرين ألفَ درهمٍ، رحمه الله.

ومِن **كلامه**: إنَّ الدُّنيا نَذْلَةٌ، وهي إلى كلِّ نَذْلٍ أميَلُ، وأنذَلُ منها مَن أخذَها بغَيرِ حَقِّها، وطَلَبَها مِن غيرِ وجهِها، ووضعَها في غيرِ سَبيلِها.

تُوفِّي سنةَ: ثلاثٍ أو أربعٍ وتسعين، ووُلِدَ سنةَ: خمسَ عشرة، أو سبعَ عشرةَ، أو إحدى وعِشرين.

ـ ومنهم: سفيانُ الثَّوريُّ أبو عبدِ اللهِ الكوفيُّ.

إمامٌ في الحديثِ وغيرِه مِن العلوم، وأجمَعَ الناسُ على دينِه وورعِه وتوثيقِه.

قال سفيانُ بنُ عُيينةَ: ما رأيتُ رجلًا أعلمَ بالحَلالِ والحَرامِ منه، وقال الإمامُ أحمدُ وابنُ مَعينٍ وشُعبَةُ وجماعةٌ: سفيانُ الثَّوريُّ أميرُ المؤمنينَ في الحديث، وقال ابنُ المُبارك: لا أعلَمُ على وَجهِ الأرضِ أَعلمَ منه.

---

(١) «صحيح مسلم» (٤/ ١٩٦٨)، وتمامُه: «إنَّ خيرَ التابعينَ رجلٌ يقال له: أُويس، وله والدةٌ، وكان به بياض، فمُروه فليَستغفرْ لكم».

طلبَ العِلمَ وهو مُراهقٌ، وكان يتوَقَّدُ ذكاءً.

سَمِعَ مِن عَمرِو بنِ مُرَّةَ، وعمرِو بنِ دينارٍ، وسَلَمةَ، وحَبيبٍ، وابنِ إسحاقَ، وخَلقٍ لا يُحصَون، يُقال: أخذ عن: سِتِّ مئةِ شيخٍ.

وروى عنه: أكثرُ مِن عِشرينَ ألفَ نَفْسٍ.

وعَرِض القُرآنَ أربعَ مراتٍ على حمزةَ الزَّياتِ، وكَتبَ له المَهديُّ عَهدَ قَضاءِ الكُوفةِ على ألا يَعترِضَ[1] عليه، فرَمَى بالكتابِ في دِجلةَ وهَربَ.

ماتَ سنةَ: إحدى وستِّين ومئةٍ.

- **ومنهم**: قتادةُ السَّدُوسيُّ البَصريُّ، يُكنى أبو الخَطاب.

أحدُ الأئمَّةِ الأعلامِ، وكان أكمَه.

رَوى عن: أنسٍ، وعبدِ اللهِ بنِ سَرْجِسَ، وأبي الطُّفيلِ، وسعيدِ بنِ المسيِّبِ، وابنِ سيرين في آخرين.

رَوى عنه: أيوبُ، وحُميدٌ، وشُعبةُ، والأوزاعيُّ، ومَعمَرٌ، وخلائقُ.

قال ابنُ المسيِّبِ: ما أتاني عِراقيٌّ أفضَلَ منه، وقال ابنُ سيرينَ: قَتادةُ أحفَظُ الناسِ، وقال بكرٌ المُزنيُّ: ما رأيتُ أحفَظَ منه.

وقال أبو حاتِمٍ: سَمعتُ أحمدَ بنَ حنبلٍ وذَكرَ قَتادةَ فأَطنبَ في ذِكرِه وجَعلَ يقول: عالِمٌ بتفسيرِ القُرآنِ، وباختلافِ العُلماءِ، ووَصَفه[2] بالحفظِ والفقهِ، فقال: قلَّ ما نَجِدُ مَن تَقدَّمَه، أمّا المِثلُ فلعلَّ.

---

(١) في (ك): «يفرض».

(٢) في (ش): «ووصف»، والمثبتُ موافقٌ لعبارة «العلل» لابن أبي حاتم (٧/ ١٣٤).

وقال الأثرَمُ: كان أحفظَ أهلِ البَصرة.

ولدَ سنةَ: ستِّينَ، وتُوفِّي سنةَ: سبعَ عشرةَ، أو ثماني عشرةَ ومئةٍ.

ـ ومنهم: ابنُ سيرينَ محمدٌ البَصريُّ.

مولى أنسِ بنِ مالكٍ، وأمُّهُ صَفيةُ مولاةُ أبي بكرٍ الصِّديقِ، حَضرَ إملاكَها ثمانيةَ عشرَ بَدريًّا، وطيَّبها ثلاثٌ مِن أزواجِ النَّبيِّ ﷺ، ودعَونَ لها.

رَوى عن: زيدِ بنِ ثابتٍ، وأبي هريرةَ، وعِمرانَ بنِ حُصين، ومولاهُ أنسِ بنِ مالكٍ في آخرين مِن الصَّحابةِ والتّابعين.

قال هشامُ بنُ حسّانَ: أَدرَكَ ابنُ سيرينَ ثلاثينَ صحابيًّا.

رَوى عنه: ثابتٌ، وقتادةُ، وعبدُ الله بنُ عَون، وجريرُ بنُ حازم، والأوزاعيُّ، وخلائِقُ.

قال هشامٌ: هو أصدقُ مَن رأيتُ مِن البَشر، وقال ابنُ سعدٍ: كان ثقةً مأمونًا عاليًا رفيعًا فقيهًا إمامًا، كثيرَ العِلمِ، وَرِعًا، وقال العِجليُّ: ما رأيتُ رجلًا أفقَه في ورَعِه ولا أَورَعَ في فقهه منه، وقال ابنُ عَونٍ: لم أرَ في الدُّنيا مِثلَه، وقال بكرٌ المُزنيُّ: ما رأينا مَن هو أورَعُ منه، ووثَّقه ابنُ معينٍ وغيرُه.

وكان ابنُ سيرينَ آيةً في التَّعبيرِ، رأى كأنَّ الجَوزاءَ تَقدَّمتِ الثُّريا، فأَخَذَ في وَصيَّتِه وقال: يَموتُ الحَسنُ، وأموتُ بعدَه، هو أشرَفُ مني، فكان كذلك، ماتا في سنةِ عَشرٍ ومئةٍ، ماتَ الحَسنُ: أوَّلَ رجبٍ، وابنُ سيرينَ: تاسعَ شوالٍ.

ـ ومنهم: الحسنُ البَصريُّ مِن ساداتِ التّابعين.

جَمعَ كلَّ فنٍّ مِن عِلمٍ وعِبادةٍ، أبوهُ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ، وأمُّه مولاةُ أمِّ سَلمَةَ

زوجِ النَّبيِّ ﷺ، وربَّما غابت أمُّه في حاجةٍ فيبكي، فتُعطيهِ أمُّ سَلمَةَ ثديَها تُعلِّلُه به إلى أنْ تَجيءَ أمُّه، فدَرَّ عليه ثديُها، فيرَونَ أنَّ تلكَ الفَصاحةَ والحِكمةَ مِن بَركةِ ذلك.

وُلدَ في زمن عمرَ بنِ الخطّابِ، وحنَّكَه عمرُ بيدِه، وكانَ صاحبَ ابنِ سيرينَ، ثمَّ تهاجرا في آخرِ الأمرِ، فلمّا ماتَ الحَسنُ لم يَشهَد ابنُ سيرينَ جنازتَه.

ـ **ومنهم**: أبو سَلمةَ بنُ عبدِ الرَّحمنِ بنِ عوفٍ الزُّهريُّ المَدنيُّ.

أحدُ الأعلامِ، اسمُه عبدُ الله، وقيل: إسماعيلُ، وقيل: مالكٌ.

رَوى عن: أبيه، وأسامةَ بنِ زيدٍ، وأبي أيوبَ، وأبي أسيدٍ السّاعديِّ، وأبي قتادةَ، وأبي هُريرةَ، وخَلقٍ كثيرٍ مِن الصَّحابة والتّابعين.

رَوى عنه: ابنُه عمرُ، وابنُ أخيه سَعدٌ، والأعرجُ، والشَّعبيُّ، والزُّهريُّ، ويحيى بنُ أبي كثيرٍ، ويحيى بنُ سعيدٍ الأنصاريُّ، وخلائقُ.

قال الزُّهريُّ: أربعةٌ مِن قريشٍ وجدتُهم بُحورًا، فذَكَرَ منهم: أبا سَلَمةَ.

وقال يحيى القطّان: فقهاءُ أهلِ المدينة عَشرةٌ، فذَكرَ منهم: أبا سَلَمةَ.

وقال ابنُ سعدٍ: كان ثقةً كثيرَ الحديث، وقال أبو زُرعةَ: إمامٌ.

تُوفِّي سنةَ: أربعٍ ومئةٍ، وقيل: دونَ ذلك.

ـ **ومنهم**: ابنُ شهابٍ الزُّهريُّ محمدُ بنُ مُسلِمٍ القُرشيُّ المدنيُّ، أحدُ الأئمَّةِ الأعلامِ.

رَوى عن: ابنِ عمرَ، وأنسِ بنِ مالكٍ، وسَهلِ بنِ سعدٍ، وأبي الطُّفيلِ، وغيرِهم مِن الصَّحابة، وأخذَ عن الفقهاءِ السَّبعةِ، وعن ربيعةَ، والسّائبِ بنِ يزيدَ، وآخرين مِن الصَّحابة والتّابعين.

رَوى عنه: مِن الأئمَّةِ المُجتَهِدينَ مالكٌ، واللَّيثُ، والأوزاعيُّ، وابنُ جُريجٍ، وابنُ إسحاقَ، وابنُ عُيَينةَ، وخلائقُ.

قال عمرو بنُ دينارٍ: ما رأيتُ أحدًا أنصَّ للحديثِ منه، وما رأيتُ أحدًا الدِّينارُ والدِّرهمُ أَهوَنُ عليه منه، كأنَّهما عندَه بمنزلةِ البَعر، وقال عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ ومكحولٌ: لم يبقَ أحدٌ أعلمُ بسُنَّةٍ ماضيةٍ منه، وقال أيوبُ: ما رأيتُ أعلمَ منه، وقال اللَّيثُ: ما رأيتُ عالِمًا قطُّ أَجمعَ ولا أكثرَ عِلمًا منه، وما رأيتُ أَكرمَ منه، وقال مالكٌ: بَقيَ وما لَه في الناسِ نَظيرٌ.

تُوفِّي سنةَ: ثلاثٍ أو أربعٍ أو خمسٍ وعِشرينَ ومئةٍ بقريةٍ في ناحية الشّام، وأَوصى أنْ يُدفنَ على قارعةِ الطَّريق.

ووُلدَ سنةَ: خَمسينَ، وقيل: أكثرُ.

ـ ومنهم: ابنُ المُنكَدِرِ محمدٌ القُرشيُّ المَدنيُّ، أحدُ الأعلام.

رَوى عن: جابرٍ، وعائشَةَ، وأنسٍ، وآخرينَ مِن الصَّحابة والتّابعين.

رَوى عنه: الأئمَّةُ شعبةُ، ومالكٌ، وابنُ جريجٍ، والأوزاعيُّ، والسُّفيانان، وخلقٌ.

قال ابنُ عُيينةَ: كان مِن مَعادنِ الصِّدقِ، يَجتمعُ إليه الصّالحون، وقال ابنُ مَعينٍ وأبو حاتِمٍ: ثقةٌ، وقال الحُميديُّ: ابنُ المُنكَدرِ حافظٌ.

تُوفِّي سنةَ: ثلاثينَ[1] ومئةٍ.

ـ ومنهم: الأوزاعيُّ عبدُ الرَّحمنِ بنُ عمروٍ.

والأَوْزاعُ بَطنٌ مِن هَمْدانَ، وقَريةٌ بقربِ دمشقَ.

---

(١) في (ك): «ثنتين»، والصوابُ المثبتُ كما في مصادر ترجمته.

وهو إمامُ أهلِ الشام، وأحدُ الأئمَّةِ الأعلام، وكان عالِمَ الأُمَّةِ مُنفردًا بالسِّيادةِ، وقد أَجمعَ العلماءُ على إمامتِه وجلالتِه، وعلوِّ مَرتبتِه، وكَمالِ فَضيلتِه، وهو فَقيهُ الشام، وشيخُ الإسلام.

حدَّثَ عن: عطاءِ ابنِ أبي رباحٍ، والزُّهريِّ، وخلائقَ.

كان عالِمَ الأُمَّة، أجابَ في سبعينَ ألفَ مَسألةٍ، وكان مِن الزُّهدِ والتَّعبُّدِ بالمَحلِّ الأرفَعِ، كأَنَّه أعمى مِن كَثرَةِ الخُشوعِ والدُّموعِ.

قال الجُوَينيُّ: كان يَصلُحُ للخِلافَةِ، وقال الحاكمُ: كان إمامَ عَصرِه عُمومًا، وأهلِ الشّامِ خصوصًا.

ماتَ ببيروتَ مُرابِطًا سنةَ: سبعٍ وخمسينَ ومئةٍ.

ـ **ومنهم**: زيدُ بنُ أسلَمَ المَدنيُّ الفقيهُ، أحدُ الأعلام، مولى عمرَ بنِ الخَطّابِ، يُكنى أبا أسامةَ.

رَوى عن: أبيه، وابنِ عمرَ، وجابرٍ، وأبي هُريرةَ، وخَلْقٍ.

رَوى عنهُ: بنوهُ أسامةُ، وعبدُ الرَّحمنِ، وعبدُ الله، ومالكُ بنُ أنسٍ، والسُّفيانانِ، وخلائقُ.

ووثَّقهُ أحمدُ وجماعةٌ، قال يعقوبُ بنُ شَيبةَ: ثِقةٌ مِن أهلِ الفِقهِ والعِلْمِ، وكان عالِمًا بالتَّفسيرِ.

تُوفِّي سنةَ: ستٍّ وثلاثينَ ومئةٍ.

ـ **ومنهم**: الأعرجُ عبدُ الرَّحمنِ بنُ هُرمُزَ المَدنيُّ.

رَوى عن: أبي هريرةَ، وأبي سعيدٍ، ومُعاويةَ، وآخرينَ مِن الصَّحابة والتّابعين.

رَوى عنه: الزُّهريُّ، ورَبيعةُ، وأبو الزِّنادِ، وابنُ إسحاقَ، وخَلْقٌ.

وكان أحدَ الثِّقاتِ مِن أصحابِ أبي هُريرةَ.

تُوفِّي بالإسكندريَّةِ سنةَ: سبعَ عشرةَ[1] ومئةٍ.

ـ ومنهم: نافعُ مولى ابنِ عمرَ.

مِن المغربِ، وقيل: مِن نَيسابُور، وقيل: مِن سَبيِ كابُلَ.

رَوى عن: ابنِ عمرَ، وأبي لُبابَةَ، وأبي هُريرةَ، وعائِشةَ، وآخرينَ مِن الصَّحابة والتّابعين.

رَوى عنه: الأئمَّةُ مالكٌ، واللَّيثُ، والأَوزاعيُّ، وابنُ جريجٍ، وخلائقُ.

قال مالكٌ: كنتُ إذا سمعتُ منه لا أُبالي ألا أسمعَه مِن غيرِه.

وقال عبيدُ اللهِ بنُ عمرَ: لقد مَنَّ الله علينا بنافعٍ.

وبعثَه عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ إلى مصرَ يُعلِّمُهم السُّننَ، وأَعطَى فيه عبدُ اللهِ بنُ جعفرٍ لعبدِ اللهِ بنِ عمرَ اثني عشرَ ألفًا فأَبى وأَعتقه.

تُوفِّي سنةَ: سبعَ عشرةَ، أو تسعَ عشرةَ، أو عِشرينَ ومئةٍ.

ـ ومنهم: عطاءُ ابنُ أبي رباحٍ.

أحدُ الأئمَّةِ الأعلامِ، مُفتي أهلِ مكةَ ومُحدِّثُهم، القُدوةُ العَلَمُ.

سَمع مِن: ابنِ عباسٍ، وأبي هريرةَ، وعائشةَ، وأمِّ سلَمةَ، وطائفةٍ.

وعنه: أبو حنيفةَ وقال: ما رأيتُ أفضلَ منه.

---

(١) «عشرة» سقط مِن (ك).

وكان أسودَ فصيحًا مفوَّهًا، كثيرَ العِلم والعَملِ، بحرًا مِن البُحور، وكان يُعلِّمُ الأكابرَ العِلمَ.

وأتاهُ سُليمانُ بنُ عبدِ المَلِكِ، فجَلسَ بينَ يدَيه، فعلَّمَه مناسِكَ الحَجِّ، ثمَّ التفتَ سُليمانُ إلى أولادِه فقال: تَعلَّموا العِلمَ، وانظروا إلى ذُلِّي بينَ يدَي هذا العبدِ الأسود، حتّى يُعلِّمني أمرَ ديني.

قال الإمامُ أحمد: خَزائنُ العِلمِ لا يَقسِمها اللهُ تعالى إلّا لمَن أحبَّ، ولو كان يُخَصُّ بالعِلمِ أحدٌ لكان أهلُ النَّسبِ أولى، فكان عطاءٌ عبدًا حَبشيًّا، وكان يَزيدُ بنُ أبي حَبيبٍ نُوبيًّا، وكان الحسنُ البَصريُّ مولًى، وكان ابنُ سِيرينَ مولًى للأنصار، انتهى.

ومِن المَوالي أيضًا على ما قالَه الزُّهريُّ: مكحولٌ، وطاوسٌ، والنَّخعيُّ، وميمونُ بنُ مِهرانَ، والضَّحاكُ بنُ مُزاحِمٍ.

حجَّ عطاءٌ سبعينَ حَجَّةً، وعاشَ مئة سنةٍ، وتُوفِّي بمكَّةَ سنةَ: خمسَ عشرةَ ومئةٍ.

- **ومنهم**: الأعمشُ سليمانُ بنُ مِهرانَ الكوفيُّ، أحدُ الأعلام. رأى أنسًا.

ورَوى عن: عبدِ اللهِ بنِ أبي أوفى، وأبي وائلٍ، وإبراهيمَ النَّخعيِّ، وخَلْقٍ.

رَوى عنهُ: شعبةُ، وسُفيانُ، ووكيعٌ، وأبو مُعاويةَ الضَّريرُ، وأبو نُعيمٍ، وخلائقُ.

قال ابنُ عُيينةَ: سَبقَ الأعمشُ أصحابَه بأربعٍ: كان أقرأَهم للقُرآنِ، وأحفَظَهم للحديثِ، وأعلمَهم بالفرائضِ، وذَكرَ خَصلةً أُخرى.

وقال عيسى بنُ يونسَ: لم نرَ نحن ولا القَرنُ الذين كانُوا قبلَنا مثلَ الأعمشِ، وما رأيتُ الأغنياءَ والسَّلاطينَ عندَ أحدٍ أحقرَ منهم عندَ الأعمشِ مع فقرِه وحاجتِه.

وقال وكيعٌ: أقامَ قريبًا مِن سبعينَ سنةً لم تَفُتْه التَّكبيرةُ الأُولى.

وقال يحيى القَطانُ: كان مِن النُّساكِ، وكان علّامةَ الإسلام.

وقال أبو بكرِ بنُ عيّاشٍ: كنّا نُسَمِّيه سيِّدَ المحدِّثينَ.

وقال العِجليُّ: كان ثقةً ثَبتًا، مُحدِّثَ أهلِ الكوفةِ.

ماتَ سنةَ: ثماني وأربعين ومئةٍ، وهو ابنُ ثماني وثمانينَ سنةً.

ـ ومنهم: مَعمَرُ بنُ راشدٍ الأَزْديُّ.

سَكنَ اليَمنَ، أحدُ الأئمَّةِ الأعلام.

رَوى عن: هَمّامِ بنِ مُنبِّهٍ، وعمرِو بنِ دينارٍ، ومحمدِ بنِ المُنكدرِ، والزُّهريِّ، وطبقتِهم.

رَوى عنه: الأئمَّةُ شُعبةُ، وابنُ المُباركِ، وابنُ عُليَّةَ، والسُّفيانانِ، وعبدُ الرَّزّاقِ، وخَلْقٌ.

قال أحمدُ: لا يُضَمُّ أحدٌ إلى مَعْمَرٍ إلّا وجدتُه يَتقدَّمُه، وكان مِن أَطلبِ أهلِ زمانه للعِلمِ، وقال ابنُ جُريجٍ: لم يبقَ أحدٌ مِن أهلِ زمانِه أَعلمَ منه، وقال أبو حاتمٍ: صالحُ الحديثِ، وقال النَّسائيُّ: ثقةٌ مأمونٌ.

مات سنةَ: ثلاثٍ وخمسينَ ومئةٍ.

ـ ومنهم: ابنُ أبي ذئبٍ محمدُ بنُ عبدِ الرَّحمنِ القُرشيُّ العَامريُّ المَدنيُّ، يُكنى أبا الحارثِ، أحدُ الأئمَّةِ الأعلام.

رَوى عن: خالِه الحارثِ القُرشيِّ، ونافعٍ، وعِكرمةَ، وابنِ المُباركِ، وآخرينَ كثيرين.

رَوى عنه: الثَّوريُّ، ومَعْمَرٌ، وابنُ المُباركِ، والقَعنبيُّ، وعليُّ بنُ الجَعدِ، وخَلقٌ.

قال أحمدُ: كان شَبَهَ سعيدِ بنِ المسيَّبِ، قيل له: خَلَفَ مِثلَهُ ببلادِه [1]؟ قال: لا، ولا بغيرها، كان ثقةً صدوقًا، أفضلَ مِن مالكٍ، إلّا أنَّ مالكًا أشَدَّ تَنقيةً للرِّجالِ منه.

وسُئلَ أيضًا: مَن أعلمُ مَالكٌ أو ابنُ أبي ذئبٍ؟ فقال: ابنُ أبي ذئبٍ أكبرُ مِن مالكٍ، وأصلَحُ وأورَعُ وأقوَمُ بالحقِّ مِن مالكٍ عندَ السَّلاطينِ، وقد دخلَ على أبي جَعفرٍ وقال له: الظُّلمُ فاشٍ ببابكَ.

وقال يحيى بنُ مَعينٍ وأحمدُ بنُ صالحٍ: شيوخُ ابنُ أبي ذئبٍ كلُّهم ثقاتٌ، وقال النَّسائيُّ وغيرُه: ثقةٌ.

ولمّا حجَّ أبو جعفرٍ دعا ابنَ أبي ذئبٍ بدارِ النَّدوةِ، فقال: ما تقولُ فيَّ؟! مرَّتينِ أو ثلاثًا فقال: وربِّ هذه الثَّنيَّةِ إنك لَجائرٌ.

ولمّا حجَّ المهديُّ، ودَخل المسجدَ النَّبويَّ، فقامَ له الناسُ إلّا ابنَ أبي ذئبٍ، فقال له المسيَّبُ بنُ زهيرٍ: قُمْ هذا أميرُ المؤمنين، فقالَ ابنُ أبي ذئبٍ: إنَّما يَقومُ الناسُ لربِّ العالمين، فقال المهديُّ: دعْهُ، فلقد قامت كلُّ شعرةٍ في رأسي.

وكان مولدُه سنةَ: ثمانين، وتُوفِّي سنةَ: ثمانٍ وخمسين، أو تسعٍ وخمسين ومئةٍ.

ـ ومنهم: سفيانُ بنُ عُيينةَ بنِ أبي عِمرانَ المكيُّ، مَولى محمدِ بنِ مُزاحمٍ، أحدُ أئمَّةِ الإسلامِ.

حَفظَ القُرآنَ وهو ابنُ أربعِ سنينَ، وكَتَبَ الحديثَ وهو ابنُ سبعِ سنينَ.

رَوى عن: عمرِو بنِ دينارٍ، والزُّهريِّ، وعبدِ اللهِ بنِ دينارٍ، وابنِ المُنكدرِ، وخَلائقَ مِن التّابعين فمَن بعدَهم.

---

(١) «ببلاده»: سقط مِن (ك).

رَوى عنه: الشافعيُّ، وأحمدُ، ويحيى بنُ مَعينٍ، وعليُّ بنُ المَدينيِّ، والحُميديُّ، وأُمَمٌ سِواهُم.

قال الشافعيُّ: مالكٌ وابنُ عُيينَةَ القَرينانِ، لولاهما لذَهبَ عِلمُ الحِجازِ، وقال أيضًا: ما رأيتُ مَن فيهِ مِن آلةِ العِلمِ ما في سفيانَ، وقال ابنُ المَدينيِّ: ما رأيتُ في أصحابِ الزُّهريِّ أتقَنَ منه، وقال ابنُ وَهْبٍ: ما رأيتُ أحدًا أعلمَ بكتابِ اللهِ منه.

ماتَ سنةَ: ثمانٍ وتسعينَ ومئةٍ بمكَّةَ.

ـ ومنهم: اللَّيثُ بنُ سعدِ بنِ عبدِ الرَّحمنِ المصريُّ، عالِمُ أهلِ مصرَ، يُكنى: أبا الحارث.

رَوى عن: نافعٍ، وعطاءِ ابنِ أبي رَباحٍ، وخلائقَ.

رَوى عنه: ابنُه شُعَيبُ، وابنُ المباركِ، وابنُ وَهْبٍ، والقَعنَبيُّ، وقُتَيبَةُ، وأُمَمٌ لا يُحصَون.

وُلدَ بِقَلْقَشنْدةَ مِن قُرى مصرَ.

قال: أحمدُ ثقةٌ ثبْتٌ، أصحُّ الناسِ حديثًا عن المَقْبُريِّ، ما في المصريين أثبتَ منه.

وقال ابنُ المَدينيِّ: ثَبْتٌ.

وقال يحيى بنُ بُكَيرٍ: ما رأيتُ أكملَ منه، كان فقيهًا عربيَّ اللِّسانِ، يُحسِنُ القرآنَ والنَّحوَ، ويَحفظُ الشِّعرَ والحديثَ، حسَنُ المُذاكرةِ، لم أرَ مثلَه، وقال أيضًا: هو أفقهُ مِن مالكٍ، لكن الحُظوةُ لمالكٍ.

وقال ابنُ وَهبٍ: لولا مالكٌ واللَّيثُ لهلكتُ.

وقال ابنُه شُعيبٌ: حَجَجْتُ مع أبي، فَقدِمَ المدينةَ، فَبَعثَ إليه مالكٌ بطَبَقِ رُطَبٍ، فجَعلَ على الطَّبقِ ألفَ دينارٍ، وردَّه إليه، وكان أبي يَشتغل في السَّنةِ ما بينَ عشرينَ ألفَ دينارٍ إلى خمسةٍ وعشرينَ ألفًا، تأتي عليه السَّنةُ وعليه دَينٌ.

وقال محمدُ بنُ رُمحٍ: كان دَخْلُه ثمانينَ ألفَ دينارٍ، ما وَجَبتْ عليه زكاةٌ، حتّى قيلَ: إنَّه أنشدَ عندَ موتِه:

بَـذَرْتُ المـالَ فـي أرضِ العَطَايـا ... فَأَصْبَحـت المـكارِمُ مِـن حَصَـادِي

ومـا وَجَبـتْ عَلـيَّ زَكاةُ مـالٍ ... وهلْ تَجِبُ الـزَّكاةُ على الجَوادِي؟!

وسألَه أبو جعفرٍ أنْ يليَ له مِصرَ فلم يرضَ.

وُلدَ سنةَ: أربعٍ وتسعينَ، وتُوفِّي سنةَ: خمسٍ وسبعينَ ومئةٍ.

- **ومنهم**: يحيى القَطانُ البَصريُّ، أحدُ الحُفّاظِ الأعلام.

رَوى عـن: هشـامِ بنِ عـروةَ، ويحيى بنِ سـعيدٍ الأنصاريِّ، وابـنِ جُريجٍ، وابنِ أبي ذئـبٍ، ومالكٍ، والثَّـوريِّ، وابنِ عُيينةَ، وشُـعبةَ، وخلائقَ.

رَوى عنـه: ابنُـه محمـد، والأئمَّـةُ شـعبةُ، والسُّـفيانانِ، وابنُ مهـديٍّ، وأحمدُ، وإسـحاقُ، وابـنُ المدينيِّ، وابـنُ معيـنٍ، وخلائقُ.

واتَّفقوا على إمامتِه وجلالتِه، ووفورِ حفظِه وعلمِه وصلاحِه.

قـال أحمـدُ بـنُ حنبـلٍ: ما رأيـتُ مثـلَ يحيـى القطّـانِ فـي كلِّ أحوالِـه، وقال أيضًـا: مـا رأَتْ عينـايَ مثلَـه فـي كلِّ أحوالِـه، هـو أثبـتُ مِن وكيـعٍ وعبـدِ الرَّحمن ويزيـدَ بنِ هـارونَ.

وقال: ما كان أضبَطَه، وأشدَّ تفقُّدَه! وقال: ما رأيتُ أحدًا أقلَّ حظًّا منه.

وقال ابنُ المَدينيِّ: ما رأيتُ أحدًا أعلمَ بالرِّجالِ منه، ولم أرَ أحدًا أثبَتَ منه، وقال ابنُ مَهديٍّ: لا ترى بعينَيك مثلَه أبدًا.

وقال إسحاقُ بنُ إبراهيمَ: كنتُ أَراه يُصلِّي العصرَ ثمَّ يَستندُ إلى أصلِ منارةِ المسجد، فيقفُ بينَ يدَيه أحمدُ وابنُ المدينيِّ وابنُ مَعينٍ وغيرُهم، يَسألونَه عن الحديثِ، وهم قيامٌ على أرجلِهم إلى قُربِ المَغربِ، لا يقولُ لواحدٍ منهم: اجلسْ، ولا يَجلسونَ هيبةً له وإعظامًا.

وقال ابنُ مَعينٍ: أقامَ عشرينَ سنةً يختِم القرآنَ في ليلةٍ، وقال العِجليُّ: كان لا يُحدِّثُ إلّا عن ثقةٍ، وقال بُندارٌ: يحيى إمامُ أهلِ زمانِه، اختلفْتُ إليه عشرينَ سنَةً، فما أظنُّ أنَّه عصى اللهَ قطُّ، وقال النَّسائيُّ: أُمناءُ الله على حديثِ رسولِه: شعبةُ ومالكٌ ويحيى القطّانُ.

وُلدَ سنةَ: عشرينَ ومئةٍ، وتُوفِّي سنةَ: ثمانٍ وتسعين ومئةٍ.

- ومنهم: عبدُ اللهِ بنُ المباركِ أحدُ الأئمَّة الأعلام.

رَوى عن: حُميدٍ الطَّويلِ، وسليمانَ التَّيميِّ، ويحيى بنِ سعيدٍ الأنصاريِّ، وخلقٍ، ثمَّ عن شعبةَ، ومالكٍ، والثَّوريِّ، ثمَّ عن ابنِ عُيينةَ، وأبي إسحاقَ الفَزاريِّ، وغيرِهما.

رَوى عنه: مَعْمَرٌ، والسُّفيانانِ، وعبدُ الرَّحمنِ بنُ مهديٍّ، ويحيى بنُ مَعينٍ، وخلائقُ.

قال ابن المُباركِ: حَملْتُ عن أربعةِ آلافِ شيخٍ، فرَوَيتُ عن ألفٍ.

وقيل له: إلى متى تكتُبُ العِلمَ؟ قال: لعلَّ الكلمةَ التي أَنتفِعُ بها ما كتَبتُها بعدُ.

وقال أحمدُ: لم يكنْ في زَمنِه أطلبُ للعِلمِ منه.

رحلَ إلى اليمنِ ومصرَ والشامِ والبَصرةِ والكوفةِ، كتبَ عن الصِّغارِ والكبارِ، وجَمعَ أمرًا عظيمًا، فكان صاحِبَ حديثٍ حافظًا.

وقال ابنُ مَعينٍ: ثقةٌ مُستَثبِتٌ.

كان عالِمًا صحيحَ الحديثِ، وكانت كتبُه التي حدَّثَ بها عشرينَ ألفًا أو أحدًا وعشرينَ ألفًا، وكان ابنُ مَهديٍّ يُفضِّلُه على الثَّوريِّ وقال: ما رأيتُ أَنصَحَ للأمَّةِ منه.

وقال ابنُ عُيينةَ: ما رأيتُ للصَّحابةِ عليه فضلًا، إلّا لصُحبَتِهم النَّبيَّ ﷺ وغزوِهم معه، وقال: كان فقيهًا عالمًا عابدًا زاهدًا شجاعًا شاعرًا.

وقال الفُضَيلُ: ما خَلَفَ بعدَه مثلُه، وقال الحسنُ بنُ عيسى: اجتمعَ جماعةٌ مِن أصحابِه فَعدُّوا خِصالَه فقالوا: جَمعَ العِلمَ، والفقهَ، والأدبَ، والنَّحوَ، واللُّغةَ، والشِّعرَ، والفَصاحةَ، والزُّهدَ، والوَرعَ، والإنصافَ، وقيامَ اللَّيلِ، والعِبادةَ، والحَجَّ، والغزوَ، والشَّجاعةَ، والشِّدةَ في بدنِه، وتَرْكَ الكلامِ فيما لا يَعنيه، وقِلَّةَ الخِلافِ على أصحابِه.

وكان كثيرًا ما يَتمثَّل:

وإذا صاحبْتَ فاصْحَب صاحِبًا ... ذا حياءٍ وعَفافٍ وكَرمْ
قولُه للشَّيءِ: لا، إنْ قلتَ: لا ... وإذا قلتَ: نَعمْ، قال: نَعمْ

وله شِعرٌ رائقٌ في الزُّهدِ والمواعظِ.

قال ابنُ سعدٍ: كان ثقةً مأمونًا، إمامًا حُجَّةً.

وُلِدَ سنةَ: ثماني عشرةَ ومئةٍ، وماتَ مُنصَرِفًا مِن الغزوِ سنةَ: إحدى وثمانينَ ومئةٍ.

ـ **ومنهم**: يحيى بنُ مَعينٍ الغَطفانيُّ البَغداديُّ.

الحافِظُ العَلَمُ، مُزَكِّي الرُّواةَ، وإمامُ أهلِ الحديثِ في زَمنِه.

رَوى عن: ابنِ عُيينةَ، وابنِ المُبارَكِ، ويحيى القَطّانِ، ووكيعٍ، وابنِ مَهديٍّ، وخلائقَ.

رَوى عنه: أحمدُ بنُ حنبلٍ، والبُخاريُّ، ومسلمٌ، وعيّاشٌ الدُّوريُّ، وجعفرُ بنُ محمَّدٍ، وأبو يعلى المَوصليُّ، وخَلْقٌ كثيرون.

وأجمعوا على إمامتِه وتوثيقِه وحفظِه، وجلالتِه وتَقدُّمِه.

قال محمد بنُ نَصْرٍ: سمعْتُ ابنَ مَعينٍ يقول: كتبتُ بيدي ألفَ ألفِ حديثٍ.

وقال ابنُ المَدينيِّ: ما أعلمُ أحدًا كتبَ ما كتبَ، وقال: انتهى العِلمُ إلى ابنِ المُبارَكِ، وبعدَه إلى ابنِ مَعينٍ، وقال أيضًا: دارَ حديثُ الثِّقاتِ إلى جَماعةٍ إلى أنْ قال: وصارَ حديثُ هؤلاءِ كلِّهم إلى يحيى بنِ مَعينٍ.

قال أبو زُرعةَ: ولم يُنتفعْ به؛ لأنَّه كان يتكلَّمُ في الناس.

وقال أبو عُبيدٍ: أعلَمُهم بصَحيحِ الحديثِ وسَقيمِه يحيى بنُ معينٍ.

وقال أحمدُ: أعلمُنا بالرِّجالِ يحيى بنُ معينٍ، وقال أيضًا: السَّماعُ مع يحيى بنِ مَعينٍ شِفاءٌ لما في الصُّدورِ، وقال أيضًا: يحيى بنُ مَعينٍ رَجلٌ خَلقَهُ اللهُ لهذا الشَّأنِ، يُظهِرُ كَذِبَ الكذّابينَ، وقال أيضًا: كلُّ حديثٍ لا يعرِفُه يحيى فليسَ بحديثٍ.

وقال يحيى بنُ سعيدٍ: ما قَدِمَ علينا مثلُ أحمدَ ويحيى.

وُلِدَ سنةَ: ثماني وخمسينَ ومئةٍ، وتُوفِّي سنةَ: ثلاثٍ وثلاثينَ ومئتَين بالمدينةِ المُنوَّرةِ.

دَخلَها ليلةَ الجمعة، فماتَ في تلكَ اللَّيلة، وأُخرجَتْ له الأعوادُ التي غُسِّلَ عليها النَّبيُّ ﷺ فغُسِّلَ عليها.

وقال عيّاشٌ: حُمِلَ على أعوادِ النَّبيِّ ﷺ، ونُودِيَ بين يدَيه: هذا الذي كان يَنفي الكَذبَ عن رسول الله ﷺ.

قال هارونُ بنُ بشيرٍ الرّازيُّ: رأيتُ يحيى بنَ مَعينٍ مُستقبِلَ القبلَةِ رافعًا يدَيه يقولُ: اللَّهمَّ إنْ كنتُ تكلَّمتُ في رَجُلٍ ليس هو عندي كذّابًا فلا تَغفِرْ لي.

وخَلَّفَ له والدُه مَعينٌ ألفَ ألفِ درهمٍ، وخمسينَ ألفَ درهمٍ، فأنفقَها كلَّها في الحديث، حتّى لم يبقَ له نعلٌ يلبَسُها.

ـ ومنهم: يزيدُ بنُ هارونَ الواسِطيُّ أحدُ الأئمَّةِ الأعلام.

رَوى عن: سليمانَ التَّيميِّ، وحُميدٍ، ويحيى بنِ سعيدٍ الأنصاريِّ، وهشامِ بنِ حَسّانَ في خلائقَ مِن التّابعينَ وأتباعِهم.

رَوى عنه: الأئمَّةُ أحمدُ، وإسحاقُ، وابنُ المَدينيِّ، والذُّهليُّ، وابنُ أبي شَيبةَ، وآخرون.

قال أحمدُ: كان حافظًا مُتقِنًا، وقال ابنُ المَدينيِّ: ما رأيتُ أحفظَ منه، وقال أبو بكرِ بنُ أبي شيبةَ: ما رأيتُ أَتقنَ حِفظًا منه، وقال أبو حاتِم: ثقةٌ إمامٌ صدوقٌ، لا يُسأَلُ عن مثلِه، وقال ابنُ سعدٍ: ثقةٌ كثيرُ الحديثِ، وقال العِجلِيُّ: ثقةٌ ثبتٌ، وكان مُتعبِّدًا، وكان يصلِّي الضُّحى سِتَّ عشرةَ رَكعةً، وقال أحمدُ بنُ سنانٍ: ما رأيتُ عالمًا قطُّ أحسنَ صلاةً منه.

وقال عاصمُ بنُ عليٍّ: كان إذا صلَّى العَتمةَ لا يزالُ قائمًا حتّى يُصلِّي الغَداةَ بذلكَ الوضوءِ نيِّفًا وأربعينَ سَنةً، وقال يعقوبُ بنُ شَيبةَ: كان مِن الآمِرينَ بالمَعروفِ والنّاهين عن المُنكرِ.

وقال محمد بنُ قُدامةَ الجَوهَريُّ عنه: أحفَظُ خمسةً وعشرينَ ألفَ إسنادٍ، وأنا سيِّدُ مَن رَوى عن حمّاد بنِ سلمةَ ولا فَخرَ.

وقال عليُّ بنُ شُعَيبٍ السِّمْسارُ: سمعتُه يقول: أحفَظُ أربعةً وعشرينَ ألفَ حديثٍ بالإسنادِ ولا فَخرَ، وأحفَظُ للشّامِيِّينَ عشرينَ ألفَ حديثٍ لا أُسألُ عنها.

وحدَّثَ ببغدادَ، فَحُزِرَ مجلِسُه تسعينَ ألفًا.

ماتَ سنةَ: ستٍّ ومِئتينِ.

ـ ومنهم: عبدُ الرَّزّاق بنُ هَمّامٍ الحِمْيَريُّ الصَّنعانيُّ، يُكنى أبا بكرٍ، أحدُ الأئمَّةِ الأعلام.

رَوى عن: أبيه، وابنِ جَريجٍ، وسفيانَ، ومالكٍ، والأوزاعيِّ، وخَلائقَ.

رَوى عنه: الأئمَّةُ أحمدُ، وإسحاقُ، وابنُ مَعينٍ، وابنُ المَدينيِّ، وخَلائقُ.

قيل لأحمدَ: رأيتَ أحسنَ حديثًا منه؟ قال: لا.

قال ابنُ عَدِيٍّ: رحلَ إليه ثقاتُ المسلمينَ وأثبتُهم، إلّا أنَّهم نسَبوه إلى التَّشييع، وسُئلَ عنه أحمدُ فقالَ: أمّا أنا فلم أَسمَعْ منه في هذا شيئًا.

وقد صحَّ أنَّه قال: واللهِ ما انشرحَ صَدري قطُّ أنْ أُفضِّلَ عليًّا على أبي بكرٍ وعمرَ.

تُوفِّي سنةَ: إحدى عشرةَ ومئتينِ، وكان مولدُه عامَ: ستٍّ وعشرينَ ومئةٍ، قاله أحمدُ.

- ومنهم: البُخاريُّ محمد بنُ إسماعيلَ.

الحافِظُ العَلَـمُ، أميرُ المؤمنيـنَ في الحديثِ، مؤلِّـفُ «الصَّحيـحِ» و«التّاريخِ» وغيـرِ ذلك.

كتبَ بخُراسانَ، والجبالِ، والعراقِ، والحِجازِ، والشّامِ، ومصرَ.

فَرَوى عن: مكيِّ بنِ إبراهيمَ، وأبي عاصمٍ الضَّحاكِ، ومحمدِ بنِ عبدِ اللهِ الأنصاريِّ، وأبي نُعيمٍ الفَضلِ، وخَلائقَ مِن هذه الطَّبقةِ ومَن بعدَهم، حتّى كتبَ عن أقرانِه، وعن أصغرَ منه، حتّى زادَ عددُ شيوخِه على الألفِ.

رَوى عنه: مسلمٌ، والتِّرمذيُّ، وأبو زُرعةَ، وابنُ خُزَيمَةَ، وابنُ صاعدٍ، وأبو حامدٍ، ومحمدُ بنُ يوسفَ، ومنصورُ بنُ محمَّدٍ، وآخرونَ كثيرونَ.

أُلهِمَ حِفظَ الحديثِ في الكُتَّابِ وهو ابنُ عشرِ سنينَ، وحَفظ كُتبَ ابنِ المُباركِ ووكيعٍ وهو ابنُ ستَّ عشرةَ سنةً.

وخَرجَ مع أُمِّه إلى مكَّةَ وتَخلَّفَ بها يَطلبُ، وصَنَّفَ وهو ابنُ ثماني عشرةَ سنةً التّاريخَ عندَ قبرِ رسولِ الله ﷺ.

قال ابنُ عُقدةَ: لو كتبَ الرَّجلُ ثلاثينَ ألفًا ما استَغنى عن تاريخِ البخاريِّ[١].

وشرعَ في جَمعِ الصَّحيحِ أيّامَ إسحاقَ بنِ رَاهويه، وقال: أَخرَجتُه مِن زُهاءَ ستِّ مئةِ ألفِ حديثٍ، وما أدخلتُ فيه إلّا ما صحَّ، وتركتُ مِن الصِّحاحِ لحالِ الطُّول، وما وضعتُ في الصَّحيح حديثًا إلّا اغتسلتُ قبلَ ذلكَ، وصلَّيتُ رَكعتَين.

---

(١) العبارة كما في «تاريخ بغداد» (٢/ ٣٢٦) وغيره: «لو أنَّ رجلاً كَتب ثلاثينَ ألفَ حديثٍ لما استغنى عن كتاب تاريخ محمد بن إسماعيل البخاري».

قال أحمدُ: ما أَخرَجَتْ خراسانُ مثلَه، وقال ابنُ المَدينيِّ: ما رأى مثلَ نفسِه، وقال يعقوبُ الدَّوْرقيُّ ونُعيمُ بنُ حمادٍ: هو فقيهُ هذهِ الأُمَّة، ولمّا دخلَ البصرةَ قال بُندار: دخلَ اليومَ سيِّدُ الفُقهاءِ.

وقال أبو مُصْعَبٍ: لو أَدرَكتُ مالِكًا ونظرتُ إليه وإلى محمدِ بنِ إسماعيلَ لقُلتُ: كلاهُما واحدٌ في الفقهِ والحديثِ، وقال أبو حاتِمٍ: هو أعلمُ مَن دخلَ العراقَ.

وقصَّتُه مع أهلِ بغدادَ مَشهورةٌ، حيثُ قَلبوا عليه مِئةَ حديثٍ حين قَدِمَ عليهم، فردَّ كلَّ إسنادٍ إلى مَتنِه، ذَكَرها ابنُ عَدِيٍّ عن عِدَّةٍ مِن المشايخ[1].

واجتمعَ في مجلسِه أكثرُ مِن عشرينَ ألفًا.

وجرتْ له مِحنةٌ مع خالدِ بنِ أحمدَ والي بخارى، فنفاهُ مِن البلدِ، فجاءَ إلى خَرْتَنْكَ قريةٌ مِن قُرى سمرقندَ، فنزلَ على أقاربَ له بها.

قال عبدُ القدُّوسِ بنِ عبدِ الجَبّار: سمعتُه ليلةً وقد فَرغَ مِن صلاةِ اللَّيلِ يدعو ويقول: «اللَّهمَّ إنَّه قد ضاقَتْ عليَّ الأرضُ بما رَحُبتْ، فاقبِضني إليك»، فما تمَّ الشَّهرُ حتّى قبضَه اللهُ، فتُوفِّي ليلةَ عيدِ الفطرِ سنة: ستٍّ وخمسينَ ومئتَين، ووُلد في ثالثَ عشرَ شوّالٍ سنةَ: أربعٍ وتسعينَ ومئةٍ، ومناقبُه مشهورةٌ.

ـ **ومنهم**: مسلمُ بنُ الحجّاجِ أبو الحُسينِ القُشيريُّ النَّيسابوريُّ.

أحدُ الحُفّاظِ الأعلامِ، ومُصنِّفُ «الصَّحيح»، و«المُسنَد الكبير» على أسماءِ

---

(١) روى هذه القصةَ ابنُ عديٍّ في جزئِه «أسامي مَن رَوى عنهم محمدُ بنُ إسماعيلَ البخاريُّ مِن مشايخه» (ص٥٢)، قال: «سمعتُ عدَّةَ مشايخَ يَحكون»، ثم ساقها.

الرِّجالِ، و«الجامع الكبير» على الأبوابِ، وكتابِ «العِلَل»، وكتابِ «أوهامِ المُحدِّثين»، وكتابِ «التَّمييزِ»، وكتابِ «الطَّبقاتِ»، وكتاب «الوِحدان»، وكتابِ «المُخضرَمين».

رَوى عن: عبدِ اللهِ بنِ مسلمةَ القَعنبيِّ، وعليِّ بنِ الجَعْدِ، ويحيى بنِ يحيى التَّميميِّ، وسعيدِ بنِ منصورٍ وخَلائقَ.

رَوى عنه: أبو عيسى التِّرمذِيُّ، وأبو العبّاسِ السَّرّاجُ، وأبو بكرِ بنُ خُزيمةَ، وإبراهيمُ بنُ محمدِ بنِ سفيانَ، وأبو عَوانةَ الإسفراييني وخَلقٌ.

قال أحمدُ بنُ سَلمَةَ النَّيسابُوريُّ: رأيتُ أبا زُرْعَةَ وأبا حاتِمٍ يُقدِّمانِ مُسلِمًا في معرفةِ الصَّحيحِ على مشايخِ عصرِهما.

وكان مولِده سنةَ: أربعٍ ومئتينِ، وتُوفِّي لخمسٍ بَقِينَ مِن شهرِ رَجَبٍ سنةَ: إحدى وستِّينَ ومئتَينِ بنيسابورَ.

فقيلَ: إنَّه بلغَ ستِّينَ سنةً، وبه جزمَ الذَّهبيُّ، وقيلَ: خمسًا وخمسينَ سنةً، وبه جزمَ ابنُ الصَّلاحِ، وكلاهُما مخالفٌ لما تقدَّمَ مِن تاريخِ مولِدِه، والله تعالى أعلم.

وبالجملة: فالمُجتهدونَ كثيرٌ، فمِن أصحابِ المذاهبِ المَشهورينَ غيرُ مَن ذَكرنا سابقًا: عطاءٌ، ومجاهدٌ، والضَّحاكُ، وسعيدُ بنُ جُبيرٍ، وعكرِمةُ، والحسَنُ البَصريُّ، وسُفيانُ الثَّوريُّ، وداودُ الظّاهريُّ، وقُتيبةُ بنُ سعيدٍ، والأوزاعيُّ، والشَّعبيُّ، وإسحاقُ بنُ راهُويَه، وأبو ثَورٍ، وابنُ المَدينيِّ، وشعبةُ، وطاوسٌ، ووكيعٌ، وابنُ جُريجٍ، وابنُ جَريرٍ، وابنُ أبي ليلى، وعمرُ بنُ عبدِ العزيزِ، ومكحولٌ الدِّمشقيُّ، وقد أضربْنا عن ذِكرِ مناقبِهم خوفَ الإطالةِ، واكتفاءً بشهرتِهم.

قـال الحافـظُ السُّـيوطيُّ: «اعلـمْ: أنَّ مِـن المُجتهديـنَ أبـا حنيفةَ، والسُّـفيانَين الثَّـوريَّ وابـنَ عُيينـةَ، ومالـكًا، والشـافعيَّ، وأحمـدَ بـنَ حنبـلٍ، واللَّيثَ بنَ سَـعدٍ، وإسـحاقَ، والأوزاعـيَّ، وأبا ثَورٍ الـذي كان يُفتي الجُنيدَ بمذهبِـه، وداودَ الظّاهريَّ، وهـؤلاءِ المُجتهـدونَ علـى هدًى مِـن ربِّهم فـي العقائـدِ وغيرِها، وكان لـكلٍّ منهم أتبـاعٌ إلـى خـروجِ هُلاكُو مَلـكِ التَّتـار، فقَتـل الخَليفةَ ببغـداد، وجَعلَ كتُـبَ الأئمَّةِ فـي الدِّجلـةِ حتّى صارتْ كالجِسـرِ تَمـرُّ الخيلُ عليهـا، فعُدمَت الكتُب التـي تتعلَّقُ بالأئمَّـة، فاسـتقرَّ الحـالُ على هـذهِ الأربعـةِ مذاهـبَ الآنَ»، انتهى، وذلك فـي أيامِ المَلـكِ الظّاهرِ.

إذا تقرَّر هذا فهذا أوانُ الشُّروعِ في الكلامِ على مناقِبِ أئمَّةِ هذهِ المذاهبِ الأربعةِ، وهو المقصودُ مِن هذا الكتاب، وعلى اللهِ الهدايةُ لطريقِ الصَّواب.

* * *

البابُ الأوَّلُ

في ذِكرِ مناقبِ الإمامِ أبي حنيفةَ

رضي الله تعالى عنه

وهو الإمامُ العلَمُ، الحُجَّةُ البارِعُ الورِعُ، الذي أَجمعَ السَّلفُ والخَلَفُ على كَثرةِ عِلمِه وورَعِه وعبادتِه، ودِقَّةِ مَدارِكِه واستنباطاتِ أدلَّتِه، وكثرةِ احتياطِه في الدِّينِ وخَوفِه مِن اللهِ تعالى:

الإمامُ أبو حنيفةَ[1] النُّعمانُ بنُ ثابتِ بنِ زَوْطى[2] بنِ ماه.

وكان زَوْطى مِن أهلِ كابُلَ مَملوكًا لِبَني تَيمِ الله، فأَسلَم فأُعتِقَ، فولاؤُه لبني تَيمِ اللهِ بنِ ثَعلبة[3].

ووُلِدَ ثابتٌ على الإسلام.

---

(١) أبو حنيفة: هذه الكنيةُ نسبةٌ لدواة الحبر؛ لأنَّ (حنيفة) بلغة أهل العراق هي الدواةُ، فنُسب لها لشدة ملازمتها، وقيل: نسبةٌ لابنةٍ له اسمُها: (حنيفة)، وانظر «عقود الجمان» (ص٤١).

(٢) ضُبطت الزايُ بالفتح والضم، كما في «تاج العروس» (١٩/ ٣٢٦)، وقال العلامة أبو الوفا الأفغاني في حواشيه على «عقود الجمان» (ص٣٦): «الصواب بفتح الزاي، كما هو عندَ أهلِ اللسان من تلك البلاد اليوم، والاسمُ معروفٌ عندَهم، يُسمُّون به كثيرًا منفردًا ومركبًا إلى يومنا هذا».

(٣) هذه الرواية فيها مجاهيل، والصوابُ ما صحَّ عن إسماعيلَ حفيدِ أبي حنيفةَ قال: «أنا إسماعيلُ بنُ حمادِ بن النعمانِ بنِ ثابتِ بنِ النعمانِ بنِ المَرْزُبان، مِن أبناءِ فارسَ الأحرار، والله ما وقع علينا رقٌّ قط»، رواه الخطيبُ في «تاريخ بغداد» (١٥/ ٤٤٧) وغيرُه.

وأما ولاؤُهم لتيمِ الله بنِ ثعلبةَ فولاءُ مُوالاةٍ ومَنَعةٍ، كما نصَّ على ذلك الإمام أبو حنيفةَ نفسُه، رواه عنه الطحاويُّ في «شرح مشكل الآثار» (٧/ ٢٨٣) وغيرُه.

وقيل: هو النُّعمانُ بنُ ثابتِ بنِ النُّعمانِ بنِ المَرْزُبانِ[١] مِن أبناءِ فارسَ الأحرارِ[٢].

وذهبَ ثابتٌ وهو صغيرٌ إلى عليِّ بنِ أبي طالبٍ، فدعا له بالبَركةِ في ذُرِّيتِه، فكان ذا دِينٍ وعَقلٍ ومُروءةٍ.

وانتقل في فتنةِ الأنبارِ إلى نَسا، ووُلِدَ له أبو حنيفةَ بالكُوفةِ سنةَ: ثمانينَ مِن الهِجرةِ في خِلافةِ عبدِ المَلِكِ بنِ مَروانَ، فعاشَ سبعينَ سنةً، وتُوفِّي ببغدادَ سنةَ: مئةٍ وخمسينَ.

وكان رَبْعةً مِن الرِّجالِ ليس بالطَّويلِ ولا بالقَصيرِ.

وكان مِن أَحسنِ الناسِ صورةً، وأبلغِهم مَنطقًا، وأكمَلِهم إيرادًا، وأحلاهُم نَغمةً[٣]، وأَبينِهم على ما يُريد.

وفي رِوايةٍ: كان أبو حنيفةَ طُوالًا تَعلُوه سُمرةٌ، حَسنَ الوَجهِ، حَسنَ اللِّحيةِ، حَسنَ الثِّيابِ، طَيِّبَ الرِّيحِ، حَسنَ المَجلِسِ، حَسنَ الهيئةِ، هَيوبًا، لا يَتكلَّمُ إلّا جوابًا، ولا يَخوضُ فيما لا يَعنيهِ، يَلبسُ الكِساءَ بثلاثينَ دينارًا.

وفي رِوايةِ أبي مُطيعٍ: رأيتُ على أبي حنيفةَ يومَ الجُمعةِ رداءً وقميصًا قَوَّمتُهما بأربعِ مئةِ درهمٍ.

---

(١) المَرْزُبان: أعجميٌّ معرَّب، ومعناه بالعربي: الرئيسُ مِن الفرس، كما في «عقود الجمان» (ص٣٧)، وفي «تاج العروس» (٣٦/ ١٦٧): «المَرْزُبان: الفارس الشجاع المقدَّم على القوم دونَ الملك، معرَّبٌ».

(٢) هذا هو الصحيحُ، فيكون تمامُ اسمِه: النعمانُ بنُ ثابتِ بنِ النعمانِ بنِ المَرْزبانِ بنِ زَوْطى بنِ ماه، وهذا الذي نصَّ عليه مسعودُ بنُ شيبةَ في «التعليم»، وهو الموافقُ لما صحَّ عن إسماعيلَ بنِ حماد، كذا في حواشي «مناقب أبي حنيفة» للذهبي (ص١٣).

(٣) في (ش): «نعمة»، والصوابُ المثبتُ الموافقُ لما في كُتب التراجم.

وفي روايةِ أبي يوسفَ: رأيتُ على أبي حنيفةَ ثعالِبَ وفَنَكًا[١] وهو يُصلِّي، ورأيتُ عليه السِّنجابَ.

وفي روايةِ يحيى بنِ النَّضرِ: كان أبو حنيفةَ لبّاسًا، له جبَّةُ فَنكٍ، وجُبَّةُ سِنجابٍ.

وكانت ولادتُه في عَصرِ الصَّحابةِ، وهو مِن التابعينَ على الصَّحيحِ.

قال الحافظُ ابنُ حجرٍ: «أدركَ الإمامُ أبو حنيفةَ جماعةً مِن الصَّحابةِ؛ لأنَّه وُلدَ بالكوفةِ سنةَ: ثمانينَ مِن الهجرةِ، وبها يومئذٍ مِن الصَّحابةِ عبدُ اللهِ بنُ أبي أَوفى»[٢].

قال الحافظُ الذَّهبيُّ: «إنَّه رأى أنسَ بنَ مالكٍ رضي الله عنه، وهوَ صغيرٌ»[٣].

وذَكرَ جماعةٌ أنَّه رَوى عن جماعةٍ مِن الصَّحابة: أنسِ بنِ مالكٍ، وعمرِو بنِ حُريثٍ، وعبدِ الله بنِ أُنيسٍ، وعبدِ اللهِ بنِ الحارثِ، وجابرِ بنِ عبدِ اللهِ، وعبدِ اللهِ بنِ أبي أَوفى، وواثلةَ بنِ الأسقعِ، ومَعقلِ بنِ يسارٍ، وأبي الطُّفيلِ عامرٍ، وعائشةَ بنتِ عَجْرَدٍ.

والصَّوابُ: أنَّه لم تثبتْ روايتُه عن واحدٍ منهم بطريقٍ صحيحٍ، لكنْ صحَّ رؤياه لأنسِ بنِ مالكٍ حالَ صغرِه.

وأَدركَ بالسِّنِّ جماعةً مِن الصَّحابة في بلدانٍ شتّى حالَ صغرِه، ولم يروِ عن واحدٍ منهم[٤].

---

(١) الفَنَك: دابَّةٌ فروتُها أطيبُ أنواعِ الفراء وأشرفها، «القاموس المحيط» (ص٩٥١).

(٢) نقله الصالحيُّ في «عقود الجمان» (ص٥٠) عن فتوى لابن حجرٍ العسقلاني.

(٣) انظر «مناقب أبي حنيفة وصاحبيه» للذهبي: (ص١٤)، وقال في «السير» (٣/ ٣٨٧): «وإنما المحفوظ أنه رأى أنسَ بنَ مالكٍ لما قدم عليهم الكوفة».

(٤) قال الحافظ ابنُ كثيرٍ واصفاً أبا حنيفةَ: «فقيهُ العراق، وأحدُ أئمَّةِ الإسلام والسادةِ الأعلام، وأحدُ أركانِ العلماء، وأحدُ الأئمَّة الأربعةِ أصحابِ المذاهب المُتَّبعة، وهو أقدمُهم وفاةً؛ لأنه أَدرك عصرَ الصحابة، ورأى أنسَ بنَ مالكٍ، قيل: وغيرَه»، انظر «البداية والنهاية» (١٣/ ٤١٦).

قال بعضُهم: والظّاهرُ أنّه لم يلقَ أحدًا يُرشِدُه إلى ذلك حالَ صغرِه، بل كان مشغولًا بالكسبِ إلى أنْ أرشدَه الإمامُ عامرٌ الشَّعبيُّ إلى الاشتغالِ بالعِلمِ؛ لِما رأى مِن نَجابَتِه، فتفَقَّه على التّابعين، ورَوى عنهم وناظَرهم، وكان مِن أعيانِهم، فانتَهتْ إليه الرِّئاسةُ، فهو عالمُ الإسلامِ، وأحدُ الأئمَّةِ الأعلامِ، وعظيمُ أئمَّةِ المذاهبِ المتبوعةِ.

وارتحلَ إليه الناسُ مِن الأمصارِ، وقَصدُوه مِن سائرِ الأقطارِ، فَروى عنه جَمعٌ كثيرٌ، وجمٌّ غفيرٌ، مِن أهلِ مكَّةَ والمدينةِ، ومصرَ والشّام، وبغدادَ واليَمنِ، والبَصرةِ والكوفةِ، والمَوصلِ والجزيرةِ، ونَصِيبِينَ والأهوازِ، وكَرْمان وأصبَهانَ، وحُلوانَ وهَمَذانَ، وطَبَرِستانَ وجُرْجانَ، وخُراسانَ وسِجِسْتانَ، وبَلْخَ وبُخارى، وسَمَرقندَ ونَيسابُورَ، والرِّيِّ ونَهاوندَ وهَرَاةَ، وخوارِزْمَ وغيرِ ذلك مِن بلادِ الإسلام.

وكان ذلك مِصداقَ الحديثِ الذي رواه الشَّيخانِ[1] وغيرُهما مِن حديثِ أبي هريرةَ:

أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**لو كان الإيمانُ عندَ الثُّريّا**»، ولفظُ أبي نُعيمٍ[2]: «**لو كان العِلمُ مُعلَّقًا بالثُّريّا**»، زاد الطَّبرانيُّ[3] في حديثِ قيسٍ: «**لا تَنالُه العربُ، لنالَه رجالٌ**»، ولفظُ مسلمٍ[4]: «**لتناولَه رجلٌ مِن أبناءِ فارِس**».

---

(١) «صحيح البخاري» (٦/ ١٥١)، و«صحيح مسلم» (٤/ ١٩٧٣).

(٢) في «تاريخ أصفهان» (١/ ٢٣). وجاء في «الحلية» (٦/ ٦٤) بلفظ: «لو كان العلمُ مَنوطًا بالثُّريّا لتناوله رجالٌ مِن أبناء فارس».

(٣) جاء في «المعجم الكبير» (١٨/ ٣٥٣) بلفظ: «لو كان الإيمانُ مُعلَّقًا بالثُّريا لناله رجالٌ مِن فارس»، وبلفظ المؤلِّف عزاه في «كنز العمال» (١٢/ ٩١) إلى الطبراني.

(٤) رواه مسلمٌ بلفظَين، الأول (٤/ ١٩٧٢): «لو كان الدينُ عندَ الثريا لذهب به رجلٌ مِن فارس - أو قال - مِن أبناء فارس حتّى يتناولَه»، والثاني (٤/ ١٩٧٢): «لو كان الإيمانُ عندَ الثريا لناله رجالٌ مِن هؤلاء»، أي: مِن فارس.

فهذا أصلٌ صحيحٌ، يُعتمَدُ عليهِ في البِشارةِ والفضيلةِ، نظيرُ الحديثَينِ اللذَينِ في الإمامَينِ مالكٍ والشافعيِّ.

وما وردَ في فضلِ أبي حنيفةَ مِن الأحاديثِ فكذِبٌ موضوعٌ.

فمن ذلك حديثُ أبي هريرةَ: «يكون في أمَّتي رجلٌ يقال له: أبو حنيفةَ النُّعمانُ، هو سراجُ أمَّتي إلى يوم القيامة».

وفي لفظٍ: «يكون في أمَّتي رجلٌ اسمُه النُّعمانُ، وكُنيَته أبو حنيفةَ، هو سِراجُ أمَّتي».

وحديثُ ابنِ عمرَ يَرفعه: «يَظهر مِن بعدي رجلٌ يُعرَفُ بأبي حنيفةَ، يُحي اللهُ تعالى سُنَّتي على يدَيه».

وحديثُ: «أنَّه ﷺ بَصقَ في فمِ أنسٍ، وأَوصاه أنْ يَبصُقَ في فمِ أبي حنيفةَ»[١].

إلى غيرِ ذلك ممّا وردَ، فذلك ممّا لا أصلَ له.

والإمامُ أبو حنيفةَ غنيٌّ عن هذه الموضوعاتِ، التي لا تَروجُ على مَن له أدنى إلمامٍ بنقدِ الحديثِ.

تنبيه: توهَّمَ بعضُهم أفضليةَ أبي حنيفةَ على الأئمَّةِ الثلاثةِ بقوله ﷺ: «**خيرُ الناسِ القَرنُ الذي أنا فيه، ثمَّ الثاني، ثمَّ الثالث**»[٢]، وفي طريقٍ آخر: «**ثمَّ يجيءُ قومٌ لا خَيرَ فيهم**»[٣].

---

(١) تُنظر هذه الأخبارُ في «تنزيه الشريعة» لابن عِراق الكناني: (٢/ ٣٠)، و«الفوائد الموضوعة» للمؤلّف، المطبوعةِ ضمنَ هذا المجموعِ في المجلد الثاني منه.

(٢) انظر «مسند أحمد» (٤٢/ ١٢٣).

(٣) رواه هكذا الطبرانيُّ في «المعجم الكبير» (١٠/ ٩٢)، وأصلُ الحديث في الصحيحَينِ مِن حديث =

قال ابنُ حزمٍ: «ومعنى هذا الحديثِ إنَّما هو أنَّ كلَّ قَرنٍ مِن القرونِ المذكورةِ أكثرَ فضلًا بالجملةِ مِن القَرنِ الذي بعدَه، لا يجوزُ غيرُ هذا البتَّةَ؛ لأنه كان في عصر التابعينِ مَن هو أفسقُ الفاسقِين، كقَتلةِ عثمانَ والحُسينِ وابنِ الزُّبيرِ، وكالحَجّاجِ، ومَن خالفَ هذا لزمَه أنْ يقول: إنَّ هؤلاء الفُسّاقَ أفضلُ مِن كلِّ فاضِلٍ في القَرنِ الثّالثِ ومَن بعدَه، كسفيانَ والفُضيلِ وشعبةَ ومالكٍ والأوزاعيِّ واللَّيثِ ووكيعٍ وابنِ المباركِ والشافعيِّ وأحمدَ بنِ حنبلٍ وإسحاقَ وداودَ وغيرِهم، وهذا لا يقولُه أحدٌ»[1].

قال: «وما يبعدُ أنْ يكونَ في زمانِنا مَن هو أفضلُ مِن أفضلِ رجلٍ في التابعينَ الذينَ لا نصَّ فيهم، إذ لم يأتِ بالمنعِ مِن ذلك نصٌّ ولا بُرهانٌ»[2].

قال: «وأمّا الخبرُ المأثورُ[3] في أُويسٍ القَرنيِّ فلا يَصحُّ»[4]، انتهى.

= ابنِ مسعودٍ، ولفظُ البخاريِّ (٣/ ١٧١): «خيرُ الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوامٌ تسبق شهادةُ أحدِهم يمينَه، ويمينُه شهادتَه».

(١) «الفصل في المِلل والأهواء والنحل» (٤/ ٢٢٦).

(٢) «الفصل في المِلل والأهواء والنحل» (٤/ ٢٢٧).

(٣) الخبرُ الذي أشار إليه ابنُ حزمٍ وأنه مِن رواية أُسيرِ بنِ جابرٍ هو في «صحيح مسلم» (٤/ ١٩٦٨) عن عمرَ مرفوعًا: «إنَّ رجلًا يأتيكم مِن اليمن يقال له: أويس، لا يدع باليمن غيرَ أمٍّ له، قد كان به بياضٌ، فدعا الله فأذهبه عنه، إلا موضعَ الدينار أو الدرهم، فمَن لقيه منكم فلْيستغفرْ لكم».

(٤) «الفصل في المِلل والأهواء والنحل» (٤/ ٢٢٧)، وتمامُ عبارتِه: «لأنَّ مدارَه على أسيدِ بنِ جابرٍ، وليس بالقوي، وقد ذَكر شعبةُ أنه سأل عمرَو بنَ مرَّةَ - وهو كوفيٌّ قرنيٌّ مراديٌّ مِن أشرف مُرادٍ وأَعلمِهم - عن أويسٍ القرنيِّ؟ فلم يَعرفْه في قومِه»، كذا في نُسخ «الفصل في المِلل» المطبوعة، والصوابُ: (أُسَير بنُ جابرٍ).

وقال ابنُ حِبانَ في «الثقات» (٤/ ٥٣) في ترجمةِ أويسٍ القرنيِّ: «كان بعضُ أصحابِنا يُنكر كونَه =

فصلٌ فيمَن رَوى عنه أبو حنيفةَ

قد مرَّ قريبًا: أنَّ أبا حنيفةَ وُلِد في عَصرِ الصَّحابةِ، وكان في زمنِه جماعةٌ منهم.

وقد جَزمَ خلائقُ مِن أئمَّةِ المحدِّثينَ: أنَّ أبا حنيفةَ لم يَسمعْ مِن أحدٍ مِن الصَّحابة شيئًا؛ لأنَّ الثِّقاتِ مِن أصحابه، كأبي يوسفَ ومحمدٍ وعبدِ الرَّزاقِ بنِ هَمّامٍ وابنِ المُباركِ وأبي نُعيمٍ وغيرِهم، لم يَنقُلوا عنه شيئًا مِن ذلك، مع أنه ممّا يُتنافَسُ فيه، ويُفتخر به، لكنَّه رَوى عن الأئمَّةِ التّابعينَ، وغيرِهم مِن العُلماء الرّاسخين[1].

فَرَوى عن: نافعٍ مولى ابنِ عمرَ، وعطاءِ ابنِ أبي رباحٍ، ومجاهدٍ، وعِكرمةَ مولى ابنِ عبّاسٍ، والأسودِ، وعلقمةَ، ومَكْحولٍ، وحَمّادِ بنِ أبي سُليمانَ، والحسنِ البَصريّ، وابنِ أبي ليلى محمدٍ الكوفيِّ، وطاوسِ بنِ كَيْسانَ اليمانيِّ، ومالكِ بنِ أنسٍ، واللَّيثِ بنِ سعدٍ، والكَلْبيِّ محمدِ بنِ السّائبِ، ومحمدِ بنِ عمرِو بنِ شُعيبٍ عن جَدِّه، وإبراهيمَ النَّخَعيِّ، وجَعفرٍ الصّادِقِ، وثابتٍ البُنانيِّ، وسُفيانَ الثَّوريِّ، وسالمِ بنِ عبدِ الله بنِ عمرَ بنِ الخطّابِ أحدِ الفقهاءِ السَّبعةِ، وحَجّاجِ بنِ أَرْطأةَ أحدِ الفُقهاءِ، وسعيدٍ المَقْبُريِّ، وسعيدِ بنِ مَسروقٍ، وسُليمانَ بنِ مِهْرانَ الأَعمَشِ، وشعبةَ بنِ الحجّاجِ، وعامرٍ الشَّعبيِّ، وعامرِ بنِ عبد الله بنِ قيسٍ، وعبدِ الأعلى التَّيميِّ الكوفيِّ، وعبدِ الله بنِ المباركِ، وعبدِ الرَّحمن بنِ هُرْمُزَ الأَعرجِ، وعطاءِ بنِ السّائبِ الثَّقفيِّ، وعطاءِ بنِ يسارٍ الهُذليِّ المدنيِّ مولى مَيمونةَ، وعطاءٍ الخُراسانيِّ، وعمّار

= في الدنيا، ثنا عبدُ العزيز الرَّخيُّ قال: ثنا عباس بنُ محمد قال: ثنا قراد أبو نوحٍ سمعتُ شعبةَ يقول: سألتُ عمرَو بنَ مرَّةَ وأبا إسحاقَ عن أويسٍ القرنيِّ فلم يَعرفاه».

(١) قال الذهبيُّ في «السير» (٦/ ٣٩٢) عن أبي حنيفةَ: «عني بطلب الآثارِ وارتحل في ذلك».

أبو[1] عمارةَ الكوفيِّ[2]، ومُحاربِ بنِ دِثارٍ الكُوفيِّ، ومُسلمِ بنِ كَيْسانَ، ومَنصورِ بن المعتَمرِ، وهشامِ بنِ عُروةَ بنِ الزُّبير بنِ العوّامِ، ويحيى بنِ عبدِ الله الكِندِيِّ، ويحيى بنِ مَعْمَرٍ، وعَمرِو بنِ عُبَيدِ الله بنِ إسحاقَ السَّبيعيِّ، وعُبيدةَ بنِ مُعتِّبٍ الضَّبِّيِّ، وعبدِ الملِكِ بنِ إياسٍ الشَّيبانيِّ الكوفيِّ، وسالمِ بنِ عَجْلانَ الأُمويِّ، وزيدِ بنِ عليِّ بنِ الحُسينِ بنِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ، والحَسنِ بنِ زيدِ بنِ الحَسنِ بنِ عليٍّ، والحَسنِ بنِ الصَّبّاح الكوفيِّ، وجابرِ بنِ يزيدَ الجُعْفيِّ، وخلائقَ لا يُحصَون.

قال أبو المؤيَّدِ الخُوارزميُّ: «أَمر الإمامُ أبو حفصٍ الكبيرُ[3] بِعدِّ مشايخِ الإمامِ أبي حنيفةَ فبلغُوا أربعةَ آلافٍ»[4].

***

فصلٌ فيمن رَوى عن أبي حنيفةَ

قد مرَّ قريبًا: أنَّ الإمامَ أبا حنيفةَ قَصدَه الناسُ مِن سائرِ الأقطار، وشَدَّ إليه الرِّحالَ أهلُ القُرى والأمصارِ؛ للرِّوايةِ عنه.

---

(١) كذا في النُّسخ!

(٢) والذي في «عقود الجمان» (ص٨٠): «عمار بن عبد الله الجُهني الكوفي، أبو عُمارة، وشكَّ فيه محمدُ بنُ الحسنِ في «الآثار» فقال: عمار أو عمارة، والصحيحُ أنه: عمارٌ، وكنيتُه: أبو عُمارة».

(٣) هو فقيهُ المشرقِ وشيخُ بلادِ ما وراء النهر أحمدُ بنُ حفصٍ البخاري (ت٢١٧)، وهو تلميذُ الإمامِ محمدِ بنِ الحسنِ الشيباني، والإمامُ أبو حفصٍ هذا هو الذي تفرَّس بالإمام البخاريِّ وأدرك نبوغَه، فإنَّ البخاريَّ كان يتردَّد وهو فتًى على دروس أبي حفصٍ فقال: «هذا شابٌّ كيِّسٌ، وأرجو أنْ يكونَ له صِيتٌ وذِكْر»، انظر «السير» (١٢/ ٤٢٦).

(٤) «مناقب الإمام الأعظم» (١/ ٣٨).

قال الحافظُ أبو محمدٍ الحارثيُّ: «والذين روَوا عنه أكثرُ مِن الذينَ رَووا عن مالكٍ، والشافعيِّ، وأحمدَ، وإسحاقَ، وسفيانَ الثَّوريِّ، والأوزاعيِّ، وابنِ جُريجٍ، وابنِ أبي ليلى، ويَحيى بنِ سعيدٍ، وهشامِ بنِ عُروةَ، وغيرِهم مِن أئمَّةِ الإسلامِ».

وكثُرت الرِّوايةُ عنه حتّى رَوى عنه شيوخُه[١].

فرَوى عنه: اللَّيثُ بنُ سعدٍ، ومالكُ بنُ أنسٍ، وعبدُ المَلِكِ بنُ جُريجٍ، وعَلقمةُ ابنُ مَرْثَدٍ الكوفيُّ، ونافعٌ القارئُ المدنيُّ، وعبدُ اللهِ بنُ المُباركِ، وعبدُ الرَّزّاقِ بنُ هَمّامٍ الحِميَريُّ، وسُفيانُ بنُ عُيينةَ، وحَمّادُ بنُ أبي سليمانَ، وحَمّادُ بنُ سلمةَ بنِ دينارٍ، وحمّادُ بنُ زيدِ بنِ دِرْهَمٍ، وابنُ أبي ليلى، ومحمدُ بنُ عمرَ الواقِديُّ، ومحمدُ بنُ زِيادٍ الثَّعلبيُّ، ومحمدُ بنُ إسحاقَ بنِ يسارٍ إمامُ أهلِ المغازي، وأيوبُ بنُ سويدٍ الرَّمليُّ، وخَلّادُ بنُ يحيى المُقْرِي، والرَّبيعُ بنُ يونُسَ حاجِبُ المنصورِ، ورَبيعةُ بنُ أبي عبدِ الرَّحمنِ المَدنيُّ، وسُفيانُ بنُ سَعيدِ بنِ مَسروقٍ، وشعبةُ بنُ الحجّاجِ، وشَيبةُ بنُ عبدِ الرَّحمنِ القُرشيُّ الكوفيُّ، وطلحةُ بنُ إياسٍ البغداديُّ، وعبدُ الرَّحمنِ بنُ مَهديٍّ، وعبدُ المَلِكِ بنُ عبدِ العزيزِ المَاجِشُونَ، وعليُّ بنُ عيّاشَ الحِمصيُّ، وعليُّ بنُ مُسْهِرٍ القُرشيُّ المَوصليُّ، وعُمارةُ بنُ محمدٍ الكوفيُّ، والفُضيلُ بنُ عياضٍ، والفَضلُ بنُ دُكَينٍ، ومُجاهدُ بنُ عَمرٍو القاضي بما وراءَ النَّهرِ، والمُعافى بنُ عِمرانَ الأَزْدِيُّ، ومُعتَمِرُ بنُ سُليمانَ، ووَكيعُ بنُ الجَرّاحِ، وأبو يوسفَ يعقوبُ، ومحمدُ بنُ الحسنِ، وخَلائقُ كثيرٌ لا يُمكنُ حَصرُهم ولا ضَبطُهم.

وإنما ذَكَرْنا غالبًا مَن رَوى عنه مِن شيوخِه رضي اللهُ عنه.

---

(١) قال الحافظ الذهبيُّ عن أبي حنيفةَ: «تفقَّه به جماعةٌ مِن الكبار، ورَوى عنه مِن المحدِّثينَ والفقهاءِ عدَّةٌ لا يُحصون»، «مناقب أبي حنيفة وصاحبيه» للذهبي: (ص١٩).

وقد عدَّ صاحبُ «عُقودِ الجُمانِ»[1] نحوَ: الثَّمان مِئةٍ ممَّن رَوى عن الإمامِ أبي حنيفةَ.

***

فصلٌ في ثناءِ الأئمَّةِ عليه

قد أكثرَ الأئمَّةُ الأعلامُ مِن مَدحِ هذا الإمام:

فرَوى الخطيبُ[2] عن الإمامِ الشافعيِّ قال: «قيلَ للإمامِ مالكِ بنِ أنسٍ: هل رأيتَ أبا حنيفةَ؟ قال: نعم، رأيتُ رجلًا لو كلَّمكَ في هذه السّاريةِ أنْ يَجْعلَها ذهبًا لقامَ بحُجَّتِه».

وفي روايةٍ: «قلتُ: فأبو حنيفةَ؟ قال: سبحانَ اللهِ لم أرَ مِثلَه، تاللهِ لو قالَ أبو حنيفةَ: إنَّ الأُسطُوانةَ مِن ذهبٍ، لأقامَ الدَّليلَ القياسيَّ على صِحَّةِ قولِه».

ورَوى القاضي الصَّيْمَرِيُّ عن ابنِ المُباركِ قال: «كنتُ عندَ مالكِ بنِ أنسٍ، فدخلَ عليهِ رجلٌ فرفعَه، فلمَّا خرجَ قال: أتدرونَ مَن هذا؟ قالوا: لا، قال: «هذا أبو

(١) انظر «عقودَ الجُمان في مناقب الإمام أبي حنيفةَ النعمان» (ص٨٨)، وهم مرتَّبون على حروفِ الهجاء.

لطيفة: جاء في ترجمة الإمام عبد الله بن فرُّوخِ الفارسيِّ القيرواني (ت١٧٦): أنه رَحل إلى الكوفة للسماع ولقاءِ الشيوخ، فسمع مِن أبي حنيفةَ مسائلَ كثيرةٍ، وقال: «سقطتْ آجرَّةٌ مِن أعلى دار أبي حنيفةَ ـ وأنا عندَه ـ على رأسي فَدَمِي، فقال: اخترْ الأرشَ أو ثلاثَ مئةِ حديثٍ؟ قلتُ: الحديثَ، فحدَّثني»، انظر «ترتيب المدارك» (٣/ ١٠٩).

(٢) أفرد الخطيبُ البغداديُّ في «تاريخه» (١٥/ ٤٥٩) مناقبَ أبي حنيفةَ والثناءَ عليه، وفيه ورد أكثرُ ما في هذا الفصل.

حنيفةَ العراقيُّ، لو قال: هذهِ الأُسطوانةُ مِن ذهبٍ لخرجَتْ كما قال، لقد وُفِّق له الفقهُ حتّى ما عليه فيه كبيرُ مَؤونَةٍ».

ورَوى الخطيبُ عن الشافعيِّ: «الناسُ عيالٌ على أبي حنيفةَ في الفقه»[١].

ورَوى أيضًا عنه: «مَن أرادَ أنْ يَتبَحَّرَ في الفقهِ فهو عيالٌ على الإمامِ أبي حنيفةَ، وكانَ أبو حنيفةَ ممَّن وُفِّق له الفقهُ».

ورَوى أيضًا عنه قال: «ما رأيتُ أحدًا أفقهَ مِن أبي حنيفةَ».

قال الخطيبُ: «أرادَ بقولِهِ: (ما رأيتُ) ما علِمتُ، فإنَّه لم يدرِكْه»[٢].

وعن الشافعيِّ: «مَن لم يَنظُر في كُتبِ الإمامِ أبي حنيفةَ لم يَتبحَّر في العِلم»[٣]، ولا يتَفقَّه.

وقال القاضي أبو القاسمِ ابنُ كاسٍ[٤]: «حدَّثنا أبو بكرٍ المَروزيُّ: سمعتُ

---

(١) وقد حاكى الذهبيُّ عبارةَ الشافعيِّ هذه فقال عن أبي حنيفة: «عني بطلب الآثار وارتحل في ذلك، وأما الفقهُ والتدقيقُ في الرأي وغوامضِه فإليه المنتهى والناسُ عليه عيالٌ في ذلك»، «السير» (٦/ ٣٩٢).

(٢) «تاريخ بغداد» (١٥/ ٤٧٣).

(٣) إلى هنا وردتْ مقولةُ الإمامِ الشافعي في بعض المصادر.

(٤) هو الإمام القاضي الفقيه أبو القاسمِ عليُّ بنُ محمدِ بنِ الحسنِ الكوفي، المعروفُ بابنِ كاس (ت٣٢٤)، ولي قضاءَ دمشقَ وغيرَها، وكان إمامًا في الفقه كبيرَ القدر، وهو مِن شيوخ الطبرانيِّ والدارقطني، انظر «تاريخ بغداد» (١٣/ ٥٤٠)، وأفاد ابنُ الجزريِّ في «الغاية» (١/ ٥٧٦) فقال: «أوَّلُ مَن وَلي دمشقَ مِن الحنفية مطلقًا».

تنبيه: جاءتْ كلمةُ: (كاس) في بعض المصادر بالألف، وفي بعضها: (كأس) مهموزةً، إلا أنني وجدت السمعانيَّ في «الأنساب» (١١/ ٢١) ذَكَره في مادة (كاسي)، فبان أنها دونَ همزٍ، والله أعلم.

أبا عبدِ اللهِ أحمدَ بنَ حنبلٍ يقولُ: لم يصحَّ عندَنا أنَّ أبا حنيفةَ قال: القُرآنُ مَخلوقٌ، فقلتُ: الحمدُ للهِ يا أبا عبدِ اللهِ، هو مِن العِلمِ بمنزلةٍ؟ فقال: سبحانَ اللهِ! هوَ مِن العِلمِ والورعِ والزُّهدِ وإيثارِ الدَّارِ الآخرةِ بمَحلٍّ لا يُدرِكُه فيهِ أحدٌ، ولقد ضُرِبَ بالسِّياطِ على أنْ يَليَ القَضاءَ لأبي جَعفرٍ المنصورِ فلم يفعل، فرحمةُ اللهِ عليه ورِضوانُه»[١].

ورَوى الخطيبُ عن سفيانَ بنِ عُيينةَ قال: «ما مَقلتْ عيني مثلَ أبي حنيفةَ».

ورَوى القاضي أبو عبدِ اللهِ الصَّيْمَرِيُّ عنه قال: «مَن أرادَ المَغازي فالمَدينةُ، ومَن أرادَ المَناسِكَ فمكَّةُ، ومَن أرادَ الفِقهَ فالكوفةُ ويَلزم أصحابَ أبي حنيفةَ».

ورَوى أيضًا عنه قال: «العلماءُ أربعةٌ: ابنُ عباسٍ في زمانِه، والشَّعبيُّ في زمانِه، وأبو حنيفةَ في زمانِه، والثَّوريُّ في زمانِه».

ورَوى الخطيبُ عن عبدِ اللهِ بنِ المُباركِ قال: «كان أبو حنيفةَ أفقَهَ الناسِ، ما رأيتُ أفقهَ منه».

ورَوى[٢] أيضًا عنه: «إنْ كان أحدٌ له أنْ يقولَ برأيه فأبو حنيفةَ له أنْ يقولَ برأيه، وإنْ كانَ الأثرُ قد عُرِفَ واحتيجَ إلى الرَّأي، فرأيُ مالكٍ وسفيانَ [وأبي حنيفةَ][٣]، وأبو حنيفةَ أحسنُهم وأدقُّهم فِطنةً، وأغوصُهم على الفقه، وهو أفقهُ الثَّلاثةِ، ولو لا أنَّ اللهَ أغاثَني بأبي حنيفةَ وسفيانَ لكنتُ كسائرِ الناسِ».

---

(١) وهذا النصُّ مِن الإمام أحمدَ بنِ حنبلٍ يُؤيِّد ما ذَهب إليه الإمامُ نجمُ الدِّينِ الطوفيُّ الحنبليُّ في «شرح الروضة» (٣/ ٢٩٠)، فإنه قال: «وآخرُ ما صحَّ عن الإمام أحمدَ إحسانُ القولِ فيه، والثناءُ عليه».

(٢) «تاريخ بغداد» (١٥/ ٤٧٠).

(٣) ما بينَ معكوفَين سقط مِن النُّسخ، وتمَّمتُها مِن المصادر والمراجع.

ورَوى الخطيبُ[1] عن محمدِ بنِ بِشْرٍ قال: «كنتُ أختلفُ إلى أبي حنيفةَ وسفيانَ الثَّوريِّ، فآتي أبا حنيفةَ فيقول: مِن أينَ جئتَ؟ فأقول: مِن عندِ سفيانَ، فيقولُ: جِئتَ مِن عندِ رجلٍ لو أنَّ علقمةَ والأسودَ حضرا لاحتاجا إلى مثلِه، فآتي سفيانَ فيقولُ: مِن أينَ جِئتَ؟ فأقول: مِن عندِ أبي حنيفةَ، فيقول: لقد جِئتَ مِن عندِ أفقهِ أهلِ الأرض».

وسُئِلَ سفيانُ عن مسألةٍ في الطَّلاقِ، فقال: «لا يَعلمُ الحِيلةَ في هذه إلَّا أبو حنيفةَ».

وقال: «إنَّ الذي يُخالِفُ أبا حنيفةَ يحتاجُ إلى أنْ يكونَ أَعلى منه قَدرًا، وأَوفرَ عِلمًا، وبعيدًا[2] ما يوجدُ ذلك».

وقال بِشرٌ: «حَجَجْتُ مع أبي حنيفةَ وسفيانَ، فكانا إذا نَزلا مَنزِلًا أو بَلدةً اجتمعَ الناسُ عليهما، وقالوا: فقِيها[3] العراقِ، فكانَ سفيانُ يُقدِّمُ أبا حنيفةَ ويَمشي خلفَه، وإذا سُئِلَ عن مسألةٍ وأبو حنيفةَ حاضِرٌ لم يُجِبْ حتّى يكونَ أبو حنيفةَ هو الذي يُجيبُ».

وقال أبو يوسفَ: «سفيانُ الثَّوريُّ أكثرُ متابعةً مِني لأبي حنيفةَ».

وسُئِلَ يزيدُ بنُ هارونَ: أيُّما أفقهُ أبو حنيفةَ أو سفيانُ؟ فقال: «سفيانُ أَحفظُ للحديثِ، وأبو حنيفةَ أَفقهُ».

ورَوى القاضي الصَّيمَريُّ عن ابنِ جُريجٍ قال: «بلغَني عن النُّعمانِ فقيهِ الكوفةِ أنَّه شديدُ الورعِ، صائنٌ لدينِه ولعلمِه، لا يُؤثرُ أهلَ الدُّنيا على أهلِ الآخرة، وأَحسَبُه

---

(١) «تاريخ بغداد» (١٥/ ٤٧١).

(٢) في المصادر والمراجع: «وبعيدٌ».

(٣) في (ش): «فقهاء».

سيكونُ لـه في العِلمِ شأنٌ عَجيبٌ»، وكان مُحِبًّا لأبي حنيفة، كثيرَ الذِّكرِ له.

وعن عُمرَ بنِ هارونَ قال: ذُكِر أبو حنيفةَ عندَ ابنِ جُرَيجٍ، فقال: «اسكُتوا، إنَّه لفقيهٌ، إنَّه لفَقيهٌ، إنَّه لفَقيه».

ورَوى الصَّيْمَرِيُّ عن يحيى بنِ معينٍ أنه قال: «القِراءةُ عِندي قراءةُ حَمزةَ، والفِقهُ فِقهُ أبي حنيفةَ، على هذا أدركْتُ الناسَ، والفُقهاءُ أربعةٌ: أبو حنيفةَ وسفيانُ ومالكٌ والأوزاعيُّ»، وسُئل: هل حَدَّثَ سفيانُ عن أبي حنيفة قال: نعم، كانَ أبو حنيفةَ ثِقةً صدوقًا في الحديثِ والفقهِ، مأمونًا على دينِ اللهِ تعالى».

وقال أحمدُ بنُ إبراهيمَ الدَّوْرقيُّ: سُئل يحيى بنُ معينٍ ـ وأنا أسمعُ ـ عن أبي حنيفةَ فقال: «ثِقةٌ ما سمعْتُ أحدًا ضعَّفه، هذا شعبةُ بنُ الحجَّاجِ يَكتب إليه أنْ يُحدِّثَ، ويأمرُه، وشعبةُ شعبةُ».

ورَوى الخطيبُ[1] عن يحيى بنِ معينٍ قال: سمعتُ يحيى بنَ سعيدٍ القَطَّانَ يقولُ: «لا نَكذِبُ اللهَ تعالى، ما سَمعْنا أَحسنَ مِن رأيِ أبي حنيفةَ، وكم مِن شيءٍ حسنٍ قد قالَه أبو حنيفةَ».

ورَوى الخطيبُ[2] عن وكيعِ بنِ الجَرَّاحِ قال: «ما لقيتُ أحدًا أفقَه مِن أبي حنيفةَ، ولا أَحسنَ صلاةً منه».

ورَوى الصَّيْمَرِيُّ: قال رجلٌ ليزيدَ بنِ هارونَ: يا أبا خالدٍ، رأيُ مالكٍ أحبُّ

---

(١) «تاريخ بغداد» (١٥/ ٤٧٤).

(٢) «تاريخ بغداد» (١٥/ ٤٧٣).

إليكَ أم رأيُ أبي حنيفةَ؟ فقال: «اكتُبْ حديثَ مالكٍ، فإنه كان يَنتقي الرِّجالَ، والفِقهُ صناعةُ أبي حنيفةَ، وصناعةُ أصحابِه، والفَرائِضُ كأنهم خُلِقوا لها».

ورَوى أيضًا عن [أحمد] بنِ عَطيَّةَ [قال: حدثنا تميم بن المنتصر] قال: كنتُ عندَ يزيدَ بنِ هارونَ فذُكرَ أبو حنيفةَ فنالَ منه إنسانٌ، فأطرقَ طويلًا، فقالوا: رحمَكَ اللهُ حدِّثْنا، فقال: «كان أبو حنيفةَ تقيًّا نقيًّا، زاهِدًا عالِمًا، صدوقَ اللِّسانِ، أَحفَظَ أهلِ زمانِه، سمِعتُ كلَّ مَن أدركتُه مِن أهلِ زمانِه يقولُ: إنه ما رأى أفقهَ منه»[1].

ورَوى أبو محمدٍ الحارِثيُّ عن أبي يحيى الجُمانيِّ قال: «ما ضَمَمْتُ أبا حنيفةَ إلى أحدٍ مِن أهلِ زمانِه مِمَّن لَقِيتُهم ومِمَّن لم ألقَهم في كلِّ بابٍ مِن أبوابِ الخيرِ، إلَّا رأيتُ لأبي حنيفةَ الفَضلَ عليهم، وما لَقيتُ أحدًا قطُّ أفضلَ منه، ولا أورَعَ منه، ولا أفقَه منه».

ورَوى القاضي ابنُ كاسٍ: قيل لمِسْعَرٍ: لمَ تَركتَ رأيَ أصحابِكَ وأخذتَ برأي أبي حنيفةَ؟! فقال: «أنا فعلتُ ذلكَ لصحَّةِ رأيِه، فأْتُوا بالأصحِّ منه لأرغبَ عنه إليه، طَلَبْنا مع أبي حنيفة الحديثَ فغَلَبَنا، فأخذْنا في الزُّهدِ فبَرعَ علينا، وطَلَبْنا معَه الفقهَ فجاءَ منه ما تَرونَ».

وقال عبدُ اللهِ بنُ المُباركِ: «رأيتُ مِسْعرًا في حَلَقةِ أبي حنيفةَ جالسًا بينَ يدَيه يَسألُه ويَستفيدُ منه»، وقال: «ما رأيتُ أسودَ رأسٍ أفقهَ مِن أبي حنيفةَ، رَحِمَ اللهُ أبا حنيفةَ، إنَّه كان لفقيهًا عالمًا».

---

(١) رواه الصيمري في «أخبار أبي حنيفة» (ص ٤٨)، وما بين معكوفتين منه.

ورَوى الخطيبُ[١] عن ابنِ أبي جعفرٍ الرّازِيِّ قال: «ما رأيتُ أحدًا أفقهَ مِن أبي حنيفةَ، وما رأيتُ أحدًا أورعَ منه».

ورَوى[٢] أيضًا عن الفُضيلِ بنِ عياضٍ قال: «كان أبو حنيفةَ رجلًا فقيهًا معروفًا بالفقه، مَشهورًا بالوَرِعِ، واسعَ المالِ، معروفًا بالإفضالِ على كلِّ مَن يَطيفُ به، صبورًا على تعليمِ العِلمِ باللَّيلِ والنَّهار، كثيرَ الصَّمتِ قليلَ الكلام، يَدلُّ على الحقِّ، هاربًا مِن السُّلطان».

ورَوى[٣] أيضًا عن بِشْرِ بنِ الحارثِ قال: «إذا أردْتَ الآثارَ ـ أو قال: الحديثَ ـ فسفيانُ، وإذا أردْتَ تلكَ الدَّقائِقَ فأبو حنيفةَ».

ورَوى أيضًا عن ابنِ المباركِ قال: «رأيتُ الحَسنَ بنَ عُمارةَ آخذًا برِكابِ أبي حنيفةَ وهو يقول: واللهِ ما أدركْنا أحدًا تَكلَّمَ في الفقهِ أَبلغَ ولا أصبرَ ولا أحضرَ جوابًا منك، وإنَّك لسيِّدُ مَن تَكلَّمَ في الفقهِ في وقتِك غيرَ مُدافَعٍ، وما يَتكلَّمونَ فيكَ إلَّا حسدًا»[٤].

ورَوى الصَّيْمَرِيُّ عن محمدِ بنِ الحسنِ قال: «كان أبو حنيفةَ واحدَ زمانِه، ولو انشقَّتْ عنه الأرضُ لانشقَّتْ عن جبلٍ مِن الجبالِ في العِلمِ والكَرمِ والمواساةِ والوَرعِ والإيثارِ للهِ، مع الفقهِ والعِلمِ».

---

(١) «تاريخ بغداد» (١٥/ ٤٦٥).

(٢) «تاريخ بغداد» (١٥/ ٤٦٥).

(٣) «تاريخ بغداد» (١٥/ ٤٧١).

(٤) ومثلُه ما قاله الإمامُ الحافظ العابد عبدُ الله بنُ داودَ الخُرَيبيُّ (ت٢١٣): «ما يقع في أبي حنيفةَ إلا حاسدٌ أو جاهل»، انظر «تاريخ الإسلام» (٣/ ٩٩٠).

ورَوى أبو محمدٍ الحارثيُّ عن الإمامِ زُفرَ قال: «جالَستُ أبا حنيفةَ أكثرَ مِن عشرينَ سنةً، فلم أرَ أحدًا أَنصحَ للنَّاسِ منه، ولا أَشفقَ عليهم منه، أمّا عامَّةُ النَّهارِ فهو مُشتَغلٌ في العِلمِ، وفي المسائلِ وتعليمِها، وفيما يُسألُ مِن النَّوازلِ وجَواباتِها، وإذا قامَ مِن المَجلسِ عادَ مريضًا، أو شَيَّعَ جنازةً، أو واسى فقيرًا، أو وَصلَ أخًا، أو سَعى في حاجةٍ، فإذا كان اللَّيلُ خَلا للعبادةِ والصَّلاةِ وقراءةِ القرآنِ، فكان هذا سبيلَه حتّى تُوفِّي رحِمَه الله».

ورَوى الصَّيمَرِيُّ عن حازمٍ[٥] المُجتهدِ قال: «كلَّمتُ أبا حنيفةَ في بابِ الزُّهدِ والعبادةِ واليقينِ والتَّوكلِ والاجتهادِ، ففسَّرَ لي كلَّ بابٍ منها على حِدَةٍ، وميَّزَ مِن كلِّ فنٍّ منها تَمييزًا ظاهرًا، ووجدتُه عالمًا بهذهِ الأبوابِ، عاملًا بها، وكان إمامًا للفقهاءِ، إمامًا للزُّهادِ، إمامًا للعُبّادِ، إمامًا لأصحابِ اليقينِ والتَّوكُّلِ والاجتهادِ، عارفًا بهذه الأمورِ كلِّها».

ورَوى الخُوارِزميُّ عن المُعافى بنِ عِمرانَ المَوصليِّ قال: «كان في أبي حنيفةَ عشرُ خِصالٍ، ما كانَت واحدةً منها في أحدٍ إلَّا صارَ رئيسًا في قومِه وسادَ قبيلتَه: الورَعُ، والصِّدقُ، والفِقهُ، ومُداراةُ الناسِ، والمُروءَةُ الصَّادقةُ، والإقبالُ على ما يَنفعُ، وطولُ الصَّمتِ، والإصابةُ بالقولِ، ومعونةُ اللهفانِ عدوًّا كان أو وليًّا».

وبالجملةِ: فالآثارُ والنَّقلُ عن الأئمَّةِ في مَدحِه والثَّناءِ عليه ممَّا يطولُ، ويُخشى منهُ المَللُ، فلا نُطيلُ بذلكَ، ففيما ذكرناه كفايةٌ لِمَن أَنصَفَ وعَرفَ مِقدارَ الأئمَّةِ.

وإنما أَتيتُ بهذه الشِّرذِمةِ القليلةِ؛ لأنَّ كثيرًا مِن الناسِ مَن وقعَ فيهِ وتكلَّم في جنابِه بما لا يليقُ، حتّى أنه رُؤيَ في المنامِ فقيلَ له: بِمَ غَفرَ اللهُ لكَ؟ قال: بقولِ الناسِ فيَّ ما ليس فيَّ، وسيأتي الكلامُ على ذلك.

---

(٥) في بعض النُّسخ «أبي حازم»، والمثبتُ موافقٌ للمصادرِ والمراجع.

فصلٌ في عبادتِه وكَثرةِ صلاتِه

قال الحافظُ الذهبيُّ: «قد تَواترَ أثرُ قيامِه اللَّيلَ، وتَهجُّدِه وتعبُّدِه، فكان رضي اللهُ عنه لا يَنامُ اللَّيلَ، وسَمَّوهُ الوَتَدَ؛ لِكَثرةِ صَلاتِه»[١].

رَوى الخطيبُ[٢] عن حفصِ بنِ عبدِ الرَّحمنِ قال: «كانَ أبو حنيفةَ يُحيي اللَّيلَ بقراءةِ القرآنِ في رَكعة ثلاثينَ سنةً».

ورَوى[٣] أيضًا عن أَسدِ بنِ عمرٍو قال: «صلَّى أبو حنيفةَ ـ فيما حُفِظَ عليهِ ـ الفجرَ بوُضوءِ العِشاءِ أربعينَ سنةً، فكان عامَّةَ اللَّيلِ يَقرأُ جميعَ القُرآنِ في ركعةٍ واحدةٍ، وكانَ يُسمَعُ بكاؤُه باللَّيلِ حتّى يَرحمَه جيرانُه، وحُفِظَ عليه أنَّه خَتمَ القرآنَ في الموضعِ الذي تُوفِّي فيه سبعةَ آلافِ مرَّةٍ».

ورَوى[٤] أيضًا عن مَنصورِ بنِ عامرٍ قال: «وَقعَ رجلٌ مِن أهلِ الكوفةِ في أبي حنيفةَ، فقال له عبدُ اللهِ بنُ المباركِ: وَيحك! أَتقعُ في رجلٍ صلَّى خمسًا وأربعينَ سنةً خمسَ صلواتٍ على وضوءٍ واحدٍ، وكان يَجمَعُ القرآنَ في رَكعتينِ في ليلةٍ، وتَعلَّمتُ الفِقهَ الذي عندي مِن أبي حنيفةَ».

ورَوى أبو نُعيمٍ وغيرُه: «أنَّ الإمامَ أبا حنيفةَ صلَّى الصُّبحَ بوُضوءِ العِشاءِ أكثرَ مِن خمسينَ سنةً».

وقال ابنُ عُيينةَ: «رَحمَ اللهُ تعالى أبا حنيفةَ، كان مِن المُصلِّين، فما قَدِمَ مكَّةَ رجلٌ في وقتِنا أكثرَ صلاةً مِن أبي حنيفةَ».

---

(١) انظر «مناقبَ أبي حنيفةَ وصاحبَيه» للذهبي: (ص٢٠).

(٢) «تاريخ بغداد» (١٥/ ٤٨٤).

(٣) «تاريخ بغداد» (١٥/ ٤٨٤).

(٤) «تاريخ بغداد» (١٥/ ٤٨٥).

وقال أبو مُطِيعٍ: «كنتُ بمكَّةَ فما دَخلتُ الطَّوافَ في ساعةٍ مِن ساعاتِ اللَّيلِ إلَّا رأيتُ أبا حنيفةَ وسفيانَ في الطَّواف».

ورَوى الخطيبُ عن حمَّادٍ ابنِ الإمامِ أبي حنيفةَ قال: «لما ماتَ أبي سألْنا الحسنَ بنَ عُمارةَ أنْ يُغسِّلَه ففعل، فلمَّا غَسَّلَه قال: رحمكَ اللهُ، وغَفرَ لكَ، لم تُفطِرْ منذُ ثلاثينَ سنةً، ولم تَتوسَّدْ يمينَكَ باللَّيلِ منذُ أربعينَ سنةً».

ورَوى الخطيبُ[1] عن يحيى بنِ فُضَيلٍ قال: «كنتُ مع جماعةٍ فأَقبلَ أبو حنيفةَ، فقال بعضُهم: ما تَرونَه لا ينامُ اللَّيل؟! قال: فسَمِعَ أبو حنيفةَ، فقال: أُراني عندَ الناسِ بخلافِ ما أنا عندَ اللهِ، لا توسدْتُ فِراشًا حتّى أَلقى اللهَ تعالى، قال يحيى: فكان أبو حنيفةَ يقومُ اللَّيلَ حتّى تُوفِّي، أو قال: ماتَ».

وفي روايةٍ عن أبي يوسفَ قال: «بينا أنا أمشي مع أبي حنيفةَ إذ سَمِعَ رَجلًا يقولُ لرجلٍ: هذا أبو حنيفةَ لا يَنامُ اللَّيلَ! فقال أبو حنيفةَ: سبحانَ اللهِ، ألا تَرى اللهَ تعالى قد نَشرَ لنا هذا الذِّكرَ؟! أوليس بقبيحٍ أنْ يعلمَ اللهُ منّا ضِدَّ ذلك، واللهِ لا يَتحدَّثُ الناس عني بما لا أَفعَلُ، فكانَ يُحيي اللَّيلَ صَلاةً ودعاءً وتَضرُّعًا».

ورَوى الصَّيْمَرِيُّ عن شَريكٍ قال: «رأيتُ حمَّادَ بنَ أبي سُليمانَ، وعلقَمةَ بنَ مَرثَدٍ، ومُحارِبَ بنَ دِثارٍ، وعَونَ بنَ عبدِ اللهِ، وعبدَ اللهِ بنَ عُمَيرٍ، وأبا هَمّامٍ الوليدَ بنَ قيسٍ، وموسى بنَ طلحةَ، وأبا حنيفةَ، فما رأيتُ في القَومِ أحدًا أَحسنَ ليلًا مِن أبي حنيفةَ، ولقد كنتُ معه سنةً، فما رأيتُه وضعَ جنبَه على فراشٍ».

ورَوى الخطيبُ[2] عن أبي الجُويرِيةِ قال: «لقد صحِبتُ حمّادَ بنَ أبي

(١) «تاريخ بغداد» (١٥/ ٤٨٦).

(٢) «تاريخ بغداد» (١٥/ ٤٨٦).

سـليمانَ، وعلقَمـةَ بـنَ مَرثَدٍ، ومُحاربَ بـنَ دِثارٍ، وعـونَ بنَ عبـدِ اللهِ، وصحِبتُ أبا حنيفـةَ، فلـم يكُـن فـي القَومِ أَحسَـنُ ليـلًا مِن أبـي حنيفـةَ، لقد صَحِبتُه سـتةَ أشـهرٍ فمـا رأيتُه وَضـعَ جنبَـه فيها».

ورَوى الصَّيْمَرِيُّ عن ابنِ أبي رَوّادٍ قال: «ما رأيتُ أَصبرَ على الطَّوافِ والصَّلاةِ والفقهاءِ بمكَّةَ مِن أبي حنيفةَ، إنَّما كان كلَّ اللَّيلِ والنَّهارِ في طلبِ الآخرةِ لنفسِه، والنَّجاةِ للمَعادِ، صَبورًا على تَعليمِ مَن يَجيئه[1] ويَطلبُ العِلمَ، ولقد شاهدتُه عشرَ ليالٍ، فما نامَ باللَّيلِ، ولا هدأَ ساعةً مِن نهارٍ مِن طوافٍ وصلاةٍ، أو تَعليمِ عِلمٍ».

ورَوى أيضًا عن أبي يوسفَ قال: «كان أبو حنيفةَ يَختِمُ القُرآنَ كلَّ يومٍ وليلةٍ خَتمة، حتّى إذا كان شهرُ رمضانَ خَتمَ فيه معَ ليلةِ الفِطرِ ويومِ الفِطرِ اثنتَينِ وسِتِّينَ خَتمةً، وكان سَخيًا بالمالِ، صَبورًا على تَعليمِ العِلمِ، شَديدَ الاحتِمالِ بما يُقال فيه، بَعيدَ الغَضب، وكان أصحابُنا يقولون: إنه كان يُصلي الغَداةَ على طُهرِ أوَّلِ اللَّيلِ، شَهِدتُه أنا عِشرينَ سنةً، وكان مَن صحِبَه قبلَنا يقولون: إنه كان يُصلِّي[2] الغداةَ بوُضوءِ[3] أوَّلِ اللَّيلِ أربعينَ سنةً».

ورَوى الخطيـبُ عـن علـيِّ بـنِ زيـدٍ الصُّدّائـيِّ قـال: «رأيـتُ أبـا حنيفـةَ يَختِمُ القُـرآنَ في شـهرِ رمضانَ سـتِّينَ خَتمـةً، خَتمـةً باللَّيلِ، وخَتمـةً بالنَّهـارِ، وكان له وِردٌ باللَّيـلِ، يختِـمُ فيـه القُـرآنَ، فربَّمـا خَتمه فـي رَكعةٍ واحـدةٍ، وربَّمـا خَتمَه فـي جَميعِ صَلاتِـه باللَّيـلِ، وعامَّـةُ النَّهـارِ هو في فُتيا ومُسـائلةٍ مـع أصحابِه، ولم تَرَ عينـاي مِثلَه في اجتِهـادِه ودينِـه وورَعِه».

---

(١) في (ك): «يجيبه»، وفي (ش): «من يحبه»، والمثبتُ مِن «أخبار أبي حنيفة» للصَّيْمَرِي: (ص٥٤).

(٢) في بعض النسخ: «صلى».

(٣) في (ك): «على طهر»، وكذا في «مناقب» الصَّيْمَرِي.

وذَكرَ الإمامُ الكَردَرِيُّ في «المناقِب»[١]: «أنَّ الإمامَ أبا حنيفةَ حجَّ خَمسًا وخَمسينَ حَجَّةً».

وبالجملة: فالآثارُ في هذا كثيرةٌ.

قال أبو المؤيَّدِ عن أصحابه: «لقد حَزرْنا خَتمَه[٢] في الموضعِ الذي فارَقَ الدُّنيا فيه سِوى سائرِ المَواضِعِ، فكان سَبعةَ آلافِ خَتمةٍ، وكان له في كلِّ شَهرِ رمضانَ ستُّونَ خَتمةً»[٣].

وأنشد أبو المُؤيَّدِ لِنفسِه[٤]:

نهارُ أبي حنيفةَ للإفادَة ... وليلُ أبي حنيفةَ للعبادَة

إلى أنْ قال:

وسورةُ زُلزِلَتْ قد زَلْزلَتْهُ ... بسُورتِها وقد سَلبتْ فؤادَه[٥]

وَوَدَّعَ نومَه خمسينَ عامًا ... بطاعتِه وخدّاه الوِسَادَهْ

***

فصلٌ في خَوفِه ومُراقَبتِه للهِ تعالى

رَوى الخطيبُ عن وكيعِ بنِ الجَرّاحِ قال: «كان واللهِ أبو حنيفةَ عَظيمَ الأمانةِ، وكانَ اللهُ تعالى في قلبِه جليلًا كبيرًا، وكان يُؤثِرُ رضا ربِّه تبارك وتعالى على كلِّ

---

(١) «مناقب أبي حنيفة» (١/ ٢٥٠).

(٢) في (ك) و(ش): «ختمة»، والمثبتُ مِن «مناقب الإمام الأعظم».

(٣) «مناقب الإمام الأعظم» (١/ ٢٣٠).

(٤) «مناقب الإمام الأعظم» (١/ ٢٥٥).

(٥) في «مناقب الإمام الأعظم» (رقاده).

شيءٍ، ولو أخذَتْه السُّيوفُ في اللهِ تعالى لاحتَملَ، رحمه الله ورَضي عنه رضاءَ الأبرارِ، فلقد كان منهم».

ورَوى أيضًا عن يحيى بنِ معينٍ قال: «سمعْتُ يحيى بنَ سعيدٍ القطَّانَ يقولُ: جالسْنا والله أبا حنيفةَ وسمعْنا منه، وكنتُ إذا نظرتُ إليه عَرفْتُ في وَجهِه أنه يتَّقي اللهَ عزَّ وجلَّ».

ورَوى الصَّيْمَرِيُّ عن عبدِ الرَّزاقِ بنِ همَّامٍ قال: «كنتُ إذا رأيتُ أبا حنيفةَ رأيتُ آثارَ البُكاءِ في عينَيه وخدَّيه، رحمةُ الله عليه».

ورَوى أبو محمدٍ الحارثيُّ عن يحيى بنِ نَصرِ بنِ حاجبٍ القُرشيِّ قال: «كان أبي صديقًا لأبي حنيفةَ، فكنتُ ربَّما بتُّ عندَه باللَّيلِ، فأراهُ يُصلِّي الليلَ كلَّه، وكنتُ أسمعُ وُقوعَ دُموعِه على الحَصيرِ كأنَّه المطرُ».

ورَوى الصَّيْمَرِيُّ عن أبي الأحوص: «لو قيلَ لأبي حنيفةَ: إنَّك تَموتُ إلى ثلاثةِ أيامٍ، ما كان فيه فَضلُ شيءٍ يَقدِرُ أن يَزيدَه على عملِه الذي كان يَعمل».

ورَوى الخطيبُ[1] عن القاسِمِ بنِ مَعنٍ قال: «قامَ أبو حنيفةَ ليلةً بهذه الآية: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ﴾، يُردِّدُها ويَبكي ويتضرَّعُ».

ورَوى الحارثيُّ عن اللَّيثِ بنِ خالدٍ عن رَجُلٍ مِن أصحابِ أبي حنيفةَ قال: «كان أبو حنيفةَ أكثرَ صَلاةً باللَّيلِ، فرأيتُه قامَ ليلةً، فلمّا بَلغَ: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ بَقيَ في قراءتِه، كلمّا فَرغَ منها ابتدأَ، فما زالَ دأبُه ذلك حتّى أصبحَ الصُّبحُ».

ورَوى الصَّيْمَرِيُّ عن بكرٍ العابدِ قال: «رأيتُ أبا حنيفةَ يُصلِّي ويَبكي

---

(١) «تاريخ بغداد» (١٥/ ٤٨٩).

ويَدعـو ويقـولُ: ربِّ ارحَمنـي يومَ تَبعـثُ عبادَك، وقِنـي عذابَكَ، واغفِـرْ لي ذُنوبي يـومَ يقومُ الأشـهادُ».

ورَوى الحارِثـيُّ عـن أبـي الحسـنِ بـنِ محمـدٍ قـال: «مَـن جالـسَ أبـا حنيفةَ حَقـرَ الرِّجـالَ بعـدَه، ومَـن نظر إلـى أبي حنيفـةَ حَقـرَ الرِّجالَ بعـدَه، ومَـن نَظَرَ إلى أبـي حنيفـةَ رحمـه مِن اصفـرارِ وَجهِـه، ونَحافةِ جِسـمِه، ممّـا يَجتهدُ فـي العبادةِ».

***

فصلٌ في وَرعِه

رَوى القاضي ابنُ كاسٍ عن مكيِّ بنِ إبراهيمَ قال: «جالسْتُ الكوفيينَ فلم أرَ فيهم أَورعَ مِن أبي حنيفةَ».

ورَوى الخطيبُ[1] عن ابنِ المُباركِ قال: «ما رأيتُ أحدًا أَورعَ مِن أبي حنيفةَ».

ورَوى الصَّيْمَرِيُّ عن النَّضرِ بنِ محمدٍ قال: «ما رأيتُ أشدَّ ورعًا مِن أبي حنيفةَ».

ورَوى أيضًا عن يزيدَ بنِ هارونَ قال: «كتبتُ عن ألفِ شيخٍ، وحَملتُ عنهم العِلمَ، ما رأيتُ فيهم أشدَّ وَرعًا مِن أبي حنيفةَ، ولا أَحفظَ لِلسانٍ منه».

ورَوى أيضًا عن الحسنِ بنِ صالحٍ قال: «كان أبو حنيفةَ شديدَ الوَرعِ، هائِبًا للحرامِ، تاركًا لكثيرٍ مِن الحلالِ مخافةَ الشُّبهَةِ، ما رأيتُ فقيهًا أشدَّ صيانةً منه لنفسِه ولعِلمِه، وكان جهادُه كلُّه لقبرِه».

ورَوى الصَّيْمَرِيُّ عن عليِّ بن حفصٍ قال: «كان حفصُ بنُ عبدِ الرَّحمنِ شريكَ أبي حنيفةَ، فبَعثَ إليه أبو حنيفةَ بمتاعٍ وأَعلَمه أنَّ في ثوبِ كذا وكذا عيبًا، فإذا بِعتَه

---

(١) «تاريخ بغداد» (١٥/ ٤٩١).

فبيِّنْ، فباعَ حفصٌ المتاعَ، ونسيَ أنْ يُبيِّنَ، ولم يَعلمْ ممَّن باعَه، فلمَّا عَلمَ أبو حنيفةَ تصدَّقَ بثمنِ المَتاعِ كلِّه، وكان ثلاثينَ ألفَ درهمٍ، وفاصلَ مِن شريكِه».

ورَوى أبو المؤيَّدِ عن عبدِ اللهِ بنِ المُباركِ قال: «وقعتْ إلى الكوفةِ أغنامٌ مِن الغارةِ، واختلطَتْ بغنمِ أهلِ الكوفةِ، فسأل أبو حنيفةَ: كم تَعيشُ الغنم؟ قالوا: سبعَ سنين، فتركَ أكلَ لحمِ الغَنمِ سبعَ سنين».

وفي بعضِ المناقبِ: أنَّه رأى في تلكِ الأيام بعضَ الجُندِ أكلَ لحمًا ورمى فَضلتَه في نهرِ الكوفةِ، فسأَلَ عن عمرِ السَّمكِ، فقيل له: كذا وكذا، فامتنَع مِن أكلِ السَّمكِ تلكَ المُدَّةِ.

ومِن دقيقِ ورعِه رضي الله عنه: أنَّ أبا جعفرٍ المنصورَ لمّا مَنعَه أنْ يُفتيَ سألتْه ابنتُه في اللَّيلِ عن الدَّمِ الخارجِ مِن لحمِ الأسنانِ: هل يَنقضُ الوُضوءَ؟ فقال لها: سَلي عمَّكِ حمَّادًا عن ذلكَ بكرةَ النَّهارِ، فإنَّ إمامي مَنعني الفُتيا، ولم أكن ممَّن يَخونُ إمامَه بالغيبِ.

وقال الإمامُ القُشَيرِيُّ في «رسالتِه»[1] المشهورةِ: «كان أبو حنيفةَ لا يَجلِسُ في ظِلِّ شجرةِ غريمِه[2]، ويقول: كلُّ قرضٍ جرَّ منفَعةً فهو ربًا».

ورَوى أبو المُؤيَّدِ الخُوارزميُّ عن يزيدَ بنِ هارونَ قال: «ما رأيتُ رجلًا أورعَ مِن أبي حنيفةَ، رأيتُه يومًا جالسًا في الشَّمسِ عندَ بابِ إنسانٍ، فقلتُ لهُ: يا أبا حنيفةَ لو تَحوَّلتَ إلى الظِّلِّ! فقال: لي على صاحبِ هذه الدَّارِ دراهمُ، ولا أحبُّ أن أَجلسَ في ظلِّ فِناءِ دارِه»، قال يزيدُ بنُ هارونَ: «أيُّ وَرعٍ أكثرُ مِن هذا؟!»

---

(١) «الرسالة القشيرية» (١/ ٢٣٠).

(٢) في بعض النسخ: «عزيمة»، والمثبتُ موافقٌ لما في «الرسالة القشيرية».

وقال أبو يوسفَ: قال أبو حنيفةَ: «لولا الفَرَقُ مِن اللهِ تعالى أنْ يَضيعَ العِلمُ ما أفتَيتُ أحدًا، يكونُ لهم الهناءُ، وعليَّ الوِزْر».

وقال مكحولٌ: قال أبو حنيفةَ: «لولا الحرجُ ما أفتَيتُ الناسَ، أَخوفُ ما أخافُ أنْ يُدخِلني النَّارَ ما أنا عليه مقيمٌ مِن الفَتوى».

وقال أبو نُعيمٍ: سمعتُ أبا حنيفةَ يقولُ: «مَن أبغضَني جَعلَه اللهُ مُفتيًا».

***

فصلٌ في عَقلِه وفِراسَتِه

رَوى الخطيبُ[١] عن محمدِ بنِ عبدِ اللهِ الأنصاريِّ[٢] قال: «كان أبو حنيفةَ يَتبيَّنُ عقلُه في مَنطقِه، وفعلِه، ومَشيه، ومَدخَلِه، ومَخرَجِه».

ورَوى أيضًا عن عليِّ بنِ عاصمٍ قال: «لو وُزِنَ عقلُ أبي حنيفةَ بعقلِ نِصفِ أهلِ الأرضِ لرَجحَ بهم».

ورَوى أيضًا عن يزيدَ بنِ هارونَ قال: «أدركتُ الناسَ ما رأيتُ أحدًا أعقلَ ولا أفضلَ ولا أورعَ مِن أبي حنيفةَ».

ورَوى الصَّيْمَرِيُّ عن أبي يوسفَ قال: «ما صَحبْتُ أحدًا مِن الناسِ فيَقدِرُ أنْ يقولَ: إنَّه رأى أَكمَلَ عَقلًا ولا أتمَّ[٣] مُروءةً مِن أبي حنيفة».

---

(١) «تاريخ بغداد» (١٥/ ٤٩٨).

(٢) هو الإمام العلامة المحدِّث المعمَّر محمدُ بنُ عبدِ الله بنِ المثنى الأنصاري البصري (ت٢١٥)، مِن كبار شيوخ البخاري، ورَوى مِن طريقه بعضَ الثلاثيات، انظر «السير» (٩/ ٥٣٣).

(٣) في بعض النُّسخ: «أكثر»، والمثبتُ موافقٌ لما في الصَّيْمَرِي.

ورَوى أيضًا عن ابنِ مَعينٍ قال: «كان أبو حنيفةَ أعقلَ مِن أنْ يَكذِبَ، ما سمعتُ أحدًا يَصفُه ويَذْكرُه بمثلِ ما كانَ ابنُ المُباركِ يَصفُه ويَذكُرُه به مِن الخيرِ».

ورَوى الخطيبُ عن ابنِ المُباركِ قال: «ما رأيتُ رجلًا أعقلَ مِن أبي حنيفةَ».

وذُكِرَ عندَ هارونَ الرَّشيدِ يومًا فترحَّمَ عليه وقال: «كان يَنظر بعينِ عقلِه ما لا يراه غيرُه بعينِ رأسِه».

ورَوى أيضًا عن يحيى الحِمّانِيِّ قال: «سمعتُ ابنَ المُباركِ يقول: قلتُ لسفيانَ الثَّوريِّ: يا أبا عبدِ اللهِ ما أبعدَ أبا حنيفةَ من الغيبةِ! ما سمعتُه يغتابُ عدوًا له قط، قال: هو واللهِ أعقلُ مِن أنْ يُسلِّطَ على حسناتِه ما يَذهبُ بها».

ورَوى الحارِثيُّ عن الشافعيِّ قال: «ما قامَت النِّساءُ عن رجلٍ أعقلَ مِن أبي حنيفةَ».

ورَوى الخطيبُ عن إبراهيمَ بنِ عمرَ بنِ حمّادٍ[1] قال: «كان أبو حنيفةَ حَسنَ الفِراسةِ، قال لداودَ الطائيِّ: أنتَ تَتخلّى للعبادةِ، وقال لأبي يوسفَ: أنتَ تميلُ إلى الدُّنيا، وقال لزُفرَ وغيرِه كلامًا فكان كما قال».

ورَوى أيضًا عن أبي المحاسنِ الحسنِ بنِ عليٍّ قال: «قيل لأبي حنيفةَ كيف رأيتَ غِلمانَ أهلِ المدينةِ؟ قال: إنْ أفلحَ منهم أحدٌ فالأشقرُ الأزرقُ، يريدُ: مالكَ بنَ أنسٍ، ولقَد صدقَ في فراستِه، فإنَّ مالكًا بَلغَ مِن العِلمِ مرتبةً لم يَبلُغْها أحدٌ مِن أهلِ المدينةِ في عَصرِه».

وبالجُملةِ: فالكلامُ على فِراستِه وفِطنتِه وذكائِه وأجوبتِه المُسكِتَةِ المُبهمَةِ[2]

---

(١) في «تاريخ بغداد» (١٦/ ٣٦٧) «إبراهيم بن عمر بن حماد بن أبي حنيفة».

(٢) كذا في النُّسخ! وجاء في «عقود الجمان» (ص٢٥١): «البابُ السادسَ عشرَ في ذكائه وفطنتِه، =

ممَّا يَطولُ ذِكرُها، ولو ذكرْناها لحصلَ المَللُ، وإنَّما قصَدْنا التَّنبيهَ على عُلوِّ مَقامِ هذا الإمام، ومَدحِ الأئمَّةِ له بهذه الصِّفاتِ الجَميلة، حتّى لا يغترَّ أحدٌ بما وَقَع في حقِّه مِن المُتعصِّبينَ المُتحامِلين.

***

فصلٌ في كرمِه(١) وسخائِه

رَوى الخطيبُ: أنَّه ما رأى الناسُ أكرمَ مُجالسةً مِن أبي حنيفةَ، ولا إكرامًا لأصحابِه(٢).

ورُبَّما مرَّ بأبي حنيفةَ الرَّجلُ فيَجلِسُ إليه لغيرِ قصدٍ ولا مُجالسةٍ، فإذا قامَ سأَلَ عنه، فإن كانت به فاقةٌ وَصَله، وإنْ مَرِضَ عادَه حتّى يَجرَّه إلى مواصَلتِه، وكان أكرمَ الناسِ مُجالسةً.

ورَوى أيضًا عن الحسنِ بنِ زيادٍ قال: «رأى أبو حنيفةَ على بعضِ جُلسائِه ثيابًا رثَّةً، فأَمره فجلَس حتّى تفرَّقَ الناسُ وبقيَ وحدَه، فقال له: ارفعْ المُصلّى، وخُذ ما تحتَه، فغيِّرْ به حالكَ، فرفَعَ الرَّجلُ المُصلّى فكانَ تحتَه ألفُ درهمٍ».

ورَوى أيضًا عن أبي يوسفَ قال: «كان أبو حنيفةَ لا يكادُ يُسأل حاجةً إلَّا قضاها».

= وأجوبتِه المُسكِتَة عن الأسئلة المُبهِتَة»، والمُبهِتَة بمعنى: المُدهِشة المُحيِّرة، انظر «مختار الصحاح» (ص٤١).

(١) في (ش): «إكرامه».

(٢) أَفرد هذا الخطيبُ البغداديُّ في «تاريخه» (١٥/ ٤٩٢) بعنوان: «ما ذُكر مِن جُود أبي حنيفةَ وسماحِه وحُسنِ عهدِه».

ورَوى أيضًا عن قيسِ بنِ الرَّبيعِ قال: «كان أبو حنيفةَ كثيرَ الصِّلةِ والبِرِّ لكلِّ مَن لجأَ إليه، كثيرَ الأفضالِ على إخوانِه».

ورَوى الصَّيْمَرِيُّ عن سفيانَ بنِ عُيينةَ قال: «كان أبو حنيفةَ كَثيرَ الصَّدقةِ[1]، وكان كلُّ مالٍ يَستفيدُه لا يَدعُ منه شيئًا إلَّا أَخرجه، ولقد وَجَّهَ إليَّ هدايا استَوحشْتُ مِن كَثرتِها، فشَكَوتُ ذلك إلى بعضِ أصحابِه فقال: لو رأيتَ هدايا بعثَ بها إلى سعيدِ بنِ أبي عروبةَ، وما كان يدعُ أحدًا مِن المُحدِّثينَ إلَّا برَّه بِرًا واسعًا».

ورَوى أيضًا عن مِسْعَرٍ قال: «كان أبو حنيفةَ إذا اشترى لعيالِه شيئًا أنفقَ على شيوخِ العلماءِ مثلَ ما أنفقَ على عيالِه[2]، وإذا اكتسى ثوبًا فعلَ ذلك، وإذا جاءتِ الفاكهةُ والرُّطبُ وكلُّ شيءٍ يريدُ أن يَشتريَه لنفسِه وعيالِه لا يَفعلُ ذلك حتّى يَشتريَ لشيوخِ العلماءِ مثلَه، ويَشتري بعدَ ذلك لعيالِه».

ورَوى أيضًا عن أبي يوسفَ قال: «كان أبو حنيفةَ شديدَ البِرِّ لكلِّ مَن عَرفَ، وكان يَهَبُ للرَّجلِ خمسينَ دينارًا أو أكثرَ، فإذا شَكرَه بحضرةِ قومٍ غَمَّه ذلك، وقال: اشكرِ اللهَ تعالى، فإنَّما هو رِزقٌ ساقَه اللهُ تعالى إليك».

ورَوى الحارِثيُّ عن أبي يوسفَ قال: «ما رأيتُ أجودَ مِن أبي حنيفةَ، فكنتُ أقولُ: ما رأيتُ أجودَ منكَ! فيقول: كيف لو رأيتَ حمّادًا!»، قال: «وكان أبو حنيفةَ يَعولُني وعيالي عشرَ سنينَ، وما رأيتُ أحدًا أَجمعَ للخصالِ المَحمودةِ منه».

---

(١) الذي في «أخبار أبي حنيفةَ وأصحابِه» للصَّيْمَرِي (ص٦٠): «كان أبو حنيفةَ كثيرَ الصلاةِ والصيامِ كثيرَ الصدقة...إلخ».

(٢) وذَكر الذهبيُّ في «مناقبه» (ص٤٦): أنَّ أبا حنيفةَ كان يَشتري حوائجَ الأشياخِ المُحدِّثينَ، وأقواتَهم وكسوتَهم وجميعَ حوائجهم، ويقول: «لا تحمدوا إلا الله، فإني ما أعطيتُكم مِن مالي شيئًا، ولكنْ مِن فضل الله عليَّ فيكم».

ورَوى الصَّيْمَرِيُّ عن الفُضيلِ بنِ عِياضٍ قال: «كان أبو حنيفةَ معروفًا بكثرةِ الأفضالِ، وقلَّةِ الكلامِ، وإكرامِ العلمِ وأهلِه».

ورَوى أيضًا عن عبدِ اللهِ بنِ بكرٍ السَّهميِّ قال: «خاصمَني الجمّالُ في طريقِ مكَّةَ في شيءٍ، فجَرَّني إلى أبي حنيفةَ فسألْنَا فاختلفْنَا عليه في السُّؤالِ، فقال: الاختلافُ في كم؟ فقال: الجمّال أربعونَ درهمًا، فقال أبو حنيفةَ: ذَهبت المروءَةُ مِن الناسِ! فاستحيَيتُ منه، ووَزَن[1] أبو حنيفةَ للجمَّالِ أربعينَ درهمًا».

ورَوى أيضًا عن يحيى بنِ خالدٍ قال: «حُبِس إبراهيمُ بنُ عيينةَ بسببِ دينٍ لَزِمَه، وهو أكثرُ مِن أربعةِ آلافِ درهمٍ، فقامَ بعضُ إخوانِه يَجمعُ له مِن الناسِ، وصارَ إلى أبي حنيفةَ، فقال أبو حنيفةَ: كم دينُه؟ قال: أكثرُ مِن أربعةِ آلافِ درهمٍ، قال: فهل أخذتَ مِن أحدٍ شيئًا؟ قال: نعم، قال: رُدَّ ما أخذتَ، وأنا أقضي جَميعَ ما عليه مِن الدَّينِ».

ورَوى الحارِثيُّ عن شقيقِ بنِ إبراهيمَ قال: «كنتُ مع أبي حنيفةَ في طريقٍ نَعود مريضًا، فرآه رجلٌ مِن بعيدٍ فاختَبأ منه، وأخذَ في طريقٍ آخرَ، فصاحَ به أبو حنيفةَ: أَيْ فلانُ، عليكَ بالطَّريقِ الذي أنتَ فيه، لا تأخذْ في طريقٍ آخرَ، فلمّا علِمَ الرَّجلُ أنَّ أبا حنيفةَ بَصُرَ به خجِلَ ووقفَ، فقال له أبو حنيفةَ: لِمَ عدَلتَ عن طريقِكِ الذي كنتَ عليه؟ قال: لكَ عليَّ عشرةُ آلافِ درهمٍ، وقَد طالَ عليَّ الوقتُ وامتدَّ، ولم أقدِر أنْ أُؤدِّيَ، فلمَّا رأيتُكَ استَحييتُ منكَ، فقال أبو حنيفةَ: سبحانَ اللهِ بلغَ بكَ الأمرُ كلَّ هذا حتّى إذا رأيتَني تواريتَ عني! قد وَهبتُه منكَ كلَّه، وأشهدتُ على نفسِي، فلا تَتوارى بعدَ هذا، واجعلْني في حلٍّ ممّا دخلَ في قلبِك مني حيثُ لقيتَني، قال شقيقٌ: فعلمْتُ أنَّه زاهدٌ حقيقيٌّ».

---

(١) «ووزع»: تحرَّفتْ في بعض النُّسخ، والمثبتُ موافقٌ لما في المصادر.

ورَوى أيضًا عن غُوْرَكٍ السَّعديِّ الكوفيِّ قال: «أَهديتُ إلى أبي حنيفةَ هدايا، فكافأني بأضعافِ ذلك، فقلتُ له: لو علمتُ أنَّكَ تفعلُ مثلَ هذا لم أفعلْ ما فعلْتَ، قال: لا تفعلْ مِثلَ هذا، فإنَّ الفَضلَ للسّابقِ والبَادئِ، أَلم تسمعْ إلى ما حَدَّثني به الهيثمُ عن أبي صالحٍ بَلغَ به النَّبيَّ ﷺ أنَّه قال: «مَن صَنعَ إليكُم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدُوا ما تُكافئُوه فأثنُوا عليه»[1]، فقلتُ: هذا الحديثُ أحبُّ إليَّ مِن جَميعِ ما أَملِكُ».

***

فصلٌ في مكارمِ أخلاقِه

رَوى ابنُ أبي شيبةَ[2] عن يزيدَ بنِ هارونَ قال: «ما رأيتُ أَحلمَ مِن أبي حنيفةَ».

ورَوى أيضًا عن يزيدَ بنِ الكُميتِ قال: «شهدتُ أبا حنيفةَ وشَتمه رجلٌ واستطالَ عليه وقال له: يا زنديقُ، فقال أبو حنيفةَ: غَفرَ اللهُ لكَ، هو يَعلمُ خلافَ ما تقولُ».

ورَوى أيضًا عن يزيدَ بنِ هارونَ قال: «كانَ أبو حنيفةَ له فضلٌ ودِينٌ ووَرعٌ وحِفظُ لسانٍ، وإقبالٌ على ما يَعْنيه».

ورَوى الصَّيْمَرِيُّ عن يزيدَ بنِ الكُمَيْتِ: أنَّ رجلًا قال لأبي حنيفةَ حالَ المناظرةِ: يا مُبتدِعُ يا زنديقُ، فقال له أبو حنيفةَ: غفرَ اللهُ تعالى لك، اللهُ يعلَمُ مني خلافَ ما قُلتَ، وهو يعلَمُ أنِّي ما عدلْتُ به أحدًا منذ عرفتُه، ولا أرجو إلَّا عفوَه، ولا أخافُ إلَّا عِقابَه، ثمَّ بَكى عندَ ذكرِ العقابِ، وسَقطَ سريعًا، ثمَّ أفاقَ، فقال له الرَّجلُ: اجعلْني في حلٍّ، فقال: كلُّ مَن قال فيَّ شيئًا مِن أهلِ الجهلِ فهو في حلٍّ، وكلُّ مَن قال فيَّ

---

(١) «مسند أحمد» (٩/ ٢٢٦)، «سنن أبي داود» (٣/ ١٠٤).

(٢) الذي في «عقود الجمان» (ص٢٨٧): «رَوى يعقوبُ بنُ شيبةَ في تاريخه».

شيئًا ممَّا ليس فيَّ مِن أهلِ العِلمِ فهو في حَرجٍ، فإنَّ غيبةَ العلماءِ تَبقى شَيْنًا بعدَهم».

ورَوى الحارِثيُّ عن أبي يحيى الحِمَّانيِّ قال: «سمعْتُ أبا حنيفةَ يقول: ما جازَيتُ أحدًا بسوءٍ قطُّ، ولا لعنْتُ أحدًا، ولا ظلَمْتُ مُسلمًا، ولا مُعاهدًا، ولا غشَشْتُ أحدًا، ولا خدعتُه».

ورَوى القاضي أبو القاسمِ ابنُ كاسٍ عن يحيى بنِ عبدِ الحميدِ الحِمَّانيِّ، عن أبيه قال: «كنتُ عندَ أبي حنيفةَ فجاءَه رَجلٌ فقال: سَمعتُ سفيانَ يَنالُ منكَ، ويَتكلَّمُ فيكَ، فقال: غَفرَ اللهُ لنا ولسفيانَ، لو أنَّ سفيانَ فُقِدَ في زَمنِ النَّخعيِّ لوَجِلَ على المسلِمينَ فَقْدُه».

ورَوى الحارِثيُّ قال: قال أبو حنيفةَ: «ما صلَّيتُ منذُ ماتَ حمّادُ بنُ أبي سُليمانَ صلاةً إلَّا استغفرتُ له مع والدَيَّ، وإنِّي لأستغفرُ لمَن تعلَّمتُ منه أو تعلَّمَ مني»، وقال: «ما مدَدتُ رِجلي نحوَ دارِ أستاذي حمَّادِ بنِ أبي سُليمانَ إجلالًا له، وكان بينَ دارِه وداري سبعُ سِككٍ».

ورَوى الحارِثيُّ عن أبي معاذٍ قال: «كان أبو حنيفةَ يعرِفُ اختلافي إلى سفيانَ الثَّوريِّ، وكان بينَهما ما يكونُ مِن الأقرانِ، ولا يَمنعُه ذلك مِن تَقريبي وقضاءِ حوائجي، وكان حليمًا وَرِعًا وَقورًا، قد جَمعَ اللهُ تعالى فيه خِصالًا شَريفةً».

ورَوى أيضًا عن عصامِ بنِ يوسفَ: أنَّ رجُلًا قام في ناحيةِ المسجدِ فجعلَ يَسبُّ أبا حنيفةَ ويَشتِمُه، فما قَطعَ أبو حنيفةَ حديثَه، ولا التَفتَ إليه ولا أجابَه، ونهى أصحابَه عن مُخاطبَتِه، فلمّا فَرغَ أبو حنيفةَ مِن دَرسِهِ وقامَ تبِعَه ذلكَ الرَّجلُ، فلمَّا وَصلَ أبو حنيفةَ إلى بابِ داره قامَ على بابه واستَقبل الرَّجلَ بوجهِه، وقال: هذه داري، فإنْ كنتَ تَستَتِمُّ باقي كلامِكَ حتّى لا يَبقى معكَ شيءٌ ممّا عندَكَ لا تَخافُ الفَوتَ فافعَلْ، فاستَحيا الرَّجلُ.

وفي بعضِ المناقبِ: كان لهُ جارٌ يهوديٌّ، وكانت قصبةُ خلائِه تنضَحُ على بيتِ أبي حنيفةَ، فمكثَ عشرَ سنينَ، وهوَ يَكنِسُ كلَّ يومٍ ما نَزلَ في دارِه منها، ويَرميه على المَزْبلةِ، ولم يَعلَم اليهوديُّ قطُّ، فبلغَ ذلك اليهوديَّ فبكى، ثمَّ جاءَ وأسلمَ.

ورَوى الخطيبُ[١] عن عبدِ اللهِ بنِ رجاءٍ قال: «كان لأبي حنيفةَ جارٌ بالكوفةِ إسكافٌ[٢]، يعملُ نهارَه أجمعَ، وكان يَشربُ في الحانَة، ثمَّ يَرجِعُ باللَّيلِ يتغنّى[٣]:

أَضاعُوني وأيَّ فتًى أَضاعُوا ... ليومِ كريهةٍ وَسَدَادِ ثَغْرِ

كأنِّي لم أكنْ فيهم وَسِيطًا ... ولم يَكُ نِسْبَتِي في آلِ عمرِو

أُجرَّرُ في المَجامعِ كلَّ يومٍ ... فيا للهِ مظلمَتي وصَبْري

وكان أبو حنيفةَ يُصلِّي اللَّيلَ كلَّه، فيَسمعُ صَوتَه، ففقدَه ليلةً أو ليلتَين، فسألَ عنهُ، فقيلَ: أخذَه العَسَسُ، فلمّا صلّى أبو حنيفةَ صلاةَ الصُّبحِ أمرَ بشدِّ بَغلتِه، وركِبَ حتّى أتى دارَ الوالي، فأُخبِرَ به، فأَمرَ بدُخولِه راكبًا إلى مكانِ جُلوسِه، فلمّا دَخلَ عليه تلقَّاه وأكرَمَه، وقال: أنا كنتُ أحقُّ بالمجيءِ إليك، هلَّا أرسلْتَ إليَّ فآتيَك! فقال: إنَّ جارًا لي أخذَه العَسَسُ منذ ليالٍ يأمر الأميرُ بإطلاقِه! قال: نعم، وكلُّ مَن مُسكَ تلكَ اللَّيلةَ إلى هذا الحينِ، فأَمرَ الأميرُ بإطلاقِهم، فرَكِبَ أبو حنيفةَ راجعًا، والإسكافُ يمشي وراءَه، فقال: يا فتًى أضعناكَ؟! قال: لا، بل حَفِظْتَ ورَعَيتَ، فجَزاكَ اللهُ خيرًا عن حُرمَةِ الجِوارِ، ورِعايةِ الحقِّ، وتابَ الرَّجلُ، ولم يَعُد إلى ما كان عليه، ولازمَ مجلِسَ أبي حنيفةَ، فصارَ مِن الفقهاءِ».

---

(١) «تاريخ بغداد» (١٥/ ٤٩٦).

(٢) الإسكاف: هو الذي يَعمل بالخِفاف، انظر «القاموس المحيط» (ص٨٢٠).

(٣) أي: يُردِّد هذه الأبيات؛ إذ هي للعرجي، وانظر خبرَها في حواشي العلامة أبي الوفا الأفغانيِّ على «عقود الجمان» (ص٢٨٩).

فصلٌ في كلامِ الناسِ في أبي حنيفةَ

قد أكثرَ الناسُ مِن الوقوعِ فيه، ونَسبوه للرَّأي والقياسِ، ورَمَوه بعظائمِ الأمورِ[١].

حتّى قال الحافظُ عبدُ العزيزِ بنُ أبي رَوّادٍ[٢]: «مَن أحبَّ أبا حنيفةَ فهو سُنيٌّ، ومَن أبغضَه فهو مُبتدِعٌ».

وفي روايةٍ: [٣] «بيننا وبينَ الناسِ أبو حنيفةَ، فمَن أحبَّه وتولّاه علمْنا أنَّه مِن أهلِ السُّنةِ، ومَن أبغضَه علمْنا أنَّه مِن أهلِ البِدعة»[٤].

قال الإمامُ الحافظُ النّاقدُ ابنُ عبدِ البرِّ: «أفرطَ أصحابُ الحديثِ في ذَمِّ أبي حنيفةَ، وتجاوزوا الحدَّ في ذلك، والسَّببُ الموجِبُ لذلك عندَهم إدخالُه الرَّأيَ

---

(١) قال الإمام ابنُ تيميةَ: «فلا يستريبُ أحدٌ في فقه أبي حنيفةَ وفهمِه وعلمِه، وقد نقلوا عنه أشياءَ يَقصدونَ بها الشَّناعةَ عليه، وهي كذبٌ عليه قطعًا»، انظر «منهاج السنة» (٢/ ٦٢٠).

(٢) وقال الإمام نجمُ الدِّينِ الطُّوفيُّ الحنبليُّ في «شرح الروضة» (٣/ ٢٨٩): «كَثُر على أبي حنيفةَ الطَّعنُ، وأبى الله إلا عصمتَه مما قالُوه، وتنزيهَه عما إليه نسبُوه، وجملةُ القول فيه: إنه قطعًا لم يخالِف السُّنةَ عِنادًا، وإنما خالف فيما خالف منها اجتهادًا لحُجَجٍ واضِحة، ودلائلَ صالحةٍ لائحة، وحُجَجُه بينَ الناس موجودةٌ، وقلَّ أنْ ينتصِفَ منها مخالفوه، وله بتقدير الخطأ أجرٌ، وبتقدير الإصابةِ أجرانِ، والطاعنونَ عليه إما حسادٌ، أو جاهلونَ بمواقع الاجتهاد، وآخرُ ما صحَّ عن الإمام أحمدَ إحسانُ القولِ فيه، والثناءُ عليه».

تحرَّفتْ في النُّسخ، وهو شيخُ الحرم الإمام عبدُ العزيز بنُ أبي رَوّادٍ المكي، انظر ترجمتَه في «السير» (٧/ ١٨٥)، و«تهذيبِ التهذيب» (٢/ ٥٨٥)، والخبرُ ساقه الصَّيْمَرِيُّ في «أخباره» (ص٨٦).

(٣) «مناقب أبي حنيفة» للموفق الخوارزمي: (٢/ ٣٢).

(٤) ونُقل مثلُ هذا الكلامِ عن الإمام الحافظ الحُجَّةِ أبي معاويةَ الضَّريرِ (ت١٩٥)، فإنه قال: «حُبُّ أبي حنيفةَ مِن السُّنة»، انظر «تاريخ الإسلام» (٣/ ٩٩٤).

والقياسَ على الآثارِ واعتبارُها، وأكثرُ أهلِ العِلمِ يقولون: إذا صحَّ الأثرُ بطلَ القياسُ والنَّظر»[١].

قال: «وكان أبو حنيفةَ يُحسَدُ ويُنسبُ إليه ما ليس فيه، ويُختلَق عليه ما لا يَليقُ به»[٢].

ونَقل أبو بكرٍ الآجُرِّيُّ[٣] عن بعضِهم: «أنَّه سُئِل عن مذهبِ الإمامِ أبي حنيفة؟ فقال: لا رأيَ ولا حديثَ، وسُئِل عن مالكٍ؟ فقال: رأيٌ ضعيفٌ، وحديثٌ صحيحٌ، وسُئلَ عن الإمامِ الشافعيّ؟ فقال: رأيٌ صحيحٌ، وحديثٌ صحيحٌ».

إذا علمتَ هذا فاعلم: أنَّ جميعَ ما تكلَّموه في الإمامِ أبي حنيفةَ فهو إمّا مَحضُ تعصُّبٍ كما مرَّ، أو يُجابُ[٤] عنه كما ستراه إن شاءَ اللهُ تعالى.

قال العلَّامةُ الفقيهُ حافظُ المَغربِ ابنُ عبدِ البَرِّ رحمه اللهُ تعالى[٥]: «كان أبو حنيفةَ في الفقهِ إمامًا حَسنَ الرَّأي والقياسِ، لطيفَ الاستِخراجِ، جيِّدَ الذِّهنِ، حاضرَ الفَهمِ، ذكيًّا ورِعًا عاقلًا، إلَّا أنَّه كان مذهبُه في أخبارِ الآحادِ العُدولِ ألا يَقبلَ منها ما خالفَ الأُصولَ المُجمعَ عليها، فأَنكرَ عليه أهلُ الحديثِ ذلك، ورَموه[٦] وأَفرطُوا فيه، وحَسده مِن أهلِ وقتِه مَن بَغى عليه، واستحلَّ الغِيبة

---

(١) «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ١٠٨٠).

(٢) «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ١٠٨٠).

(٣) «جزء فيه حكايات عن الشافعي وغيره» (ص٣٣).

(٤) في (ش): «مجاب».

(٥) «الاستغناء في معرفة المشهورينَ مِن حملة العِلم بالكُنى» (١/ ٥٧٢).

(٦) في «الاستغناء»: «وذموه».

فيـه، وعظَّمَـه آخـرونَ ورفَعـوا ذِكـرَه، واتَّخـذُوه إمامًـا، وأفرطـوا أيضًا فـي مَدحِه، وألَّـفَ النـاسُ في فَضائِلـه وفـي مَثالِبه، والطَّعـنِ عليه».

ورَوى الحارِثيُّ قال: «كان عبدُ اللهِ بنُ المُباركِ جالسًا يُحدِّثُ الناسَ، فقال: حدَّثني[1] النُّعمانُ بنُ ثابتٍ، فقال بعضُهم: مَن يعني أبو عبدِ الرَّحمنِ؟ فقال: أعني أبا حنيفةَ، مخُّ العِلمِ، فأَمسك بعضُهم عن الكتابةِ، فسَكتَ ابنُ المباركِ هُنيهةً[2]، ثمَّ قال: أيُّها الناسُ، ما أسوءَ أدبَكم، وما أجهلَكم بالأئمَّةِ، وما أقلَّ معرفتكم بالعِلمِ وأهلِه، ليسَ أحدٌ أحقُّ أنْ يُبتَدأَ به مِن أبي حنيفةَ؛ لأنَّه كان إمامًا تقيًّا نقيًّا، ورِعًا عالِمًا فقيهًا، كَشفَ العِلمَ كَشفًا، لم يكشفْه أحدٌ، ببصرٍ وفَهمٍ، وفطنةٍ وتُقًى[3]، ثمَّ حَلفَ ألا يُحدِّثَهم شهرًا».

ورَوى الصَّيْمَرِيُّ عن تَميمِ بنِ عَطيَّةَ قال: «كنتُ عندَ يزيدَ بنِ هارونَ فذُكِرَ أبو حنيفةَ، فنالَ منهُ إنسانٌ فأطرقَ طويلًا، فقالوا: رَحِمَك اللهُ حدِّثْنا، فقال: كانَ أبو حنيفةَ تقيًّا نقيًّا، زاهِدًا عالِمًا، صدوقَ اللِّسانِ، أحفظَ أهلِ زمانِه، سمعْتُ كلَّ مَن أدركْتُه مِن أهلِ زمانِه يقول: إنَّه ما رأى أفقَه منه».

ورَوى الخطيـبُ[4] عن ابـنِ المُباركِ قال: «قدِمْتُ الشّـامَ علـى الأوزاعيِّ فرأيتُه

---

(١) في (ش): «حدثنا».

(٢) في (ك): «هيبة».

(٣) رضي الله عن الإمام عبد الله بنِ المبارك، فإنَّ كلامَ العلماءِ لا يَعرف قدرَه ومكانتَه العاليةَ إلا العلماءُ، فقد فَقِه ابنُ المبارك فِقْهَ أبي حنيفة، وأدرك بُعدَ نظرِه، فتفقَّه به وأَخذ برأيه، ومِن كلام ابنِ المبارك الذي يَختصر لنا موضعَ الرأي في التشريع قولُه: «ليكنْ الأمرُ الذي تَعتمدون عليه هذا الأثر، وخُذوا مِن الرأي ما يُفسِّر لكم الحديثَ»، رواه ابنُ البرِّ في «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٧٨٢).

(٤) «تاريخ بغداد» (١٥/ ٤٦٣).

ببيروتَ، فقال: يا خُراسانيُّ مَن هذا المُبتدِعُ الذي خَرج بالكوفةِ يُكنى أبا حنيفةَ؟ فرجَعتُ إلى بيتِي فأقبَلتُ على كُتبِ أبي حنيفةَ، فأخذْتُ[1] منها مسائِلَ مِن جيادِ المسائلِ، وبقيتُ في ذلك ثلاثةَ أيامٍ، فجئتُه في اليومِ الثالثِ وهو مؤذِّنُ مَسجدِهم وإمامُهم، والكتابُ في يدي، فقال: أيُّ شيءٍ هذا الكتابُ؟ فنظرَ في مسألةٍ منها وقفتُ عليها قال: النُّعمانُ بنُ ثابتٍ... فما زال قائمًا بعدَ أن أذَّنَ حتّى قرأ صدرَ الكتابِ حتّى أتى عليها، فقال: يا خراسانيُّ مَن النُّعمانُ بنُ ثابتٍ هذا؟! قلتُ: شيخٌ لقيتُه بالعراقِ، فقال: هذا نبيلٌ مِن المشايخِ، اذهبْ فاستكثِرْ منه، قلت: هذا أبو حنيفةَ الذي نَهيْتَ عنه!».

ورَوى هذه القصَّةَ ابنُ أبي حاتِمٍ[2] الجُرجانيُّ عن ابنِ المُباركِ[3]، وزادَ في آخره: «ثمَّ التقى أبو حنيفةَ والأوزاعيُّ بمكَّةَ، وكان بينَهما اجتماعٌ، فرأيتُه يُجاري أبا حنيفةَ في المسائلِ التي كانت في الرُّقعةِ، فرأيتُ أبا حنيفةَ يَكشِفُ له تلكَ المسائلَ بأكثرَ ممَّا كتبتُ عنه، فلمَّا افترقا لقيتُ الأوزاعيَّ بعدَ ذلك، فقال: غَبطْتُ الرَّجلَ بكثرةِ عِلمِه ووفورِ عقلِه، وأستغفِرُ اللهَ، لقد كنتُ في غلطٍ ظاهرٍ، الْزمِ الرَّجلَ فإنَّه بخلافِ ما بلغني عنه».

وقال أبو مُطيعٍ: «كنتُ يومًا عندَ الإمامِ أبي حنيفةَ في جامعِ الكوفةِ، فدخلَ عليه سفيانُ الثَّوريُّ، ومقاتِلُ بنُ حيَّان، وحمّادُ بنُ سلمةَ، وجعفرٌ الصَّادقُ وغيرُهم مِن الفقهاءِ، فكلَّموا الإمامَ أبا حنيفةَ وقالوا: قد بلغَنا أنَّك تُكثِرُ مِن القياسِ في الدِّينِ، وإنَّا نخافُ عليكَ منه، فإنَّه أوَّلُ مَن قاسَ إبليسُ، فناظرَهم الإمامُ مِن بكْرَةِ نهارِ الجمعةِ

---

(١) في «تاريخ بغداد»: «فأخرجت».

(٢) اختلفتْ نُسَخُ: «عقود الجمان» في ذِكر هذا الاسم.

(٣) كذا قال الصالحيُّ في «عقود الجمان» (ص١٩٢).

إلى الزَّوالِ، وعَرَضَ عليهم مذهبَه، وقال: إنِّي أُقدِّمُ العملَ بالكتابِ، ثمَّ بالسُّنَّةِ، ثمَّ بأقضيَةِ الصَّحابةِ، مُقدِّمًا ما اتَّفقوا عليه على ما اخْتلفوا فيه، وحينئذٍ أَقيسُ، فقاموا كلُّهم وقبَّلوا يدَه وركبتَه، وقالوا له: أنت سيِّدُ العُلماءِ، فاعفُ عنّا فيما مَضى منّا مِن وقيعَتنا فيكَ بغيرِ عِلمٍ، فقال: غفرَ اللهُ لنا ولكم أجمعين».

قال أبو مُطيعٍ: «وممّا كان وقعَ فيه سفيانُ أنَّه قال: قد حلَّ أبو حنيفةَ عُرى الإسلامِ عُروةً عُروةً»[١].

فالغافِلُ النَّاقصُ[٢] مَن حَفِظَ النَّقائصَ[٣]، وغَفَل عن مِثلِ هذا، فلم يَشعر برجوعِ مَن رَجعَ بعدَما وَقع!

وإنَّما قلنا هذا لِما عرَفتَ، ولِما وَردَ مِن تعظيمِ الأئمَّةِ المُجتهدينَ لأبي حنيفةَ، كمالكٍ والشافعيِّ وأحمدَ وسفيانَ وغيرِهم...

مع أنَّ كلامَ الأئمَّةِ إذا تكلَّموا بما ظاهرُه الوقوعُ يمكنُ تأويلُه أو حملُه على غيرِ المُتبادَرِ؛ إجلالًا لِمَقامِهم.

فيُحتَملُ قولُ سفيانَ مِن أنَّ أبا حنيفةَ قد حلَّ عُرى الإسلامِ أي: مُشكِلَه، مَسألةً بعدَ مَسألةٍ، حتّى لم يبقَ في الإسلامِ شيئًا مُشكِلًا؛ لغزارةِ علمِه، وقوَّةِ فهمِه.

ويُحتملُ الافتراءُ على الأئمَّةِ، فينقُلون عنهم ما لم يَقعْ منهم.

مثلُ ما يُحكى مِن وَقيعةِ الإمامِ مالكٍ في أبي حنيفةَ مِن طريقِ الوليدِ بنِ مُسلمٍ مِن قولِه: «قال لي مالكُ بنُ أنسٍ رحمه الله: أَيُذكَر أبو حنيفةَ في بلادِكم؟

---

(١) قد بيَّن عدمَ صحَّةِ هذه المقولةِ الكوثريُّ في «تأنيب الخطيب» (ص٢١٦).

(٢) في (ك): «الناقض».

(٣) في (ك): «النقائض».

قلت: نعم، فقال: ما يَنبغي لبلادِكم أن تُسكَنَ»، فقال الحافظُ المِزِّيُّ[١]: إنَّ الوليدَ هذا ضعيفٌ[٢]، انتهى[٣].

وبتقدير ثبوتِ ذلك عن الإمامِ مالكٍ فهوَ مُؤوَّلٌ، أي: إنْ كان الإمامُ أبو حنيفةَ في بلادِكم يُذكَر؛ أي: على وجهِ الانقيادِ لهُ والاتِّباعِ لأقوالِه، فلا يَنبغي لعالمٍ أن يَسكُنَها؛ لاكتفاءِ بلادِكم بعلمِ أبي حنيفةَ، واستِغناءِ الناسِ بسؤالِه في جميعِ أمورِ دينِهم عن سؤالِ غيرِه[٤]، فإذا سكنَ أحدٌ مِن العلماءِ في بلادِه صارَ علمُه مُعطَّلًا عن التَّعليمِ، فينبغي له الخروجُ إلى بلادٍ أُخرى؛ ليَنفعَ أهلَها.

وأيضًا فغايةُ كلامِهم في أبي حنيفةَ نسبتُهم إيّاه للرَّأيِّ والقياسِ، ولا خُصوصيَّةَ له في ذلكَ، فقد نَقل ابنُ عبدِ البرِّ عن سلمةَ بنِ شَبيبٍ قال: «سمعتُ الإمامَ أحمدَ بنَ حنبلٍ يقولُ: رأيُ الأوزاعيِّ ورأيُ مالكٍ ورأيُ أبي حنيفةَ ورأيُ سفيانَ كلُّه رأيٌ، وإنَّما الحُجَّةُ في الآثارِ»[٥]، انتهى.

فحيثُ تساوَوا في الرَّأيِّ فهلَّا تكلَّموا في البقيةِ، كما تكلَّموا في أبي حنيفةَ؟!

فما بالُ كثيرٍ مِن المُتحاملين أَفرطوا في أبي حنيفةَ، وصَنَّفوا في ذلك كُتبًا، والإنصافُ يَقضي أنْ يُتكلَّمَ في غيرِه ممَّن قال بالرَّأي كما تُكلِّم فيه.

---

(١) في (ش): «المُزني»، وكذلك هو في «الميزان الكبرى» للشعراني، والله أعلم.

(٢) الوليد بن مسلم القرشي الدمشقي: إمامٌ كبير، إلا أنه اتهم بالتدليس والخطأ، وانظر «تهذيب الكمال» (٣١/ ٨٦).

(٣) هذا النصُّ بلفظه وجدته في «الميزان الكبرى» للشعراني (١/ ٥٥)، وجاء فيه: «المزني»، والله أعلم.

(٤) في (ش): «غيرهم».

(٥) «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ١٠٨٢).

قال نُصيرُ[(١)] بنُ يحيى البَلْخيُّ: «قلتُ لأحمدَ بنِ حنبلٍ: ما الذي نقمتُم على هذا الرَّجلِ؟ يعني: أبا حنيفةَ، قال: الرَّأيُ، قلتُ: فهذا مالكٌ ألم يتكلَّم بالرَّأي؟ قال: بلى، ولكنْ رأيُ أبي حنيفةَ خُلِّدَ في الكُتب، قلت: فقد خُلِّدَ رأيُ مالكٍ في الكُتب، قال: أبو حنيفةَ أكثرُ رأيًا منه، قلت: فهلَّا تكلمتُم في هذا بحصَّتِه وهذا بحصَّتِه؟ فسَكتَ»، انتهى[(٢)].

ورَوى الخطيبُ[(٣)] عن الإمامِ وكيعِ بنِ الجَراحِ قال: «دخلتُ على أبي حنيفةَ فرأيتُه مُطرِقًا مُفكِّرًا، فقال لي: مِن أينَ أقبلتَ؟ قلت: مِن عندِ شَريكٍ، فرَفع رأسَه وأنشأَ يقول:

إنْ يَحسُدُوني فإنِّي غيرُ لائِمهمْ ... قبلِي مِن الناسِ أَهلُ الفضلِ قد حُسِدُوا
فدامَ لي ولهم ما بي وما بهمُ ... وماتَ أكثرُنا غيظًا بما يَجِدُ

قال وكيعٌ: وأظنُّه كان بلغَه عنه شيءٌ»، انتهى.

وبالجملةِ: فقد قال ابنُ عبدِ البرِّ[(٤)]: «الذين رَووا عن أبي حنيفةَ ووَثَّقوه وأَثنوا عليه أكثرُ مِن الذينَ تكلَّموا فيه، والذين تَكلَّموا فيه مِن أهلِ الحديثِ أكثرُ ما عابوا عليه الإغراقَ في الرَّأيِّ والقياسِ، وقد جاءَ عن الصَّحابةِ رضي الله عنهم مِن اجتهادِ الرَّأي والقولِ بالقياسِ على الأصولِ عندَ عدمِها ما يَطولُ ذِكرُه».

---

(١) في النُّسخ: «نصر»، والمثبتُ موافقٌ للمصادر والمراجع، وانظر ترجمتَه في «الجواهر المضيَّة» (٣/ ٥٤٦).

(٢) روى القصةَ ابنُ أبي العوّام في «فضائل أبي حنيفة» (ص٧٧)، وعنه الذهبيُّ في «مناقب أبي حنيفة» (ص٤١).

(٣) «تاريخ بغداد» (١٥/ ٥٠٢).

(٤) «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ١٠٨٤).

ثم قال: «ومِمَّن حُفِظَ عنه أنَّه قال وأفتى بجَهْدِ رأيه، وقاسَ على الأصولِ ممّا لم يَجد فيهِ نصًّا مِن التَّابعينَ:

فمِن أهلِ المدينةِ: سعيدُ بنُ المُسيَّبِ، وأبو سلمةَ بنُ عبدِ الرَّحمنِ، وخارجةُ بنُ زيدٍ، وأبو بكرِ بنُ عبدِ الرَّحمنِ، وعروةُ بنُ الزُّبيرِ، وأبان بنُ عثمانَ، وابنُ شِهابٍ، وأبو الزِّنادِ، وربيعةُ بنُ أبي عبدِ الرَّحمنِ، ومالكُ بنُ أنسٍ وأصحابُه، وعبدُ العزيزِ بنُ أبي سلمَةَ، وابنُ أبي ذِئبٍ، وأصحابُ مالكٍ المَدنيونَ، وابنُ دينارٍ، والمُغيرةُ المَخزوميُّ، وابنُ أبي حازمٍ، وعثمانُ بنُ كِنانةَ، ومحمدُ بنُ صَدقةَ الفَدَكِيُّ، ومُطَرِّفٌ، وابنُ المَاجِشونَ، وأُمامةُ بنُ زيدٍ.

ومِن أهلِ مكَّةَ واليمنِ: عطاءٌ، ومجاهدٌ، وطاوسٌ، وعكرمةُ، وعمرُو بنُ دينارٍ، وابنُ جُريجٍ، ويحيى ابنُ أبي كثيرٍ، ومَعْمَرُ بنُ راشدٍ، وسعيدُ بنُ سالمٍ، وابنُ عُيينةَ، ومُسلمُ بنُ خالدٍ، والشافعيُّ.

ومِن أهلِ الكوفةِ: علقمةُ، والأسودُ، وعبيدةُ، وشُريحٌ القاضي، ومسروقٌ، والشَّعبيُّ، وإبراهيمُ النَّخعيُّ، وسعيدُ بنُ جُبيرٍ، والحكمُ بنُ عُتيبةَ، وحمَّادُ بنُ أبي سُليمانَ، وأبو حنيفةَ وأصحابُه، والثَّوريُّ، والحسنُ بنُ صالحٍ، وابنُ المباركِ، وسائرُ فقهاءِ الكوفيينَ.

ومِن أهلِ البَصرةِ: الحسنُ، وابنُ سيرينَ، وجابرُ بنُ زيدٍ، وعثمانُ البَتِّيُّ، وعبيدُ اللهِ بنُ الحسنِ، وسوارٌ القاضي.

ومِن أهلِ الشَّامِ: مكحولٌ، وسُليمانُ بنُ موسى، والأوزاعيُّ، وسعيدُ بنُ عبدِ العزيزِ، ويزيدُ بنُ جابرٍ.

ومِن أهلِ مصرَ: يزيدُ بنُ أبي حَبيبٍ، وعَمرُو بنُ الحارثِ، واللَّيثُ بنُ سعدٍ،

وعبدُ اللهِ بنُ وَهْبٍ، ثمَّ سائرُ أصحابِ مالكٍ، وأشهبُ، وابنُ عبدِ الحكمِ، وأصحابُ الشافعيِّ: المُزنيُّ، والبُوَيْطِيُّ، وحرملةُ.

ومِن أهلِ بغدادَ وغيرِهم مِن الفقهاءِ: أبو ثورٍ، وإسحاقُ بنُ راهويه، وأبو عُبيدٍ القاسمُ بنُ سلّامٍ، وأبو جعفرٍ محمدُ بنُ جريرٍ الطَّبريُّ»، انتهى كلامُ ابنُ عبدِ البرِّ[١].

إذا تأمَّلتَ هذا ـ وفَّقكَ اللهُ تعالى ـ تَحقَّقتَ أنَّ الإمامَ أبا حنيفةَ لم يَنفرد بالقولِ بالقياسِ على الأُصولِ، بل على ذلك عملُ فقهاءِ الأمصارِ كما مرَّ، فَسَقطَ قولُ مَن عابَ الإمامَ أبا حنيفةَ بذلك جُمودًا منه وتَعصُّبًا، على أنَّ جميعَ المُجتهدينَ قاسوا، ولم يَزل مُقلِّدوهم يَقيسونَ إلى وقتِنا هذا في كلِّ مسألةٍ لا يَجدِون فيها نَصًّا مِن كتابٍ ولا سُنَّةٍ مِن غيرِ نكيرٍ بينَهم، بل جعلوا القياسَ أحدَ الأدلَّةِ الأربعةِ، فقالوا: الكتابُ والسُّنةُ والإجماعُ والقياسُ.

وقد كان الإمامُ الشافعيُّ رضي الله عنه يقولُ: «إذا لم نَجِد للمسألةِ دليلًا قِسْناها على الأُصولِ».

على أنَّ جماعةً مِن العلماءِ المحقِّقينَ قالوا: «إنَّ القياسَ الصَّحيحَ على الأُصولِ الصَّحيحةَ أقوى مِن خَبرِ الآحادِ الصَّحيحِ، فكيفَ بخبرِ الآحادِ الضَّعيفِ؟!»[٢].

وقد كان عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه إذا أفتى الناسَ يقولُ: «هذا رأيُ عمرَ فإنْ كان صوابًا فمِن الله، وإنْ كان خطأً فمِن عمر»[٣].

***

---

(١) «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ٨٥٨).

(٢) انظر المسألةَ في «شرح تنقيح الفصول» للقَرافي: (ص٣٨٧).

(٣) رواه البيهقيُّ في «السنن الكبرى» (١٠/ ١٩٨).

فصلٌ في تبرِّي أبي حنيفةَ مِن القياسِ والرَّأي

رَوى أبو جعفرٍ السُّرْمارِيُّ[(١)] بسندِه المتَّصلِ إلى الإمامِ أبي حنيفةَ أنَّه قال: «كَذبَ واللهِ وافترى علينا مَن يقولُ عنا إنَّنا نُقدِّمُ القياسَ على النَّصِّ، وهل يُحتاجُ بعدَ النَّصِّ إلى قياس؟!»[(٢)].

ونَقل الثِّقاتُ أنَّ أبا جعفرٍ المنصورَ كَتب إلى الإمامِ أبي حنيفةَ: بَلغني أنَّك تُقدِّمُ القياسَ على الحديثِ، فقال: «ليس الأمرُ كما بَلغك يا أميرَ المؤمنينَ، إنَّما أعملُ أولًا بكتابِ اللهِ، ثمَّ بسُنَّةِ رسولِ اللهِ، ثمَّ بأَقضيةِ الصَّحابةِ، ثمَّ أقيسُ بعدَ ذلك إذا اختلفوا، وليس بينَ يدَي اللهِ تعالى وبينَ خَلقِه قَرابةٌ».

وكان رضي الله عنه يقول: «نحن لا نَقيسُ إلَّا بعدَ الضَّرورةِ الشَّديدةِ، وذلك أنَّنا ننظرُ أوَّلًا في دليلِ تلكِ المسألةِ مِن الكتابِ والسُّنةِ وأقضيةِ الصَّحابةِ، فإن لم نَجِد دَليلًا قِسْنا حِينئذٍ مَسكوتًا عنه على مَنطوقٍ، بجامِعِ اتّحادِ العلَّةِ بينَهما».

وفي رِوايةٍ أُخرى: «إنَّا نَعملُ أوَّلًا بكتابِ اللهِ، ثمَّ بسُنَّةِ رسولِ اللهِ، ثمَّ بأحاديثِ أبي بكرٍ وعُمرَ وعُثمانَ وعليٍّ رضيَ الله عنهم».

وفي رِوايةٍ أُخرى أنَّه قال: «ما جاءَ عن رسولِ اللهِ ﷺ فعلى الرَّأسِ والعَينِ ـ

---

(١) جاءت في النُّسخ: «الشيراماري»، و«الشبراماري»، وهو تحريفٌ عن تحريف! فهذه المقولةُ أوردها عبدُ الوهابِ الشعرانيُّ في «الميزان» (١/ ٥٦) ـ وغالبُ الظنِّ أنَّ النقلَ منه ـ بلفظ: «الشيزاماري»، وعنه انتقلتْ وشاعتْ في كثيرٍ مِن الكتب، وصوابُها: (السُّرْمارِي)، وهو القاضي أبو جعفرٍ أحمدُ بنُ عبدِ الله بنِ القاسم السُّرْمارِي، انظر «الجواهر المضية» (١/ ١٨٣).

(٢) قال الإمام ابنُ تيمية: «ومَن ظنَّ بأبي حنيفةَ أو غيرِه مِن أئمة المسلمينَ أنهم يتعمَّدونَ مُخالفةَ الحديث الصحيح لقياسٍ أو غيرِه فقد أخطأ عليهم، وتكلَّم إما بظنٍّ وإما بهوًى»، «مجموع الفتاوى» (٢٠/ ٣٠٤).

بأبي هو وأُمِّي ـ وليس لنا مخالفتُه، وما جاءَ عن أصحابِه تَخيَّرْنا، وما جاءَ عن غيرِهم فهم رجالٌ ونحنُ رجالٌ».

وقال نُعيمُ بنُ حمَّادٍ: سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ المُباركِ يقول: «قال أبو حنيفة رضي الله عنه: إذا جاءَ الحديثُ عن النَّبيِّ ﷺ فعلى الرَّأسِ والعينِ، وإنْ كان عن أصحابِ النَّبيِّ ﷺ أخذْنا مِن قولِهم ولم نَخرُج عن قولِهم، وإنْ كان عن التَّابعينَ فنحنُ رجالٌ وهُم رجالٌ».

ورَوى الخطيبُ[1] عن الحسنِ بنِ زيادٍ قال: «قال الإمامُ أبو حنيفةَ: رَأْيُنا هذا أَحسنُ ما قدَرْنا عليه، فمَن جاءَ بأَحسنِ مِن قولِنا فهو أَولى بالصَّوابِ منّا».

وأَنشد غسانُ بنُ محمدٍ التَّميميُّ[2]:

وَضعَ القياسَ أبو حنيفةَ كُلَّه ... فأتى بأَوضَحِ حُجَّةٍ وقِياسِ
وبَنى على الآثارِ أُسَّ بِنائِه ... فأَتتْ غوامِضُه على الآساسِ
والناسُ يَتَّبعُونَ فيها قولَهُ ... لَمّا استَبانَ ضِياؤُه للنَّاسِ

وكان رحمه اللهُ يَحُثُّ على اتِّباعِ الآثارِ، والتَّمسُّكِ بالكتابِ والسُّنَّةِ[3].

رَوى الشيخُ محييُ الدِّينِ في «الفتوحاتِ المكيَّةِ»[4] بسندِه إلى الإمامِ أبي حنيفةَ

(١) «تاريخ بغداد» (١٥/ ٤٨١)، والقائلُ هو الحسنُ بنُ زيادٍ اللؤلؤيُّ تلميذُ أبي حنيفة.

(٢) لعله الإمامُ الفقيهُ غسانُ بنُ محمدِ بنِ عبيد الله النيسابوري، انظر «الجواهر المضية» (٢/ ٦٨٧). والأبياتُ في «تاريخ بغداد» (١٣/ ٣٤٩).

(٣) قال الإمام ابنُ القيمِ في «إعلام الموقِّعين» (٢/ ١٤٥): «وأصحابُ أبي حنيفةَ رحمه الله مُجمعونَ على أنَّ مذهبَ أبي حنيفةَ: أنَّ ضعيفَ الحديثِ عندَه أَولى مِن القياس والرأي، وعلى ذلك بنى مذهبَه».

(٤) لم أَعثر عليها في مطبوعة «الفتوحات المكية»، ونقله عنها الشعرانيُّ في «الميزان» (١/ ٥٠).

أَنَّه كان يقول: «إِيَّاكُم والقَولَ في دِينِ اللهِ بالرَّأيِّ، وعليكم باتِّباع السُّنَّةِ، فمَن خَرجَ عنها ضَلَّ».

وكان يقول: «إِيَّاكم وآراءَ الرِّجالِ».

وكان يقول: «عليكم بآثارِ مَن سَلَف، وإِيَّاكم ورَأيَ الرِّجالِ وإنْ زَخرفُوه بالقولِ، فإِنَّ الأمرَ يَنجَلي حين يَنجَلي وأنتم على صِراطٍ مُستقيمٍ، وإِيَّاكم والبِدعَ والتَّبدُّعَ، وعليكم بالأمرِ الأوَّل العَتيقِ».

ودخلَ عليه مرَّةً رجلٌ مِن أهلِ الكوفةِ والحديثُ يُقرأُ عندَه، فقال الرَّجلُ: دعونا مِن هذهِ الأحاديثِ، فزَجَرَه الإمامُ أشدَّ الزَّجرِ وقال: «لولا السُّنةُ ما فَهِمَ أحدٌ منّا القُرآنَ»، ثمَّ قال للرَّجلِ: «ما تقول في لَحمِ القِردِ وأين دَليلُه مِن القُرآنِ؟»، فأُفحِمَ الرَّجلُ، فقال للإمام: فما تقول أنت فيه؟ فقال: «ليس هو مِن بهيمةِ الأنعام».

ودَخل شخصٌ الكوفةَ بكتابِ دانيالَ فكادَ أبو حنيفة أنْ يَقتلَه، وقال: «أكتابٌ ثَمَّ غيرُ القُرآنِ والحديثِ؟!».

وقيل له مرَّةً: ما تقول فيما أَحدثَه الناسُ مِن الكلامِ في العَرَضِ والجَوهرِ والجِسمِ؟ فقال: «هذه مقالاتُ الفلاسِفةِ، فعليكم بالآثارِ، وطريقِ السَّلفِ، وإِيَّاكم وكلَّ مُحدَثٍ فإنَّه بدعةٌ».

وكان يقول: «قاتلَ اللهُ عمرَو بنَ عُبيدٍ، فإنَّه فتحَ للنَّاسِ بابَ الخَوضِ في الكلامِ فيما لا يَعنيهم».

وكان يقول: «عجبتُ لقومٍ يقولونَ بالظَّنِّ، ويعملونَ بالظَّنِّ، واللهُ تعالى لم يرضَ لنبيِّه ذلك فقال تعالى: ﴿وَلَا نَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦]».

وكان يقول لأصحابِهِ: «إنْ لم تُريدوا بهذا العِلمَ الخيرَ لم تُوفَّقوا، ومَن تَعلَّمَ

العِلمَ للدُّنيا حُرِمَ بَركتَه، ولم يَنتفِع به كبيرُ أحدٍ، ومَن تَعلَّمَه للدِّينِ بُورِكَ له فيه، ورَسخَ في قلبِه، وانتَفعَ المُقتبِسونَ منه لعلمِه».

وقال لإبراهيمَ بنِ أدهمٍ: «يا إبراهيمُ، إنَّك رُزقتَ مِن العِبادةِ شيئًا صالحًا، فليكُن العِلمُ مِن بالِكَ، فإنَّه رأسُ العِبادةِ، وبه قوامُ الأُمورِ».

وكان يقول: «إنْ لم تكُن العلماءُ أولياءَ اللهِ في الدُّنيا والآخرةِ، فليس للهِ وَليٌّ!».

***

فصلٌ في كَونِ أبي حنيفةَ مِن كبارِ المُحدِّثين

اعلم وَفَّقكَ اللهُ تعالى: أنَّ الإمامَ أبا حنيفةَ مِن كبارِ حُفَّاظِ الحديثِ، لا كما زَعَمَ بعضُ مَن يَحسُدُه وليس كما زَعم[1].

فقد تَقدَّمَ أنَّه أَخذَ عن أربعةِ آلافِ شيخٍ مِن أئمَّةِ التَّابعينَ وغيرِهم، ولولا كَثرةُ اعتنائِه بالحديثِ ما تهيَّأَ له استنباطُ مسائلِ الفقه، فإنَّه أَوَّلُ مَن استنبطَه مِن الأدلَّة.

وقد شَهِدَ له الأئمَّةُ كابنِ مَعينٍ وابنِ المَدينيِّ والأعمشِ ويَزيدَ بنِ هارونَ بالحِفظِ ومَعرفةِ الحديثِ، والوثوقِ به، كما مرَّ في ثناءِ الأئمَّة عليه.

قيل ليحيى بنِ مَعينٍ: يا أبا زكريا، أبو حنيفةَ كان يَصدُقُ في الحديثِ؟ قال: «نعم، صَدوقًا قد حدَّثَ عنه قومٌ صالحونَ».

وقال عليُّ بنُ المدينيِّ: «أبو حنيفةَ رَوى عنه الثَّوريُّ، وابنُ المُباركِ،

---

(١) أَورد الذهبيُّ في «تذكرة الحفاظ» (١/ ١٥٨) أبا حنيفةَ ضمنَ الطبقةِ الخامسة، ومما ذَكَر في ترجمته: «أبو حنيفةَ الإمامُ الأعظم، فقيهُ العراق، رأى أنسَ بنَ مالكٍ غيرَ مرَّةٍ لمّا قدم عليهم الكوفةَ، وكان إمامًا ورعًا، عالِمًا عاملًا مُتعبِّدًا، كبيرَ الشأن، لا يَقبل جوائزَ السلطان، بل يتَّجر ويكتَسِب».

وحَمَّادُ بنُ زيدٍ، وهُشَيمٌ، ووَكيعُ بنُ الجراحِ، وعبَّادُ بنُ العوَّامِ، وجعفرُ بنُ عَونٍ، وهو ثقةٌ، لا بأسَ به».

وقد مرَّ في ذِكرِ الآخذينَ عنه أنَّ مِن جُملتِهم: الإمامُ مالكُ بنُ أنسٍ، إمامُ دارِ الهجرةِ، فقد ذَكر أبو المُؤَيَّدِ الخُوارِزميُّ[1] أنَّه روى عن الإمامِ أبي حنيفةَ، ورَوى الإمامُ أبو حنيفةَ عنه[2].

---

(١) انظر «مناقبَ أبي حنيفة» للموفق الخوارزمي: (١/ ٥٠، ٢/ ٣٣).

(٢) يُراجع في هذا رسالةُ: «أقومِ المسالك في بحث رواية مالكٍ عن أبي حنيفة، وروايةِ أبي حنيفةَ عن مالك» للكوثري.

ومِمن ذَكر اجتماعَ الإمامَينِ مع بعضهما القاضي عياض في «ترتيب المدارك» (١/ ١٥٢)، فقد نَقل عن اللَّيثِ بنِ سعدٍ قال: «لقيتُ مالكًا بالمدينةِ فقلتُ: ما لكَ تمسحُ العرقَ عن جَبينك؟! فقال: عَرِقتُ مع أبي حنيفةَ، إنَّه لَفقيهٌ يا مِصريُّ، ثمَّ لقيتُ أبا حنيفةَ فقلتُ: ما أحسنَ قولَ ذلك الرَّجلِ فيك، فقال أبو حنيفةَ: واللهِ ما رأيتُ أسرعَ بجوابٍ صادقٍ وزُهدٍ تامٍّ منه».

تتمَّة: ولا يُلتفت لما وقع في بعض الكتب مِن وقيعة الإمام مالكٍ بأبي حنيفةَ وعامَّةِ أصحابِه، فمالكٌ أسمى وأنبلُ مِن هذا، ولا يليق بمسلمٍ بلْهَ بالإمام مالك، وللإمام أبي الوليدِ الباجيِّ (ت٤٧٤) في كتابه «المنتقى شرح الموطا» (٧/ ٣٠٠) كلام نفيس، فإنه ـ بعدَ أنْ أَورد كلامًا مكذوبًا على مالكٍ ـ قال رحمه الله:

«وعندي أنَّ هذه الرِّوايةَ غيرُ صحيحةٍ عن مالك؛ لأنَّ مالكًا رضي الله عنه على ما يُعرف مِن عقله وعلمِه وفضلِه ودينِه وإمساكِه عن القول في الناس إلا بما يَصح عندَه وثبت، لم يكن ليُطلقَ على أحدٍ مِن المسلمين ما لم يَتحقَّقه، ومِن أصحاب أبي حنيفةَ عبدُ الله بنُ المبارك، وقد شُهر إكرامُ مالكٍ له وتفضيلُه إياه.

وقد عُلم: أنَّ مالكًا ذَكر أبا حنيفةَ بالعِلم بالمسائل، وأخذ أبو حنيفةَ عنه أحاديثَ، وأخذ عنه محمدُ بنُ الحسن «الموطأ»، وقد شُهر تناهي أبي حنيفةَ في العبادة وزهدِه في الدنيا، وقد امتُحن وضُرب بالسَّوط على أنْ يليَ القضاءَ فامتنع، وما كان مالكٌ ليتكلَّمَ في مثلِه إلّا بما يَليق بفضله. =

ورَوى أبو عبدِ اللهِ الصَّيْمَرِيُّ عن عبدِ اللهِ بنِ عمرَ قال: كنّا جلوسًا عند الأعمشِ، فسُئِلَ عن مسائلَ فقال لأبي حنيفةَ: ما تقول فيها؟ قال: كذا وكذا، فقال: مِن أين لك هذا؟ قال: أنت حدَّثْتنا عن أبي صالحٍ عن أبي هُريرةَ عن رسولِ اللهِ ﷺ بكذا... وحدَّثتنا عن فلانٍ الصَّحابيِّ بكذا... وسَرَد عِدَّةَ أحاديثَ على هذا النَّمطِ، فقال الأعمشُ: «حسبُكَ! ما حَدَّثتُكَ به في مئةِ يومٍ تُحدِّثُني به في ساعةٍ واحدةٍ! ما علمْتُ أنَّك تعلَمُ بهذه الأحاديثِ! يا معشرَ الفُقهاءِ أنتم الأطبّاءُ ونحن الصَّيادلةُ، وأنتَ أيُّها الرَّجلُ أخذتَ بكلا الطَّرفَينِ».

وقال أبو رجاءٍ الهَرويُّ: سمعتُ أبا حنيفةَ يقولُ: «مثلُ الذي يَطلُبُ الحديثَ ولا يَتفقَّه مثلُ الصَّيدلانيِّ يَجمعُ الأدويةَ ولا يَدري لأيِّ داءٍ هو حتّى يَجيءَ الطَّبيبُ، هكذا طالبُ الحديثِ لا يَعرِفُ وجهَ حديثِه حتّى يَجيءَ الفَقيهَ».

ورَوى الخطيبُ[1] عن إسرائيلَ بنِ يونسَ قال: «نِعمَ الرَّجلُ النُّعمانُ، ما كان أحفظَه لكلِّ حديثٍ فيه فقهٌ، وأشدَّ فَحصَه عنه، وأعلمَه بما فيه مِن الفقهِ».

ورَوى[2] أيضًا عن أبي يوسفَ قال: «ما رأيتُ أحدًا أعلَمَ بتفسيرِ الحديثِ ومواضعِ النُّكَتِ التي فيه مِن الفقهِ مِن أبي حنيفةَ».

= ولا نعلم أنَّ مالكًا تكلَّم في أحدٍ مِن أهل الرأي، وإنما تكلَّم في قومٍ مِن أصحاب الحديث مِن جهة النقل، وقد رُوي عنه أنه قال: أدركتُ بالمدينة قومًا لم تكن لهم عيوبٌ فبَحثوا عن عيوب الناس، فذَكر الناسُ لهم عيوبًا، وأدركتُ بها قومًا كانت لهم عيوبٌ سكتوا عن عيوب الناس فسَكت الناسُ عن عيوبهم، فمالكٌ يُزهِّد الناسَ عن العيوب، ومِن أين يَبحث في عيوب الناس؟! وكيف يَذكر الأئمةَ بما لا يليق بفضله؟!»، انتهى.

(١) «تاريخ بغداد» (١٥/ ٤٦٤).

(٢) «تاريخ بغداد» (١٥/ ٤٦٦).

وقال أبو يوسفَ: «كانَ أبو حنيفةَ أَبصرَ بالحديثِ الصَّحيحِ مني».

وأَنكرَ ابنُ المباركِ على مَن قال: إنَّه ليس يَعرفُ الحديثَ.

وكان رحمه اللهُ تعالى بصيرًا بعِللِ الأحاديثِ والتَّعديلِ والتَّجريحِ، مقبولَ القولِ في ذلك.

رَوى التِّرمذيُّ في كتابِ العِلل مِن «جامعِه»[1] عن الحِمّانِيِّ قال: «سمعتُ أبا حنيفةَ يقول: ما رأيتُ أكذبَ مِن جابرٍ الجُعْفِيِّ، ولا أفضلَ مِن عطاءِ بنِ أبي رباحٍ».

ورَوى البَيهقيُّ في «المَدخلِ»[2] عن عبدِ الحميد قال: «سمعتُ أبا سعدٍ الصَّنْعانيَّ يقولُ للإمامِ أبي حنيفةَ: ما تقول في الأخذِ عن الثَّوريِّ؟ قال: اكتبْ عنه، فإنَّه ثقةٌ، ما خلا أحاديثَ أبي إسحاقَ عن الحارثِ، وأحاديثَ جابرٍ الجُعْفيِّ».

ورَوى الخطيبُ عن سفيانَ بنِ عُيينةَ قال: «أوَّلُ مَن أقعدَني للحديثِ أبو حنيفةَ، قَدمتُ الكوفةَ فقال أبو حنيفةَ: إنَّ هذا أعلمُ الناسِ بحديثِ عمروِ بنِ دينارٍ، فاجتَمعوا عليَّ فحدَّثتُهم».

فناهيكَ بمَن يُستأمرُ في الثَّوريِّ، ويُجلِسُ ابنَ عيينةَ.

وقد كان رضي الله عنه لا يَروي حديثًا إلَّا عن خِيارِ التَّابعينَ العُدولِ الثِّقاتِ، الذينَ هم مِن خَيرِ القُرونِ، بشهادةِ رسولِ اللهِ ﷺ كالأسودِ وعَلقمةَ، وعطاءٍ وعِكرمةَ، ومُجاهدٍ ومَكحولٍ، والحَسنِ البَصريِّ وأضرابِهم.

فكلُّ الرُّواةِ الذين بينَه وبينَ رسولِ اللهِ ﷺ عدولٌ ثقاتٌ أعلامٌ، ليس فيهم كذّابٌ

---

(١) انظر «شرح علل الترمذي» لابن رجب: (١/ ٣٨٢).

(٢) لم أجده في «المدخل لمعرفة السنن» للبيهقي، إنما وجدته في «دلائل النبوة» له: (١/ ٤٥)، وعندما ساقه القرشيُّ في «الجواهر المضية» (١/ ٦٠) قال: «وروينا في المدخل لمعرفة دلائل النبوة».

ولا متَّهمٌ بكذِبٍ، فلذلك كان رضي الله عنه مِن أَجَلِّ الأئمَّةِ، وأقدَمِهم تدوينًا للفقهِ، وأقربِهم سَندًا لرسولِ الله ﷺ، ومُشاهدًا لفعلِ أكابرِ أئمَّةِ التَّابعينَ.

وعدمُ ظهورِ حديثِه في الخارجِ كغيرِه مِن الأئمَّةِ لا يَدلُّ على عدمِ اعتنائِه بالحديثِ ومعرفتِه به، كما زَعمَه مَن يَحسِدُه، وإنَّما قَلَّتِ الرِّوايةُ عنه ـ وإنْ كان مُتَّسِعَ الحِفظِ ـ لأمرَين:

ـ **أحدُهما**: اشتغالُه عن الرِّوايةِ باستنباطِ المسائلِ مِن الأدلَّة، كما كان أجِلَّاءُ الصَّحابةِ كأبي بكرٍ وعمرَ وغيرِهما، يَشتغلونَ بالعملِ عن الرِّوايةِ، حتّى قَلَّتْ رِوايتُهم مع كثرةِ اطِّلاعهم، وكثرةِ رِوايةِ مَن دُونِهم بالنِّسبةِ إليهم.

وهذا الإمامُ مالكٌ والإمامُ الشافعيُّ لم يَرويا إلَّا القليلَ بالنِّسبةِ إلى ما سَمِعاه، كلُّ ذلك لاشتغالِهما باستخراجِ المسائلِ مِن الأدلَّة.

وقد قال الحافظُ ابنُ عبدِ البرِّ: «الذي عليه جماعةُ فقهاءِ المسلمينَ وعلمائِهم: ذَمُّ الإكثارِ مِن الحديثِ دونَ تفقُّهٍ ولا تَدبُّرٍ»[1].

وقال ابنُ شُبْرُمَةَ: «أَقلِلْ الرِّوايةَ تَفْقَه».

وقال فارسُ بنُ الحسينِ[2]:

يـا طالِـبَ العِلـمِ الـذي ... ذَهبـتْ بمُدَّتِـه الرِّوايـه
كُـنْ في الرِّوايـةِ ذا العِنـا ... يـة بالرِّوايـةِ والدِّرايـه
وارْوِ القليـلَ وراعِـه ... فالعلْـمُ ليـس لـه نهايـه

---

(١) «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ١٠١٢).

(٢) في النسخ: «الحسن»، والمثبتُ الموافق للمصادر، والأبياتُ في «معرفة علوم الحديث» لابن الصلاح: (ص٢٥٠).

وقـال ابـنُ المبـاركِ: ليكُن الـذي تَعتمِدُ عليـه الأثرُ، وخُـذْ مِن الرَّأي ما يُفسِّـرُ لـك الحديثَ.

وقال الحافظُ ابنُ الجَوزيِّ[1]: «رأيتُ خَلقًا كثيرًا يَحرِصونَ على جَمعِ الكُتبِ، فيُفْنونَ أعمارَهم في كتابتها، وكذلك أربابُ الحديثِ، يُنفقونَ الأعمارَ في النَّسخِ والسَّماعِ إلى آخرِ العُمرِ».

قال: «ولقد حُكيَ لي عن بعضِ أصحابِ الحديثِ: أنَّه سَمِعَ «جزءَ ابنِ عَرفةَ» عن مِئةِ نفسٍ، وكان عندَه نحوُ سبعينَ نُسخَةً، ومنهم: مَن تَشاغلَ بالحديثِ وعِلمِه وتصحيحِه، ولعلَّه لا يَفهَمُ جوابَ حادثةٍ، ومنهم: مَن يَجمَعُ الكُتبَ ويَسْمعُها، ولا يَدري ما فيها، ولا فَهِمَ معناها، فتراهُ يقول: الكتابُ الفُلانيُّ سَماعي، وعندي به نسخةٌ، والكتابُ الفُلانيُّ والفُلاني، وقد صَدَّه اشتغالُه بذلكَ عن المُهمِّ مِن العِلمِ، فهم كما قال الحُطَيئةُ[2]:

زَوامِـلُ للأَخْبـارِ لا عِلْـمَ عندَهـمْ ... بمتْقِنِهـا إلَّا كعِلْـمِ الأباعِـرِ

لَعمْـرُك مـا يَـدْري البَعِيـرُ إذا غَـدا ... بأَوسـاقِه أو راحَ: مـا فـي الغَرائِـرِ»

ـ **الثانـي**: أنَّـه إنَّمـا قَلَّـت الرِّوايـةُ عن أبي حنيفـةَ؛ لأنَّـه كان لا يَـرى الرِّوايةَ إلَّا لِمَـن يَحفظُ[3].

---

(١) «صيد الخاطر» (ص١٨٢).

(٢) نُسب البيتانِ لمروانَ بنِ أبي حفصة، كما في «الكامل في اللغة والأدب» (٣/ ٩٨) وغيره.

(٣) قال الحافظ ابنُ حجرٍ العسقلانيُّ: «كان الإمام أبو حنيفةَ يرى أنه لا يُحدِّث إلا بما حفظه منذُ سمعه إلى أنْ أداه، فلهذا قلَّت الروايةُ عنه، وصارتْ روايتُه قليلةً بالنسبة لذلك، وإلا فهو في نفس الأمر كثيرُ الرواية»، نقله عنه تلميذُه السخاويُّ في «الجواهر والدرر» (٢/ ٩٤٧).

رَوى الطَّحاويُّ عن أبي يوسفَ قال: «قال أبو حنيفةَ: لا يَنبغي للرَّجلِ أن يُحدِّثَ مِن الحديثِ إلَّا بما يَحفظُه مِن يومِ سَمِعَه إلى يومِ يُحدِّثُ به»[١].

ومع هذا كلِّه فقد أَخرجَ له الحفّاظُ عِدَّةَ أحاديثَ يَعرِفُها مَن له خِبرةٌ بفنِّ الحديثِ.

***

[جملةٌ مِن الأحاديث المرويَّة عن مسانيد أبي حنيفة]

وقد وَقفتُ بحمدِ اللهِ على جُملةٍ منها بأسانيدِها المتَّصلةِ إليه، وها أنا أَذكر بعضَها مَحذوفةَ الأسانيدِ خَشيةَ التَّطويل[٢]:

-رَوى الإمامُ أبو حنيفةَ عن يحيى بنِ سعيدٍ، عن محمدِ بنِ إبراهيمَ، عن علقمةَ بنِ وقَّاصٍ الليثيِّ، عن عمرَ بنِ الخَطابِ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: **«الأعمالُ بالنِّياتِ، ولكلِّ امرئٍ ما نوى، فمَن كانت هجرتُه إلى اللهِ ورسولِه، فهجرتُه إلى اللهِ ورسولِه، ومَن كانت هجرتُه إلى دنيا يُصيبها، أو امرأةٍ ينكحُها، فهجرتُه إلى ما هاجرَ إليه»**[٣].

---

(١) أسنده إلى الإمام الطحاويِّ ابنُ أبي العوّام في «فضائل أبي حنيفة» (ص١٢٥)، ونقله الذهبيُّ في «مناقب أبي حنيفة» (ص٣٥).

وكان الحافظ يحيى بنُ معينٍ يقول: «كان أبو حنيفةَ ثقةً لا يُحدِّث بالحديث إلا ما يَحفظ، ولا يُحدِّث بما لا يَحفظ»، انظر «تاريخ بغداد» (١٥/ ٥٨٠).

(٢) هذه الأحاديث مختارةٌ مما جمعه الإمامُ الصالحيُّ في «عقود الجمان» (ص٣٣٤) وقد عنونَها قائلًا: «وهذه أربعونَ حديثًا مِن المسانيد السابقة، عن أربعينَ صحابيًّا رضي الله عنهم أجمعين».

(٣) انظر «جامع مسانيد الإمام الأعظم» (١/ ١٠١).

ـ ورَوى أبو حنيفةَ عن أبي الزُّبيرِ، عن جابرِ بنِ عبدِ الله، عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: **«عَرشُ إبليسَ على البحر، فيبثُّ سراياهُ فيفتِنونَ الناسَ، فأعظمُهم عندَه أعظمُهم فتنةً»**[١].

ـ ورَوى أبو حنيفةَ عن عَطيَّةَ العوفيِّ، عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: **«لا يَشكرُ اللهَ مَن لا يَشكرُ الناسَ»**[٢].

ـ ورَوى أبو حنيفةَ قال: أخبرنا عطاءُ بنُ السَّائبِ، عن أبي مُسلمٍ الأغرِّ، عن أبي هريرةَ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: **«قال اللهُ عزَّ وجلَّ: الكبرياءُ رِدائي، والعظمةُ إزاري، فمَن نازعَني واحِدًا منهما أَلقيتُه في النّارِ[٣]»**[٤].

ـ ورَوى أبو حنيفةَ عن عبدِ اللهِ بنِ عليِّ بنِ أبي الجَعْدِ[٥]، عن ثوبانَ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: **«لا يَزيدُ في العُمْرِ إلَّا البِرُّ، ولا يردُّ القدرَ إلَّا الدُّعاءُ، وإنَّ العبدَ لَيُحرَمُ الرِّزقَ بالذَّنبِ يُصيبُه»**[٦].

ـ ورَوى أبو حنيفةَ عن الحسنِ بنِ عبدِ اللهِ، عنِ الشَّعبيِّ، عن النُّعمانِ بنِ بَشيرٍ، عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: **«إنَّ في الإنسانِ مُضغةٌ إذا صلُحَت صلُحَ بها سائرُ الجسدِ، وإذا سَقُمَتْ سقُمَ بها سائرُ الجسدِ، ألا وهي القلبُ»**[٧].

---

(١) انظر «جامع مسانيد الإمام الأعظم» (١/ ١٠٣)، ورواه أحمد: (٢٢/ ٤١٩)، ومسلم: (٤/ ٢١٦٧).

(٢) انظر «جامع مسانيد الإمام الأعظم» (١/ ١٠٩)، ورواه أحمد: (١٣/ ٣٢٢)، وأبو داود: (٧/ ١٨٨).

(٣) الذي في «جامع المسانيد»: «جهنم».

(٤) انظر «جامع مسانيد الإمام الأعظم» (١/ ١١٣)، ورواه أحمد: (١٤/ ٤٧٣)، وأبو داود: (٦/ ١٨٩).

(٥) الذي في «جامع المسانيد»: «أبو حنيفةَ وسفيانُ الثوري، عن عبد الله بنِ عيسى، عن عبد الله بنِ أبي الجعد».

(٦) انظر «جامع مسانيد الإمام الأعظم» (١/ ١١٣)، ورواه أحمد: (٣٧/ ٦٨)، وابن حبان: (٣/ ١٥٣).

(٧) انظر «جامع مسانيد الإمام الأعظم» (١/ ١١٤)، ونحوُه في البخاري: (١/ ٢٠)، ومسلم: (٣/ ١٢١٩).

ـ ورَوى أبو حنيفةَ عن أبي غسّانَ الهيثمِ[1]، عن الحسنِ، عن أبي ذَرٍّ، عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**الإمارَةُ أمانةٌ، وهي يومَ القيامةِ خِزيٌ ونَدامةٌ، إلَّا مَن أخذها بحقِّها، وأدَّى الذي عليه، وأنَّى له ذلك يا أبا ذرٍّ؟!**»[2].

ـ ورَوى أبو حنيفةَ عن محمدِ بنِ عبدِ الرَّحمنِ، عن أبي أُمامةَ عن رسولِ الله ﷺ أنَّه قال: «**مَن قال: سبحانَ اللهِ عددَ ما خَلق، سبحانَ اللهِ عددَ ما في السَّماءِ والأرضِ، سبحانَ اللهِ عددَ ما أَحصى في كتابِه، سبحانَ اللهِ عددَ كلِّ شيءٍ، سبحانَ اللهِ مِلءَ كلِّ شيءٍ، والحمدُ للهِ مِثلَ ذلك، حينَ يُصبحُ لم يَسبقهُ أحدٌ بفَضلِ عَملٍ إلَّا مَن قال مِثلَ قولِه أو أكثرَ، فإنْ قال ذلك مساءً كان كذلك**»[3].

ـ ورَوى أبو حنيفةَ عن زيادِ بنِ عِلاقةَ، عن أسامةَ بنِ شَريكٍ قال: شَهدْتُ رسولَ الله ﷺ والأعرابُ يسألونَه [يقولون: يا رسول الله!][4] ما خيرُ ما أُعطِيَ العبدُ؟ قال: «**خُلقٌ حَسنٌ**»[5].

ـ ورَوى أبو حنيفةَ عن زيادٍ أيضًا، عن جَريرٍ البَجَليِّ قال: «بايعتُ رسولَ اللهِ ﷺ على إقامِ الصَّلاةِ، وإيتاءِ الزَّكاةِ، والنُّصحِ لكلِّ مسلمٍ»[6].

ـ ورَوى أبو حنيفةَ عن عبدِ اللهِ بنِ أبي حَبيبةَ قال: سمعتُ أبا الدَّرداءِ يقول: بينا أنا رديفُ رسولِ اللهِ ﷺ فقال: «**يا أبا الدَّرداءِ مَن شهِدَ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وأنِّي رسولُ اللهِ**

---

(١) «الهيثم» ليست في: «جامع المسانيد».

(٢) انظر «جامع مسانيد الإمام الأعظم» (١/ ١١٥)، ونحوُه في مسلم (٣/ ١٤٥٧).

(٣) انظر «جامع مسانيد الإمام الأعظم» (١/ ١١٦)، ونحوُه في مسلم (٤/ ٢٠٧١).

(٤) ما بينَ معكوفَتين ليس في النسخ، وهو مِن «جامع مسانيد الإمام الأعظم».

(٥) انظر «جامع مسانيد الإمام الأعظم» (١/ ١٢٦)، ورواه ابن حبان (٢/ ٢٢٦).

(٦) انظر «جامع مسانيد الإمام الأعظم» (١/ ١٢٧)، ورواه البخاري (٣/ ١٨٩)، ومسلم (١/ ٧٥).

وَجبتْ له الجَنَّةُ»، قال: فقلتُ له: وإنْ زنى وإنْ سَرقَ؟! فسكتَ عني ثمَّ سارَ ساعةً فقال: «**مَن شهِدَ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وأنِّي رسولُ اللهِ وَجبتْ له الجَنَّةُ**»، قال: قلتُ: وإنْ زنى وإن سَرَقَ؟! قال: فسكتَ عني ثمَّ سارَ ساعةً فقال: «**مَن شهِدَ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وأنِّي رسولُ اللهِ وَجبتْ له الجَنَّةُ**» قال: قلت: وإنْ زنى وإنْ سَرقَ؟! قال: «**وإنْ زنى وإنْ سَرقَ، وإنْ رَغمَ أنفُ أبي الدَّرداءِ**».

قال: وكأنِّي أنظرُ إلى إصبع أبي الدَّرداءِ السَّبابة يُومئ بها إلى أرنَبتِه[1].

- ورَوى أبو حنيفةَ عن حمَّادٍ، عن رِبعيِّ بنِ حِراشٍ، عن حُذيفةَ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**يُخرِجُ اللهُ قومًا مِن المُوَحِّدينَ مِن النَّارِ بعدَما امتُحِشوا فصاروا فحمًا، فيُدخلُهم الجنَّةَ، فيَستغيثون إلى اللهِ تعالى ممَّا يُسمِّيهم أهلُ الجنَّةِ الجَهنَّمِيينَ، فيُذهِبُ اللهُ تعالى عنهم ذلك**»[2].

- ورَوى أبو حنيفةَ عن نافعٍ، عن ابنِ عمرَ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**القدريَّةُ مجوسُ هذهِ الأمَّةِ**»[3].

- ورَوى أبو حنيفةَ عن يَعْلى بنِ عطاءٍ، عن عُمارةَ بنِ حديدٍ[4]، عن صَخْرٍ

---

(١) انظر «جامع مسانيد الإمام الأعظم» (١/ ١٢٨)، ونحوُه في البخاري: (٧/ ١٤٩)، ومسلم: (١/ ٩٥).

(٢) انظر «جامع مسانيد الإمام الأعظم» (١/ ١٣٢)، ونحوُه في البخاري: (٨/ ١١٥).

(٣) انظر «جامع مسانيد الإمام الأعظم» (١/ ١٤٣)، ورواه أبو داود: (٧/ ٧٧).

(٤) الذي في النسخ: «جوين»، وكذلك هو في «عقود الجمان» (ص٣٤٥)، وضبطه قائلاً ومؤكِّدًا: «بضمِّ الجيم وفتح الواو»، والصوابُ المثبتُ كما في «جامع مسانيد الإمام الأعظم»، ومصادرِ ترجمتِه، فعمارةُ بنُ حديد هو الراوي عن صخرٍ الغامديِّ هذا الحديثَ كما نصَّ غيرُ واحد، وانظر «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم: (٦/ ٣٦٤).

الغامـديِّ أنَّ النَّبـيَّ ﷺ قال: «**اللَّهـمَّ بـارِكْ لأمَّتي فـي بُكورِها**»[(١)].

ـ ورَوى أبو حنيفةَ عن الهيثمِ، عن الحسنِ، عن أبي هريرةَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**مَن ماتَ يومَ الجُمعةِ وُقيَ عذابَ القبرِ**»[(٢)].

ـ ورَوى أبـو حنيفـةَ عـن يزيـدَ بنِ عبـدِ الرَّحمـنِ، عن عبـدِ اللهِ بنِ مسـعودٍ: أنَّ رسـولَ الله ﷺ قـال: «**تكـونُ النُّطفـةُ أربعينَ ليلـةً، ثمَّ تكـونُ مُضغةً أربعيـنَ ليلةً، ثمَّ يُنشِئُه اللهُ تعالـى خَلْقًا فيقولُ المَلَـكُ: أيْ ربِّ، أذكرٌ أمْ أنثى؟ أسـعيدٌ أمْ شـقيٌّ؟ ما أجلُـه؟ مـا رزقُه؟ مـا أثرُه؟ فيكتـبُ ما يريـدُ اللهُ تعالى به، فالسَّـعيدُ مَن وُعِـظَ بغيرِه، والشَّـقيُّ مَن شَـقيَ في بطـنِ أُمِّه**»[(٣)].

ـ ورَوى أبـو حنيفـةَ عـن عبـدِ العزيـزِ بنِ رُفيـعٍ، عن مُصعـبِ بن سـعدِ بنِ أبي وقـاصٍ [عـن أبيـه][(٤)] قـال: قـال رسـولُ اللهِ ﷺ: «**مـا مِـن نفـسٍ إلَّا وقد كَتـب اللهُ مَخرجَهـا ومَدخلَهـا، ومـا هـي لاقيَـةٌ**»، فقـال رجـلٌ مِن الأنصـارِ: ففيـمَ العمَـلُ يا رسـولَ اللهِ؟ قـال: «**اعمَلـوا، كلٌّ ميسَّـرٌ لِمَا خُلِقَ له، أمَّا أهلُ الشَّـقاءِ فيُيسَّـروا لعملِ**

---

(١) انظر «جامع مسانيد الإمام الأعظم» (١/ ١٤٤)، ورواه أحمد: (٢/ ٤٣٩)، وأبو داود: (٤/ ٢٤٧)، والترمذيُّ: (٢/ ٥٠٨) وحسَّنه.

(٢) انظر «جامع مسانيد الإمام الأعظم» (١/ ١٥٧)، ورواه أحمد: (١١/ ١٤٧)، والترمذيُّ: (٢/ ٣٧٧)، وأبو يعلى في «مسنده» (٧/ ١٤٦)، وقال الحافظ ابنُ حجرٍ في «الفتح» (٣/ ٢٥٣): «أخرجه الترمذيُّ مِن حديث عبد الله بنِ عمرٍو وفي إسناده ضعفٌ، وأخرجه أبو يعلى مِن حديث أنسٍ نحوُه، وإسنادُه أضعفُ».

(٣) انظر «جامع مسانيد الإمام الأعظم» (١/ ١٤٣)، ورواه البخاري: (٤/ ١٣٣)، ومسلم: (٤/ ٢٠٣٦).

(٤) ما بينَ معكوفَتين ليس في النسخ، وهو مِن «جامع مسانيد الإمام الأعظم»، و«عقود الجمان» (ص٣٤٩).

أهلِ الشَّقاءِ، وأمَّا أهلُ السَّعادةِ فيُيسَّروا لعملِ أهلِ السَّعادةِ»، فقال الأنصاريُّ: الآنَ حقَّ العملُ(١).

ـ ورَوى أبو حنيفةَ عن عبدِ الملِكِ، عن أنسٍ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ في قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢]، قال: «**عن قولِ لا إلهَ إلا الله**»(٢).

ـ ورَوى أبو حنيفةَ عن يحيى بنِ عبدِ الحميدِ، عن ابنِ عبّاسٍ قال: إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ سُئِلَ عن أولادِ المشركينَ فقال: «**اللهُ أعلمُ بما كانوا عاملين**»(٣).

ـ ورَوى أبو حنيفةَ عن علقمةَ بنِ مَرثدٍ، عن ابنِ بُريدةَ عن أبيه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**إذا مرِضَ العبدُ وهو على طائفةٍ مِن الخيرِ قال اللهُ تعالى لملائكتِه: اكتُبوا لعبدي مثلَ أجرِ ما كانَ يعملُ وهو صحيحٌ مِن أجرِ البلاءِ**»(٤).

ـ ورَوى أبو حنيفةَ عن عَلقمةَ بنِ مَرثدٍ، عن رجلٍ عن سعدِ بنِ عُبادةَ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**إذا وُضِعَ المؤمنُ في قبرِه أتاهُ الملَكُ، فأجلسَه فقال: مَن ربُّكَ؟ قال: اللهُ تعالى، قال: ومَن نبيُّكَ؟ قال: محمَّدٌ، قال: وما دينُكَ؟ قال: الإسلامُ. قال: فيُفسَحُ له في قبرِه ويَرى مَقعدَه مِن الجنَّةِ، فإذا كان كافرًا أجلسَهُ الملَكُ فقال: مَن ربُّك؟ قال: هاه، كالمُضِلِّ شيئًا، فيقولُ: مَن نبيُّكَ؟ فيقولُ: هاه، كالمُضلِّ شيئًا، فقال: ما دينُكَ؟ فيقول: هاه، كالمُضِلِّ شيئًا، فيُضيَّقُ عليه قبرُه، ويَرى مقعدَه مِن النَّارِ، فيَضرِبه ضربةً يَسمَعُه كلُّ شيءٍ إلَّا الثَّقلَين الجِنُّ والإنسُ**»، ثمَّ قرأ رسولُ اللهِ ﷺ هذهِ الآيةَ:

---

(١) انظر «جامع مسانيد الإمام الأعظم» (١/ ١٨٣)، ورواه أبو عاصم في «السنة» (١٧٣).

(٢) انظر «جامع مسانيد الإمام الأعظم» (١/ ١٥٧)، ورواه الترمذي: (٥/ ١٤٩) وقال: «غريب».

(٣) انظر «جامع مسانيد الإمام الأعظم» (١/ ١٦٢)، وهو في «الموطأ» (٥٢).

(٤) انظر «جامع مسانيد الإمام الأعظم» (١/ ١٧٩)، ونحوُه في البخاري: (٤/ ٥٧).

﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ [إبراهيم: ٢٧][(١)].

ـ ورَوى أبو حنيفةَ قال: أخبرنا زيادُ بنُ عِلاقةَ، عن يزيدَ بنِ الحارثِ، عن أبي موسى الأشعريِّ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**فَناءُ أمَّتي بالطَّعنِ والطَّاعونِ**»، قيل: يا رسولَ اللهِ، الطَّعنُ قد عرَفْناهُ، فما الطَّاعون؟ قال: «**وخزُ أعادِئكُم مِن الجِنِّ، وفي كلٍّ شهادةٌ**»[(٢)].

ـ ورَوى أبو حنيفةَ عن منصورٍ، عن إبراهيمَ، عن مَسروقٍ، عن عائشةَ قالت: «لقد كان رسولُ اللهِ ﷺ إذا أتى المريضَ يَدعو له يقول: **أذهبِ البأسَ ربَّ الناسِ، اشفِ أنتَ الشَّافي، اكفِ أنتَ الكافي، لا شفاءَ إلَّا شفاؤُكَ، شفاءً لا يُغادِرُ سَقمًا**»[(٣)].

ـ ورَوى أبو حنيفةَ عن عبدِ الملكِ بنِ عُميرٍ، عن عمرٍو الجُرَشي، عن سعيدِ بنِ زيدٍ رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «**مِن المَنِّ الكَمْأَةُ، وماؤُها شفاءٌ للعَين**»[(٤)].

ـ ورَوى أبو حنيفةَ عن إبراهيمَ بنِ محمَّدٍ، عن أبيه، عن أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه قال: ما أَخرجَ رسولُ اللهِ ﷺ ركبتَيه بينَ يدَي جليسٍ له قطُّ، ولا

---

(١) انظر «جامع مسانيد الإمام الأعظم» (١/ ١٨٠)، ونحوُه في البخاري: (٢/ ٩٠)، ومسلم: (٤/ ٢٢٠٠).

(٢) انظر «جامع مسانيد الإمام الأعظم» (١/ ١٩٠)، ورواه أحمد: (٣٢/ ٢٩٣).

(٣) انظر «جامع مسانيد الإمام الأعظم» (١/ ١٦٢)، ورواه البخاري: (٧/ ١٢١)، ومسلم: (٤/ ١٧٢١).

(٤) انظر «جامع مسانيد الإمام الأعظم» (١/ ١٨٩)، ورواه البخاري: (٦/ ١٨)، ومسلم: (٣/ ١٦١٩).

ناولَ أحدًا يدَه قَطُّ فتركَها، حتّى يكون هو الذي يَدعُها، وما جَلسَ إلى رسولِ اللهِ ﷺ أحدٌ قطُّ فقامَ رسولُ اللهِ حتّى يقومَ، وما وجدتُ شيئًا قطُّ أطيبَ مِن ريحِ رسولِ اللهِ ﷺ[١].

ـ ورَوى أبو حنيفةَ عن سِماكِ بنِ حربٍ، عن جابرِ بنِ سَمُرةَ رضي الله عنهما قال: كنّا إذا أتينا رسولَ اللهِ ﷺ قعَدْنا حيث انتهى بنا المجلسُ[٢].

ـ ورَوى أبو حنيفةَ عن عطاءِ بنِ أبي رباحٍ، عن حُمْرانَ مولى عثمانَ: أنَّ عثمانَ رضي الله عنه توضَّأ ثلاثًا ثلاثًا وقال: هكذا رأيتُ رسولَ الله ﷺ يتوضأُ[٣].

ـ ورَوى أبو حنيفةَ عن حمَّادٍ، عن الشَّعبيِّ، عن المُغيرةِ بنِ شعبةَ رضي الله عنه قال: وضَّأتُ[٤] رسولَ اللهِ ﷺ وعليه جُبَّةٌ شاميَّةٌ ضَيقةُ الكُمَّينِ، فأَخرجَ يدَيه مِن جنبِها[٥] فتوضَّأَ، ومَسحَ على خُفَّيه[٦].

ـ ورَوى أبو حنيفةَ عن حمَّادٍ، عن إبراهيمَ عن أبي عبدِ اللهِ الجَدَليِّ، عن خُزيمةَ بنِ ثابتٍ رضي الله عنه، عن رسولِ اللهِ ﷺ أنَّه قال في المسحِ على الخُفَّينِ: **«للمُقيمِ يومٌ وليلةٌ، وللمُسافرِ ثلاثةُ أيَّامٍ وليالِيهِنَّ»**[٧].

---

(١) انظر «جامع مسانيد الإمام الأعظم» (١/ ٢٠٨)، ورواه الترمذي: (٤/ ٢٣٥) وقال: «غريب».

(٢) انظر «جامع مسانيد الإمام الأعظم» (١/ ٢٢٩)، ورواه الترمذي (٤/ ٣٧١) قال: «حسن غريب».

(٣) انظر «جامع مسانيد الإمام الأعظم» (١/ ٢٣٠)، ورواه البخاري: (١/ ٤٣)، ومسلم: (١/ ٢٠٧).

(٤) الذي في «جامع المسانيد»: «رأيت».

(٥) الذي في «جامع المسانيد»: «من تحتها».

(٦) انظر «جامع مسانيد الإمام الأعظم» (١/ ٢٨٤)، ورواه البخاري: (١/ ٨١)، ومسلم: (١/ ٢٢٨).

(٧) انظر «جامع مسانيد الإمام الأعظم» (١/ ٢٨٢)، ورواه مسلم: (١/ ٢٣٢).

ـ ورَوى أبـو حنيفـةَ عـن حمَّـادٍ، عـن إبراهيـمَ، عـن عُبيـدِ اللهِ بـنِ نضلـةَ، عن أبـي ذرٍّ رضـي الله عنـه أنَّـه صلّى صـلاةً فخَفَّفهـا، وأكثـرَ الرُّكـوعَ والسُّـجودَ، فلمَّا انصـرفَ قـال له رجـلٌ: أنت صاحبُ رسـولَ اللهِ ﷺ وتصلِّـي هذهِ الصَّـلاةَ؟! فقال أبـو ذرٍ: ألـم أُتِـمَّ الرُّكوعَ والسُّـجودَ؟! قال: بلى، قال: فإنِّي سـمعتُ رسـولَ اللهِ ﷺ يقـول: «**مَـن سَـجدَ سَـجدةً رفعـه اللهُ بهـا درجـةً فـي الجنَّـةِ**»، فأحببـتُ أن تُرفعَ لي درجـاتٌ، أو يُكَتـبَ لي درجـاتٌ»[1].

ـ ورَوى أبـو حنيفـةَ عـن إسـماعيلَ، عـن رافـعِ بـنِ خَديـجٍ رضـي الله عنـه أنَّ رسـولَ اللهِ ﷺ قـال: «**يـا معشـرَ التُّجـارِ ـ ثـلاثَ مـرَّاتٍ ـ إنَّكم تُبعثـونَ يـومَ القيامةِ فُجَّـارًا إلَّا مَـن برَّ وصَـدَق**»[2].

فهـذه: نبذٌ يسـيرةٌ مِن بعـضِ الأحاديـثِ التي رَواها هـذا الإمـامُ، أَخرجَها عنه الحُفَّاظُ الثِّقاتُ.

ورُوي أيضًا عنه عِدَّةُ أحاديثَ، رَواها عن الصَّحابةِ بغيرِ واسطةٍ، وقد وَقفتُ عليها، فلم أرَها ثبتتْ بطريقٍ صحيحٍ، والصَّحيحُ أنَّه لم يَروِ عن الصَّحابةِ كما أشرنا لذلك أوَّلَ مناقبِه.

ولا شَكَّ أنَّه رَحمَه اللهُ مِن أكابرِ الحُفّاظِ المُجتَهدين، وإنَّما قَلَّتْ رِوايةُ الحديثِ عنه؛ لاشتغالِه بما هو أهمُّ منه، وهو الفِقهُ الذي هو ثَمرةُ الحديثِ.

***

---

(١) انظر «جامع مسانيد الإمام الأعظم» (١/ ٣٤٠)، ونحوُه في أحمد: (٢٥/ ٢٤٤).

(٢) انظر «جامع مسانيد الإمام الأعظم» (٢/ ٣)، ورواه ابن ماجه: (٣/ ٢٧٧)، والحاكم: (٢/ ٨) وصحَّحه، ووافقه الذهبيُّ.

فصلٌ في اشتِغالِه بالفقه[1] وتَدوينِه له

رَوى الخطيبُ عن أبي يوسفَ، والحارِثيُّ عن الهَيثمِ بنِ عَدِيٍّ ـ واللَّفظُ له ـ كلاهما عن الإمامِ أبي حنيفةَ قال:

«لمَّا أردتُ تَعلُّمَ العِلم، جَعلتُ العُلومَ كُلَّها نُصبَ عينَي، فرأيتُ فَنًّا فَنًّا، وتَفكَّرتُ في عاقبتِه ومَوقعِ نفعِه، فقُلتُ:

آخذُ في الكلام، ثمَّ نظرتُ فإذا عاقبتُه ونفعُه قليلٌ، وإن[2] كَمُلَ الإنسانُ فيه واحتيجَ إليه لا يَقدُرُ يَتكلَّم جِهارًا، ورُميَ بكلِّ سوءٍ، ويُقالُ: صاحب هوًى.

ثـمَّ رأيتُ عِلـمَ الأدبِ والنَّحو، فـإذا عاقِبتُـه أنْ أجلُسَ إلى صبـيٍّ أُعلِّمُه النَّحوَ والأدبَ.

ثـمَّ رأيـتُ عِلمَ الشِّعرِ، فوجـدتُ عاقِبـةَ أمرِه المـدحَ والهَجـيَّ وقـولَ الهَجوِ والكَذبِ.

ثمَّ فكَّرتُ في عِلمِ القراءات، فرأيتُ عاقِبةَ أمرِهِ إذا بلغتُ الغايةَ منه واحتيجَ إليَّ فيه أنْ يَجتمِعَ إليَّ أحداثٌ يقرؤونَ عليَّ.

ففكـرتُ فـي عِلـمِ الحديث، فقلتُ: إذا سـمعتُ الكثيـرَ أحتاجُ إلـى عُمرٍ طويلٍ حتّـى يَحتـاجَ النـاسُ إلـيَّ، وإذا احتيـجَ إلـيَّ لا يَجتمـعُ إلـيَّ إلَّا الأحـداثُ، ولعلَّهم يَرمونَنـي بالكـذِبِ وسـوءِ الحِفـظِ، فيلزَمُني ذلـك إلى يـومِ القيامةِ.

---

(١) ولقد لخَّص مُؤرِّخُ الإسلامِ الذهبيُّ وصفَ أبا حنيفةَ فقال عنه: «فقيه المِلَّة»، وقال عنه أيضًا: «الفقهُ والتدقيقُ في الرأي وغوامضِه فإليه المنتهى، والناسُ عليه عيالٌ في ذلك»، وقال: «الإمامةُ في الفقه ودَقائقِه مسلَّمةٌ إلى هذا الإمام، وهذا أمرٌ لا شكَّ فيه»، انظر «السير» (٦/ ٣٩٠، ٣٩٢، ٤٠٣).

(٢) في (ش): «وإذا»، وهكذا في «عقود الجمان» (ص١٦٤).

ثمَّ فكَّرتُ في الفِقه، فرأيتُه كلَّما قَلَّبتُه أو أدَرتُه لم يَزدَد إلَّا جلالةً، ولم أجد فيه عيبًا، وأوَّلًا يكونُ الجلوسُ مع العلماءِ والفُقهاءِ والمشايخِ والبُصراءِ، والتَّخلُّقِ بأخلاقِهم، ورأيتُ أمرًا لا يَستقيمُ أداءُ الفَرائضِ وإقامةُ الدِّينِ والتَّعبُّدُ إلَّا بمعرفتِه، وطلبُ الدُّنيا والآخرةِ إلَّا به، فاشتَغلتُ به».

وقال رحمه الله مِن رِوايةِ القاضي ابنِ كاسٍ والخطيبِ[1]:

«كنتُ أنظرُ في الكلامِ، حتّى بلغتُ فيه مَبلغًا يُشارُ إليَّ فيهِ بالأصابعِ، وكنتُ أُنازِعُ الخَوارجَ والحَشويَّةَ، وكنتُ أَعُدُّ الكلامَ أَفضَلَ العلومِ، فراجعتُ نفسي، وقلتُ: إنَّ أصحابَ رسولِ اللهِ والتَّابعينَ لم يكُن فيهم شيءٌ ممّا نذكرُه نحن، وكانوا عليه أَقدرَ وبه أَعرَفَ، ولم يَخوضوا فيه، بل سَكتوا عن ذلك، ونَهوا عنه أشدَّ النَّهي، ورأيتُ خَوضَهم في الشَّرائعِ وأبوابِ الفقهِ، فبينما أنا في هذا الأمرِ، وكنَّا نَجلِسُ بالقُربِ مِن حَلقةِ حَمّادِ بنِ أبي سليمانَ، فجاءَتْني امرأةٌ يومًا فقالت: لي رجلٌ له امرأةٌ يُطلِّقها للسُّنةِ كيفَ يَصنَعُ؟ فلم أدرِ ما أقولُ، وسقَطَ ما[2] في يدَيَّ، فأمرتُها أنْ تَسألَ حَمّادًا، ثمَّ تَرجِع فتُخبرني، فسَألَتْ حَمّادًا، فقال: يُطلِّقُها وهي طاهرٌ مِن الحيضِ والجِماعِ طلْقةً، ثمَّ يترُكُها حتّى تحيضَ حيضتَين، فإذا اغتسَلتْ فقد حَلَّتْ للأزواجِ، فرجَعتْ فأخبرَتني، فقلتُ: لا حاجةَ لي في الكلامِ، وأخذتُ نَعلِي، فجلستُ إلى حمّادٍ، فكنتُ أسمَعُ مسائِلَه، فأحفَظُ قولَه، ثمَّ يُعيدُها مِن الغدِ، فأحفَظُها ويُخطِئُ أصحابُه، فصحِبْتُه عشرَ سِنينَ، ثمَّ سافرَ للبَصرةِ فأَمرَني أنْ أجلِسَ مكانَه، ثمَّ قدِمَ فآليتُ على نفسي ألا أُفارقَه حتّى يموتَ، فلم أفارقْهُ حتّى ماتَ»، انتهى ملخَّصًا.

---

(١) انظر «تاريخ بغداد» (١٥/ ٤٥٦).

(٢) «ما» ليست في (ش).

وفي بعضِ المناقبِ: كان أبو حنيفةَ آخذًا مِن العُلومِ بأوفرِ نصيبٍ، أمّا الكلامُ فقد كان يُشار إليه فيه بالأصابعِ.

وناهيكَ بِهِ أنَّه سَلِمَ إليه عِلمُ النَّظرِ والقياسِ، وإصابةُ الرَّأيِّ حتّى قالوا فيه: «أبو حنيفةَ إمامُ أهلِ الرَّأيِّ».

وأمّا عِلم الأدَبِ والنَّحو: فبلَغ فيه الغايةَ، ولا التفاتَ إلى ما قاله بعضُ أعدائِه، فقد ذَكرَ الملِكُ المعظَّمُ عيسى بنُ أيوبَ[1] في الرَّدِ عليه مِن المسائلِ الفقهيَّةِ التي بَنى أبو حنيفةَ أقوالَه فيها على علمِ العربيةِ ما إنْ وقفتَ عليه لرأيتَ العجبَ العُجابَ مِن تمكُّنِه في هذا العِلمِ، وحُسنِ استِنباطِه.

ـ **وأمَّا الشِّعرُ**: فقد رَووا عنه مِن نظمِه أشياءَ عظيمةَ النَّفعِ[2].

قال محمدُ بنُ الحسنِ: إنَّ أبا حنيفةَ، قال لعيسى بنِ موسى أميرِ الكوفةِ:

كسرةُ خُبْزٍ وقَعبُ ماءٍ ... وفَردُ ثَوبٍ معَ السَّلامَه
خَيرٌ مِن العيشِ في نعيمٍ ... يكونُ مِن بَعدِه ندامَه

ومِن كلامِه أيضًا:

ومِن المُروءَةِ للفتى ... ما عاشَ دارٌ فاخِرَه
فاشكُرْ إذا أُوتيتَها ... واعملْ لدارِ الآخِره

---

(١) انظر كتابَ الملك المُعظَّم: «السهمَ المُصيب في الرَّد على الخطيب».

(٢) وللدكتور عبد الحكيم الأنيس مقالٌ ممتعٌ بعنوان: «الإمام أبو حنيفةَ والشعر»، نُشر بمجلة الضياء الصادرة عن الشؤون الإسلامية بدبي، العدد: (١٤١)، عام: (١٤٣٨).

ـ **وأمَّا القراءاتُ**: فقد أَفردوا بالتَّأليفِ قراءاتٍ انفرَدَ بها، ورَوَوها عنه بالأسانيدِ، وهي مذكورةٌ مَشهورةٌ في كُتبِ التَّفسيرِ[١] وغيرِها[٢].

وقد وَردَ مِن عدَّةِ طُرقٍ أنَّ الإمامَ أبا حنيفةَ أَخذَ القراءةَ عن الإمامِ عاصمٍ أحدِ القُرَّاءِ السَّبعة[٣].

وقد نَسَبوا للإمامِ قراءةً لا أصلَ لها، كالقراءَةِ التي جَمَعها محمدُ بنُ جعفرٍ الخُزَاعِيُّ، ونقلها عنه أبو القاسمِ الهُذَلِيُّ، ولا يُغترُّ بذكرِ جماعةٍ مِن المُفسِّرينَ لتلكَ القِراءاتِ الشَّاذةِ عن الإمامِ أبي حنيفة كالزَّمخْشَريِّ، فإنَّهم قَلَّدوا الخُزاعِيَّ، ولم يَقفوا على حقيقةِ الحالِ.

قال الإمامُ أبو العَلاءِ الواسطيُّ: «إنَّ الخُزاعيَّ وضعَ كتابًا في الحُروفِ نَسبَه إلى الإمامِ أبي حنيفةَ، فأخذتُ خَطَّ الدَّارقُطنيِّ وجماعةٍ: أنَّ الكتابَ موضوعٌ لا أصلَ له»، قال ابنُ الجزريِّ: «إنَّ الإمامَ أبا حنيفةَ لبَريءٌ منها»[٤].

[تدوين الفقه]

ـ وأمّا تدوينُه الفِقهَ فهوَ أَوَّلُ مَن دوَّنَه ورتَّبه أبوابًا، ثمَّ تابَعه مالكُ بنُ أنسٍ في ترتيبِ «المُوطَّأ».

ولم يَسبِق أبا حنيفةَ إلى ذلك أحدٌ؛ لأنَّ الصَّحابةَ والتَّابعينَ إنَّما كانوا يَعتمِدون

---

(١) في (ش): «التفاسير».

(٢) وأكثر أبو القاسمِ الهُذليُّ (ت٤٦٥) في «الكامل في القراءات العشر» مِن إيراد أوجه أبي حنيفةَ في القراءات، فانظره.

(٣) قال الإمام ابنُ الجزريِّ في «غاية النهاية في طبقات القراء» (٢/ ٣٤٢) بترجمة أبي حنيفة: «رَوى القراءةَ عرضًا عن الأعمشِ وعاصمٍ وعبدِ الرحمن بنِ أبي ليلى، رَوى القراءةَ عنه الحسنُ بنُ زياد».

(٤) تُنظر المسألةُ في «غاية النهاية» (٢/ ١١٠، ٢/ ٣٤٢).

على قُوَّةِ حِفظِهم، فلما رأى أبو حنيفةَ العِلمَ مُنتشِرًا خافَ عليه، فجَعلَه أبوابًا مُبوَّبةً، فبدأَ بالطَّهارةِ، ثمَّ بالصَّلاةِ، ثمَّ بالصَّومِ، ثمَّ سائرِ العباداتِ، ثمَّ المُعاملاتِ، ثمَّ ختمَ بالمواريثِ؛ لأنَّها آخرُ أحوالِ الناسِ.

وهو أوَّلُ مَن وَضعَ كتابَ الفرائِضِ.

وأوَّلُ مَن وضعَ كتابَ الشُّروطِ.

ورَوى القاضي ابنُ كاسٍ، عن عليِّ بنِ مُسهِرٍ قال: «سمعتُ الأعمَشَ يقول: اكتبوا المناسكَ مِن أبي حنيفةَ، فإنِّي لا أعلمُ أحدًا أعلمَ بفَرضِها ونَفلِها منه».

وقد اتَّفقَ له مِن الأصحابِ ما لم يتَّفِقْ لأحدٍ مِن بعدِه مِن الأئمَّة.

قال صاحبُ «الفتاوى السِّراجِيَّة»[1]: «اتَّفقَ لأبي حنيفةَ مِن الأصحابِ ما لم يتَّفق لغيرِه، وقد وَضع مذهبَه بشورى، ولم يَستبدَّ بوضعِ المسائلِ بنفسِه، وإنَّما كان يُلْقيها على أصحابِه مسألةً مسألة، فيَعرفُ ما كان عندَهم، ويقول ما عندَه، ويُناظِرُهم حتّى يَستقِرَّ أحدُ القولَينِ فيُثبِتُه أبو يوسفَ، حتّى أثبتَ الأُصولَ كلَّها، وقد أدركَ بفهمِه ما عِجزَتْ عنه أصحابُ القَرائحِ».

ورَوى الخطيبُ[2] عن ابنِ كرامةَ قال: «كُنّا عندَ وكيعِ بنِ الجرّاحِ يومًا، فقال رجلٌ: أخطأَ أبو حنيفةَ، فقال وكيعٌ: كيف يَقدِرُ أبو حنيفةَ أن يُخطِئَ ومعَه مثلُ أبي يوسفَ وزُفرَ ومحمَّدٍ[3] في قياسِهم واجتهادِهم، ومِثلُ يحيى

---

(١) «الفتاوى السراجية» (ص٦١٢).

(٢) القصةُ في «تاريخ بغداد» (١٦/ ٣٦٥)، ولكن المؤلِّفُ ساق لفظَ القصةِ مطابقًا لما نقله الخوارزميُّ في مقدِّمة «جامع المسانيد» (١/ ٣٣).

(٣) «ومحمد» ليس في «تاريخ بغداد».

بنِ زكريا بنِ أبي زائِدةَ وحفصِ بنِ غياثٍ وحِبَّانَ ومَنْدلٍ ابنَي عليٍّ[(١)] في حِفظِهم الحديثَ ومعرفتِهم، ومثلُ القاسمِ بنِ مَعْنِ بنِ عبدِ الرَّحمنِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ في معرفَتِه باللُّغةِ والعربيَّةِ، وداودَ الطَّائيِّ والفُضيلِ بنِ عِياضٍ في زُهدِهما وورَعِهما؟! مَن كان أصحابُه وجلساؤُه هؤلاءِ لم يكن ليُخطِئَ؛ لأنَّه إنْ أخطأَ رَدُّوه إلى الحقِّ»، ثمَّ قال وكيعٌ: «والذي يقولُ مثلَ هذا ﴿كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤]».

قال الفرزدقُ:

أُولئكَ آبائي فجِئْني بمثْلهم ... إذا جمعتْنا يا جَرِيرُ المجامعُ

ورَوى الحارثيُّ عن عبدِ اللهِ بنِ نُمَيرٍ قال: «كان أبو حنيفةَ إذا جَلس جَلس حولَه أصحابُه: القاسمُ بنُ معنٍ وعافيةُ بنُ يزيدَ وداودُ الطّائيُّ وزفرُ بنُ الهُذَيلِ وأشكالُهم، فيَتطارحونَ مَسألةً فيما بينَهم، فيرفَعونَ أصواتَهم، ويَكثُرُ كلامُهم فيها، فإذا أخذَ أبو حنيفةَ في الكلامِ سَكتوا أجمعَ، فلم يَتكلَّموا حتّى يَفرُغَ مِن كلامِه، فإذا فرَغَ اشتغلوا بتَحَفُّظِ ما تكلَّم به في المسألةِ، فإذا أَحكموها أخذوا في مسألةٍ أُخرى».

وذَكر بعضُهم: أنَّه كان يَجمعُ العلماءَ في كلِّ مسألةٍ لم يَجدْها صريحةً في الكتابِ والسُّنَّةِ، ويَعملُ بما يتَّفِقونَ عليه فيها، وكذلك كان يَفعلُ إذا استنبطَ حُكمًا، فلا يَكتبُه حتّى يُجمِعَ عليه علماءُ عصرِه، فإنْ رَضوه قال لأبي يوسفَ: اكتبْه.

ونقلَ الشيخُ كمالُ الدِّينِ بنُ الهُمامِ[(٢)] عن أصحابِ أبي حنيفةَ كأبي يوسفَ

---

(١) «ابني علي»: ليس في «تاريخ بغداد».

(٢) لم أجد النقلَ فيما بينَ يديَّ مِن كُتب الكمال بنِ الهمام، والحنفيةُ يَعزون هذا القولَ لكتابِ «الحاوي القدسي»، كما في «حاشية ابن عابدين» (١/ ٤٦).

ومحمدٍ وزُفرَ والحسنِ أنَّهم كانوا يقولون: «ما قُلنا في مسألةٍ قولًا إلَّا وهو روايتُنا عن أبي حنيفةَ، وأقسموا على ذلك أيمانًا مُغلَّظةً، فلم يتَحقَّق في الفقهِ جوابٌ ولا مذهبٌ إلَّا له كيف ما كان، وما نُسبَ إلى غيرهِ فهو مِن مذهبِ أبي حنيفةَ، ونسبتُه للغيرِ مجازٌ».

وكان إذا أفتى يقول: «هذا رأيُ أبي حنيفةَ، وهو أَحسنُ ما قدرْنا عليه، فمَن أتى بأَحسنَ منه فهو أَولى بالصَّواب».

فالعاقلُ المُنوَّرُ البصيرةِ الطَّيِّبُ السَّريرَةِ مَن تركَ الاعتراضَ على الأئمَّةِ وعلماءِ الأمَّةِ، لا سيَّما بعدَ وُقوفِه على مثلِ هذا الذي قرَّرناه مِن مناقبِ هذا الإمامِ العظيمِ، تَغمَّدَه اللهُ برحمتِه ورِضوانِه العَميم.

***

فصلٌ في مِحنتِه

اعلم: أنَّ المؤمنينَ أشدُّ بلاءً، وقلَّما تَجدُ مُؤمِنًا يَخرجُ مِن هذه الدُّنيا بلا مِحنةٍ ومُصيبةٍ.

فهذا أبو حنيفةَ قد اتَّفقَ له مِحنةٌ عَظيمةٌ مع يزيدَ بنِ عمرَ بنِ هُبَيرةَ مُتولِّي العراقَينِ[1] لمروانَ بنِ محمَّدٍ، آخرِ ملوكِ بني أُميَّة، ومع أبي جعفرٍ المنصورِ الخليفةِ العباسيِّ.

رَوى الخطيبُ قال: كلَّم ابنُ هُبَيرةَ أبا حنيفةَ في أن يَليَ قضاءَ الكوفةِ، فأَبى، فضَربَه مئةَ سَوطٍ وعشرةَ أسواطٍ، في كلِّ يومٍ عشرةُ أسواطٍ، وهو على الامتِناع، فلمّا رأى ذلك خَلّى سبيلَه.

---

(١) العراقان: الكوفة والبصرة، انظر «معجم البلدان» (٣/ ٥٧).

ورَوى يحيى بنُ عبدِ الحَميدِ الحِمانيُّ[١] قال: «كان أبو حنيفةَ كلَّ يومٍ يُضرَبُ؛ ليَدخُلَ في القضاءِ فيأبى، ولقد بكى في بعضِ الأيَّامِ، فلمَّا أُطلِقُ قال: كان غمُّ والدَتي أشدَّ عليَّ مِن الضَّربِ».

ورَوى ابنُ كاسٍ عن إسماعيلَ بنِ سالمٍ البغداديِّ قال: «ضُرِبَ أبو حنيفةَ على الدُّخولِ في القَضاءِ فلم يَقبل، وكان أحمدُ بنُ حنبلٍ بعدَ أن ضُرِبَ يَتذكَّرُ حالَ أبي حنيفةَ، ويترحَّمُ عليه»[٢].

وذَكر أبو أحمدَ العسكريُّ: أنَّ ابنَ هُبَيرةَ أمرَ بضربِه على رأسِه، فأصبحَ وقد انتَفخَ رأسُه مِن الضَّربِ، ثمَّ أمرَ بإطلاقِه، وذَكر: أنَّه رأى رسولَ اللهِ ﷺ في النَّوم وهو يقول: أما تَخافُ اللهَ تعالى؟! تَضرِبُ رجلًا مِن أمَّتي بلا جُرمٍ؟! وهدَّدَه، فأرسلَ إليه فأَخرجه واستَحلَّه.

ورَوى القاضي ابنُ كاسٍ عن محمدِ بنِ عمرَ الأَسلَميِّ، والمُوفَّقُ بنُ أحمدَ عن الشيخِ أبي حفصٍ الكبيرِ وغيرِه قال:

«كان ابنُ هُبيرةَ واليًا على العراقِ في زمانِ بني أُميَّةَ، فظَهرت الفِتنةُ بالعراقِ، فجَمعَ ابنُ هُبَيرةَ فقهاءَ العراقِ ببابِه، فيهم: ابنُ أبي ليلى وابنُ شُبرُمةَ وداودُ بنُ أبي هندٍ وعِدَّةٌ، فولَّى كلَّ واحدٍ منهم شيئًا مِن عملِه، وأَرسلَ إلى أبي حنيفةَ ليكونَ على خاتَمِه، ولا يَنفذُ الكتابُ إلَّا مِن تحتِ يدِ أبي حنيفةَ، ولا يَخرجُ مِن بيتِ المالِ شيءٌ إلَّا مِن تحتِ يدِ أبي حنيفةَ، فامتَنع أبو حنيفةَ، فحَلفَ ابنُ هُبَيرةَ إنْ لم يَفعَل ليضربَنَّه»[٣].

---

(١) الذي في «تاريخ بغداد» (١٥/ ٤٤٩) «يحيى بن عبد الحميد عن أبيه».

(٢) «تاريخ بغداد» (١٥/ ٤٤٩).

(٣) في (ش): «لنضربنه».

فقال له جماعةُ الفقهاءِ: إنا نُنشِدكَ اللهَ ألا تُهلِكَ نفسَك، فإنا إخوانُك، وكلُّنا كارهٌ لهذا الأمرِ، لم نختَرْه ولم نجِد بُدًّا مِن ذلك، فأبى، وقال: لو أرادني أن أَعُدَّ له أبوابَ المسجدِ لم أفعل، فكيف وهو يريدُ أن يَكتبَ بضربِ عُنقِ رَجلٍ مُسلمٍ، وأختِمُ أنا على ذلك الكتابِ؟! فواللهِ لا أدخلُ في ذلك أبدًا.

فحبسَهُ صاحِبُ الشُّرَطِ جُمعتَين لم يَضرِبه، ثمَّ ضَربَه أربعةَ عشرَ سَوطًا».

وفي رِوايةٍ: «أنَّه ضُرِبَ أيامًا مُتواليةً فجاءَ الضَّاربُ إلى ابنِ هُبَيرةَ فقال له: إنَّ الرَّجلَ مَيِّت، فقال: قل له يُخرِجُنا مِن يمينِنا، فسأله فقال: لو سألَني أنْ أَعدَّ له أبوابَ المَسجدِ ما فعلتُ، دعوني أستشيرُ إخواني في ذلك، فاغتمَّ[1] ابنُ هُبَيرةَ فأمر بتخليتِه، فركِبَ دوابَّه وهرَبَ إلى مكَّةَ، وكان هذا في سنة: مِئةٍ وثلاثينَ، فأقامَ بمكَّةَ إلى أنْ صارتِ الخلافةُ للعباسيَّة، فقدِمَ أبو حنيفةَ الكوفةَ في زمنِ أبي جعفرٍ فأكرمه وأجَلَّه، وأمر له بعشرةِ آلافِ دِرهمٍ وجاريةٍ، فأَبى أبو حنيفةَ أنْ يَقبلَ ذلك».

ورَوى الخطيبُ[2] عن بِشرِ بنِ الوليدِ الكِنديِّ، عن خارجةَ بن بدير[3] والرَّبيعِ بنِ يونسَ، وأبو الفرجِ بنُ الجَوزيِّ عن بعضِ العلماءِ، والمُوفَّقُ بنُ أحمدَ عن ابنِ المُباركِ، وفي سياقِ كلٍّ ما ليسَ عندَ الآخرِ:

إنَّ ابنَ أبي ليلى لما ماتَ وأُخبِرَ بذلك المنصورُ قال: لقد خَلت الكوفةُ

---

(١) في (ش): «فاغتنم»، وهو تحريفٌ.

(٢) انظر «تاريخ بغداد» (١٥/ ٤٥٠).

(٣) كذا في النسخ، والذي في «تاريخ بغداد»: «حدثنا خارجةُ بنُ مصعبِ بنِ خارجة، قال: سمعتُ مغيثَ بنَ بديل يقول: قال خارجة إلخ».

مِـن حاكـمٍ عَـدلٍ، ثـمَّ أمـرَ بحمـلِ أبـي حنيفـةَ وسـفيانَ ومِسـعرٍ وشـريكٍ، وكانوا جلوسًـا بعـدَ صـلاةِ الصُّبـحِ، فبَعثَ أميـرُ الكوفـةِ إلـى كلِّ واحدٍ رجـلًا فأَخذوهم، وبعـثَ بهم إلـى أبـي جعفرٍ.

فقال أبو حنيفةَ: أنا أُخمِّنُ فيكم تَخمينًا، أمَّا أنا فأَحتالُ فأَتخلَّصُ، وأمَّا مِسعرٌ فيَتجانَنُ، وأَّما سفيانُ فيَهرب، وأما شريكٌ فيَقعُ.

فسـاروا فلمَّـا كانوا بقـربِ بغدادَ أظهرَ سـفيانُ أنَّه يريـدُ قضاءَ الحاجـةِ فذهبَ ليقضيَهـا، وجَلـس المُـوكَّل بـه ينتظـرُه، فبصُـرَ سـفيانُ سـفينةً فقـال للمَـلَّاحِ: إنْ مكَّنتنـي مِـن سـفينَتِك وإلَّا أُذبَـحُ، وتـأوَّلَ قـولَ رسـولَ اللهِ ﷺ: «مَـن جُعـل قاضيًا فقـد ذُبحَ بغيـرِ سـكينٍ»[1]، ودَفعَ للمَـلَّاحِ دَراهمَ، فاسـتَبطَأَه المُوكَّل بـه فلم يجده، فهَرب.

فلمَّا دخلوا[2] على أبي جعفرٍ تَقدَّم إليه مِسعرٌ، وقال لأبي جعفرٍ: هاتِ يدَك، كيف أنتَ وأولادُك ودوابُّك؟ فقال: أخرِجوه فإنَّه مجنونٌ.

وعَرَض على أبي حنيفةَ توليةَ القضاءِ فأبى عليه، فحَلف ليَفعَلنَّ، فحَلفَ أبو حنيفةَ ألا يفعلَ، فحَلفَ المنصورُ ليفعلَنَّ، فحَلفَ أبو حنيفةَ ألا يَفعلَ، فحَلفَ المنصورُ ليفعلَنَّ، فحَلفَ أبو حنيفةَ ألا يفعلَ.

فقال الرَّبيعُ الحاجبُ لأبي حنيفةَ: ألا تَرى أميرَ المؤمنينَ يحلِفُ؟! فقال أبو حنيفةَ: أميرُ المؤمنينَ أقدَرُ على كفَّارةِ يمينِه مني على كفارةِ يميني.

---

(١) أخرجه أحمد: (١٢/ ٥٢)، وأبو داود: (٥/ ٤٢٥)، والترمذيُّ: (٣/ ٧) وقال: «حسن غريب من هذا الوجه»، وابنُ ماجه: (٣/ ٤٠٧).

(٢) في (ش): «أدخلوا».

فأمر بحبسِه، ثمَّ دعا بهِ، فقال: أترغبُ عمَّا نحن فيه؟! فقال: أَصلحَ اللهُ أميرَ المؤمنينَ، يا أميرَ المؤمنينَ اتَّقِ اللهَ، ولا تُشرِكْ في أمانتِكَ مَن لم يَخفِ اللهَ، واللهِ ما أنا مأمونُ[1] الرِّضا، فكيف أكونُ مأمونَ الغضبِ؟! فلا أَصلحُ لذلك، فقال: كذبتَ أنتَ تصلُحُ لذلك، فقال: يا أميرَ المؤمنينَ، قد حكمْتَ على نفسِكَ، إنْ كنتُ صادِقًا فقد أخبرْتُ أميرَ المؤمنينَ أنِّي لا أصلحُ، وإنْ كنتُ كاذبًا فكيفَ يحِلُّ لك أنْ تُولِّيَ قاضيًا كذابًا؟! ومع ذلك فإنِّي رجلٌ مَولًى، ولا تكادُ العربُ تَرضى بأنْ يكونَ عليهم مولًى، فأَمر به إلى الحَبس.

وعَرَضَ ذلك على شَريكٍ فقبلَه فهجرَه الثَّوريُّ وقال: أَمكنَكَ الهربُ فلم تهرُبْ[2].

ورَوى الخطيبُ[3] عن أبي العلاءِ الواسِطيِّ قال: «والعوامُ يدَّعونَ أنَّه تولّى عددَ اللَّبِنِ[4] أيّامًا ليُكفِّرَ بذلك عن يمينِه، ولم يصحَّ هذا مِن جهةِ النَّقلِ».

***

(١) في (ك): «مأمونا».

(٢) انظر «عقلاء المجانين» لابن حبيب: (ص٣٧)، و«التذكرة الحمدونية» (٩/ ٢٨٥).

(٣) «تاريخ بغداد» (١٥/ ٤٥٠).

(٤) كذا في النسخ، وكذا في «تاريخ بغداد»، ومثلُه في «وفيات الأعيان» (٥/ ٤٠٦)، ويُبيِّن العبارةَ روايةُ ابنِ جريرٍ الطبريِّ في «تاريخه» (٧/ ٦١٩) قال: «فحَلف المنصورُ أنْ يَتولّى له، وحَلف أبو حنيفةَ ألا يَفعل، فولاه القيامَ ببناءِ المدينة وضَرْبِ اللَّبِنِ وعدِّه، وأَخذ الرِّجالُ بالعمل، وإنما فَعل المنصورُ ذلك ليَخرجَ مِن يمينه، وكان أبو حنيفةَ المتولِّيَ لذلك، حتّى فَرغ مِن استتمام بناءِ حائطِ المدينةِ مما يلي الخندق».

فصلٌ في وفاته

قال أبو المؤيِّدِ الخُوارزميُّ: «الرِّواياتُ الظَّاهِرةُ المَشهورةُ عن الأئمَّةِ الثِّقاتِ والحُفَّاظِ أنَّه ضُرِبَ على القضاءِ، وما قَبِلَ حتّى توفِّي، ثمَّ اختلفوا بعدَ ذلك، فمنهم مَن قال: ماتَ مِن الضَّربِ، وبعضُهم قال: سُقِيَ السُّمَّ»[١].

ورَوى الخطيبُ[٢] وأبو محمدٍ الحارثيُّ وغيرُهما، عن جماعةٍ دَخلَ كلامُ بعضِهم في بعضٍ:

أنَّ أبا جعفرٍ المنصورَ طلبَ أبا حنيفةَ مِن الكوفةِ إلى بغدادَ، وطلبَ منه أنْ يليَ القضاءَ، ويكونَ قُضاةُ الإسلامِ مِن تحتِ يدَيه، فاعتلَّ بعِلَلٍ ولم يَقبل، فحَلفَ عليه أبو جعفرٍ بيمينٍ مُغلَّظةٍ إنْ لم يفعل ليَحبسنَّه، وليُشدِّدَنَّ عليه، فأبى عليه أبو حنيفةَ فحَبسه، وكان يرسلُ إليه في الحبسِ إنْ أجبتَ إلى ما طلبتُه منكَ أخرجتُكَ، فأبى عليه في عدمِ قَبولِ القَضاءِ أشدَّ الامتناعِ، فأمر أنْ يُخرجَ كلَّ يومٍ، فيُضربَ عشرةَ أسواطٍ، ويُنادى عليه في الأسواقِ، فأُخرِجَ وضُربَ ضَربًا موجِعًا، يؤثِّر في بشرتِه أثرًا ظاهرًا، ونُودي عليه في الأسواقِ والدَّمُ يسيلُ على عقبَيه، وأُعيدَ إلى الحبسِ، وضُيِّق عليه تضييقًا شديدًا في الطَّعامِ والشَّرابِ والحَبسِ، وفُعِلَ به جميعُ ذلك في عشرةِ أيَّامٍ كلَّ يومٍ عشرةُ أسواطٍ، فلمّا تتابعَ عليه الضَّربُ بكى، وأكثرَ الدُّعاءَ، فمَكثَ بعدَ ذلك خمسةَ أيَّامٍ، وتوفِّي رحمَه الله تعالى.

وذَكروا أنه ماتَ مسمومًا[٣].

---

(١) «مناقب الإمام الأعظم» (٢/ ١٧٩).

(٢) انظر «تاريخ بغداد» (١٥/ ٤٤٨).

(٣) وهذا الذي اعتمده الحافظ الذهبيُّ في «السير» (٦/ ٤٠٣) فإنه قال: «تُوفي شهيدًا مسقيًّا».

رَوى أبو محمدٍ الحارِثيُّ: أَنَّه رُفعَ إلى أبي حنيفةَ قَدحٌ فيه سُمٌّ ليَشربَ، فقال: لا أشربُ، فأُكرِه على شُربِه مرَّات فأَبى وقال: إنِّي لأعلمُ ما فيه، فلا أُعينُ على نفسي، فطُرِحَ ثمَّ صُبَّ في فيه، ثمَّ خُلِّي عنه.

ورَوى الحارثيُّ عن نُعيمِ بنِ يحيى قال: «ماتَ أبو حنيفة رحمه الله غَريبًا مسمومًا».

ورَوى الصَّيْمَرِيُّ عن أبي نُعيمٍ قال: «سُقيَ أبو حنيفةَ شَربةً فماتَ منها».

وفي بعضِ الرِّواياتِ: أنَّه لمَّا حَضر بينَ يدَي المَنصورِ دعا له بسَويقٍ وأَمره بشُربِه فامتَنعَ، فقال له: لَتشربنَّه، فأَكرهَه حتّى شَربه، ثمَّ قامَ مُبادِرًا فقال له المنصورُ: إلى أينَ؟ قال: إلى حيثُ بَعثتَ بي، فمَضى به إلى السِّجنِ فماتَ فيه.

ورَوى الموفَّقُ بنُ أحمدٍ ـ وصحَّحَ إسنادَه ـ عن أبي حسّانٍ الزِّياديِّ قال: «لمّا أحسَّ الإمامُ أبو حنيفةَ بالموتِ سَجد سجدةً فخرجَتْ نفسُه وهوَ ساجدٌ».

قال بعضُهم[1]: «وفي الحقيقةِ إنَّ أبا جعفرٍ إنَّما أَرسلَ إلى الإمامِ أبي حنيفةَ مِن الكوفةِ إلى بغدادَ ليقتُلَه لا ليُبقيَه.

وسببُ ذلكَ: أنَّ إبراهيمَ بنَ عبدِ الله بنِ الحسنِ بنِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ لمّا خَرجَ على أبي جعفرٍ المنصورِ بالبصرةِ خافَ منه خوفًا شديدًا ولم يَقرَّ له قرارٌ، فدَسَّ بعضُ أعداءِ الإمامِ أبي حنيفةَ إلى أبي جعفرٍ المنصورِ: أنَّ الإمامَ أبا حنيفةَ مساعدٌ لإبراهيمَ، وأنَّه قوّاهُ بمالٍ كثيرٍ.

وكان الإمامُ أبو حنيفةَ مقبولَ القولِ وجيهًا عندَ الناسِ، ذا مالٍ واسعٍ مِن التِّجارةِ، فخشيَ أبو جعفرٍ مِن ميلِه إلى إبراهيم فطلبَه مِن الكوفةِ إلى بغدادَ، ولم

---

(١) هذا القولُ بنصِّه في «عقود الجمان» (ص٣٥٩).

يَجسُر على قتلِه بلا سَببٍ، فطَلَبَ منه أن يكون قاضيًا؛ لعلمِه أنَّ الإمامَ أبا حنيفة لا يَفعلُ ذلك، فأبى عليه فتوصَّلَ بذلكَ إلى قتلِه، ومكثَ رحمه اللهُ في مُدَّةِ العُقوبةِ خمسةَ عشرَ يومًا»[١].

ولمّا توفِّي أُخرجَ مِن مكان حبسِه، فحُمِلَ مع خمسةِ أَنفُسٍ إلى أنْ أتوا به إلى المكانِ الذي غَسَّلوه فيه، فغَسَّله الحسنُ بنُ عُمارةَ قاضي بغدادَ، وصبَّ عليه أبو رجاءِ ابنُ واقدِ الهَرويُّ[٢].

ولمَّا غسَّلَه وفرغَ منه قال الحسنُ بنُ عُمارةَ: «رحمكَ الله، لم تُفطر منذُ ثلاثينَ سنةً، ولم تتوسَّد يمينَك باللَّيلِ منذُ أربعينَ سنةً، كنت أفقهَنا وأعبدَنا وأزهدَنا وأجمعَنا لخِصالِ الخيرِ، وقُبِرتَ إذ قُبرتَ إلى خيرٍ وسُنَّةٍ، وأتعبتَ مَن بعدَك، وفضحتَ القرّاءَ»، رواه الخطيب[٣].

وروى الموفَّقُ بنُ أحمدَ عن أبي رجاءٍ قال: «كنتُ أصبُّ على الإمامِ أبي حنيفةَ حالَ غُسْلِ موتِه، فرأيتُ جِسمَه جسمًا نَحيفًا قد أذابتْه العبادة، فما فُرِغَ مِن غُسْلِه إلا وقد اجتمعَ مِن أهلِ بغدادَ خلقٌ لا يُحصيهم إلا خالقُهم، كأنَّه نُوديَ لهم بموتِه».

---

(١) ويُنظر في هذا الموضوع كتابُ: «أبو حنيفةَ بطلُ الحرية».

(٢) أبو رجاء عبد الله بن واقد الهرويُّ الخراسانيُّ توفي بعدَ: (١٦٠)، وثَّقه أحمدُ وابنُ معين وابنُ حبان، وقال ابنُ معينٍ: «ما قَدم علينا خراسانيٌّ أفضلُ مِن أبي رجاء»، وقال مالك بنُ سليمان: «كان أبو رجاءٍ زكيًّا تقيًّا نقيًّا، يتَّجر ويتعزَّز، ويحجُّ ويتعبَّد ويتورَّع، جمع الخيرَ كلَّه»، وقال الحاكم: «فقيهٌ عالم، صدوقٌ مقبول»، وقيل لإسحاقَ بنِ منصور: كان أبو رجاء ثقة؟ فقال: «فوقَ الثقة»، انظر «تهذيب الكمال» (١٦/ ٢٥٤)، ولكنْ مع الأسف تحامل عليه ابنُ عديٍّ في «الكامل» (٤/ ٢٥٥)، واختصر القولَ فيه الحافظُ ابنُ حجر في «تقريب التهذيب» فقال: «ثقةٌ، موصوفٌ بخصالِ الخير».

(٣) «تاريخ بغداد» (١٥/ ٤٨٥).

ورَوى الحارثيُّ عن نُعيمِ بنِ يحيى قال: «حُزِرَ مَن صلّى على الإمامِ أبي حنيفةَ، فبَلغ خمسينَ ألفًا أو أكثرَ، وصُلِّي عليه سِتَّ مراتٍ، آخرُها صلاةُ ابنِه حمَّادٍ، ولم يكن لهُ مِن الولدِ غيرُه، ولم يُقدَر على دفنِه إلا بعدَ العصرِ مِن كثرةِ الزِّحامِ».

وكثُرَ البكاءُ والأسفُ عليه.

وأَوصى أنْ يُدفنَ في مقابرِ الخَيْزُرانِ[١]؛ لأنَّها كانتْ طيِّبةً غيرَ مَغصوبةٍ.

ولمَّا بلغَ المنصورَ ذلك قال: «مَن يَعذرُني مِنك حيًّا وميِّتًا»، رواه الخطيب.

ولما بلغَ ابنَ جُريجٍ فقيهَ مكَّةَ موتُه استَرجعَ وقال: «أيُّ عِلمٍ ذهبَ؟!»، رواه الخطيب[٢].

ورُويَ عن نَصْرِ بنِ عليٍّ قال: «كنتُ عندَ شعبةَ فأُخبرَ بموتِ أبي حنيفةَ فاستَرجع، وقال: طُفِئَ مِن الكوفةِ نورُ العِلمِ، أما إنَّهم لا يَرونَ مثلَه أبدًا».

وقال أبو نُعيمٍ الفَضلُ في «تاريخه»[٣]: «سمعتُ عليَّ بنَ صالحٍ[٤] يقولُ

---

(١) تحوَّلتْ هذه المقبرةُ إلى حيٍّ كبيرٍ مِن أحياء بغداد، يُعرف باسم: (الأعظميَّة).
وفي عامِ: (٤٥٩هـ) بُنيتْ بجوار قبرِ أبي حنيفةَ مدرسةٌ كبيرة، عُرفت باسم: (مدرسةِ الإمام أبي حنيفة)، غدتْ مِن مراكز العلم والحضارة ببغداد، وهي أولُ مدرسةٍ مُنتظمةٍ في العراق؛ إذ أُنشئتْ قبلَ المدرسةِ النِّظاميَّة بخمسةِ شهور، وقد كَتب الله تعالى لمدرسةِ أبي حنيفةَ أنْ تُحافظَ على مكانها ومكانتِها إلى زماننا، رَغم ما حلَّ بالعراق الحبيب مِن كوارثَ ونكبات، ودَرَّس فيها وتخرَّج بها أعلامٌ كبار، انظر كتابَ: «مدرسةِ الإمام أبي حنيفة ـ تاريخها وتراجم شيوخها ومُدرِّسيها».

(٢) «تاريخ بغداد» (١٥/ ٤٦٣).

(٣) كذا في النسخ، وكذا في «عقود الجمان» (ص٣٦١)، وهذا الخبرُ ساقه ابنُ أبي العوام في «فضائل أبي حنيفة» (ص٨١) بإسنادِه إلى أبي نُعيم قال: «سمعتُ عليَّ بنَ صالحٍ» فذكره، ولا أعرف لأبي نُعيمِ الفضلِ بنِ دُكين تاريخًا، والله أعلم.

(٤) هو الإمام القدوة الكبير أبو الحسنِ عليُّ بنُ صالحِ بن حيٍّ، حديثُه في «صحيح مسلم» وفي السُّننِ =

لمّا ماتَ أبو حنيفةَ: ذهبَ مُفتي العراقِ وفَقيهُها».

ومَكث الناسُ يُصلّونَ على قَبرِه عشرينَ يومًا»، رواه الخطيب[١].

وقال الخَلَنْجيُّ[٢] وغيرُه: إنَّ الجنَّ بكَتْ أبا حنيفةَ ليلةَ ماتَ، فكانوا يَسمعونَ الصَّوتَ ولا يَرونَ الشَّخصَ وهو يقولُ:

ذَهبَ الفقهُ فلا فقهَ لكم ... فاتَّقوا اللهَ وكونوا خُلَفا

ماتَ نعمانُ فمن هذا الذي ... يُحيي اللَّيلَ إذا ما سَجَفا[٣]

ورَوى الصَّيْمَرِيُّ عن خلفِ بنِ سالمٍ قال: «سمعتُ صدقةَ المقابريَّ ـ وكان مُجابَ الدَّعوةِ ـ يقولُ: لمّا دُفنَ أبو حنيفةَ في مقابرِ الخَيْزُرانِ سمعتُ صوتًا في الليلِ ثلاثَ ليالٍ...»، وذَكر البيتَين.

ورَوى الحارِثيُّ أنَّ عبدَ اللهِ بنَ المُباركِ قَدم بغدادَ فقال: «دُلُّوني على قبرِ أبي حنيفةَ»، فدَلُّوه عليه، فقامَ على قبرهِ فقال: «رحمَك اللهُ يا أبا حنيفةَ، ماتَ إبراهيمُ النَّخعيُّ وترك خَلَفًا، وماتَ حمّادُ بنُ أبي سليمانَ وترك خَلَفًا، وأنت يا أبا حنيفةَ مُتَّ ولم تَتْرك على وجهِ الأرضِ خَلَفًا»، ثمَّ بكى بكاءً شديدًا.

ورَوى الصَّيمَرِيُّ عن ابنِ سِوارٍ عن أبيهِ قال: «رأيتُ الحسنَ بنَ عُمارةَ قاضي بغداد في مقابرِ الخَيزُرانِ عندَ قبرِ أبي حنيفةَ يبكي ويقول: رحمك الله،

= الأربعة، انظر «سير أعلام النبلاء» (٧/ ٣٧١).

(١) «تاريخ بغداد» (١٥/ ٤٦٣).

(٢) في النسخ: «الحليمي»، والصوابُ المثبتُ كما في «عقود الجمان» (ص٣٦٢) وهو مصدر المؤلِّف، وكذلك هو في المراجع والمصادر.

(٣) في النسخ: «هدأ»، و«هدفا»، والمثبتُ مِن المصادر والمراجع.

كنتَ لنا خَلَفًا ممَّن مَضى، وما تَركتَ بعدَك خَلَفًا، إنْ خَلفوكَ في العِلمِ الذي عَلَّمتَهم لم يُمكنْهم أنْ يَخلِفوكَ في الوَرعِ إلَّا بتوفيقٍ»، فقلتُ: قبرُ مَن هذا؟ قال: «قبرُ أبي حنيفةَ».

ولم يَزل العلماءُ وذَوو الحاجاتِ يَزورونَ قبرَ الإمامِ أبي حنيفةَ، ويَتوسَّلونَ إلى اللهِ تعالى عندَه في قضاءِ حوائِجهم، ويَرونَ نُجحَ ذلك، منهم: الإمامُ الشافعيُّ رضي الله عنه لمَّا كان ببغدادَ[1].

وذَكَرَ غيرُ واحدٍ: أنَّ الشافعيَّ صلَّى الصُّبحَ بمقامِ الإمامِ أبي حنيفةَ، فلم يَقنُتْ في صلاةِ الصُّبحِ، فقيل له في ذلك؟ فقال: تأدُّبًا مع صاحبِ هذا القبر، وزادَ بعضُهم: أنَّه لم يَجهر بالبسملة[2].

[المراثي التي قيلتْ في أبي حنيفة]

وقد رثاهُ الشعراءُ بقصائدَ عديدةٍ، فرثاه مِن الأئمَّةِ عبدُ اللهِ بنُ المباركِ وغيرُه[3].

ورثاه أبو المؤيَّدِ الخُوارِزميُّ[4] بعدَّةِ قصائدَ منها قولُه:

عَزِّ الشَّريعةَ إذ مَضى كشّافُها ... وظهيرُها النعمانُ نحوَ جِنانِه

عَمرَ التُّقى والشَّرعَ أَكثرَ عصرِه ... بالأَصغرَينِ لسَانِه وجَنانِه

---

(١) أورد القصةَ الخطيبُ في «تاريخ بغداد» (١/ ٤٤٥)، وفي سندها مَن لم أعرفهم.

(٢) انظر «الجواهر المضية» (٤/ ٥٧٣)، و«عقودَ الجمان» (ص٣٦٣).

(٣) قصيدةُ عبدِ الله بنِ المبارك في مدح أبي حنيفةَ أَوردها الخطيبُ في «تاريخ بغداد» (١٥/ ٤٧٩)، وابنُ عبدِ البرِّ في «الانتقاء» (ص٢٠٧).

(٤) القصيدة في كتابه «مناقب الإمام الأعظم» (٢/ ١٨٦)، ونقلها بتمامها الصالحيُّ في «عقود الجمان» (ص٣٨١).

فجَنانُــه معنــى[١] الشَّــريعةِ ماهِــدٌ[٢] ولســانُه رطْــبٌ بحُســنِ بيانِــه

فالفقــهُ يَشــكُو يُتْمَــه وضَياعَــه ومتــى سُــلُوُّ الفقــهِ عــن نُعمَانِــه

لا نفــعَ[٣] للإنســانِ طَرْفــةَ عينِــه فــي طَرْفِــه إنْ يَخــلُ عــن إنسانِه

عجبًــا لقبــرٍ فيــه بحــرٌ زاخــرٌ عجبًــا لبحــرٍ لُــفَّ فــي أكفانِــهِ

إنْ راحَ فقــهٌ خالِــصٌ فهــو الــذي ســبكتْه شُــعلةُ فكــرِه فــي خانِــهِ

أو فــاحَ وِرْدُ تهجُّــدٍ قــد زانــه طــلَّ التُّقــاة فــذاكَ مــن بســتانِهِ

أو طــارَ منشــورُ العلــومِ إلــى الورى فهــو الــذي كتبــوه مِــن ديوانِــهِ

أو راق تفــاحُ القيــاسِ بنشْــرِهِ وبطَعْمِــه فاعْرِفْــه مِــن لبنانِــهِ

أو عجبــت صلــة ســماحة حاتِــمٍ فتَوسَّــمُوها مِــنْ طــرازِ بنانِــهِ

أو سُــرَّ ذا فقــر جمــانٍ فائــقٍ عنــدَ السُّــؤالِ فــذا جُمــانُ عُمانِــهِ

وإذا رأيتُــم رَوْضَ فقــهٍ ناضِــرًا بالبحــثِ يُسقى فهــو مِــن سُــعْدانِهِ

نُصِبَــتْ موائِــدُ طَعمُهــنَّ فوائِــدُ فــي كلِّ مصْــرٍ وهــي فضْــلُ خوانِــهِ

قــد جــاءَ أهــلُ زمانِــهِ بزبُورِهــمْ فمحــاهُ بالآيــاتِ مِــن فُرْقانِــهِ

قــد شَــدَّ إيــوانَ القيــاسِ بكــدِّهِ وقــد استراحَ الخلْــقُ فــي إيوانِــهِ

قــد ســمَّه المنصــورُ سُــمًّا قاتــلًا ليَعيــشَ مأمونًــا علــى سُــلْطانِهِ

مَضَيــا إلــى لحدَيهمــا هــذا إلــى سُــخطِ الإلــهِ وذا إلــى رِضْوانِــهِ

حسّــانَه أنــا مُرْتَــجٍ فــي مدحِــهِ حُسْــنى شــفاعتِهِ إلــى حُسّــانِهِ

---

(١) في النُّسخ: «نحو»، والمثبتُ مِن المصادر والمراجع.

(٢) في (ك): «ساهر»، وفي النسخ المتبقية: «ماهر»، والمثبتُ مِن المصادر والمراجع.

(٣) في «مناقب الإمام الأعظم»: «لا نفقد».

والأشعارُ في هذا كثيرةٌ، أَضربْنا عنها خوفَ الإطالة.

[مناماتٌ رُئيتْ لأبي حنيفة]

ورُئِيَ له مناماتٌ حسنةٌ لا تليقُ بهذه المقدِّمة[١].

وقد رُئِيَ بعدَ موتِه فقيل له: ما فَعلَ اللهُ بكَ؟ قال: غُفرَ لي، فقيل له: بالعلم؟ فقال: هيهاتَ، إنَّ للعِلمِ شُروطًا وآدابًا قَلَّ مَن يفعلُها، فقيل: بمَ غَفرَ اللهُ لكَ؟! قال: بقولِ الناسِ فيَّ ما ليسَ فيَّ[٢].

رضيَ اللهُ تعالى عنه آمين[٣].

وفي هذا القَدْرِ كفايةٌ، واللهُ سبحانَه أعلمُ.

***

(١) رَوى الخطيبُ في «تاريخ بغداد» (١٥/ ٤٥٩) عن أبي حنيفةَ قال: «رأيتُ رؤيا فأَفزعتْني، رأيتُ كأني أَنبُش قبرَ النبيِّ ﷺ، فأتيتُ البصرةَ فأمرتُ رجلًا يسأل محمدَ ابنَ سيرينَ؟ فسأله فقال: هذا رجلٌ يَنبُش أخبارَ رسول الله ﷺ».

(٢) وجاء في «فضائل أبي حنيفة» لابن أبي العوام (ص١٣٧) عن عبّادٍ التمّار قال: «رأيتُ أبا حنيفةَ في النوم فقلتُ: يا أبا حنيفةَ إلى ما صِرتَ؟ قال: إلى سعةِ رحمتِه، قلتُ: بالعلم؟ قال: هيهات، للعلم شروطٌ وآفاتٌ قلَّ مَن يَنجو، قلتُ: فبمَ ذلك؟! قال: لقولِ الناس فيَّ ما لم أكنْ عليه»، وكذلك ساقها ابنُ عبدِ البرِّ في «جامع بيان العلم» (١/ ٧٥٠)، والذهبيُّ في «مناقبه» (ص٥٢).

وجاء أيضًا عندَ ابنِ أبي العوام والذهبيِّ عن جعفرِ بنِ الحسن قال: «رأيتُ أبا حنيفةَ في النوم فقلتُ: ما فعل الله بكَ يا أبا حنيفة؟ قال: غَفَر لي، قلتُ له: بالعلم؟ قال: ما أضرَّ الفتوى على صاحبِها، قلتُ: بم؟! قال: بقول الناس فيَّ ما لم يعلمْه مني».

(٣) في (ش): «ورَحمه ورَحمَنا به، آمين».

البابُ الثاني

في مناقِبِ الإمامِ أبي عبدِ اللهِ مالكِ بنِ أنسٍ

رضي الله عنه

وهو الإمامُ العَلَمُ الحُجَّة، الحافِظُ الضّابطُ المُتقِن، إمامُ دارِ الهِجرة، وعالِمُ الإسلام، وأحدُ العلماءِ الأعلام:

مالكُ بنُ أنسِ بنِ مالكِ بنِ أبي عامرِ بنِ عمرِو بنِ الحارثِ بنِ غَيْمَانَ بنِ خُثَيْل[١] بن عَمرِو بنِ ذي أَصبحَ الأَصْبَحِيُّ الحِميَرِيُّ، حَليفِ عُثمانَ أخي طلحةَ بنِ عُبيدِ اللهِ التَّيميِّ، فهو مَولى حِلْفٍ، لا مَولى عَتاقةٍ على الصَّحيحِ الذي عليهِ الجمهور، خلافًا لابنِ إسحاقَ، وقد رَدَّ عليه غيرُ واحدٍ[٢].

وُلِدَ سنةَ: تِسعينَ أو أربعٍ أو ستٍّ أو سبعٍ وتسعينَ مِن الهجرةِ[٣].

وكانتْ وِلادتُه بذي المَروَةِ، مَوضِعٌ مِن مساجدِ تبوكَ، عن ثمانيةِ بُرْدٍ مِن المدينة.

ولا خِلافَ أنَّه ماتَ سنةَ: تسعٍ وسبعينَ، وعاشَ خَمسًا وثمانينَ سنةً، أو قريبًا مِن تسعينَ سنةً.

ومكثَ يُفتي الناسَ، ويُعلِّمُهم نحوًا مِن سبعينَ سنةً، وماتَ بالمدينةِ، ودُفِنَ بالبَقيعِ، وقبرُه معروفٌ.

---

(١) غيمان بن خُثَيل: كذا ضبطه الكثيرونَ، منهم: الحافظُ ابنُ حجرٍ في «تبصير المنتبه» (٣/ ٣٥٣)، وقيل بغير ذلك.

(٢) انظر «الانتقاءَ في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء» لابن عبد البر: (ص٤٠).

(٣) انظر «الانتقاء» (ص٣٦)، وانظر فيه حاشيةً مهمَّةً عن اختلاف تواريخ سنةِ ولادةِ أو وفاةِ رجالِ القرن الأول والثاني.

حَملَتْ به أمُّه ثلاثَ سنينَ(١).

وكانَ طويلًا عظيمَ الهامةِ، أصلعَ أبيضَ الرَّأسِ واللِّحية، أبيضَ شديدَ البياضِ إلى الشُّقرةِ.

وكان لباسُه الثِّيابَ العَدنيَّةَ الجِيادَ.

قال بِشرُ بنُ الحارثِ: «دَخلتُ على مالكٍ فرأيتُ عليه طَيْلَسَانًا يُساوي خَمسمائةِ دينارٍ».

وكان يَكره حَلْقَ الشَّاربِ ويَعيبُه، ويَراهُ مِن المُثَلِ(٢).

وهو إمامُ دارِ الهجرةِ وعالِمُ المَدينةِ، وأحدُ أئمَّةِ المذاهبِ المَتبوعةِ.

وهو مِن تابعي التَّابعينَ على الصَّحيحِ، وقيل: إنَّه مِن التَّابعينَ؛ لأنَّه أدركَ عائشةَ بنتَ سعيدِ بنِ أبي وقاصٍ، وقد قيلَ فيها: إنَّها صحابيَّة، والصَّحيحُ خلافُه.

وجدُّه أبو عامرٍ الصَّحابيُّ: حَضرَ مع رسولِ الله ﷺ مَغازيَه كُلَّها إلَّا بدرًا.

وجدُّه مالكٌ: مِن كبارِ التَّابعينَ، وهو أحدُ الأربعةِ الذين حَملوا عثمانَ إلى قبره ليلًا، وغَسَّلوه ودَفنوه.

وأبوه أنسٌ: كان فقيهًا.

وأمّا هو رضي الله عنه: فقد شاعَ فَضلُه، واشتَهرَ عِلمُه، وارتَفعَ قدرُه، وعَظُمَتْ

---

(١) يَذكر المُتخصِّصون مِن الأطباء: أنَّ الجنينَ يَستحيل أنْ يبقى في بطن أُمِّه أكثرَ مِن تسعةِ أشهر إلا مدَّةً يسيرةً، وهذا نادرٌ جدًّا، وهناك بعضُ الحالات يَنقطع معها الطمثُ ويَنتفخ البطنُ لاجتماع الغازاتِ والدماء فيه، فكُنَّ يَعتقدْنَ قديمًا أنه حبلٌ، وهو ما يُسمى في زماننا: الحبلَ الكاذب، وانظر في هذا كتابَ «الحيضِ والنفاس والحمل بينَ الفقهِ والطب» للدكتور عمر الأشقر.

(٢) في (ك): «المثلة».

مَنزلتُه، وعُرِفَتْ مكانتُه، وظَهرَتْ سيادتُه، فأقرَّ العلماءُ بفضلِه، وأذعنوا لعلمِه، فَسادَ جميعَ أقرانِه، وفاقَ أهلَ زمانِه، فسُمِّي: (عالمَ المدينةِ)، و(إمامَ دارِ الهجرة).

وانتشرَ خبرُه في الأمصارِ، واشتهرَ في سائرِ الأقطارِ، وضُربَتْ إليه أكبادُ الإبلِ، وارتحلَ إليه الناسُ مِن كلِّ مِصرٍ، وأتَوه مِن كلِّ قُطرٍ.

وشَهِدَ له التّابعونَ بالفِقه والحديث، واحتاجَ إليه مُعلِّموه، وسألوه عن أمرِ دِينِهم، واشتهرَتْ عنه رِوايةُ العِلمِ في سائرِ الأقطارِ والأمصارِ.

فَروى عنه: أهلُ الحجازِ واليمنِ والعراقِ وخُراسانَ والشَّامِ ومِصرَ وإفريقيَّةَ والأندلسِ.

وهو مِصداقُ الحديثِ الذي أخرجَه الحاكمُ[١] عن أبي موسى الأشعريِّ مَرفوعًا: «**يَخرج ناسٌ مِن المشرقِ والمغربِ في طَلَبِ العِلمِ، فلا يَجدونَ أعلمَ مِن عالِمِ المدينة**»[٢].

وأخرجه التِّرمذيُّ[٣] وحسَّنه مِن حديثِ أبي هريرةَ يَرفعه بلفظ: «**يُوشِكُ أنْ يَضرِبَ الناسُ أكبادَ الإبلِ يَطلبونَ العِلمَ، فلا يَجدونَ أحدًا أعلمَ مِن عالمِ المدينةِ**».

وفي روايةٍ: «**أفقهَ مِن عالمِ المدينةِ**»[٤].

---

(١) لم أجد في «المستدرك» للحاكم هذه الرواية! وإنما التي فيه (١/ ١٦٨) عن أبي هريرة: «يُوشك الناسُ أنْ يَضربوا أكبادَ الإبل فلا يَجدون عالمًا أعلمَ مِن عالم المدينة»، وقال الحاكم: «هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط مسلم، ولم يخرجاه»، وكذا قال الذهبيُّ.

(٢) وهذه الروايةُ أخرجها الطبرانيُّ في «المعجم الكبير» وقال في «مجمع الزوائد» (١/ ١٣٤): «وفيه: عبدُ الله بنُ محمدِ بنِ عقيل، وهو ضعيفٌ عندَ الأكثرين».

(٣) «سنن الترمذي» (٤/ ٣٤٤).

(٤) لم أجدها.

وفي رِوايةٍ: «لا تَنقضي السّاعةُ حتّى يَضرِبَ الناسُ أَكبادَ الإبلِ مِن كلِّ ناحيةٍ إلى عالِمِ المدينةِ يَطلبونَ عِلمَه»[1].

وقد تأوَّلهُ الأئمَّةُ على مالكٍ، قال سفيانُ: «كانوا يَرونه مالكًا»، قال ابنُ مَهديٍّ: «يعني سفيانُ بقولِه: (يَرونه) التّابعين».

وتأوَّلَ ذلك فيه أيضًا: عبدُ الملكِ ابنُ جُرَيجٍ، وسفيانُ بنُ عيينةَ، وعبدُ الرَّحمنِ بنُ مَهديٍّ، ووكيعُ بنُ الجرّاحِ، والأوزاعيُّ.

وقال عبدُ الرَّزاقِ: «كنَّا نَرى أنَّه مالكٌ، ولم يُعرف بهذا الاسمِ غيرُه، ولا ضُرِبتْ أكبادُ الإبلِ إلى أحدٍ مِثلَ ما ضُرِبتْ إليه».

قال أبو مُصعبٍ: «كان الناسُ يَزدحِمونَ على بابِ مالكٍ، ويَقتتلونَ عليه مِن الزِّحامِ»، يعني: لطلبِ العِلمِ[2].

***

فصلٌ في مَن رَوى عنه مالكٌ، أو رَوى عن مالكٍ

وذلكَ جمعٌ كثيرٌ، وجمٌّ غفيرٌ...

- **رَوى رضي الله عنه عن:** نافعٍ، وسعيدِ المَقْبُرِيِّ، وزيدِ بنِ أسلمَ، وعَمرِو بنِ دينارٍ، وموسى بنِ عُقبةَ، ويحيى بنِ سعيدٍ، ومحمدِ بنِ شِهابٍ الزُّهريِّ إمامِ السُّنة، وربيعةَ بنِ أبي عبدِ الرَّحمنِ فقيهِ أهلِ المدينة، وهشامِ بنِ عُروةَ بنِ الزُّبيرِ، وخَلقٍ كثيرٍ حتّى بلغَ عِدَّةُ أشياخِه: تسعُ مئةٍ.

---

(١) أفاد القاضي عياض في «ترتيب المدارك» (١/ ٦٩): أنَّ المقبريَّ رواه عن أبي هريرة، وحدَّث به القاضي أبو البختريِّ وهبَ بنَ مُنبِّهٍ، وهو ضعيفٌ.

(٢) انظر مقدمةَ «المدونة» (١/ ٦٤).

رَوى عنه: الأئمَّةُ كالزُّهريِّ، وربيعةَ، وموسى بنِ عُقبةَ، والشافعيِّ، وأبي حنيفةَ، وصاحبَيه: أبي يوسفَ ومحمدٍ، وابنِ جُريجٍ، وشُعبةَ بنِ الحجَّاجِ، والسُّفيانَين: الثَّوريِّ إمامِ أهلِ العراقِ وابنِ عُيينةَ عالمِ أهلِ مكَّةَ، ومُسلمِ بنِ خالدٍ الزِّنجيِّ شيخِ الشافعيِّ، وعبدِ الرَّحمنِ بنِ مَهديٍّ شيخِ الإمامِ أحمدَ، والأوزاعيِّ أمامِ أهلِ الشَّامِ، واللَّيثِ إمامِ أهلِ مصرَ، وابنِ أبي ذِئبٍ عبدِ الرَّحمنِ القُرشيِّ أحدِ علماءِ المَدينةِ، ويحيى النَّيسابوريِّ شيخِ مُسلمٍ، وقُتيبةَ بنِ سعيدٍ البَلْخيِّ شيخِ البخاريِّ ومسلمٍ، وعبدِ اللهِ بنِ وَهْبٍ القُرشيِّ المصريِّ، وعبدِ الرَّحمنِ بنِ القاسمِ المصريِّ، وعبدِ اللهِ بنِ عبدِ الحكمِ المصريِّ، وأشهبَ بنِ عبدِ العزيزِ العامِريِّ المصريِّ، ومحمدِ بنِ إسحاقَ بنِ يسارٍ، ووكيعِ بنِ الجَرَّاحِ الكوفيِّ، ويحيى بنِ سعيدٍ القَطَّانِ البَصريِّ، وعمرَ بنِ عبدِ العزيزِ، وعبدِ الرَّزاقِ بنِ همّامٍ الصَّنعانيِّ، والفُضَيلِ بنِ عِياضٍ الزَّاهِدِ، وأبو[1] نُعيمٍ الفَضْلِ الكوفيِّ، وأبو مُسْهِرٍ عبدِ الأعلى الدِّمشقيِّ، وعبدِ العزيزِ الماجِشونَ المَدنيِّ، وعبدِ اللهِ بنِ المباركِ الخُراسانيِّ، وأبو سَلمةَ حمَّادِ بنِ مَسْلَمَةَ بنِ دينارٍ وأبو إسماعيلَ حمَّادِ بنِ زيدٍ بنِ دِرهَمٍ البَصريينَ، وبِشرِ بنِ الحارثِ وإبراهيمَ بنِ أدهمَ الزَّاهدَين، وأبو الفيضِ ذو النُّونِ المِصريِّ، وعبدِ اللهِ بنِ غانمٍ قاضي إفريقيَّةَ، وعبدِ اللهِ بنِ زيادٍ التُّونسيِّ، ويحيى بنِ يحيى الأندلسيِّ، وعبدِ اللهِ بنِ مُسلمٍ القَعْنبيِّ، وخلائقَ لا يُحصونَ مِن مشاهيرِ الرُّواةِ، يزيدونَ على ألفِ شيخٍ.

وعَدَّ القاضي عياض مِنهم ألفًا ونيِّفًا، وقال[2]: «تركْنا كثيرًا ممَّن لم يَشتَهر».

ـ ورَوى عنه مِن الخلفاءِ ستَّةٌ: أميرُ المؤمنينَ المَنصورُ، والمَهديُّ، والهادي، والرَّشيدُ، والأمينُ، والمأمونُ.

---

(١) كذا في النسخ: «أبو»، وكذلك فيما سيأتي، ولعله محمولٌ على الحكاية وإبقاءِ الواو رفعًا ونصبًا وجرًّا.

(٢) «ترتيب المدارك» (٢/ ٢٢٥).

وحَصلَ له مِن الحَظِّ ما لم يَحصُل قَطُّ لغيرِه، وكان شيخُه ربيعةُ يرجِعُ إليهِ في غيرِ شيءٍ.

واجتمعَ الناسُ عليه وتركوا ربيعةَ مع جَلالةِ قَدرِه، وكانوا يَسألونَ مالِكًا أن يُحدِّثَهم عن ربيعةَ، وربيعةُ حاضرٌ بمسجدِ رسولِ اللهِ ﷺ، وكانَ ربيعةُ معاديًا لأبي الزِّنادِ راوي أنسٍ وفقيهِ أهلِ المدينةِ.

قال ابنُ سعيدٍ[١]: «رأيتُ أبا الزِّنادِ دخلَ مسجدَ النبيِّ ﷺ ومعه مِن الأتباعِ مثلَ ما مع السُّلطانِ[٢]، فمِن سائلٍ عن الحِسابِ، ومِن سائلٍ عن فَريضةٍ، ومِن سائلٍ عن الشِّعرِ، ومِن سائلٍ عن الحَديثِ، ومِن سائلٍ عن مُعضِلةٍ».

وقال اللَّيثُ: «رأيتُه[٣] وخَلفَه ثلاثَ مئةِ طالبِ عِلمٍ، ثمَّ لم يَلبث أنْ بقيَ وحدَه، وأقبلوا على ربيعة، فكان ربيعةُ يقولُ: شبرٌ مِن حُظوةٍ، خيرٌ مِن باعٍ مِن علمٍ».

وقال محمدُ بنُ الحسنِ صاحبُ أبي حنيفةَ: «سمعتُ مِن مالكٍ[٤] سبعَ مئةِ حديثٍ ونيِّفًا إلى الثَّمانِ مئةٍ»، فكانَ محمدُ بنُ الحسنِ إذا وعدَ الناسَ أنْ يُحدِّثَهم عن مالكٍ امتلأَ موضِعُه وكَثُر عليه الناسُ، وإذا حَدَّثَ عن غيرِه لم يأتِه إلَّا النُّفير[٥].

---

(١) هو عبد ربه بن سعيد الأنصاري، انظر «تهذيب الكمال».

(٢) يريد بذلك: طلبةَ العلم، كذا شرحها الذهبيُّ في «السير» (٥/ ٤٤٦).

(٣) أي: أبا الزناد.

(٤) وجاءت مقولةُ الإمامِ محمدٍ عند أبي نُعيم في «الحلية» (٦/ ٣٣٠): «أقمتُ على مالكِ بنِ أنسٍ ثلاثَ سنينَ وكسرًا... إلخ».

(٥) النُّفير: أي العدد اليسير، وقد وقع هنا تحريفٌ وطمسٌ بالنسخ، وقد صحَّحتُه مِن «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (١/ ٥) وهو مصدرُ القصة، وجاء عندَه في «آداب الشافعي ومناقبِه» (ص١٣١): «النَّفر اليسير».

وقال إبراهيمُ بنُ طَهْمانَ: «أتيتُ المدينةَ ثمَّ قَدِمتُ الكوفةَ، فأتيتُ أبا حنيفةَ فقال: هل كتبتَ عن مالكِ بنِ أنسٍ شيئًا؟ قلت: نعم، قال: حدِّثْني بما كتبتَ عنه، فأتيتُه به، فدَعا بقِرطاسٍ ودَواةٍ، فجعلتُ أُملي عليه وهو يكتب».

وقال مُطَرِّفٌ: «كان سفيانُ بنُ عُيينةَ يجلسُ في حَلْقةِ مالكٍ، يَسمعُ الحلالَ والحرامَ والحديثَ المَعمولَ به، لا يتكلَّمُ بحرفٍ، وإذا خَرج حلَّقَ لنفسِه».

وكان سفيانُ الثَّوريُّ يتَّبعُه في الحجِّ، فما فَعل مالكٌ فَعل مثلَه[١].

***

فصلٌ في مَدحِ العلماءِ للإمامِ مالكٍ

قد أَكثر الأئمَّةُ الأعلامُ مِن مدحِه، وأَطنبوا في ذِكره، وها أنا أَذكرُ شيئًا مِن ذلك حاذِفًا للرُّواةِ خشيةَ التَّطويل.

سُئلَ عنه أبو حنيفةَ فقال: «ما رأيتُ أعلمَ بسُنَّةِ رسولِ اللهِ ﷺ منه»[٢].

وقال اللَّيثُ بنُ سعدٍ: «لقيتُ مالكًا بالمدينةِ فقلتُ: ما لكَ تمسحُ العرقَ عن جَبينك؟ فقال: عَرِقتُ مع أبي حنيفةَ، إنَّه لَفقيهٌ يا مِصريُّ، ثمَّ لقيتُ أبا حنيفةَ فقلتُ: ما أحسنَ قولَ ذلك الرَّجلِ فيك، فقال أبو حنيفةَ: واللهِ ما رأيتُ أسرعَ بجوابٍ صادقٍ وزُهدٍ تامٍّ منه»[٣]، يعني: مالكًا.

وقال عبدُ الرَّحمنِ بنُ مَهديٍّ: «ما أدركتُ أحدًا مِن علماءِ الحجازِ إلَّا مُعظِّمًا لمالكٍ، وإنَّ اللهَ لا يَجمعُ أمَّةَ محمدٍ في حَرمِه وحَرمِ نبيِّه إلَّا على هُدًى».

---

(١) انظر مقدمةَ «المدونة» (١/ ٦٤).

(٢) أورده شمسُ الدِّين ابنُ الراعي الأندلسيُّ في كتابه «انتصار الفقير السالك» (ص١٤٠).

(٣) ذكرها القاضي عياض في «ترتيب المدارك» (١/ ١٥٢).

وقال ابنُ إسحاقَ: «مالكٌ مَلكَ لنفسِه حُجَّةً، مالكٌ رضيٌّ، مالكٌ كثيرُ الأَتباعِ، مَذهبُه الآثارُ».

وقال الشافعيُّ: «إذا ذُكرَ الحديثُ فمالكٌ النَّجمُ»، يشيرُ إلى قولِه تعالى ﴿وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦].

وقال الشافعيُّ أيضًا: «إذا جاءَ الحديثُ عن مالكٍ فشُدَّ به يدَك».

وقال أيضًا: «مالكٌ أميرُ المؤمنينَ في الحديث»[(١)].

وقال: «كان مالكٌ إذا شَكَّ في بعضِ الحديثِ تركَه كلَّه».

وقال ابنُ الأثيرِ: «كفى الشافعيَّ شرفًا أنَّ مالكًا شيخُه، وكفى مالكًا شَرفًا أنَّ الشافعيَّ تلميذُه».

وكان يقول: «مالكٌ أستاذي، وعنه أخذتُ العِلمَ، وإنَّما أنا غُلامٌ مِن غِلمانِ مالكٍ».

وقال أبو زُرعةَ: «سمعتُ أحمدَ بنَ حنبلٍ وقد سُئلَ عن سفيانَ ومالكٍ إذا اختلفا في الرَّأيِ؟ فقال: مالكٌ أكبرُ في قلبي، قلت: فمالكٌ والأوزاعيُّ؟ فقال: مالكٌ أحبُّ إليَّ وإنْ كان الأوزاعيُّ مِن الأئمَّةِ، قيلَ: فمالكٌ واللَّيثُ؟ فقال: مالكٌ، قيل: فمالكٌ والحَكَمُ وحمّادٌ؟ قال: مالكٌ، قيل: فمالكٌ والنَّخعيُّ؟ قال كأنَّه شنَّعه: ضعْهُ[(٢)] مع أهلِ زمانِه»[(٣)]، مالكٌ سيِّدٌ مِن ساداتِ أهلِ العلمِ، وهو إمامٌ في الحديثِ والفِقه، ومَن مِثلُ مالكٍ؟!».

---

(١) الذي ذَكره القاضي عياض في «ترتيب المدارك» (١/ ١٥٥): أنَّ الذي وصف الإمامَ مالكًا بأمير المؤمنينَ في الحديث هو يحيى بنُ سعيدٍ القطان وعليُّ بنُ المديني، والله أعلم.

(٢) تحرَّف في النسخ، وقد صحَّحتُه مِن «تاريخ أبي زرعة» (ص٤٣٩).

(٣) إلى هنا انتهى النقلُ عن «تاريخ أبي زرعة»، وما بعدَه أورده عياضٌ في «ترتيب المدارك» (١/ ١٥٤)، وابنُ الجوزيِّ في «صفوة الصفوة» (٢/ ١٧٩).

وقال أبو داودَ السجسْتانيُّ: «سمعتُ أحمدَ بنَ حنبلٍ يقولُ: مالكٌ أتبعُ مِن سفيانَ».

وقال عبدُ المَلِكِ المَيْمونيُّ الرَّقيُّ: «سمعتُ أحمدَ بنَ حنبلٍ غيرَ مرَّةٍ يقولُ: كان مالكٌ أثبتَ الناسِ في الحديثِ، ولا تُبالِ ولا تَسأل عن رَجُلٍ رَوى عنه».

وقال عبدُ السَّلامِ بنُ عاصمٍ: «قلتُ لأحمدَ بنِ حنبلٍ: يا أبا عبدِ اللهِ، رجلٌ يريدُ أن يحفظَ حديثَ رَجلٍ بعَينِه؟ قال: يحفظُ حديثَ مالكٍ ورأيَ مالكٍ».

وقيل لأحمدَ: مالكٌ أحسنُ حديثًا عن الزُّهريِّ أم سفيانُ بنُ عُيينةَ؟ قال: مالكٌ أصحُّ حديثًا، قيل: فمعمرٌ؟ فقدَّمَ مالكًا، إلَّا أنَّ معمرًا أكثرُ حديثًا عن الزُّهريِّ.

وقال عبدُ اللهِ بنُ أحمدَ بنِ حنبلٍ: «قلتُ لأبي: مَن أثبتُ أصحابِ الزُّهريِّ؟ قال: مالكٌ أثبتُ في كلِّ شيءٍ».

وقال عبدُ الرَّحمنِ بنُ أبي حاتمٍ: «سمعت أبي يقول: مالكُ بنُ أنسٍ ثقةُ أهلِ الحِجازِ، وهو أثبتُ أصحابِ الزُّهريِّ، وإذا خالفَ أهلُ الحِجازِ مالكًا حُكِمَ لمالكٍ، وهو أنقى حديثًا مِن الثَّوريِّ والأوزاعيِّ، وأقوى في الزُّهريِّ مِن ابنِ عُيينةَ، وأقوى مِن معمرٍ وابنِ أبي ذئبٍ».

وسئلَ ابنُ المَدينيِّ: مَن أثبتُ أصحابِ نافعٍ؟ قال: «مالكٌ وإتقانُه، وأيوبُ وفَضلُه، وعُبيدُ اللهِ وحِفظهُ».

وقال ابنُ المَدينيِّ: «لم يكن بالمدينةِ أعلمُ بمذهبِ تابعيهم مِن مالكٍ».

وقال سفيانُ بنُ عُيينةَ: «مَن نحنُ عند مالكٍ؟ إنَّما كنّا نتبعُ آثارَ مالكٍ، وننظرُ الشَّيخَ إنْ كانَ مالكٌ كَتب عنه وإلَّا تركناهُ».

وقال سعيدُ بنُ منصورٍ: «رأيتُ مالكًا يطوفُ وسفيانَ الثَّوريَّ خلفَه، كلَّما فعلَ مالكٌ شيئًا، فعلَه سفيانُ».

وقيل ليحيى بنِ معينٍ: اللَّيثُ أرفعُ عندَك أو مالكٌ؟ فقال: مالكٌ، قيل: أليسَ مالكٌ أعلمَ أصحابِ الزُّهريِّ؟! قال: بلى، قيل: فعُبيدُ اللهِ في نافعٍ أثبتُ أو مالكٌ؟ قال: مالكٌ، ثمَّ قال: مالكٌ أَثبتُ الناسِ.

وقال يحيى بنُ مَعينٍ: «كان مالكٌ مِن حِجَجِ اللهِ على خلقِه».

وقال سفيانُ بنُ عُيينةَ: «ما كان أشدَّ إتقانَ مالكٍ للرِّجالِ، وأعلَمَه بشأنهم».

وقال أيضًا: «كان مالكٌ لا يُبلِّغُ مِن الحديثِ إلَّا صحيحًا، ولا يُحدِّثُ إلَّا عن ثقاتِ الناسِ، وما أرى المدينةَ إلَّا ستخرَبُ بعدَ موتِ مالكٍ»[1].

وقال يحيى القطَّانُ: «مالكٌ أميرُ المؤمنينَ في الحديثِ، وما أُقدِّمُ على مالكٍ في زمانِه أحدًا».

وقال الأوزاعي: «مالكٌ مفتي الحرمَين».

وقال حمَّادُ بنُ زيدٍ: «دخلتُ المدينةَ ومُنادٍ يُنادي: لا يُفتي الناسَ بمسجدِ رسولِ اللهِ ﷺ ولا يُحدِّثُ فيهِ إلَّا مالكُ بنُ أنسٍ».

وقال سعيدٌ الحذاء[2]: «كان مالكٌ مِن الرّاسخينَ في العِلم».

إلى غيرِ ذلكَ ممَّا قالوه مِن الثَّناءِ عليه والمدحِ فيه.

وقال البخاريُّ: أصحُّ الأسانيدِ، مالكٌ عن نافعٍ عن ابنِ عمرَ.

---

(١) أورده الذهبيُّ في «السير» (٨/ ٧٣) ثم قال: «أي: ستَخرَب مِن العِلم».

(٢) وجاء في «ترتيب المدارك» (١/ ٧٧): «قال سعيد بنُ الحداد: كان مالكٌ مِن الراسخين في الإسلام، أرسخَ في العلم مِن الجبال الراسيات».

وأَخرج أبو نُعيمٍ[1] عن الشافعيِّ قال: «قال لي محمدُ بنُ الحسنِ: صاحبُنا أعلمُ أم صاحبُكم؟ يعني: مالكًا وأبا حنيفةَ، قلتُ: تريدُ المُكابرةَ أم الإنصافَ؟ قال: بل الإنصافُ، قلتُ: فما الحُجَّةُ عندَكم؟ قال: الكتابُ والسُّنَّة والإجماعُ والقياسُ، قلتُ: أُنشِدُكَ اللهَ، أصاحبُنا أعلمُ بكتابِ اللهِ أم صاحبُكم؟ قال: إذ نشدَّتني باللهِ فصاحبُكم، قلتُ: فصاحبُنا أعلمُ بسنَّةِ رسولِ اللهِ ﷺ أم صاحبُكم؟ قال: صاحبُكم، قلتُ: فصاحبُنا أعلمُ بتأويلِ الصَّحابةِ أم صاحبُكم؟ قال: صاحبُكم، قلتُ: فبقيَ شيءٌ غيرَ القياسِ؟ قال: لا، قلتُ: فلم يبقَ إلَّا القياسُ ولا يكون إلَّا على هذه الأشياءِ[2].

فاتَّفقَ رأيُ الشافعيِّ ومحمدِ بنِ الحسنِ على تقديمِ مالكٍ على أبي حنيفةَ في معرفةِ الكتابِ والسُّنةِ والآثارِ.

وعن ابنِ مهديٍّ أنَّ رجلًا قال له: بَلغَني أنَّك قلتَ: مالكٌ أفقهُ مِن أبي حنيفةَ! قال: ما قلتُ هذا، ولكنِّي أقولُ: كان أعلمَ من أُستاذِ أبي حنيفةَ، يعني حمَّادًا.

قلتُ: هذا والذي قبلَه كلامٌ لا يخلو مِن تعصُّبٍ، ففي صِحَّتِه بُعدٌ؛ لِما مرَّ لك مِن ثناءِ الأئمَّةِ على أبي حنيفةَ، خُصوصًا الشافعيَّ ومحمدَ بنَ الحسنِ وابنَ المُبارك، وقد أجمعَ مَن يُعتَدُّ بإجماعِه على أنَّه لم يكُن في عصرِه أَفقه منه.

---

(١) «حلية الأولياء» (٩/ ٧٤).

(٢) ورضي الله عن مؤرِّخ الإسلام الناقدِ الذهبي، فإنه أَورد هذه القصةَ المُختلقةَ في «السير» (٨/ ١١٢) ثم قال: «قلت: وعلى الإنصاف، لو قال قائل: بل هما سواءٌ في علم الكتاب، والأوَّلُ: أعلمُ بالقياس، والثاني: أعلمُ بالسُّنة وعندَه علمٌ جمٌّ مِن أقوال كثيرٍ مِن الصحابة، كما أنَّ الأولَ: أعلمُ بأقاويل عليٍّ وابنِ مسعودٍ وطائفةٍ ممن كان بالكوفة مِن أصحاب رسول الله ﷺ. فرضي الله عن الإمامينِ فقد صِرْنا في وقتٍ لا يَقدر الشخصُ على النطق بالإنصاف، نسأل الله السلامة».

وأيضًا فقولُ ابنِ مهديٍّ: (أعلمُ مِن أستاذِ أبي حنيفةَ) لا يَستلزِمُ التَّفضيلَ على أبي حنيفةَ، أو أنَّ ابنَ مهديٍّ فهِمَ مِن السَّائلِ عدمَ ميلِه لمالكٍ، فبالَغ في الرَّدِّ عليه.

وسُئِلَ ابنُ المبارَكِ: مَن أعلمُ مالكٌ أو أبو حنيفةَ؟ قال: مالكٌ أعلمُ مِن أستاذِ أبي حنيفةَ، وهو إمامٌ في الحديثِ والسُّنةِ، وما بقيَ على وجهِ الأرضِ آمنُ على حديثِ رسولِ اللهِ ﷺ مِن مالكٍ، ولا أُقدِّمُ عليه أحدًا في صحَّةِ الحديثِ، ولم أرَ أحدًا مثلَه.

ونقلَ القاضي عياضٌ في «المدارِكِ» عن الإمامِ مالكٍ أنَّه قال[١]: «جالستُ ابنَ هُرْمُزَ ثلاثَ عشْرةَ سنةً، ويُروى: ستَّ عشرةَ سنةً في عِلمٍ لم أبثَّه لأحدٍ مِن الناسِ».

وقال ابنُ وهبٍ: سمعتُ مالكًا يقول: «إنَّ عندي لأحاديثَ ما حدَّثتُ بها قط، ولا سُمِعَتْ مني، ولا أُحدِّثُ بها حتّى أموتَ».

وسألَه رجلٌ عن شيءٍ من عِلمِ الباطنِ فغضِبَ، وقال: «إنَّ علمَ الباطنِ لا يَعرِفُه إلَّا مَن عَرفَ الظَّاهرَ، فإنَّه متى عَرفَه وعمِلَ بهِ فَتحَ اللهُ له عِلمَ الباطنِ، ولا يكونُ ذلكَ إلَّا مع فتحِ القلبِ وتنويرِهِ».

ثمَّ قال للرَّجلِ: «عليكَ بالدِّينِ المَحضِ، وإياكَ وثَنيّاتِ[٢] الطَّريقِ، وعليكَ بما تعرف، واترُك ما لا تعرِف»[٣].

وقال ابنُ رشدٍ: «رحمَ اللهُ مالكَ بنَ أنسٍ فإنَّه كان أميرَ المؤمنين في الرَّأيِ والآثارِ، وأعرفَ الناسِ بالقياسِ، وذلكَ فضلُ اللهِ يؤتيه مَن يشاءُ»[٤].

---

(١) «ترتيب المدارك» (١/ ٨١).

(٢) الذي في «ترتيب المدارك» و«مواهب الجليل شرح مختصر خليل» (١/ ٢٩): «وبنيات».

(٣) «ترتيب المدارك» (٢/ ٤١).

(٤) «المقدمات الممهدات» لابن رشد: (٣/ ٢١٩).

وقال مُطَرِّفٌ: «قال لي مالكٌ: ما تقولُ الناسُ فيَّ؟ قلتُ: أمَّا الصَّديقُ فيُثني، وأمَّا العدو فيقَعُ، قال: ما زالَ الناسُ هكذا، لهم صديقٌ وعدوٌّ، ولكنْ نعوذُ باللهِ مِن تتابُعِ الألسُنِ كلِّها».

***

فصلٌ في المُوطَّأِ ومَدحِه

قال الحافظُ ابنُ حجرٍ[(١)]: «إنَّ آثارَ النَّبيِّ ﷺ لم تكُن في عصرِ أصحابِه وكبارِ تابعيهِم مدوَّنةً في الجَوامعِ، ولا مرتَّبةً لأمرينِ:

- أحدُهما: إنَّهم كانوا في ابتداءِ الحالِ قد نُهوا عن ذلك، كما ثبتَ في «صحيحِ مسلمٍ»[(٢)]؛ خشيةَ أن يَختلِطَ بعضُ ذلكَ بالقرآنِ العظيمِ.

- والثَّاني: سِعةُ حِفظِهم وسَيلانُ أذهانِهم، ولأنَّ أكثرَهم كانوا لا يَعرِفونَ الكتابةَ.

ثمَّ حدثَ في أواخرِ عصرِ التَّابعينَ تدوينُ الآثارِ وتَبويبُ الأخبارِ، لمَّا انتشرَ العلماءُ في الأمصارِ، وكثُرَ الابتداعُ مِن الخوارجِ والرَّوافضِ ومُنكري الأقدارِ.

فأوَّلُ مَن جَمعَ ذلك الرَّبيعُ بنُ صُبَيحٍ وسَعيدُ بنُ أبي عَروبةَ وغيرُهما، فكانوا يُصنِّفونَ كلَّ بابٍ على حِدةٍ، إلى أن قامَ كبارُ أهلِ الطَّبقةِ الثَّالثةِ فدَوَّنوا الأحكامَ، فصنَّفَ الإمامُ مالكٌ «الموطَّأ»، وتوخَّى فيه القَويَّ مِن حديثِ أهلِ الحجازِ، ومَزجَه بأقوالِ الصَّحابةِ وفتاوى التَّابعينَ ومَن بعدَهم.

---

(١) «هُدى الساري» (١/ ٦).

(٢) «صحيح مسلم» (٤/ ٢٢٩٨)، وهو قولُه ﷺ: «لا تكتبوا عني، ومَن كتبَ عني غيرَ القُرآنِ فليمْحُه».

وصنَّف ابنُ جُريجٍ بمكَّةَ، والأوزاعيُّ بالشَّامِ، وسفيانُ الثَّوريُّ بالكوفةِ، وحمَّادُ بنُ سلَمةَ بالبصرة[١]، ثمَّ تلاهُم كثيرٌ مِن أهلِ عصرِهم في النَّسجِ على مِنوالِهم، إلى أن رأى بعضُ الأئمَّةِ أنْ يُفرِدَ حديثَ النَّبيِّ ﷺ خاصةً، وذلك على رأسِ المِئتَينِ فصنَّفوا المسانيدَ».

قال القاضي أبو بكرِ بنُ العربيِّ في شرحِ التِّرمذيِّ[٢]: «المُوطَّأُ هو الأصلُ الأوَّلُ واللُّبابُ، وكتابُ البخاريِّ هو الأصلُ الثاني في هذا البابِ، وعليهما بَنى الجَميعُ كمسلمٍ والتِّرمذيِّ».

وقال ابنُ العربيِّ أيضًا[٣]: «ذَكرَ ابنُ المنتاب[٤]: أنَّ مالكًا رَوى مئةَ ألفِ حديثٍ جمعَ منه في الموطَّأِ عشرةَ آلافٍ، ثمَّ لم يزل يعرِضُها على الكتابِ والسُّنة، ويَختَبرها بالآثارِ والأخبارِ حتّى رجعتْ إلى خمسِ مئةٍ».

وقال: بعضُهم[٥]: «إنَّ موطَّأَ مالكٍ كان قد اشتَملَ على تسعةِ آلافِ حديثٍ، ثمَّ لم يزل يَنتقي حتّى رجعَ إلى سبعِ مئةٍ».

وقال عتيقُ بنُ يعقوبَ: «وضعَ مالكُ بنُ أنسٍ الموطَّأَ على نحوٍ مِن عشرةِ آلافِ حديثٍ، فلم يزل ينظُرُ فيه في كلِّ سنةٍ، ويُسقِطُ منه حتّى بقيَ منه هذا، ولو بقيَ قليلًا لأسقطَه كلَّه».

---

(١) في النسخ: «البصري»، والمثبتُ مِن «هُدى الساري» لابن حجر.

(٢) «عارضة الأحوذي» (١/ ٥).

(٣) لم أجد النصَّ في «عارضة الأحوذي».

(٤) تحرَّف في النُّسخ إلى: «الهباب»، وهو القاضي أبو الحسن عُبيد الله بن المُنتاب البغدادي، انظر «شجرة النور الزكية» (١/ ١١٥).

(٥) هو الكَيا الهرّاسي المالكي، انظر «شرح الزرقاني على الموطأ» (١/ ١٢).

وسُئِلَ أبو حاتمٍ الرَّازيُّ: موطَّأُ مالكِ بنِ أنسٍ لِمَ سُمِّيَ موطأً؟ فقال: «شيءٌ قد صنَّفَه ووطَّأَه للنَّاسِ، حتّى قيل: موطَّأُ مالكٍ، كما قيل: جامعُ سفيانَ».

وقال بعضُ المشايخ: «قال مالكٌ: عرضتُ كتابي هذا على سبعينَ فقيهًا مِن فُقهاءِ المدينةِ، فكلُّهم وطَّأَني عليهِ، فسمَّيتُه المُوطَّأَ».

قال ابنُ فِهْرٍ: «لم يَسبِق مالكًا أحدٌ إلى هذه التَّسميةِ، فإنَّ مَن أَلَّفَ في زمانِه بعضُهم سمَّى بالجامِع، وبعضُهم بالمُصنَّفِ، وبعضُهم بالمؤلَّفِ، ولفظَةُ (الموطَّأِ) بمعنى: المُمَهَّدِ المُنَقَّحِ»[1]، المُحَرَّرِ المُصَفَّى.

قال عمرُ صاحبُ[2] الأوزاعيِّ: «عَرَضْنا على مالكٍ الموطَّأَ في أربعينَ يومًا، فقال: كتابٌ أَلَّفتُه في أربعينَ سنةً، أخذتُموه في أربعينَ يومًا، ما أقلَّ ما تَفقهونَ فيه».

وعن أبي خُلَيدٍ قال: «أقمتُ على مالكٍ فقرأتُ الموطَّأَ في أربعةِ أيَّامٍ، فقال مالكٌ: عِلمٌ جمعَه شيخٌ في ستِّينَ سنةً أخذتُموه في أربعةِ أيَّامٍ، لا فقهتُم أبدًا».

[مدح الأئمة لكتاب الموطأ]

وأمَّا مدحُه:

فقال الإمامُ الشافعيُّ رحمه الله: «ما بعدَ كتابِ اللهِ أنفعُ مِن المُوطَّأِ».

وقال أيضًا: «ما على ظهرِ الأرضِ كتابٌ بعدَ كتابِ اللهِ أصحُّ مِن كتابِ مالكٍ».

وقال أيضًا: «ما وُضعَ على الأرضِ كتابٌ هو أقربُ إلى القُرآنِ من كتابِ مالكِ بنِ أنسٍ»، يعني: الموطَّأَ.

وقال أيضًا: «ما على الأرضِ بعدَ كتابِ اللهِ أكثرُ صوابًا مِن موطَّأِ مالكٍ».

---

(١) إلى هنا كلامُ ابنِ فهرٍ كما في «تنوير الحوالك» (١/ ٧) وغيرِه.

(٢) الذي في «تنوير الحوالك» (١/ ٦): «عن عمرَ بنِ عبد الواحد صاحبِ الأوزاعي».

وسُئِلَ الإمامُ أحمدُ عن كتابِ مالكِ بنِ أنسٍ فقال: «ما أحسنَه لِمَن تدَيَّن به».

وقال عبدُ الرَّحمنِ بنُ مَهديٍّ: «ما كتابٌ بعدَ كتابِ اللهِ أنفعُ للنَّاسِ مِن المُوطَّأِ»، أو كلامٌ هذا معناه.

وسُئِلَ إسحاقُ بنُ راهويه: أيُّ الكتابَينِ أحسنُ، كتابُ مالكٍ أو كتابُ سفيانَ؟ قال: كتابُ مالكٍ.

وذَكر بعضُهم[1]: أنَّ مالكًا لمَّا صنَّفَ الموطَّأَ عَمِلَ مَن كان بالمدينةِ يومئذٍ مِن العلماءِ الموطآتِ، فقيلَ لمالكٍ: شغلتَ نفسَكَ بعملِ هذا الكتابِ، وقد شركَكَ فيهِ الناسُ، وعَملوا أمثالَه، فقال: ائتوني بما عمِلوا، فأُتيَ بذلكَ فنظرَ فيه ثمَّ نبذَه، وقال: لتعلَمُنَّ أنَّه لا يَرتَفعُ مِن هذا إلَّا ما أُريدَ بهِ وجهُ اللهِ، قال: فكأنَّما أُلقيَتْ تلكَ الكتبُ في الآبارِ، وما سُمِعَ لشيءٍ منها بعدَ ذلكَ بذكرٍ.

وقال مُطرِّفُ بنُ عبدِ اللهِ صاحبُ مالكٍ: «قال لي مالكُ بنُ أنسٍ: ما يقولُ الناسُ في موطَّئي؟ فقلتُ له: الناسُ رَجلانِ: مُحِبٌّ مُطرٍ، وحاسِدٌ مُفترٍ، فقال لي مالكٌ: إن مدَّ بكَ عُمرٌ فسترى ما يُرادُ اللهُ به».

وقال الواقِديُّ[2]: «سمعتُ مالكَ بنَ أنسٍ يقول: لمَّا حجَّ أبو جعفرٍ المنصورُ، دعاني فدخلْتُ عليه فحادَثتُه، وسألَني فأجبتُه، فقال: إنِّي عَزمتُ أنْ آمرَ بكتُبِكَ هذه التي وضعتَها ـ يعني: المُوطَّأَ ـ فتُنسخَ نسخًا، ثمَّ أبعثَ إلى كلِّ مِصرٍ مِن أمصارِ المسلمينَ منها بنسخةٍ، وآمرَهم أن يعمَلوا بما فيها، ولا يتَعدَّونَه إلى غيرِه، ويدَعوا ما سِوى ذلك مِن هذا العِلم المُحدَث، فإنِّي رأيتُ أصلَ العِلمِ روايةَ أهلِ المدينةِ

---

(١) أورده ابنُ عبد البرِّ في «التمهيد» (١/ ٨٦).

(٢) رواها عن الواقديِّ ابنُ سعدٍ في «الطبقات الكبير» (٧/ ٥٧٣).

وعِلْمَهم، فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين، لا تفعلْ هذا، فإنَّ الناسَ قد سِيقَتْ إليهم أقاويلُ، وسمعوا أحاديثَ، ورَووا رِواياتٍ، وأخذَ كلُّ قومٍ بما سِيقَ إليهم وعمِلوا به، ودانوا به مِن اختلافِ الناسِ وغيرِهم، وإنَّ رَدَّهم عمَّا قد اعتَقدوه شديدٌ، فدَعِ الناسَ وما هُم عليه، وما اختارَ أهلُ كلِّ بلدٍ منهم لأنفسِهم، فقال: لعَمري لو طاوعتَني على ذلكَ لأمرتُ به».

وقال عبدُ اللهِ بنُ عبدِ الحَكمِ: «سمعتُ مالكَ بنَ أنسٍ يقول: شاورَني هارونُ الرَّشيدُ في ثلاثٍ:

- في أنْ يُعلِّقَ الموطَّأَ في الكعبةِ ويحمِلَ الناسَ على ما فيه.
- وفي أنْ ينقِضَ مِنبرَ رسولِ اللهِ ﷺ ويجعلَه مِن جَوهرٍ وذَهبٍ وفضَّةٍ.
- وفي أنْ يُقدِّمَ نافعَ بنَ أبي نُعيمٍ إمامًا يُصلِّي بالناسِ في مسجدِ رسولِ اللهِ ﷺ.

فقلتُ: يا أميرَ المؤمنينَ أمَّا تعليقُ الموطَّأ في الكعبةِ فإنَّ أصحابَ رسولِ اللهِ ﷺ اختلفوا في الفُروعِ، وافترَقوا في البُلدانِ، وكلٌّ عندَ نفسِه مصيبٌ، وأمَّا نقضُ المنبرِ فلا أرى أنْ تحرِمَ الناسَ أثرَ النَّبيِّ ﷺ، وأمَّا تَقديمُك نافعًا يصلِّي بالناسِ فإنَّ نافِعًا إمامٌ في القراءةِ لا يُؤمَنُ أنْ يَندُرَ منه في المِحرابِ نادرةٌ فتُحفَظَ منه، فقال: وفَّقكَ اللهُ يا أبا عبدِ الله»[1].

---

(١) أوردها الذهبيُّ في «السير» (٨/ ٩٨) ثم قال: «هذا إسنادٌ حسن، لكنْ لعلَّ الراويَ وَهِم في قوله: هارون؛ لأنَّ نافعًا قبلَ خلافةِ هارونَ مات»، وذَكر القصةَ القاضي عياض في «ترتيب المدارك» (٢/ ١٠٥) ولكنْ عن المهديِّ عوضًا عن هارون.

وأَخرج الخطيبُ[1] قال: «قال هارونُ الرَّشيدُ لمالكٍ: يا أبا عبدِ اللهِ، نكتبُ هذهِ الكُتبَ ونُفرِّقُها في آفاقِ الإسلامِ، فنحمِلُ عليها الأمَّةَ؟ قال: يا أميرَ المؤمنينَ رضيَ اللهُ عنكَ، إنَّ اختلافَ العلماءِ رحمةٌ مِن اللهِ على هذه الأمَّةِ، كلٌّ يتَّبعُ ما صحَّ عندَه، وكلٌّ على هدًى، وكلٌّ يُريدُ اللهَ».

***

فصلٌ في اجتماعِ الخُلفاءِ به

أَخرج الخطيبُ[2] قال: «لمَّا قدِمَ الرَّشيدُ استقبلَه الناسُ مُشاةً، واستقبلَه مالكٌ في مَحمَلٍ، فقال له: مرحبًا بك يا أبا عبدِ اللهِ، وردَتْ علينا كتبُكَ فأمَرْنا فِتيانَنا بالنَّظرِ فيها، إلَّا أنَّا لم نرَ فيها ذِكرًا لعليٍّ وابنِ عباسٍ! فقال: لم يكونا ببلدي، ولم ألقَ رجالَهما.

وأَخرجَ ابنُ فِهْرٍ عن أبي مُصعبٍ قال: «قال هارونُ الرَّشيدُ لمالكٍ: أُريدُ أن أسمعَ منكَ الموطَّأَ، فقال: نعم يا أميرَ المؤمنينَ، فقال: متى؟ قال مالكٌ: غدًا، فجَلَس هارونُ ينتَظرُ، وجلسَ مالكٌ في بيتِه ينتَظرُ، فلمّا أبطأَ عليه أرسلَ إليه فدعاه، فقال: يا أبا عبدِ اللهِ، ما زلتُ أنتظركَ منذُ اليومِ! فقال مالكٌ: وأنا أيضًا يا أميرَ المؤمنينَ، لم أزل أنتَظرُك منذُ اليومِ! إنَّ العِلمَ يُؤتَى ولا يأتي، وإنَّ ابنَ عمِّكَ هو الذي جاءَ بالعِلمِ، فإن رَفعتُموه ارتَفع، وإنْ وضعتُموه اتَّضع»[3].

---

(١) أخرجها الخطيبُ في كتابه «الرواة عن مالك»، كما نقله السيوطيُّ في «جزيل المواهب في اختلاف المذاهب» (ص٢٢).

(٢) لم أعثر عليها في «تاريخ بغداد».

(٣) أخرجها الدارقطنيُّ في «أحاديث الموطأ» (ص٥٤)، والبيهقيُّ في «المدخل إلى السنن» (ص٣٩٠).

وفي روايةِ عبدِ اللهِ بنِ رافعٍ:

قـدِمَ هـارونُ الرَّشـيدُ المدينةَ فوجَّـه البَرمَكـيَّ إلى مالـكٍ وقال له: احمـلْ إليَّ الكتـابَ الـذي صنَّفْتَـه حتّى أسـمعَهُ منـك، فقـال للبَرمَكيِّ: أقرِئـه السَّـلامَ وقل له: «إنَّ العِلـمَ يُـزار ولا يَـزورُ، وإنَّ العِلـمَ يُؤتى ولا يَأتـي»، فرجع البَرمَكـيُّ إلى هارونَ فقـال لـه: يـا أميـرَ المؤمنيـنَ، يَبلـغُ أهـلُ العـراقِ أنَّـكَ وجَّهـتَ إلـى مالكٍ فـي أَمرٍ فخالفَـك! اعـزِمْ عليـه حتّـى يأتيَك، فـإذا بمالكٍ قـد دخلَ وليـسَ معهُ كتـابٌ، وأتاه مُسـلِّمًا فقـال: «يا أميـرَ المؤمنيـنَ، إنَّ اللهَ جعلكَ في هذا الموضـعِ لعِلمِك، فلا تكُن أنـتَ أوَّلُ مَـن يُضيِّـعُ العِلمَ فيُضيِّعـكَ اللهُ، ولقد رأيـتُ مَن ليس هو في حسَـبِكَ ولا بيتِـكَ يُعِـزُّ هذا العِلـمَ ويُجِلُّه، فأنت أَحرى أنْ تُجِـلَّ وتُعِزَّ عِلمَ ابنَ عمِّـكَ»، ولـم يزلْ يُعـدِّدُ عليـه مِـن ذلك حتّـى بكى هـارونُ، ثـمَّ قـال: «أخبرَنـي الزُّهريُّ عـن خارِجةَ بـنِ زيـدٍ قـال: قـال لـي زيدُ بـنُ ثابـتٍ: كنـتُ أكتبُ بيـنَ يـدَي النبيِّ ﷺ فـي كَتِفٍ ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَـٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَـٰهِدُونَ﴾ [النساء: ٩٥] وابنُ أمِّ مكتومٍ عندَ النَّبـيِّ ﷺ فقـال: يـا رسـولَ اللهِ، قـد أَنـزلَ اللهُ في فضـلِ الجهادِ مـا أنـزلَ، وأنا رجلٌ ضَريـرٌ فهـل لـي مِن رُخصَـةٍ؟ فقال النَّبـيُّ ﷺ: لا أدري، قـال زيدٌ: وقلمـي رَطْبٌ ما جـفَّ حتّى غَشـيَ النبـيَّ ﷺ الوحيُ، ووَقع فخـذُه على فخذي حتّـى كادت تُدَقُّ مِن ثِقـلِ الوحـي، ثـمَّ جُلِّيَ عنـه، فقال لي: اكتـبْ يا زيـدُ ﴿غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ﴾ [النسـاء: ٩٥]، فيـا أميـرَ المؤمنيـنَ فحـرفٌ واحـدٌ بُعـث فيـه[١] جبريـلُ والملائِكـةُ عليهم السَّـلامُ مِـن مسـيرةِ خمسـينَ ألـفَ عـامٍ حتّى أُنـزِل علـى نبيه ﷺ، أفـلا ينبغـي لـي أنْ أُعِزَّه وأُجلَّه؟!

---

(١) في (ك): «تعب به»، وفي (ش): «تعب فيه»، والمثبتُ موافقٌ لما «ترتيب المدارك» (٢/ ٢٣).

وفي روايةِ الرُّعَيْنِيِّ قال:

قَدمَ المَهديُّ أميرُ المؤمنينَ فبَعث إلى مالكٍ فأتاهُ، فقال: لهارونَ وموسى: اسمعا منه، فبُعثا إليه فلم يُجبْهما، فأَعلَما المَهديَّ فقال لمالكٍ: لِمَ امتنعتَ عليهما؟! فقال: «يا أميرَ المؤمنينَ، العِلمُ نَضارَةٌ يُؤتَى أهلُه»، فقال: صدقَ مالكٌ، سيرا إليه، فلمَّا سارا إليه قال له مؤَدِّبُهما: اقرَأْ علينا، فقال له مالكٌ: «إنَّ أهلَ هذهِ المدينةِ يَقرؤون على العالِمِ كما يقرأُ الصِّبيانُ على المُعلِّمِ، فإذا أَخطؤوا أفتاهم»، فرجَعوا إلى المهديِّ، فبعثَ إلى مالكٍ فقال: ساروا إليكَ فمنعتَهم مِن السَّماعِ ولم تقرأ عليهم؟! فقال له مالكٌ: «سمعتُ ابنَ شِهابٍ يقول: جَمعْنا هذا العِلمَ مِن رِجالٍ في الرَّوضةِ، وهم: سعيدُ بنُ المسيَّبِ، وأبو سَلمةَ، والقاسمُ بنُ محمدٍ، وسالمُ بنُ عبدِ اللهِ، وخارجةُ بنُ زيدٍ، وسليمانُ بنُ يسارٍ، ونافعٌ، وابنُ حزمٍ، ومَن بعدَهم: أبو الزِّنادِ، وربيعةُ، ويحيى بنُ سعيدٍ، وابنُ شهابٍ كلُّ هؤلاءِ يُقرَأُ عليهم، ولا يقرؤون»، فقال: في هؤلاءِ قُدوةٌ، سيروا إليه فاقرَؤوا عليه، ففعلوا.

وفي بعضِ الرَّسائلِ[1]: «رَحلَ الرَّشيدُ بولدَيه الأمينِ والمأمونِ لسماعِ الموطَّأِ على مالكٍ، وكان أصلُ الموطَّأِ لسماعِ الرَّشيدِ في خِزانةِ المصريين.

ثـمَّ رَحلَ لسـماعه[2] السُّـلطانُ صـلاحُ الدِّيـنِ بنُ أيوبَ، فسـمعَه علـى أبي[3] طاهرِ بنِ عـوفٍ»[4].

---

(١) المقصود بها «رسائلُ» القاضي الفاضل، كما نصَّ السيوطيُّ في «تاريخ الخلفاء» (ص٤٦٩).

(٢) في النسخ: «لسماع»، والصوابُ المثبتُ كما في «تاريخ الخلفاء».

(٣) في النسخ: «ابن»، والصوابُ المثبتُ كما في «تاريخ الخلفاء» ومصادرِ ترجمته، وهو المعمَّر المسنِد أبو الطاهر إسماعيلُ بنُ مكيِّ ابنِ عوفٍ (ت٥٨١)، انظر «تاريخ الإسلام» (١٢/ ٧٢٤).

(٤) ويُرجع لكتاب «الروضتَين في أخبار الدولتين» (٣/ ٨٨) للاطلاع على رحلةِ السلطان صلاحِ الدين =

فصلٌ في ذِكرِ جُملةٍ مِن أخبارِه

قال مُطرِّفُ بنُ عبدِ اللهِ: «كان مالكٌ إذا حَدَّثَ عن رسولِ اللهِ ﷺ اغتسلَ وتَطيَّبَ، ولبِسَ ثيابًا جُدُدًا، ثمَّ يُحدِّثُ».

ورَوى أبو نُعيمٍ قال: «كان مالكٌ إذا أرادَ أنْ يُحدِّثَ توضَّأَ، وجَلسَ على صَدرِ فِراشِه، وسرَّحَ لحيَتَه، وتمكَّنَ في الجلوسِ مُوقَّرًا بوَقارٍ وهيبةٍ، ثمَّ حَدَّثَ، فقيلَ: له في ذلك فقال: أُحبُّ أن أُعظِّمَ حديثَ رسولِ اللهِ ﷺ».

وقال عبدُ الله بنُ المباركِ: «كنتُ عندَ مالكٍ وهوَ يُحدِّثُ فلدَغتْه عقربٌ ستَّ عشرةَ مرةً وهو يتَغيَّرُ لونُه ويصفرّ، ولا يَقطعُ حديثَ رسولِ اللهِ ﷺ، فلمَّا سألتُه عن ذلك، فقال: إنَّما صَبرتُ إجلالًا لحديثِ رسولِ اللهِ ﷺ».

وسأله ابنُ مهديٍّ يومًا عن حديثٍ وهو ماشٍ فانتَهرَه وقال له: «كنتَ في عيني أجلَّ مِن أنْ تسألَني عن حديثِ النَّبيِّ ﷺ ونحنُ نمشي».

وقال إسماعيلُ ابنُ أبي أويسٍ: «كان مالكٌ إذا جلسَ للحديثِ يقول: لِيليَني أولو الأحلامِ والنُّهى، فرُبَّما قعدَ القَعنبيُّ عن يمينِه».

وقال الواقِديُّ: «كان مالكٌ يجلسُ في منزِله على ضِجاعٍ له، ونمارِقَ مُطرَحةٍ عنده، ونَشرَه في سائرِ البيت لِمَن يأتيه مِن قريشٍ والأنصارِ والناسِ، وكان مجلسُه مجلسَ وقارٍ وحِلمٍ، وكانَ رَجلًا مَهيبًا نبيلًا، ليسَ في مجلسِه شيءٌ مِن المِراءِ واللَّغطِ، ولا رَفعَ صوتٍ، وكان الغرباءُ يسألونه عن الحديثِ ولا يجيبُ إلَّا الحديثَ بعدَ الحديثِ، وربَّما أَذِنَ لبعضِهم فقرأ عليه، وكان له كاتبٌ قد نسخَ كتبَه، يقالُ له:

= الأيوبيِّ للإسكندرية للجهاد، ثم لسماع «الموطأ» على أبي طاهرٍ، وفيه أيضًا: رسالةٌ وجَّهها القاضي الفاضل للسلطان صلاح الدين يُهنِّئه بسماع «الموطأ».

حَبيبٌ يقرأ للجماعةِ، فليسَ أحدٌ ممَّن يَحضرُه يدنو ولا ينظرُ في كتابِه ولا يستفهمُ؛ هيبةً لمالكٍ وإجلالًا له»[١].

ورَوى الخطيبُ عن إبراهيمَ بنِ هارونٍ قال: كان مالكٌ لا يَحضرُ مجلسَه لغطٌ ولا لغوٌ، وكان مَهيبًا، إذا سُئلَ عن الشَّيءِ فأجابَ سائِله لم يراجعه، ولم يقل له: مِن أينَ رأيتَ؟!».

وقال عمرو بنُ عثمانَ: دَخل شاعرٌ على مالكِ بنِ أنسٍ فمدَحه[٢]:

يَدعُ الجوابَ فلا يُراجَعُ هَيبةً ... والسّائِلونَ نَواكِسُ الأذْقانِ
أَدبُ الوقارِ وعِزُّ سُلطانِ التُّقى ... فهو المُطاعُ وليس ذا سُلطانِ

قال ابنُ وَهبٍ: «سمعتُ مالكًا يقول: إنَّ حقًّا على مَن طلبَ العِلمَ أنْ يكونَ لهُ وقارٌ وسَكينةٌ وخَشيةٌ، وأنْ يكونَ مُتَّبِعًا لأثرِ مَن مضَى قبلَهُ».

وقال إبراهيمُ بنُ مهديٍّ: «سمعتُ مالكًا يقول: لو أعلمُ أنَّ قلبي يَصلحُ على كُناسةٍ لذهبْتُ حتّى أجلِسَ عليها».

وقال: «كثرةُ الكلامِ تَمُجُّ العالِمَ وتُذِلُّه وتُنقِصُه، ومَن [صَنَع][٣] هذا ذهبَ بهاؤُه، ولا يوجدُ ذلك إلَّا في النِّساءِ والصِّغارِ».

ورَوى أبو نُعيمٍ[٤] عن ابنِ مَهديٍّ قال: «سأَلَ رجلٌ مالكًا عن مسألةٍ فقال:

---

(١) «الطبقات الكبرى» لابن سعد: (٧/ ٥٧٥).

(٢) جاء في «الجامع لآداب الراوي وأخلاق السامع» (١/ ١٨٤): «قال ابنُ الخياط يمدح مالكَ بنَ أنس إلخ»، ثم ذَكَرهما.

(٣) ما بين معكوفتين من «ترتيب المدارك» (٢/ ٦٧).

(٤) «حلية الأولياء» (٦/ ٣٢٣).

لا أُحسِنُها، فقال: إنِّي ضربتُ إليكَ مِن كذا وكذا لأسألَك عنها! فقال له مالكٌ: إذا رجعتَ إلى مكانِك، فأخبرْهم أنِّي قلتُ لا أُحسِنها».

وقال عمرُو بنُ يزيدَ المِصريُّ: «قلتُ لمالكٍ يا أبا عبدِ الله، يأتيكَ ناسٌ مِن بُلدانٍ شتَّى قد أَفنَوا مَطاياهُم وأنفَقوا نَفقاتِهم، يسألونك عمَّا جَعلَ اللهُ عندَك مِن العِلمِ، فتقولُ: لا أدري! فقال: يأتيني الشَّاميُّ مِن شامِه، والعِراقيُّ مِن عِراقِه، والمِصريُّ مِن مِصره، فيَسألوني عن الشَّيءِ لعلِّي أنْ يبدوَ لي فيه غيرَ ما أجبْتُ[1].

قال عمروٌ: فأخبرتُ اللَّيثَ بنَ سعدٍ بقولِ مالكٍ هذا فبَكى، ثمَّ قال: مالكٌ واللهِ أقوى عليه مِن اللَّيثِ، واللَّيثُ واللهِ أضعفُ عنه مِن مالكٍ».

وقال إسماعيلُ بنُ جعفرٍ الخيّاطُ: «نَزلَتْ بي مسألةٌ فأتيتُ مالكًا فسألتُه، فقال لي: انصرفْ حتّى أَنظُرَ في مسألتِك، فانصرفتُ وأنا متهاوِنٌ بعلمِه، وقلتُ: هذا الذي تُضرَبُ إليه المَطيُّ لم يُحسِن مسألتي! فنمتُ فأتاني آتٍ في منامي فقال: أنتَ المُتهاونُ بعلمِ مالكٍ! أمَا إنَّه لو نزلَ بمالكٍ أدَقُّ مِن الشَّعرِ وأصلبُ مِن الصَّخرِ لقويَ عليه باستعانَتِه عليه بما شاءَ اللهُ لا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا باللهِ العليِّ العظيمِ».

وأخرج الخطيبُ وابنُ عبدِ البرِّ [2] عن الهَيثمِ بنِ جميلٍ قال: «شهدتُ مالكًا سُئِلَ عن ثمانٍ وأربعينَ مسألةً فقال: في اثنتَين وثلاثينَ منها لا أَدري».

وقال عبدُ الرَّحمنِ بنُ مهديٍّ: «رأيتُ رجلًا جاءَ إلى مالكِ بنِ أنسٍ يسألُه عن شيءٍ أيَّامًا ما يجيبُه، فقال: يا أبا عبدِ اللهِ، إنِّي أريدُ الخُروجَ، قال: فأطرقَ طويلًا ثمَّ

---

(١) في (ش): «أحببت».

(٢) «الانتقاء» (ص٧٥).

رفعَ رأسَه، فقال: ما شاءَ اللهُ يا هذا، إنِّي إنَّما أتكلَّمُ فيما أحتسِبُ فيه الخيرَ، وليس أُحسِنُ مسألتَك هذه»[1].

فانظر يا أخي إلى توقُّفِ هذا الإمامِ، وعدمِ جُرأتِه في الجوابِ عمَّا لا يعلمُ.

وكان يقول: «إنَّ المسألةَ إذا سئِلَ عنها الرَّجلُ فلم يُجِب واندفعَتْ عنهُ، فإنَّما هي بليَّةٌ صرفَها اللهُ عنه»[2].

وأخرج أبو نُعيمٍ عن الطَّرسوسيِّ[3] قال: «كنتُ عند مالكٍ فدَخلَ عليه رَجلٌ فقال: ما تقول في مَن قال: القرآنُ مَخلوقٌ؟ فقال مالكٌ: زنديقٌ اقتلوهُ، فقال: يا أبا عبدِ اللهِ، إنَّما أَحكي كلامًا سمعتُه! قال: لم أسمعه مِن أحدٍ، إنَّما سمعتُه منكَ».

وأَخرج عن جعفرِ بنِ عبدِ اللهِ قال: «كنَّا عند مالكٍ فجاءَ رجلٌ فقال: يا أبا عبدِ اللهِ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] كيفَ استوى؟[4] فقال: الكيفُ غيرُ معقولٍ، والاستواءُ غيرُ مجهولٍ[5]، والإيمانُ به واجبٌ، والسؤالُ عنهُ بدعةٌ، وأظنُّكَ صاحبَ بدعةٍ، وأَمر به فأُخرِج».

---

(١) «حلية الأولياء» (٦/ ٣٢٣).

(٢) «ترتيب المدارك» (٢/ ٦١).

(٣) النصُّ في «الحلية» (٦/ ٣٢٥): «ثنا يحيى بنُ خلفِ بنِ الربيع الطرسوسيُّ ـ وكان مِن ثقات المسلمين وعُبّادِهم ـ قال... إلخ».

(٤) جاء النصُّ في «الحلية» (٦/ ٣٢٥) هنا: «فما وجد مالكٌ مِن شيء ما وجد مِن مسألته، فنظر إلى الأرض، وجعل يَنكت بعودٍ في يده حتّى علاه الرُّحضاء، يعني: العَرَق، ثم رفع رأسَه ورَمى بالعود وقال... إلخ».

(٥) جاء النصُّ في «الحلية»: «الكيفُ منه غيرُ معقول، والاستواءُ منه غيرُ مجهول».

وأَخرج(١) عن الشافعيِّ قال: «كان مالكٌ إذا جاءَه بعضُ أهلِ الأهواءِ قال: أما إنِّي على بينةٍ مِن ديني، وأمَّا أنتَ فشَاكٌّ؟ اذهبْ إلى شاكٍّ مثلِكَ فخاصِمْه».

وأَخرج [عن](٢) خالدِ بنِ خِداشٍ قال: «ودَّعتُ مالكَ بنَ أنسٍ فقلت: أوصِني! قال: تقوى اللهِ وطلبَ الحديثِ مِن عندِ أهلِه».

وقال خالدُ بنُ نزارٍ: «سمعتُ مالكًا يقولُ لفتًى مِن قريشٍ: تعلَّمِ الأدبَ قبلَ أنْ تتعلَّمِ العِلمَ»(٣).

وقال ابنُ وهبٍ: «قال مالكٌ: العِلم نورٌ يجعلُه اللهُ حيثُ يشاءُ، ليس بكثرةِ الرِّوايةِ»(٤).

وقال: «لا يبلُغُ أحدٌ ما يُريدُ مِن هذا العلمِ حتّى يَضربَه الفقرُ، ويُؤثرَه على كلِّ حالٍ»(٥).

وقال: «مَن صدقَ في حديثِه مُتِّعَ بعقلِه، ولم يُصبْه ما يُصيبُ الناسَ مِن الهرمِ والخَوفِ»(٦).

وقال: «لا يَصلحُ الرَّجلُ حتّى يَتركَ ما لا يعنيهِ، ويَشتغِلَ بما يعنيه، فإذا فعلَ ذلك يوشكُ أن يفتحَ اللهُ قلبَه»(٧).

---

(١) «حلية الأولياء» (٩/ ١١٢).

(٢) ما بينَ معكوفَتين ليس في النسخ وبها يستقم المعنى، وقولُ خالدِ بنِ خداشٍ في «الحلية» (٦/ ٣١٩).

(٣) «حلية الأولياء» (٦/ ٣٣٠).

(٤) «حلية الأولياء» (٦/ ٣١٩).

(٥) وجدت هذا القولَ في «حلية الأولياء» (٩/ ١١٩) ولكنْ مِن كلام الإمام الشافعي.

(٦) «ترتيب المدارك» (٢/ ٦٤).

(٧) «ترتيب المدارك» (٢/ ٦٤).

وقال: «ما زَهِدَ أحدٌ فيها إلَّا أنطقَه اللهُ بالحكمة»[١].

وقال: «عليكَ بمجالسةِ مَن يَزيدُ في عِلمكَ قولُه، ويَدعوكَ إلى الآخرةِ فعلُه، وإيَّاكَ ومجالسةَ مَن يُقلِّلُكَ قولُه، ويدعوكَ إلى الدُّنيا فعلُه»[٢].

وقال له رجلٌ: أَوصِني! فقال: «إذا همَمْتَ بأمرٍ مِن طاعةِ اللهِ فلا تَحبسْه فُواقًا حتّى تُمضيَه، فإنَّك لا تأمَن مِن الأحداثِ، وإذا همَمتَ بغيرِ ذلك فإن استطعتَ أن لا تُمضيَه ولو فُواقًا فاجعل، لعلَّ اللهَ يُحدِثُ بعدَ ذلك تركَه، ولا تستحي إذا دُعيتَ لأمرٍ ليس بحقٍّ أن تَعملَ الحقَّ، واقرأ ﴿وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، وطهِّرْ ثيابَك ونقِّها عن معاصي اللهِ، وعليكَ بمعالي الأمورِ وكرائِمها[٣]، واتَّقِ رذائِلَها وسَفاسِفَها، فإنَّ اللهَ يحبُّ معاليَ الأخلاقِ، وأكثرْ تلاوةَ القرآنِ، واجتهدْ في الخيرِ، واذهبْ حيثُ شئتَ».

ورَوى الخطيبُ عن أسدِ بنِ الفُراتِ قال: «كنتُ أنا وصاحبٌ لي يلزمُ مالكًا، فلمَّا أردْنا الخروجَ إلى العراقِ أتيناهُ مودِّعينَ له، فقلنا له: أوصِنا، فالتَفتَ إلى صاحبي فقال: أُوصيكَ بالقرآنِ خيرًا، والتفتَ إليَّ فقالَ: أوصيكَ بهذِه الأمَّةِ خيرًا»، قال أسدٌ: «فما ماتَ صاحبي حتّى أقبلَ على القرآنِ والعبادةِ، ووَلِيَ أسدٌ القضاءَ».

* * *

(١) «ترتيب المدارك» (٢/ ٦٤).

(٢) «ترتيب المدارك» (٢/ ٦٤).

(٣) في «كبريائها»، و«كبرائها»، والمثبتُ مِن «ترتيب المدارك» (٢/ ٦٥).

فصلٌ في مِحنةِ الإمامِ مالكٍ

اعلمْ وفَّقكَ اللهُ تعالى: أنَّ العادةَ جرتْ بأنَّ كلَّ ذي نِعمةٍ مَحسودٌ، ولا نعمةً بعدَ الإسلامِ تعدِل نعمةَ العِلمِ والفَضلِ، وفضلُ مالكٍ مشهورٌ، فلذلك وقعَ فيه الناسُ، ووَشَوا به لوالي المدينةِ، وتكلَّموا فيه بما لا يليقُ...

حتّى قال الإمامُ أحمدُ: «إذا رأيتَ الرَّجلَ يبغِضُ مالكًا فاعلمْ أنَّه مُبتدِعٌ»[١]. قال أبو داودَ: «أخشى عليه مِن البدعة»[٢].

وقال ابنُ مَهديٍّ: «إذا رأيتَ الحِجازيَّ يُحبُّ مالكًا فاعلمْ أنَّه صاحبُ سُنَّةٍ، وإذا رأيتَ أحدًا يتناولُه فاعلمْ أنَّه على خلافِ ذلك»[٣].

قال ابنُ سعد[٤]: «أخبرنا الواقديُّ قال: لمَّا دُعيَ مالكُ بنُ أنسٍ شُوْوِر[٥] وسُمِعَ منه وقُبِلَ قولُه، شَنِف[٦] الناسُ له، وحسَدوه وبَغَوه بكلِّ شيءٍ، فلمَّا ولِّيَ جعفرُ بنُ سليمانَ المدينةَ سعَوا به إليه، وأكثروا عليه عندَه، وقالوا: لا يَرى أيمانَ بيعتِكم هذه بشيءٍ، وهو يأخذُ بحديثٍ رواهُ عن ثابتِ الأحنفِ في طلاقِ المُكرهِ أنَّه: لا يجوزُ، فغَضِبَ جعفرُ بنُ سليمانَ، فدعا بمالكٍ وجرَّده وضربَه بالسِّياطِ، ومُدَّت يداهُ حتّى انخلعَ كتِفاهُ، وارتُكبَ منه أمرٌ عظيمٌ».

---

(١) «ترتيب المدارك» (٢/ ٣٨).

(٢) «ترتيب المدارك» (٢/ ٣٨).

(٣) «ترتيب المدارك» (٢/ ٣٨).

(٤) في بعض النسخ: «ابن سعيد»، والقصةُ في «الطبقات الكبير» لابن سعد: (٧/ ٥٧٤).

(٥) اختلفتْ هذه الكلمة في النُّسخ، والمثبتُ مِن «الطبقات الكبير» وغيرِها.

(٦) الشَّنف: النظرُ إلى الشيء كالمُعترض عليه، أو المتعجِّبِ منه، أو الكارهِ له، كذا في «القاموس المحيط» (١/ ٨٢٦).

ورَوى أبو نُعيمٍ[1] عن أبي داودَ قال: «ضَربَ جعفرُ بنُ سليمانَ مالكَ بنَ أنسٍ في طلاقٍ».

قال ابنُ وهبٍ: «وحُمِلَ على بعيرٍ فقال: ألا مَن عرفَني فقد عرفَني، ومَن لم يعرفْني فأنا مالكُ بنُ أنسِ بنِ أبي عامرٍ الأَصْبَحيُّ، وأنا أقولُ: طلاقُ المُكرَهِ ليس بشيءٍ، فبلغَ جعفرَ بنَ سليمانَ: أنَّه ينادي على نفسِه بذلك، فقال: أَدرِكوه وأَنزِلوه»[2].

وقال الحطّاب[3]: اختُلفَ في مَن ضَرَبه، وفي سببِ ضَرْبه، فالأشهرُ: أنَّ جعفرَ بنَ سليمانَ هو الذي ضربَه في وِلايتِه الأُولى بالمدينةِ.

وأمَّا سببُه: فقيل: إنَّ أبا جعفرٍ نهاهُ عن حديثِ[4] «ليس على مُستكرَهٍ طلاقٌ[5]»، ثمَّ دسَّ إليه مَن سألَه، فحدَّثَ به على رؤوسِ الناسِ، وقيل: إنَّ الذي نهاهُ هو جعفرُ بنُ سليمانَ.

وقيل: إنَّه سُعيَ به إلى جعفرٍ، وقيل له: إنَّه لا يرى أيمانَ بيعتِكم بشيءٍ.

وقيل: إنَّه أفتى عندَ قيامِ محمدِ بنِ عبدِ اللهِ العَلويِّ بأنَّ بيعةَ أبي جعفرٍ لا تلزمُ؛ لأنَّها على الإكراهِ، على هذا أكثرُ الرُّواةِ».

وقال ابنُ بكيرٍ: «إنَّما ضُرِبَ في تَقدِيمه عثمانَ على عليٍّ»، فقيل لابنِ بُكيرٍ: خالفتَ أصحابَك! فقال: «أنا أعلمُ مِن أصحابي».

---

(١) «حلية الأولياء» (٦/ ٣١٦).

(٢) «حلية الأولياء» (٦/ ٣١٦).

(٣) انظر «مواهب الجليل» (١/ ٢٨)، وكلُّ ما أَورده المصنِّفُ هنا إلى نهاية هذا الفصل فإنه مِن «مواهب الجليل».

(٤) انظر تخريجَ الحديثِ في «التلخيص الحبير» (٣/ ٤٣٦).

(٥) في النسخ: «طلاقًا»، والمثبتُ مِن المصادر والمراجع.

والأشهرُ: أنَّ ذلك كان في خلافةِ أبي جَعفرٍ، وقيل: في أيَّامِ الرَّشيد، والأوَّلُ: أصحُّ.

واختُلفَ في مقدارِ ضربه مِن ثلاثينَ إلى مئةٍ، ومُدَّتْ يداه حتّى انخلعَت كتفُه، وبقيَ بعد ذلك بطَّالَ اليدَين، لا يستطيعُ أنْ يرفعَهما، ولا أنْ يُسوِّيَ رداءَه.

وقال الدّراوَرْديُّ[١]: «سمعتُه يقولُ حينَ ضُربَ: اللَّهمَّ اغفر لهُم، فإنَّهم لا يَعلمونَ».

وقال مالكٌ رحمَه اللهُ: «ما كانَ عليَّ أشَدَّ يومِ ضُربتُ مِن شَعرٍ كانَ في صَدري، وكانَ في إزاري خَرقٌ، ظهرتْ منه فخذِي، فجعلتُ للهِ عليَّ أنْ أستَجدَّ الإزارَ، وألا أترُكَ عليَّ شعرًا».

وكان يقول: «ضُربتُ فيما ضُربَ فيه محمدُ بنُ المُنكدرِ وربيعةُ وابنُ المسيَّبِ».

ويَذكرُ قولَ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ: ما أغبِطُ أحدًا لم يُصبْه في هذا الأمرِ أذًى.

قال الواقديُّ[٢] وغيرُه: «واللهِ ما زالَ مالكٌ بعدَ ذلك الضَّربِ في رِفعةٍ عندَ الناسِ وعُلوٍّ مِن أمرِه، وإعظامِ الناسِ له، وكأنَّما كانت تلكَ السِّياطُ التي ضُرِبَها حُليًّا حُلِّيَ بها».

ولمَّا حجَّ المنصورُ أقادَه مِن جعفرِ بنِ سليمانَ، وأرسلَ إليهِ ليقتصَّ منه، فقال: أعوذُ باللهِ، واللهِ ما ارتَفعَ منها سوطٌ عن جِسمي إلَّا وأنا أجعلُه في حلٍّ مِن ذلك الوقتِ؛ لقرابتِه مِن رسولِ اللهِ ﷺ.

---

(١) كذا في النسخ، وفي مطبوعة «مواهب الجليل»: «الداوودي»، والصوابُ المثبتُ كما في «ترتيب المدارك» (٢/ ١٣٤)، والخبرُ ساقه عنه أيضًا ابنُ حبانَ في «المجروحين» (١/ ٦٤).

(٢) الذي في «مواهب الجليل»: «الإبياني»، والنصُّ في «الطبقات الكبير» لابن سعد (٧/ ٥٧٤) نقلاً عن الواقدي.

وقيلَ: حُمِلَ مَغشيًا عليه فلمَّا أفاقَ ودخلَ الناسُ عليه، قال: «أُشهدُكم أنِّي جعلتُ ضاربي في حلٍّ»، ثمَّ قال في اليومِ الثَّاني: «قد تخوَّفْتُ أنْ أموتَ أمسي فألقى النبيَّ ﷺ، فاستحي منه بأنْ يَدخلَ بعضُ آلهِ النَّارَ بسببي».

فما كانَ إلَّا مدةً حتّى غضبَ المنصورُ على ضاربِه، فضربَه ونيلَ منه أمرٌ شديدٌ.

***

فصلٌ في وفاةِ الإمامِ مالكٍ

قال الواقديُّ[1]: «كان مالكٌ رحمه اللهُ يأتي المسجدَ، ويَشهدُ الصَّلاةَ والجنائزَ، ويعودُ المرضى، ويَقضي الحقوقَ، ويُجيبُ الدَّعوةَ، ثمَّ تَركَ الجلوسَ في المسجدِ، فكانَ يصلِّي وينصرِفُ، ثمَّ تَركَ عيادةَ المَرضى وشهودَ الجنائزِ، فكان يأتي أصحابَها فيُعزِّيهم، ثمَّ تَركَ ذلك كلَّه، فلم يكن يَشهَدُ الصَّلاةَ في مسجدِ رسولِ اللهِ ﷺ ولا الجُمعةَ، ولا يأتي أحدًا يُعزيه، ولا يَقضي له حقًّا، واحتملَ الناسُ ذلك كلَّه له، وكانوا أرغَبَ ما كانوا فيه وأشدَّ تعظيمًا حتّى ماتَ على ذلك، وكان ربُّما كُلِّمَ في ذلك فيقول: ليس كلُّ الناسِ يقدِرُ أن يتكلَّمَ بعذرِه».

وقال في «مُختصَرِ المَدارِكِ»[2]: «لمَّا حضرتْه الوفاةُ سُئلَ عن تَخلُّفِه عن المسجدِ، وكان تَخلُّفه عنه سبعَ سنينَ، فقال: لولا أنِّي في آخرِ يومٍ مِن الدُّنيا، وأوَّلِه مِن الآخرةِ ما أخبرتُكم، منعني سلسُ بَولي، فكرِهْتُ أنْ آتيَ مسجدَ رسولِ اللهِ ﷺ، وكرهتُ أنْ أذكرَ عِلَّتي فأشكو ربِّي.

---

(١) «الطبقات الكبير» لابن سعد نقلاً عن الواقدي: (٧/ ٥٧٤).

(٢) انظر «ترتيب المدارك» (٢/ ٥٥).

وقيل: كان اعتراه فَتقٌ مِن الضَّربِ الذي ضُربَه، فكانت الرِّيحُ تخرجُ منه، فقال: إنِّي أُوذي[١] المسجدَ والناسَ».

قال ابنُ عبدِ البرِّ[٢]: وِلِدَ مالكٌ سنةَ: ثلاثٍ وتسعينَ.

وقال ابنُ عبدِ الحكمِ: وُلِدَ سنةَ: أربعٍ وتسعينَ في ربيعِ الآخرِ، وفيها: وُلد اللَّيثُ بنُ سعدٍ.

ولا خلافَ أنَّه ماتَ سنةَ: تسعٍ وسبعينَ ومئةٍ.

مرِضَ يومَ الأحدِ فأقامَ مريضًا اثنينِ وعشرينَ يومًا.

وماتَ يومَ الأحدِ لعشرٍ خَلونَ مِن ربيعٍ الأوَّل».

وقال ابنُ سعدٍ: لأربعِ عشرةَ خلتْ منهُ.

وقال مصعبٌ: ماتَ في صفرٍ، وصلَّى عليه عبدُ اللهِ[٣] بنُ محمدِ بنِ إبراهيمَ الهَّاشميُّ أميرُ المدينة، وحَضر جنازَته ماشيًا، وكان أحدَ مَن حَملَ نعشَه، وتَركَ مِن الأولادِ يحيى ومحمدًا وحمادةَ[٤].

وبلغَت تركتُه: ثلاثةَ آلافِ دينارٍ وثلاثَ مئةِ دينارٍ ونيفًا.

وحجَّ هارونُ الرَّشيدُ عامَ موتِ مالكٍ، فوصلَ ابنَه يحيى بخمسِ مئةِ دينارٍ.

---

(١) الذي في «ترتيب المدارك»: «كرهتُ أنْ أُوذي».

(٢) انظر «التمهيد» (١/ ٨٧). وانظر فيه حاشيةً مهمةً عن اختلاف تواريخ سنةِ ولادةِ أو وفاةِ رجالِ القرن الأول والثاني.

(٣) الذي في «التمهيد»: «فصلى عليه عبدُ العزيز بنُ محمدِ بنِ إبراهيمَ بنِ محمدِ بنِ عليِّ بنِ عبدِ الله بنِ عباس، كان واليًا على المدينة مِن قِبل أبيه: محمدِ بنِ إبراهيمَ بنِ علي».

(٤) ومعهم بنتٌ له، كما في «التمهيد» (١/ ٨٧).

وقال سَحْنونُ عن عبدِ اللهِ بنِ نافعٍ: «تُوفي مالكٌ وهو ابنُ سبعٍ وثمانينَ سنةً، وأقامَ مُفتيًا بالمدينةِ بينَ أَظهُرِهِم ستِّين سنةً».

وأخرجَ الخطيبُ عن بكرِ بنِ سُلَيمٍ قال: «دَخلنا على مالكٍ في العَشيَّةِ التي قُبِضَ فيها فقلنا: يا أبا عبدِ الله كيف تجدكَ؟ قال: ما أدري ما أقولُ لكُم إلَّا أنَّكُم ستعاينونَ غدًا مِن عفو اللهِ ما لم يكُن لكُم في حسابٍ، قال: ثمَّ ما بَرِحنا حتّى أغمضْناه».

وأَخرج أبو نُعيمٍ[1] عن الإمامِ الشافعيِّ قال: «قال لي عمِّي[2] ونحنُ بمكَّةَ: رأيتُ في هذه اللَّيلةِ عجبًا! فقلت له: وما هو؟ قال: رأيتُ كأنَّ قائلًا يقولُ: ماتَ اللَّيلةَ أعلمُ أهلِ الأرضِ، قال الشافعيُّ: فحسَبْنا ذلكَ اليومَ فإذا هو يومَ ماتَ مالكُ بنُ أنسٍ».

وقال القاضي عياضٌ في «المدارِكِ»[3]: «رأى عمرُ بنُ سعدٍ الأنصاريُّ ليلةَ ماتَ مالكٌ قائلًا يقولُ:

لقد أَصبحَ الإِسلامُ زُعْزِعَ رُكْنُه ... غَداةَ ثَوى الهادي لدى مُلحدِ القَبرِ
إمامُ الهُدى ما زالَ للعِلمِ صائنًا ... عليه سلامُ اللهِ في آخرِ الدَّهرِ

قال: فانتَبهتُ فكتبتُ البيتَينِ في السِّراجِ، وإذا الصَّارخةُ على مالكٍ».

ولمَّا بلغَ حمَّادَ بنَ زيدٍ نَعيُ مالكٍ قال: «رحمه الله كان مِن الدِّينِ بمكانٍ».

ولمَّا بلغَ سفيانَ موتُ مالكٍ قال: «ما ترَكَ على الأرضِ مثلَه».

---

(١) «حلية الاولياء» (٦/ ٣٣٠).

(٢) الذي في «الحلية» وغيرِها مِن المصادر: «قالت لي عمتي».

(٣) «ترتيب المدارك» (٢/ ١٤٧).

وقال القَعْنَبيُّ: «كنَّا عندَ حمَّادِ بنِ زيدٍ فجاءَه نَعيُ مالكٍ فقال: «رحِمَ اللهُ أبا عبدِ اللهِ، واللهِ ما خلَّفَ مثلَه».

وفي روايةِ المروذيِّ[١] قال: «اللَّهمَّ أحسِنْ علينا الخِلافةَ بعدَه».

وقال سعيدُ بنُ عبدِ الجبّارِ: «كنَّا عندَ سفيانَ بنَ عُيينةَ فأتاه نَعيُ مالكٍ فقال: واللهِ ماتَ سيِّدُ المُسلمينَ».

ورثاهُ الأئمَّةُ شِعرًا ونَثرًا، وعَرَّضوا في ذلك بموطَّئه.

فمِن ذلك قولُ بعضِهم[٢]:

أَقولُ لِمَنْ يَرْوِي الحديثَ ويَكتبُ ... ويَسْلك سُبلَ الفقهِ فيه ويَطلبُ

فبادِرْ موطَّأَ مالكٍ قَبلَ فوتِه ... فما بعدَه إنْ فاتَ للعلْمِ مطْلَبُ

ودَعْ للموطَّأِ كلَّ عِلْمٍ تُرِيدُه ... فإنَّ الموطَّأَ الشَّمسُ والعلمُ كوكبُ

هو الأصلُ طابَ الفَرعُ منه لأَصلِه[٣] ... ولم لا يَطِيبُ الفرعُ والأصلُ طَيِّبُ

لقد أَعْربتْ آثارُه ببَيانِها[٤] ... فما آنَ لها في العالمِينَ[٥] مُكذِّبُ

وممَّا به أهلُ الْحِجازِ تفاخَرُوا ... بأنَّ الموطأَ بالعراقِ[٦] مُحبَّبُ

ومَنْ لم تكنْ كُتبُ الموطَّا ببيتِه ... فذاكَ مِن التوفِيقِ بيتٌ مُخَيَّبُ

---

(١) جاء هذا في «ترتيب المدارك» (١/ ١٨٩) من قول حمادِ بن سلمة.

(٢) نسب السيوطيُّ في «تنوير الحوالك» (١/ ٨) هذه الأبياتِ إلى سعدون الورجيني، والله أعلم.

(٣) جاء في «تنوير الحوالك»: «لطيبه».

(٤) جاءت في «مناقب مالك»: «بعنانها»، وفي «الفضل المبين»: «بثباتها».

(٥) جاء الشطر في «التمهيد» و«تنوير الحوالك»: «فليس لها في العالمينَ مُكذِّب».

(٦) في (ش): «في العراق».

ولـو بالموطـا يَعمَـلُ النـاسُ كلُّهـم لأَمسَوا وما منهم على الأَرضِ مُذنِبُ
جـزى اللَّـهُ عنّـا مالِـكًا خيـرَ عالِـمٍ بأفضـلَ مـا يُجْـزى اللَّبيـبُ المُهَذَّبُ
لقـد رَفـعَ الرَّحمـنُ بالعِلـمِ قَـدْرَه غُلامًـا وكهـلًا ثـمَّ إذ هـو أَشـيبُ
أَتعجـبُ منـه إذ عـلا فـي حياتِـه تعاليـه مِـن بعـدِ المَنِيَّـةِ أَعجَـبُ
لقد فـاقَ أهـلَ العِلـمِ شَـرقًا ومَغرِبًا[1] فأَضْحَـتْ به الأمثالُ في الناسِ تُضْرَبُ
وما فاقهـم إلَّا بتـقوًى وخـشـيـةٍ وإذ كان يَرْضـى فـي الإلـهِ ويَغْضَـبُ
فــلا زالَ يسْـقِي قَبـرَه كلُّ عـارِضٍ بِمُنعَبِـقٍ ظلَّـتْ عوالِيـه تُسـكبُ[2]
وتَسْـقي قُبـورًا حولَـه دُونَ سَـقْيِه فيُصْبِـحُ فيهـا نبتُهـا وهـو مُعْشِـبُ
ومـا بـي بُخْـلٌ أنْ ستُسْـقى كسـقْيِه ولكـنَّ حَقَّ العِلْـمِ أولـى وأَوجَـبُ[3]

ورُؤِيَ له بعدَ موتِه مناماتٌ حسنةٌ.

فقال بشيرُ بنُ بكرٍ: «رأيتُ الأوزاعيَّ في النَّومِ مع جماعةٍ مِن العُلماءِ في الجَنَّةِ فقلت: أينَ مالكُ بنُ أنسٍ؟ فقيل: رُفِعَ، قلتُ: بماذا؟ قال: بصِدقِه».

ورآه بعضُ الصَّالحينَ بعدَ موتِه في منامِه فقال له: ما فعلَ اللهُ بك؟ قال: غفرَ

---

(١) جاء في «التمهيد» و«تنويرِ الحوالك»: «حيًّا وميتًا».

(٢) جاء الشطرُ في «الفضل المبين»: «مِن العفو إذ يُهمى عليه ويُسكب».

(٣) أَورد القصيدةَ ابنُ عبد البرِّ في «التمهيد» (١/ ٨٢)، وابنُ عساكر في «كشف المغطى» (ص٧٣)، والسيوطيُّ في «تنوير الحوالك» (١/ ٨)، والزواويُّ في كتابه «مناقب مالك» الذي طُبع في مقدِّمة «المدونة» (١/ ٧٢)، وكذلك ذكرها جمالُ الدين القاسميُّ في «الفضل المبين» (ص٢٣٥)، وكلُّهم يزيد أبياتًا أو ينقص.

لي، قال: بماذا؟ قال: بكلمةٍ سمِعتُها عن عثمانَ [رضي الله عنه] [(١)]، كان إذا رأى ميتًا قال: «[الله لا إله إلا هو الحيُّ القيوم] [(٢)]، سبحانَ الحَيِّ الذي لا يَموتُ» [(٣)]، فأدمتُها فأدخَلني اللهُ بها الجنَّةَ.

رضي اللهُ تعالى عنه، ونفَّعَنا به آمينَ، والله سبحانه أعلمُ.

* * *

(١) ما بينَ معكوفَتين ليس في النسخ، وقد زِدتها مِن «المدوَّنة» لأهمِّيتِها هنا.

(٢) ما بينَ معكوفَتين ليس في النسخ، وإنما زِدتها مِن «المدونة».

(٣) لم أعثر على قول عثمانَ رضي الله عنه.

البابُ الثَّالثُ

في مناقبِ الإمامِ أبي عبدِ اللهِ محمدِ بنِ إدريسَ الشَّافعيِّ

رضي الله عنه

وهو: الإمامُ العَلَمُ الحُجَّةُ، الضَّابطُ المُتْقنُ، المُجتَهدُ البارعُ، عالِمُ الإسلامِ وناصرُ الحَديثِ، أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ إدريسَ بنِ العبّاسِ بنِ عثمانَ بنِ شافعِ بنِ السّائبِ بنِ عُبَيدِ بنِ عبدِ يزيدَ بنِ هاشمِ بنِ المُطَّلبِ بنِ عبدِ مَنافٍ، رابعِ أجدادِ النَّبيِّ ﷺ، القُرشيُّ المُطَّلِبيُّ الشَّافعيُّ، أحدُ الأئمَّةِ المُجتَهدينَ، وأحدُ أئمَّةِ المذاهبِ المَتبوعةِ.

وُلدَ سنةَ: خمسينَ ومئةٍ.

قال الرَّبيعُ: في اليومِ الذي ماتَ فيه أبو حنيفةَ، ففيهِ إشارةٌ إلى أنه يَخلُفُه في فَنِّه.

وعاشَ أربعًا وخمسينَ سنةً، فهو أقصرُ الأئمَّةِ الأربعةِ عُمْرًا.

وتوفِّي بمِصرَ المَحروسَةِ سنةَ: أربعٍ ومِئتَين، ودُفِنَ بالقَرافةِ، وقبرُه بها ظاهرٌ يُزارُ، عليه مِن الأُنسِ والجَلالَةِ ما لا يَخفى.

حَملَتْ بهِ أمُّه أربعَ سنينَ[1]، ووُلدَ رحمه اللهُ تعالى بغزَّةَ، وقيل: بعَسْقلانَ، وقيل: باليمنِ، وقيل: بمنًى، والأوَّلُ أصحُّ.

---

(١) يَذكر المُتخصِّصون مِن الأطباء: أنَّ الجنينَ يَستحيل أنْ يبقى في بطن أُمِّه أكثرَ مِن تسعةِ أشهر إلا مدَّةً يسيرةً، وهذا نادرٌ جدًّا، وهناك بعضُ الحالات يَنقطع معها الطمثُ ويَنتفخ البطنُ لاجتماع الغازاتِ والدماء فيه، فكنَّ يَعتقدْنَ قديمًا أنه حبلٌ، وهو ما يُسمى في زماننا: الحبلَ الكاذب، وانظر في هذا كتابَ «الحيضِ والنفاس والحمل بينَ الفقهِ والطب» للدكتور عمر الأشقر.

قال رحمه اللهُ: وُلِدت بغزَّةَ، وحَملتْني أمِّي إلى عَسْقلانَ، وحُمِلتُ إلى مكَّةَ وأنا ابنُ سنتَينِ، وقيل: عشرُ سِنينَ.

قال الحافظُ ابنُ حَجرٍ[1]: «الذي يَجمَعُ الأقوالَ: أنه وُلِدَ بغزَّةَ عسقلانَ، ولمَّا بلغَ سنتينِ[2] حوَّلتْه أمُّه إلى الحِجازِ، وذَهبتْ به إلى قومِها، وهم أهلُ اليمنِ[3]؛ لأنَّها كانت أَزْديَّةً، فنَزلتْ عندَهم، فلمَّا بلغَ عشرًا خافَتْ على نَسبِه الشَّريفِ أنْ يُنسَى ويَضيعَ، فحوَّلتْه إلى مكَّةَ».

قال الرَّبيعُ: «كان الشَّافعيُّ يلبَسُ الثِّيابَ الرَّفيعةَ مِن الكتَّانِ والقُطنِ البَغداديِّ[4]، وكان ربَّما لبِسَ قلنْسُوةً ليستْ بمُشرِفةٍ جدًّا، ويلبَسُ كثيرًا العِمامةَ والخُفَّ، وكان لا يأتي عليه يومٌ إلّا تصدَّقَ فيه، ويتَصدَّقُ باللَّيلِ لا سيَّما في رمضانَ، ويتَفَقَّدُ الفقراءَ والضُّعفاءَ، وكانَ أكرمَ الناسِ مُجالَسةً».

وقال البيهقيُّ[5]: «عن يونسَ بنِ عبدِ الأعلى: كانَ الشَّافعيُّ مُعتَدلَ القامَة، واضِحَ الجَبهة، رقيقَ البَشَرة، لونُه إلى السُّمرَة، وفي عارِضَيه خِفَّةٌ».

وقال الشيخُ ابنُ الصَّلاح[6]: «كانَ الشَّافعيُّ طويلًا،.........................

---

(١) «توالي التأسيس» (ص١٠٩).

(٢) في النُّسخ: «سنة»، والمثبتُ هو الموافقُ لكلامِ ابنِ حجرٍ في «توالي التأسيس» ولسياقِ العبارة.

(٣) الذي في «توالي التأسيس»: «وهم من أهل اليمن».

(٤) كذا في النسخ تبعًا لما في «توالي التأسيس»، إلا أنَّ العبارةَ في «مناقب الشافعي» (٢/ ٢٨٤) للبيهقيِّ هكذا: «قال الربيع: كان لباسُه مقتصدًا، ليس يلبس الثيابَ الرَّفيعة، يلبس الكتانَ والقطنَ البغدادي... إلخ»، وهي أوجهُ وأولى، والله أعلم.

(٥) نقله ابنُ حجر في «توالي التأسيس» (ص١٥٩)، ولم أجده في «مناقب الشافعي» للبيهقي.

(٦) نقله ابنُ حجر في «توالي التأسيس» (ص١٥٨)، وقال: «وقفتُ على خبرٍ لطيفٍ للشيخ تقي الدين ابنِ الصلاح ذكر فيه حليةَ الشافعي»، ثم ذكره.

سائلَ الخَدَّينِ[1]، قليلَ لَحمَةِ الوَجهِ، طويلَ العُنقِ، طويلَ القَصبِ، أَسمرَ، خَفيفَ العارِضَينِ، يَخضبُ لِحيتَه بالحِنّاءِ، حمراءَ قانية، حسنَ الصَّوتِ والسَّمْتِ، عظيمَ العَقلِ، جميلَ الوجهِ، مَهيبًا فَصيحًا، مِن آدَبِ الناسِ».

قال: «وكان مِسْقامًا، وعلى أنفِه أثرُ جُدَرِيٍّ، بادي العَنْفَقةِ، أبلجَ مُفَلَّجَ الأسنانِ».

وقال الإمامُ النَّوويُّ[2]: «كانَ الشَّافعيُّ رحمه اللهُ مِن أنواعِ المَحاسنِ بالمَحلِّ الأعلى والمقامِ الأسنى، لِما جمعَه اللهُ له مِن الخَيراتِ، ووفَّقَه له مِن جميلِ الصِّفاتِ، وسهَّلَه عليه مِن أنواعِ الكَراماتِ...

فمِن ذلكَ: شرَفُ النَّسبِ لاجتماعِه مع رسولِ اللهِ ﷺ في جَدِّ جدِّه عبدِ مَنافٍ.

ومِن ذلك: شرَفُ المَولِد والمَنشأ، فإنَّه وُلِدَ بالأرضِ المُقدَّسةِ، ونشأَ بمكَّةَ.

ومِن ذلك: أنَّه أخذَ عن الأئمَّة المُبرِّزين، وناظَرَ الحُذَّاقَ المُتقنين، ووجَدَ الكُتبَ في العلومِ قد مُهِّدَتْ، والأحكامَ قد قُرِّرَتْ، فانتَخَبَ وتخيَّرَ، وحقَّقَ وحبَّرَ، ولخَّصَ طريقةً جامِعةً للنَّقلِ والنَّظَر، ولم يَقتصِر كما اقتصَرَ غيرُه، مع ما رُزقَ مِن كمالِ الفَهمِ وعُلوِّ الهِمَّةِ، والبَراعَةِ في جميعِ الفُنونِ، والمَهارةِ في لغةِ العربِ، وإتقانِ معرفةِ كتابِ اللهِ وسُنَّةِ رسولِ اللهِ ﷺ، ورَدِّ بعضِ ذلك إلى بعضٍ، حتّى أذعَن لفضلِه المُخالِفُ والمُوافِقُ، واعترَفَ بتَقدُّمِه المُفارِقُ والمُوافِقُ».

فبارَكَ اللهُ تعالى في عُلومِه الباهِرَة، ومحاسِنِه المُتظاهِرَة، إلى أنْ انتشرتْ تصانيفُه في سائِرِ الأقطارِ، وكثُرَ الآخذونَ عنه لطريقتِه في سائِرِ الأمصارِ، وملأَ

(١) سائل الخدَّين: أي غيرُ مرتفعِ الوجنتَين.

(٢) «تهذيب الأسماء واللغات» (١/ ٤٩).

عِلمُـه طبـقَ الأرضِ شَـرقًا وغربًـا بـرًّا وبحرًا، فـكانَ ذلـكَ مِصداقَ الحديـثِ الذي أخْبـرَ بـه الصَّـادِقُ المَصدوقُ، فـي حديثِ ابنِ مسـعودٍ وأبـي هُريرةَ وعلـيِّ بنِ أبي طالِبٍ وابـنِ عبَّاسٍ.

فعن عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تَسبُّوا قُريشًا، فإنَّ عالِمَها يملأُ الأرضَ عِلْمًا، اللَّهمَّ أذقتَ أوَّلَها عذابًا، فأذِقْ آخرَها نَوالًا**»، أخرجه أبو داودَ الطَّيالِسِيُّ في «مسندِه»، وأبو نُعيمٍ في «الحليةِ»، وأخرجه البَيهقيُّ[1].

وعن أبي هريرةَ عن رسولِ اللهِ ﷺ قال: «**اللهمَّ اهْدِ قُريشًا، فإنَّ عالمَها يَملأُ طبقَ الأرضِ عِلمًا، اللهمَّ كما أَذقتَهم عذابًا فأذِقْهم نَوالًا**»، دعا بها ثلاثَ مرات، أخرجه الحافظُ ابنُ حجر[2].

وعن عليِّ بنِ أبي طالِبٍ قال: أشهَدُ لَسمعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «**لا تَؤُمُّوا قُريشًا وائتَمُّوا بها، ولا تُقدِّموا على قريشٍ وقَدِّموها، ولا تُعَلِّموا قريشًا وتَعلَّموا مِنها، فإنَّ أمانةَ الأَمينِ مِن قُريشٍ تَعدِلُ أَمانةَ اثنينِ مِن غَيرِهم، وإنَّ عِلمَ عالِمِ قُريشٍ يَسعُ طِباقَ الأرضِ**».

وفي رواية: «**فإنَّ عِلمَ عالِمِ قُريشٍ مَبْسوطٌ على الأرضِ**»، أخرجه الحاكم[3]، وأخرجَ بعضَه أبو بكرٍ البَزّارُ في «مسنده»، وأبو بكرِ بنُ أبي خيثمةَ في «تاريخه»[4].

---

(١) «مسند الطَّيالسي» (٣٠٧)، «حلية الأولياء» (٦/ ٢٩٥)، «معرفة السنن والآثار» (٤١٤).

(٢) رواه بسنده الحافظُ ابنُ حجرٍ في «توالي التأسيس» (ص١٠١) ثم قال: «في إسناده عبدُ العزيز بنُ عبيد الله، وهو ضعيفٌ».

(٣) في «مناقب الشافعي»، كما نصَّ ابنُ حجرٍ في «توالي التأسيس» (ص١٠١).

(٤) قـال ابنُ حجـرٍ بعـدَ ذِكـر الحديـث: «وأَخرج بعـضَ هـذا الحديثِ أبـو بكرٍ البـزارُ في «مسـنده»، وأبـو بكـرِ بـنُ أبـي خيثمـةَ فـي «تاريخـه» مِـن طريـق عـديِ بـنِ الفضـل، قـال البـزار: لا يُعلـم =

وعن ابنِ عبّاسٍ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**اللهمَّ اهدِ قُريشًا، فإنَّ عِلمَ العالِمَ منهم يَسعُ طبقاتِ الأرضِ، اللهمَّ أذقْتَ أوَّلَها نكالًا، فأذِقْ آخرَها نوالًا**»، وهذا رجالُه رجالُ الصَّحيحِ، إلّا إسماعيلَ بنَ مُسلِمٍ ففيه مقالٌ[1].

لكنْ قال الحافظُ البيهقيُّ: «إذا ضُمَّتْ طُرقُ هذا الحديثِ بعضُها إلى بعضٍ أفادَ قُوَّةً، وعُرِفَ أنَّ للحديثِ أصلًا»، قال ابنُ حجرٍ: «وهو كما قال؛ لتعدُّدِ مَخارِجِها وشُهرَتِها».

قال أبو نُعيمٍ الجُرجانيُّ ما مُلخَّصُه: «كلُّ عالِمٍ مِن علماءِ قُريشٍ مِن الصَّحابةِ فمَن بعدَهم، وإنْ كان علمُه قد ظهرَ وانتشرَ، لكنَّه لم يبلُغْ مِن الشُّهرةِ والكثرةِ والانتِشارِ في جميعِ أقطارِ الأرضِ مع تباعدِها ما وصلَ [إليه][2] علمُ الشَّافعيِّ، حتّى غلَبَ على الظَّنِّ أنَّه المرادُ بالحديثِ».

وقد سبقَ إلى تنزيلِ هذا الحديثِ على الشَّافعيِّ الإمامُ أحمدُ بنُ حنبلٍ في الحديثِ الذي بعدَه.

قال البزَّارُ: «سمعتُ عبدَ المَلكِ بنَ عبدِ الحميدِ المَيْمُونيَّ يقول: كنتُ عند أحمدَ بنِ حَنبلٍ فجرَى ذِكرُ الشَّافعيِّ، فرأيتُ أحمدَ يَرفعُه، وقال: يُروى عن النبيِّ ﷺ يقول: «**إنَّ اللهَ يُقيِّض في رأسِ كلِّ مئةِ سنةٍ مَن يُعلِّمُ الناسَ دِينَهُم**»، قال: فكان عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ على رأسِ المئةِ الأُولى، وأرجو أنْ يكونَ الشَّافعيُّ على رأسِ المئةِ الأُخرى».

= لأبي بكرٍ ولا لأبيه غيرُه، قلتُ: هما مجهولان، وفي عدي بنِ الفضل مقالٌ».

(١) كذا نصَّ ابنُ حجرٍ في «توالي التأسيس» (ص١٠١)، وقد خرَّج الحديثَ عن «مسند أبي يعلى» ولم أجدْه في المطبوعة!

(٢) ما بينَ معكوفَتين سقط مِن النُّسخ، وهو في «توالي التأسيس» (ص١٠٢).

ووردَ هذا أيضًا عن الإمامِ أحمدَ مِن روايةِ أبي بكرٍ المَروزيِّ وأبي سعيدٍ العُرْيانيِّ وحُمَيدِ بنِ زَنْجَويه.

وحديثُ أبي هريرةَ: «**إنَّ اللهَ يبعثُ لهذِه الأمَّةِ على رأسِ كلِّ مِئةِ سنةٍ مَن يُجدِّدُ لها دينَها**»، أخرجه الحاكمُ وأبو داودَ وابنُ عَدِيٍّ وجماعةٌ مِن الحُفَّاظِ[١].

وقال الرَّبيعُ: «سمعتُ الشَّافعيَّ يقول: كنتُ ببغدادَ فرأيتُ في المنامِ كأنَّ عليَّ بنَ أبي طالبٍ دخلَ وقعدَ عندي، ونَزعَ خاتمَه مِن يدِه وجعلَه في يدي، فقال لي مُعبِّرٌ: إنْ صدقَتْ رؤياكَ لم يبقَ موضِعٌ في الشَّرقِ ولا في الغَربِ يُذكرُ فيه عليٌّ إلَّا ذُكرتَ فيه»، أخرجه الحاكمُ[٢].

***

فصلٌ في مَن رَوى عنه الشَّافعيُّ

رَوى رضي الله عنه عن: مالكِ بنِ أنسٍ، ووكيعِ بنِ الجرّاحِ، ويحيى القطّانِ، ومُسلمِ بنِ خالدٍ الزِّنجيِّ، وعبدِ اللهِ بنِ المُباركِ، والفُضيلِ بنِ عياضٍ، ومحمدِ بنِ الحسنِ، ومُطرِّفِ بنِ مازنٍ، وسفيانَ بنِ عُيينةَ، وإبراهيمَ بنِ سَعدٍ الزُّهريِّ، وأيُّوبَ بنِ سُويدٍ الرَّمليِّ، وسعيدِ بنِ سالِمٍ، والضَّحاكِ بنِ عُثمانَ الحِزامِيِّ، وخَلائقَ مِن المشايخِ، نَقلَ عنهم العِلمَ مِن الفِقهِ والحديثِ والأخبارِ، سمِعَ منهم بمكَّةَ والمدينةِ واليمَنِ والعِراقِ ومِصرَ.

وكان مُكثِرًا مِن الحديثِ، ولم يُكثِرْ مِن الشُّيوخِ كعادةِ أهلِ الحديثِ؛ لإقبالِه على الاشتغالِ بالفقهِ حتّى حصَّلَ منه ما حصَّلَ.

---

(١) «المستدرك على الصحيحين» (١/ ١٠٢)، «سنن أبي داود» (٦/ ٣٤٩).

(٢) ونقله عنه البيهقيُّ في «مناقب الشافعي» (١/ ١٤٨).

وكانَ مُعظِّمًا للآثارِ مُقدِّمًا لها على الرَّأي، متى بلغَه الحديثُ لم يَتجاوز القولَ بمقتضاه.

وكان مُعظَمُ أحاديثِ الأحكامِ حاصلةً عندَه.

وكانت رئاسةُ الفقهِ بمكَّةَ قد انتَهتْ إلى ابنِ جُريجٍ، فأَخذَ كُتبَه التي فيها عِلمُه عن أربعةِ أنفسٍ: مُسلمِ بنِ خالدٍ، وسعيدِ بنِ سالمٍ وهما فقيهانِ، وعبدِ الحميدِ بنِ عبدِ العزيزِ بنِ أبي رَوادٍ وكان أعلمَهُم بابنِ جُريجٍ، وعبدِ اللهِ بنِ الحارثِ المَخزوميِّ وكان مِن الأثباتِ.

وانتهت رئاسةُ الفِقهِ بالمدينةِ إلى مالكِ بنِ أنسٍ فرَحلَ إليه، ولازمَه وأخذَ عنه.

وانتهت رئاسةُ الفقهِ بالعراقِ إلى أبي حنيفةَ، فأَخذ عن صاحِبه محمدِ بنِ الحسنِ حِملَ جَملٍ، ليسَ فيها شيءٌ إلَّا وقد سمِعَه عليه.

فاجتمعَ له عِلمُ أهلِ الرَّأي، وعِلمُ أهلِ الحَديثِ، فتَصرَّفَ في ذلكَ حتّى أَصَّلَ الأُصولَ وقعَّدَ القَواعِدَ، وأَذعنَ له المُوافِقُ والمُخالِفُ، واشتَهرَ أمرُه، وعلا ذِكرُه، وارتفَع قَدرُه، حتّى صارَ منه ما صار، ورَوى عنه الأئمَّةُ مِن سائرِ الأقطارِ.

***

فصلٌ في مَن رَوى عن الشَّافعيِّ

رَوى عنه: الأئمةُ أحمدُ بنُ حنبلٍ، ويحيى بنُ سعيدٍ القطّانُ، وعبدُ الرَّحمنِ ابنُ مَهديٍّ، ومسلمُ بنُ خالدٍ، وأبو بكرٍ الحُمَيديُّ، وسفيانُ بنُ عُيينةَ، وأبو ثَورٍ الكَلبيُّ أحدُ الفُقهاءِ المُجتهدينَ، وإسحاقُ بنُ راهُويَه أحدُ الأئمَّةِ، والمُزنيُّ، والبوَيطيُّ، والرَّبيعُ، والزَّعفرانيُّ، وسُليمانُ بنُ داودَ أحدُ الفُقهاءِ الأئمَّةِ، وعبدُ المَلكِ الأصمعيُّ إمامُ اللُّغةِ المشهورُ، وعبدُ المَلكِ بنُ هِشامٍ المِصريُّ النَّحويُّ

صاحبُ السِّيرةِ النَّبويَّةِ، وعليُّ بنُ المَدينيِّ الإمامُ المشهورُ مِن شيوخِ البُخاريِّ، وقتيبةُ بنُ سعيدٍ شيخُ الأئمَّةِ الخمسةِ، وعمرُو بنُ أبي سَلمةَ المشهورُ رَوى له السِّتةُ، وأحمدُ بنُ خالدٍ الخلَّالُ البَغداديُّ مِن شيوخِ التِّرمذيِّ والنَّسائيِّ، وأحمدُ بنُ سعيدٍ الهَمَدانيُّ مِن شيوخِ أبي داودَ، وأحمدُ بنُ سِنانٍ مِن شيوخِ البخاريِّ ومسلمٍ وأبي داودَ، وأحمدُ بنُ عبدِ اللهِ المقرِئُ المَعروفُ بِقُنْبُل، وأحمدُ بنُ يحيى بنِ الوزيرِ المِصريُّ مِن شيوخِ النَّسائيِّ، وأبو نُعيمٍ الفَضلُ بنُ دُكينٍ شيخُ البُخاريِّ، والحَارثُ بنُ سليمانَ الرَّمليُّ مِن شيوخِ أبي زُرعةَ الرَّازيِّ، وأبو حاتمٍ السِّجِسْتانيُّ أحدُ الأئمَّةِ في العربيَّةِ مِن شيوخِ أبي داودَ والنَّسائيِّ، وعبدُ الكريمِ الجُرْجانيُّ قاضي مكَّةَ، وابنُ الماجِشونَ الفقيهُ المالِكيُّ المشهورُ.

وأشهبُ المِصريُّ صاحِبُ الإمامِ مالكٍ، ذَكره ابنُ عبدِ البَرّ[1] في مَن أخذَ عن الشَّافعيِّ، وتَعقَّبَه القاضي عياض في «المدارك»[2] فقال: «إنما كانا يتناظران».

قال ابنُ حَجرٍ[3]: «وهو تعقبٌ عجيبٌ، فإنَّ ذلكَ لا يمنَعُ أنْ يكونَ حكى عنه شيئًا.

وابنُ عبدِ الحكمِ المِصريُّ أحدُ الأئمَّةِ في الفِقهِ، وخلائقُ آخرونَ مِن أهلِ مِصرَ والشَّامِ والعراقِ والحِجازِ واليَمنِ، أضرَبْنا عنهم خوفَ التَّطويل.

***

---

(١) «الانتقاء» (ص٩٧).

(٢) «ترتيب المدارك» (٣/ ٢٦٥).

(٣) «توالي التأسيس» (ص١٨٥).

فصلٌ فيما اتَّفقَ له مِن كِبارِ الأصحابِ والرُّواةِ

كان له مِن كبارِ الأصحابِ مثلُ الإمامَينِ المُجتهدَين:

- **الإمامِ أحمدَ**: الذي شُهرَته تُغني عن إيرادِ شيءٍ مِن خَبرِه، وسيأتي الكلام عليه.

- **والإمامِ المُجتَهد أبي[1] ثورٍ**: إبراهيمَ بنِ خالدِ بنِ اليمانِ الكَلبيِّ البغداديِّ، كان مِن كبارِ الفقهاءِ، وصَحبه الشَّافعيُّ ببغدادَ.

وكان أحمدُ يُعظِّم أبا ثورٍ حتّى قال: «هو عندِي في صلاح[2] الثَّوريِّ».

وقال لرجلٍ سأله عن مسألةٍ: «ما سألَ الفقهاءُ مثلَ أبي ثورٍ».

وقال الأعين: «سألتُ أحمدَ عنه فقال: أعرِفه بالسُّنةِ منذُ خمسينَ سنةً».

وكان مِن أقرانِ الإمامِ أحمدَ، وماتَ قبلَه في السَّنةِ التي ماتَ فيها، أو في التي قبلَها[3].

- **وكان له مِن كبارِ الرُّواةِ مثلُ الحُمَيديِّ**:

أبو بكرٍ عبدُ اللهِ بنُ الزُّبيرِ بنِ عيسى القُرشيُّ الأَسْديُّ المَكيُّ.

صحِبَ ابنَ عُيينةَ فأكثرَ عنه، وهو مِن أصحِّ الناسِ عنه حديثًا، ولازَمَ الشَّافعيَّ بمكَّةَ، ودَخلَ معه إلى مِصرَ، وأقامَ معه إلى أن مات، وهو مِن كبارِ شيوخِ البُخاريِّ.

قال أبو حاتمٍ الرَّازيُّ: «كان رئيسَ أصحابِ ابنِ عُيينةَ، وهو ثقةٌ إمامٌ».

---

(١) في النُّسخ: «أبو».

(٢) في النُّسخ: «مسلاخ»، والصوابُ المثبتُ كما في المصادر والمراجع، وانظر «تهذيب الأسماء واللغات» (٢/ ٢٠٠).

(٣) اتفقتْ كُتب التراجم على وفاةِ أبي ثورٍ في صفر سنةَ: (٢٤٠)، والله أعلم.

وقال أبو يعقوبَ بنُ سفيانَ: «ما رأيتُ أنصحَ للإسلامِ وأهلِه منه».

وقال ابنُ عَدي: «كان مِن خيارِ الناسِ».

وقال ابنُ حِبَّانَ: «كانَ صاحبَ سُنةٍ وفَضلٍ ودِينٍ».

ـ ومثلُ سليمانَ بنِ داودَ البَغدادِيِّ:

أحدِ الأعلام، كان أحمدُ يُجلُّه ويُعظِّمُه، حتّى قال: «لو قيلَ لي اخترْ للأُمَّة مَن يُستَخلفُ عليهم لاخترتُه».

وقال أبو حاتمٍ: «كان مِن الأئمَّةِ».

وقال الشَّافعيُّ: «ما رأيتُ أعقلَ مِن هذَين الرَّجلَين: أحمدَ بنِ حنبلٍ وسليمانَ بنِ داودَ».

ـ وكان له مِن كبارِ رُواةِ الفقهِ مثلُ أبي يعقوبَ البُويطيِّ:

الإمامِ المشهورِ، عالِمِ الإسلامِ، وأحدِ رواةِ الجديدِ، وأكبرِهم قدرًا، وأغزرِهم عِلمًا، وهو الذي أقامَه الشَّافعيُّ مُقامَه حينَ ماتَ.

ـ ومثلُ حرمَلةَ بنِ يحيى المِصريِّ:

أخذَ العِلمَ عن ابنِ وَهْبٍ وغيرِه، ثمَّ لزِمَ الشَّافعيَّ لمَّا قدِمَ مصرَ، وحَمل عنه الفقهَ والحديثَ، وهو أحدُ رواةِ كُتبِ الشَّافعيِّ الجديدةِ، وهو الذي نَقل عن الشَّافعيِّ أنَّه قال: ما تَقَرَّب أحدٌ إلى اللهِ بعدَ أداءِ ما افتُرِضَ عليه بأفضلَ مِن طلبِ العِلمِ.

وقال يحيى بنُ معينٍ: «كان أَعلمَ الناسِ بابنِ وهْبٍ».

ـ ومثلُ الزَّعفرانيِّ:

أبو محمدٍ الحسنُ بنُ محمدٍ الزَّعفرانيُّ، وهو أحدُ رواةِ القديمِ عن الشَّافعيِّ، قال الماوَرديُّ: هو أثبتُهم.

رَوى عنه: البخاريُّ في «صحيحِه»، وأصحابُ السُّننِ الأربعةِ، وابنُ خزيمةَ في «صحيحِه»، وكان فصيحًا عالِمًا، وكان الإمامُ أحمدُ وأبو ثورٍ يحضرانِ عندَ الشَّافعيِّ، وكانَ الزَّعفرانيُّ هو الذي يتَولَّى لهم القراءةَ، وشاركَ الشَّافعيَّ في الرِّوايةِ عن سفيانَ بنِ عُيينةَ.

ـ ومثلُ المُزنيِّ:

أبو إبراهيمَ إسماعيلُ بنُ يحيى، سمِعَ مِن عليِّ بنِ سعيدٍ، ونُعيمِ بنِ حَمَّادٍ، ولزِمَ الشَّافعيَّ لمَّا قدِمَ مصرَ، وصنَّفَ «المَبسوطَ» و«المُختصرَ مِن علمِ الشَّافعيِّ»، واشتَهر في الآفاقِ، وحَملَه عنه أهلُ الحجازِ والشَّامِ والعراقِ وغيرِهم.

أخذَ عنه الأئمَّةُ: كابنِ خُزيمةَ، وزكريا السَّاجيِّ، وابنِ أبي حاتمٍ، والطَّحاويِّ، وأبي بكرٍ النَّيسابوريِّ.

وكان آيةً في الحِجَاجِ والمُناظرةِ، عابِدًا عامِلًا مُتواضِعًا.

ـ ومثلُ يونسَ بنِ عبدِ الأعلى بنِ موسى:

قرأَ على وَرْشٍ، وأَقرَأَ وسمِعَ على سفيانَ بنِ عيينةَ، وابنِ وهبٍ، والوليدِ بنِ مُسلمٍ وجماعةٍ، ولازمَ الشَّافعيَّ وتفقَّه عليه.

قرأَ عليه: محمدُ بنُ الرَّبيعِ، وابنُ خزيمةَ، وأبو بكر بنُ زيادٍ النَّيسابوريُّ وغيرُهم، وكان عارفًا عامِلًا ورِعًا، فاضِلًا نبيلًا عاقِلًا، أثنى الشَّافعيُّ على عقلِه.

ـ ومثلُ ابنِ عبدِ الحكمِ محمدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ الحكمِ:

سَمع مِن: أبيهِ، ومِن ابنِ وهبٍ، وأبي ضَمْرَةَ، وبِشرِ بنِ بكرٍ، وأيوبَ بنِ سُوَيدٍ، وشُعيبِ بنِ اللَّيثِ وجماعةٍ.

لَزِمَ الشَّافعيَّ منذُ قدِمَ مصرَ، وأكثرَ عنه وتفقَّه.

رَوى عنه: النَّسائيُّ، وابنُ خُزيمةَ، وابنُ صاعِدٍ، وابنُ أبي حاتمٍ، وأبو بكرِ بنُ زيادٍ وآخرون.

وكان الشَّافعيُّ مُعجَبًا به؛ لذكائِه وحرصِه، وكان أهلُ مصرَ لا يَعدِلون به أحدًا.

وقال المُزنيُّ: نظرَ الشَّافعيُّ إليه، فاتبَعه بصرَه فقال: وَدِدت لو أنَّ لي ولدًا مثلَه وعليَّ ألفُ دينارٍ لا أجدُ لها قضاءً.

وقال أبو إسحاقَ الشِّيرازيُّ: انتهتْ إليه رئاسةُ العِلمِ بمِصر.

وكان الشَّافعيُّ قد نزلَ على أبيه عبدِ اللهِ أوَّلَ ما قدِمَ، ثمَّ لمَّا ماتَ دُفنَ في تُربتِهم.

ـ ومثلُ الرَّبيعِ بنِ سليمانَ بنِ عبدِ الجبارِ:

سمِعَ مِن: عبدِ اللهِ بنِ وهبٍ، وأيوبَ بنِ سوَيدٍ، وبِشرِ بنِ بكرٍ، وأسدِ بنِ موسى، وسمِعَ مِن الشَّافعيِّ ولازمَه، وتَحقَّقَ بصُحبتِه، وانتَشرَ عنه عِلمُه.

رَوى عنه: أبو داودَ، والنَّسائيُّ، وابنُ ماجه، والتِّرمذيُّ بالإجازةِ، وأبو زُرعةَ، وأبو حاتِمٍ، وابنُ أبي حاتمٍ، وزكريا السَّاجيُّ، والطَّحاويُّ، وأبو محمدِ بنُ صاعدٍ، وآخرون.

وللشَّافعيِّ مِن كبارِ الرُّواةِ ومَشاهيرِ الأصحابِ ما أضربْنا عنه خوفَ الإطالةِ، وقد أكثرَ الأئمَّةُ مِن مَشايخِه وأقرانِه مِن الثَّناءِ عليه رضي الله تعالى عنه.

* * *

فصلٌ في ثناءِ الأئمَّةِ عليه

وقد أكثرَ الأئمَّةُ وعلماءُ الأمَّةِ مِن الثَّناءِ عليه، وأطنبوا في ذكره، لا سيَّما الإمامُ الجليلُ أحمدُ بنُ حنبلٍ.

قال عبدُ اللهِ بنُ أحمدَ: «كان أبي يَصِفُ الشَّافعيَّ فيُطنبُ في وصفِه، وقد كَتَبَ عنه أبي حديثًا كثيرًا، وكَتَبَ مِن كُتبِه بعدَ موتِه أحاديثَ كثيرةً ممَّا كانَ سمعه منه».

وقال البَغَويُّ: «سمعتُ أحمدَ بنَ حنبلٍ يقولُ: كان الفِقهُ قُفلًا على أهلِه حتَّى فتَحَه اللهُ بالشَّافعيِّ».

وقال أبو داودَ: «ما رأيتُ أحمدَ يميلُ إلى أحدٍ ميلَه إلى الشَّافعيِّ».

وقال الفَضلُ بنُ زيادٍ: «سمعتُ أحمدَ بنَ حنبلٍ يقولُ: ما أحدٌ مسَّ مَحبرةً ولا قلمًا إلَّا وللشَّافعيِّ في عُنقِه مِنَّةٌ».

قال الإمامُ النَّوويُّ[1]: «هذا قولُ إمامِ أصحاب الحديثِ وأهلِه، ومَن لا يَختلِفُ الناسُ في ورعِه وفضلِه»، ثمَّ قالَ: «إنَّ الإمامَ أحمدَ قال[2]: إنَّ الشَّافعيَّ مكَّنَه اللهُ تعالى مِن أنواعِ العُلومِ حتّى عجَزَ لدَيه المُناظِرونَ مِن الطَّوائف، وأصحابِ الفُنونِ».

وقال عبدُ اللهِ بنُ أحمدَ: «سمعتُ أبي يقول: لولا الشَّافعيُّ ما عَرفْنا فِقهَ الحديثِ».

وقال محمدُ بنُ عوفٍ: «سمعتُ أحمدَ بنَ حنبلٍ يقول: الشَّافعيُّ فيلسوفٌ في أربعةِ أشياءَ: في اللُّغةِ واختلافِ الناسِ والمعاني والفِقهِ».

---

(١) «تهذيب الأسماء واللغات» (١/ ٥٠).

(٢) الذي في «تهذيب الأسماء واللغات»: أنَّ هذا مِن تتمَّة كلام النووي، وليس نقلاً عن الإمام أحمد، والله أعلم.

وقال جعفرُ بنُ أحمدَ: «قال أحمدُ بنُ حنبلٍ: كلامُ الشَّافعيِّ في اللُّغةِ حُجَّةٌ».

وقال إبراهيمُ الحربيُّ: «سألتُ أحمدَ عن الشَّافعيِّ فقال: حديثُه صحيحٌ، ورأيُه صحيحٌ».

وقال يحيى بنُ المُختارِ: «سمعتُ أحمدَ ـ وذكرَ الشَّافعيَّ ـ فقال: ما رأيتُ أفصحَ مِنه، ولا أفهمَ للعلومِ منه».

وقال أبو إسماعيلَ التِّرمذيُّ: «سمعتُ أحمدَ يقول: رحمَ اللهُ الشَّافعيَّ لقد كان يذُبُّ عن الآثارِ».

وقال المَيْمُونيُّ: «قال لي أحمدُ بنُ حنبلٍ: ما لكَ لا تَنظُرُ في كُتبِ الشَّافعيِّ؟! ما مِن أحدٍ وَضعَ الكُتبَ منذُ ظَهرت السُّنَّةُ أتبعَ مِن الشَّافعيِّ».

وقال محمدُ بنُ عبدِ الرَّحمنِ: «سمعتُ أحمدَ بنَ حنبلٍ يقول: كانت أقضيَتُنا في أيدي أصحابِ أبي حنيفةَ ما تُنزعُ حتّى رأينا الشَّافعيَّ، فكان أفقهَ الناسِ في كتابِ اللهِ، وفي سنَّةِ رسولِ اللهِ».

وقال إسحاقُ بنُ راهُويه: «لقيني أحمدُ بنُ حنبلٍ بمكَّةَ فقال: تعالَ أُريكَ رَجلًا لم ترَ عيناكَ مِثلَه، قال: فجاءَ فأقامَني على الشَّافعيِّ».

وقال محمدُ بنُ الفَضلِ: «سمعتُ أبي يقول: حجَجتُ مع أحمدَ بنِ حنبلٍ فنزَلتُ في مكانٍ معه، فخرجَ باكرًا وخرجتُ بعدَه، فدُرتُ المسجدَ فلم أجدْه في مسجدِ ابنِ عُيينةَ ولا غيرِه، حتّى وجدتُه جالسًا مع أعرابيٍّ، فقلتُ: يا أبا عبدِ اللهِ تركتَ ابنَ عُيينةَ وجئتَ إلى هذا؟! فقال: لي اسكُتْ إنَّك إنْ فاتَكَ حديثٌ بعلوٍّ وجدَّته بنزولٍ، وإنْ فاتَك عقلُ هذا أخافُ ألا تَجدَه، ما رأيتُ أحدًا أفقَه في كتابِ اللهِ مِن هذا الفتى، قلت: مَن هذا؟ قال: محمدُ بنُ إدريسَ الشَّافعيُّ».

وقال صالحُ بنُ الإمامِ أحمدَ: «جاءَ الشَّافعيُّ إلى أبي زائرًا وهو عليلٌ يعودُه، فوثبَ أبي إليه، فقبَّل ما بينَ عينَيه، وأجلسَه في مِكانِه، وجلسَ بينَ يدَيه، فلمَّا قامَ ليركبَ راحَ أبي فأخذَ بركابِه ومشى معَه».

ورَوى الخطيبُ[1] مِن طريقِ صالحِ بنِ أحمدَ قال: «مشى أبي مع بَغلةِ الشَّافعيِّ، فبعثَ إليه يحيى بنُ مَعينٍ ـ يعني: يعاتبُه ـ فقال أحمدُ: لو مشيتَ مِن الجانبِ الآخرِ كان أنفعَ لك».

وفي روايةٍ أُخرى: «مشى أبي مع بَغلةِ الشَّافعيِّ، فبعثَ إليهِ يحيى بنُ مَعينٍ فقال له: يا أبا عبدِ اللهِ، ما رضيتَ إلَّا أن تمشيَ مع بغلةِ الشَّافعيِّ! فقال: يا أبا زكريا، لو مشَيتَ مِن الجانبِ الآخرِ كانَ أنفعَ لك».

ورَوى ابنُ عَديٍّ مِن وجهٍ آخرَ: «أنَّ الشَّافعيَّ لما قدِمَ بغدادَ لزمَه أحمدُ يمشي مع بغلتِه، فأخلى الحلْقةَ التي كانَ يجتمعُ فيها مع يحيى بنِ مَعينٍ وأقرانِه»، فذكر نحوَه.

وفي روايةٍ أَخرجها أبو نُعيمٍ[2] قال: «فقال أحمدُ ليحيى: إنْ أردتَ الفِقهَ فالزمْ ذنبَ البَغلةِ».

وقال الفضلُ بنُ زيادٍ: «قال أحمدُ: هذا الذي ترونَ كلَّه أو عامَّتَه مِن الشَّافعيِّ، وما بِتُّ منذُ ثلاثينَ سنةً إلَّا وأنا أدعو اللهَ للشَّافعيِّ واستغفر له».

وقال الغزاليُّ في «الإحياءِ»[3]: «أربعينَ سنةً».

---

(١) «تاريخ بغداد» (٢/ ٤٠٦).

(٢) «حلية الأولياء» (٩/ ٩٩).

(٣) «إحياء علوم الدين» (١/ ٢٦)، ورواه بالوجهَين البيهقيُّ في «مناقب الشافعي» (٢/ ٢٥٤).

ولكثرةِ دعائِه له قال له ابنُه: «أيُّ رجلٍ كان الشَّافعيُّ حتّى تدعو له كلَّ هذا الدُّعاءِ؟! فقال: يا بُنيَّ، كان الشَّافعيُّ كالشَّمسِ للدُّنيا، وكالعافيةِ للنَّاسِ».

فرحمةُ الله تعالى على هذا الإمامِ حيثُ عرفَ الإنصافَ لأهلِه.

وقال عبدُ الرَّحمنِ بنُ مهديٍّ: «سمعتُ مالكًا يقول: ما يأتيني قُرشيٌّ أفهمُ مِن هذا الفتى»، يعني: الشَّافعيَّ.

وكان إبراهيمُ الحربيُّ يقول: «قال أستاذُ الأُستاذِينَ... فقيل له: مَن هو؟ فقال: الشَّافعيُّ، أليسَ هو أستاذُ أحمدَ بنِ حنبلٍ؟!».

قلت: كفى الشَّافعيَّ شرَفًا ومِدحةً أنَّ أحمدَ بنَ حنبلٍ تلميذُه، وكفى أحمدَ شرفًا أنَّ الشَّافعيَّ شيخُه.

وقال ابنُ بنتِ الشَّافعيِّ: «سمعتُ أبي يقول: كنَّا عندَ ابنِ عُيينةَ وكان إذا جاءَ شيءٌ مِن التَّفسيرِ والفُتيا يُسألُ عنها التَفتَ إلى الشَّافعيِّ فقال: سَلوا هذا».

ولمَّا قيلَ لسفيانَ بنِ عُيينةَ: ماتَ محمدُ بنُ إدريسَ فقال: «إنْ كان ماتَ فقد ماتَ أفضلُ أهلِ زمانِه»، أخرجَه البيهقيُّ[1].

وقال الحُميديُّ: «كان ابنُ عُيينةَ ومُسلمُ بنُ خالدٍ وسَعيدُ بنُ مُسلمٍ وعبدُ المَجيدِ بنُ عبدِ الحَميدِ وشيوخُ أهلِ مكَّةَ يَصفونَ الشَّافعيَّ، ويَعرِفونَه مِن صغرِه، مُقدَّمًا عندَهم بالذَّكاءِ والعقلِ والصِّيانةِ، لم تُعرفْ له صَبوةٌ».

وقال الحُميديُّ: «سمعتُ الزِّنجيَّ ابنَ خالدٍ ـ يعني: مُسلِمًا ـ يقول للشَّافعيِّ: أفتِ يا أبا عبدِ اللهِ، فقد آن لك واللهِ أنْ تُفتي، وهو ابنُ خمسَ عشرةَ سنةً».

---

(١) «مناقب الشافعي» (٢/ ١٧٥).

وأخرجَ الخطيبُ[1] مِن طريقٍ أُخرى عن الرَّبيعِ عن الحُميديِّ قال: «قال مُسلمُ بنُ خالدٍ للشَّافعيِّ: أفتِ الناسَ فقد آن لك واللهِ أن تُفتي».

وقال محمدُ بنُ الحسنِ: «إنْ تكلَّمَ أصحابُ الحديثِ يومًا فبلسانِ الشَّافعيِّ»[2].

وقال الحسينُ بنُ عليٍّ الكَرابيسيُّ: «سمعتُ الشَّافعيَّ يقول: سمعتُ محمدَ بنَ الحسنِ ما لا أُحصيه يقولُ لأصحابه: إنْ تابعَكم الشَّافعيُّ فما عليكم مِن حِجازيٍّ بعدَه كُلفَة».

وقال يحيى بنُ أكثمَ عن الشَّافعي: «كنَّا عند محمدِ بنِ الحسنِ في المُناظرةِ، فكان الشَّافعيُّ رَجلًا قُرَيشيَّ العَقلِ والفَهمِ والذِّهنِ، صافيَ العَقلِ والفَهمِ والدِّماغِ، سريعَ الإصابةِ، ولو كان أمعنَ في الحديثِ لاستغنَتْ به أُمَّةُ محمدٍ ﷺ عن غيرِه مِن العلماء».

وقال يحيى بنُ سعيدٍ القطَّانُ: «إنِّي لأدعو اللهَ للشافعيِّ في كلِّ صلاةٍ أو في كلِّ يومٍ»، لِما فتَحَ اللهُ عليه مِن العلمِ ووفَّقه السَّدادَ فيه[3]، رواه ابنُ أبي حاتمٍ[4].

وقال يحيى بنُ سعيدٍ القطَّانُ أيضًا: «إنِّي لأدعو اللهَ للشَّافعيِّ أخصُّه بذلكَ»، رواه البيهقيُّ[5].

وقال أيضًا: «ما رأيتُ أعقلَ أو أفقَه منه»، يعني: الشَّافعيَّ.

---

(١) «تاريخ بغداد» (٢/ ٤٠٣).

(٢) «تهذيب الأسماء واللغات» (١/ ٥٠)، ثم قال عقبَ العبارة: «يعني: لما وضع مِن كُتبه».

(٣) الذي يفهم من «آداب الشافعي ومناقبه»: أنَّ هذه التعليلَ مِن كلام ابن أبي حاتم.

(٤) «آداب الشافعي ومناقبه» (١/ ٣٢).

(٥) «مناقب الشافعي» (٢/ ٢٤٣).

وقال ابنُ وهبٍ: «الشَّافعيُّ مِن أئمَّةِ العلماءِ».

وقال عبدُ الرَّحمنِ بنُ مهديٍّ: «ما أُصلي صلاةً إلَّا وأنا أدعو للشَّافعيِّ فيها».

وقال أبو عُبيدٍ القاسمُ بنُ سلامٍ: «ما رأيتُ رجلًا أعقلَ مِن الشَّافعيِّ»، وفي روايةٍ: «ولا أَورعَ ولا أَفصحَ».

وقال ابنُ بنتِ الشَّافعيِّ: «دخلَ الشَّافعيُّ على هارونَ الرَّشيدِ فسمِعَ كلامَه فقال: أكثرَ اللهُ في أَهلي مِثلَك».

وقال مَعمَرُ بنُ شَبيبٍ: «سمعتُ المأمونَ يقول: امتَحنتُ محمدَ بنَ إدريسَ في شيءٍ فوجدتُه كامِلًا».

وقال أيوبُ بنُ سويدٍ: «ما ظننتُ أنَّي أعيشُ حتّى أَرى مِثلَ هذا الرَّجلِ قط».

وقال الزَّعفرانيُّ: «ما رأيتُ أفضلَ ولا أكرمَ ولا أَسخَى ولا أَتقى ولا أَعلمَ منه».

وقال أيضًا: «كان أصحابُ الحديثِ رُقودًا حتّى أيقظَهم الشَّافعيُّ رضي الله عنه».

وقال قتيبةُ بنُ سعيدٍ: «رأيتُ الشَّافعيَّ بمكَّةَ فذَكر قصَّةً فقال: لو وصلتُ إلى كلامِه لكتبتُه، ما رأَت عينايَ أكيسَ منه».

وقال ابنُ عبدِ الحَكمِ: «قال لي أبي: يا بُنيَّ، الزم هذا الرَّجلَ، فما رأيتُ أبصرَ منه بأصولِ الفِقه»، أو قال: «بأصولِ العلمِ».

وقال عليُّ بنُ المَدينيِّ لعلي بنِ المُباركِ: «عليكَ بكُتبِ الشَّافعيِّ».

وقال محمدُ بنُ عليِّ بنِ المَدينيِّ: «قال لي أبي: لا تَترُكْ للشَّافعيِّ حرفًا واحدًا إلَّا كتبتَه، فإنَّ فيه مَعرِفةً».

وأخرجَ ابنُ أبي حاتمٍ[١] مِن طريقِ حُسينِ بنِ عليٍّ الكرابيسيِّ قال: «ما كنّا نَدري ما الكتابُ والسُّنَّةُ والإجماعُ حتّى سمعْنا [مِن][٢] الشّافعيِّ: الكتابَ والسُّنَّةَ والإجماعَ».

وقال يونسُ بنُ عبدِ الأعلى: «ما رأيتُ أحدًا أعقلَ مِن الشّافعيِّ، لو جُعلَتْ أمّةٌ في عَقلِ الشّافعيِّ لوَسعهم عَقلُه».

وقال الرَّبيعُ بنُ سليمانَ: «لو وُزنَ عقلُ الشّافعيِّ بنصفِ عقلِ أهلِ الأرضِ لرَجَحَهم، ولو كان في بني إسرائيلَ لاحتاجوا إليه».

وقال يحيى بنُ أكتمَ: «ما رأيتُ رجلًا أعقلَ مِن الشّافعيِّ».

وحكى إسحاقُ بنُ رَاهويه مناظرَته مع الشّافعيِّ ثمَّ قال: «نظرْنا بعدُ في كتُبِه، فوجَدْنا الرَّجلَ مِن علماءِ الأُمَّةِ».

وقال إمامُ أهلِ الظّاهرِ داودُ الظّاهريُّ: «قال لي إسحاقُ بنُ راهويه: ذهبتُ أنا وأحمدُ بنُ حنبلٍ إلى الشّافعيِّ بمكّةَ، فسألتُه عن أشياءَ فوجدتُه فصيحًا حسنَ الأدبِ، فلمّا فارقْناه أعلمَني جماعةٌ مِن أهلِ الفَهم بالقُرآنِ: أنَّه أعلمُ الناسِ في زمانِه بمعاني القُرآنِ، وأنَّه قد أُوتي فيه فَهمًا، فلو كنتُ عرفتُه للزِمتُه»، قال داودُ: «فرأيتُه يتأسَّفُ على ما فاتَه منه»[٣].

وفي روايةٍ قال لي إسحاقُ: «لو علمتُ أنَّه بهذا المَحلِّ لم أفارقْه».

---

(١) «آداب الشافعي ومناقبه» (١/ ٤٣).

(٢) ما بينَ معكوفَتين مِن «آداب الشافعي ومناقبه»، وفي بعض النسخ: «الشافعي يقول».

(٣) نَقَله ابنُ حجرٍ في «توالي التأسيس» (ص١٣٥).

وقال الحسنُ بنُ عليٍّ القُرطبيُّ: «كنتُ عندَ أبي ثَورٍ فجاءَه رجلٌ فقال: سمعتُ فُلانًا يقولُ قولًا عَظيمًا، سمعتُه يقولُ: الشَّافعيُّ أفقهُ مِن الثَّوريِّ! فقال أبو ثورٍ: أَفتُنكرُ أنْ يقالَ: الشَّافعيُّ أفقَه مِن الثَّوريِّ؟! هو عندِي أفقَه مِن النَّخعيِّ ومِن الثَّوريِّ»، وقال أبو ثورٍ: «ما رأيتُ مثلَ الشَّافعيِّ، ولا رأى الشَّافعيُّ مثلَ نفسِه».

وكان الحُمَيديُّ إذا ذُكرَ عندَه الشَّافعيُّ يقولُ: «حدَّثنا سيدُ الفقهاءِ».

وقال الإمامُ مسلمٌ في مسألةٍ: «هذا قولُ أهلِ العِلمِ بالحديثِ، ممَّن يُعرَفُ بالفقهِ فيه والاتِّباعِ له، منهم: يحيى القطانُ، وعبدُ الرَّحمنِ بنُ مهديٍّ، ومحمدُ بنُ إدريسَ الشَّافعيُّ، وأحمدُ، وإسحاقُ»[١].

وهكذا يقولُ التِّرمذيُّ في عدَّةِ مواضِعَ مِن جامِعِه[٢].

وقال الرَّبيعُ وقد ذُكِرَ الشَّافعيُّ: «لو رأيتُموه لقلْتُم: إنَّ هذه ليسَتْ كتبَه، كان واللهِ لسانُه أكبرَ مِن كتبِه».

وقال عليُّ بنُ معبدٍ: «ما عَرفْنا الحديثَ حتّى جاءَنا الشَّافعيُّ».

وقال أبو نُعيمٍ الفَضلُ: «ما رأينا ولا سمِعنا أعقلَ عقلًا، ولا أحضر فهمًا، ولا أَجمعَ عِلمًا مِن الشَّافعيِّ».

وقال حجَّاجُ بنُ الشَّاعرِ: «مَنَّ اللهُ على هذه الأمَّةِ بأربعةٍ: الشَّافعيُّ تفَقَّه في الحديثِ، وأحمدُ تمسَّكَ بالسُّنةِ، وأبو عُبيدٍ فسَّرَ الغريبَ، ويحيى بنُ مَعينٍ نفَى الكذِبَ عن حديثِ رسولِ اللهِ ﷺ».

---

(١) كلام الإمام مسلمٍ هذا في كتابه: «الانتفاع بجلود السباع»، نصَّ على ذلك ابنُ حجر في «تهذيب التهذيب»، وذَكر قولَ الإمامِ مسلم بتمامه البيهقيُّ في «بيان خطأ مَن خطّأ الشافعي» (ص٣٣٢).

(٢) ذِكر الترمذيِّ للشافعيِّ في «جامعه» كثيرٌ جدًّا، فمِن ذلك: (١/ ٥٩، ٦٨، ٧٣).

وقال قُتيبةُ بنُ سعيدٍ: «ماتَ الثَّوريُّ وماتَ الورعُ، وماتَ الشَّافعيُّ وماتَت السُّننُ، ويموتُ أحمدُ وتظهَرُ البِدعُ»، وقال أيضًا: «الشَّافعيُّ إمامٌ».

وقال أحمدُ بنُ سِنانٍ: «لولا الشَّافعيُّ لاندرسَ العِلمُ بالسُّننِ».

وقال أبو القاسمِ الجُنيدُ: «كان الشَّافعيُّ مِن المُريدِينَ النَّاطقينَ بلسانِ الحقِّ في الدِّينِ»[1].

وقال أبو زُرعةَ: «ما أعلمُ أَحدًا أعظمَ منَّةً على أهلِ الإسلامِ مِن الشَّافعيِّ».

وأَخرج الخطيبُ عن ابنِ عبدِ الحَكمِ قال: «ما رأينا مِثلَ الشَّافعيِّ، كانَ أصحابُ الحديثِ ونُقَّادُه يجيئونَ إليه فيَعرِضون عليه، فربَّما أَعلَّ نقْدَ النُّقادِ منهم، ووقَّفهم على غوامضَ مِن نقلِ الحديثِ لم يَقفوا عليها، فيَقومونَ وهم يتَعجَّبونَ، ويأتيه أصحابُ الفقهِ المُخالِفونَ والموافِقونَ، فلا يقومونَ إلَّا وهم مُذعِنونَ لهُ بالحِذْقِ والدِّرايةِ، ويَجيئه أصحابُ الأدبِ فيقرؤون عليه الشِّعرَ فيُفَسِّرُه، ولقد كان يحفَظُ عشرةَ آلافٍ مِن شعرِ هُذَيلٍ بإعرابِها وغَرائِبها ومَعانيها، وكانَ مِن أضبطِ الناسِ للتاريخِ، وكان يُعينُه شيئانِ: وفورُ عقلٍ، وصحَّةُ ذِهنٍ، ومَلاكُ أمرِه: إخلاصُ العملِ لله تعالى»[2].

وقال المبرِّدُ: «رحمَ اللهُ الشَّافعيَّ، فإنَّه كان مِن أشعرِ الناسِ، وآدبِ الناسِ، وأعرفِهم بالقُرآنِ».

وقال أبو حسانٍ الزَّياديُّ: «ما رأيتُ أحدًا أقدرَ على انتزاعِ المعاني مِن القرآنِ، والاستشهادِ على ذلك مِن اللُّغةِ مِن الإمامِ الشَّافعيِّ».

---

(١) أسنده البيهقيُّ في «مناقب الشافعي» (٢/ ١٧٨)، ونَقَله ابنُ حجرٍ في «توالي التأسيس» (ص١٤٢).

(٢) نَقَله ابنُ حجرٍ في «توالي التأسيس» (ص١٣٧).

وقال ثعلبٌ: «يُؤخذُ عن الشَّافعيِّ اللُّغةُ[1]، وهو مِن بيتِ اللُّغةِ، يجبُ أنْ يُؤخذَ عنه؛ لأنه مِن أهلِها».

وقال عبدُ الملكِ بنُ هشامٍ النَّحويُّ[2]: «طالَت مُجالسَتُنا للشَّافعيِّ، فما سمعتُ منه لَحنَةً قط».

وقال أحمدُ بنُ يسارٍ: «لولا الشَّافعيُّ لدُرِسَ الإسلامُ»[3].

رضي الله عنه، وبالجملةِ: فثناءُ الأئمَّةِ عليه ومَدحُهم له ممَّا يطولُ ذِكرُه.

ولقد أحسنَ الإمامُ داودُ بنُ عليٍّ الأصبهانيُّ إمامُ أهلِ الظَّاهرِ حيث قال فيما أخرجَه البيهقيُّ مِن طريقِه[4]:

«اجتمعَ للشَّافعيِّ مِن الفضائلِ ما لم يَجتمعْ لغيرِه، فأوَّلُ ذلكَ:

- شرفُ نسبِه ومنصبِه، وأنَّه مِن رهطِ النَّبيِّ ﷺ.

- ومِنها: صحَّةُ الدِّينِ وسلامَةُ المُعتَقدِ مِن الأَهواءِ والبِدعِ.

- ومنها: سَخاوةُ النَّفسِ.

- ومنها: معرفتُه بصحيحِ الحديثِ وسقيمِه، وناسِخِ الحديثِ ومَنسوخِه.

- ومنها: حِفظُه لكتابِ اللهِ ولأخبارِ رسولِ اللهِ ﷺ، ومعرفتُه بسيرِ النَّبيِّ ﷺ وسيرِ خلفائِه.

---

(١) العبارة في «توالي التأسيس» (ص١٣٥): «يأخذون على الشافعي».

(٢) هو الإمام النحويُّ الأخباريُّ عبدُ الملك بنُ هشامٍ الذهليُّ صاحبُ السيرة، (ت٢١٨).

(٣) نَقَله ابنُ حجرٍ في «توالي التأسيس» (ص١٤١)، والإسلامُ محفوظٌ بالشافعيِّ رضي الله عنه وبغيره، ولن يضره فقدُ عالم، ولا ذهابُ إمام!

(٤) «مناقب الشافعي» (٢/ ٣٢٤).

ـ ومنها: كشفُه التَّمويهَ لمخالفيه.

ـ و[منها] (١): تأليفُه الكتبَ.

ـ ومنها: ما اتَّفقَ له مِن الأصحابِ مثلَ أبي عبدِ الله أحمدَ في زهدِه وعِلمِه وإقامتِه على السُّنَّةِ، ومِثلَ سليمانَ بنِ داودَ الهاشميِّ، والحُمَيديِّ، والكَرابيسيِّ، وأبي ثورٍ، والزَّعفرانيِّ، والبُوَيطيِّ، وحَرملةَ، والرَّبيعِ، والحارثِ بنِ سُريجٍ، والقائمِ بمذهبِه أبي إبراهيمَ المُزنيِّ، ولمْ يَتفِقْ لأحدٍ مِن العلماءِ والفقهاءِ ما اتَّفقَ لهُ مِن ذلكَ».

وأخرجَ الحاكمُ مِن طريق الإمامِ داودَ بنِ عليٍّ أيضًا أنَّه قال في مَسألةٍ ذَكَرَها: «هذا قولُ مُطَّلبيِّنا الشَّافعيِّ، الذي عَلاهم بِنُكتِه، وقهرَهم بأدلَّتِه، وبانَهم (٢) بشَهامتِه، وظَهرَ عليهم بحمازتِه، التقيُّ في دينِه، النَّقيُّ في حسَبِه، الفاضلُ في نفسِه، المُتمسِّكُ بكتاب ربِّه، المُقتَدي قُدوةَ رَسولِه، الماحي لآثارِ أهلِ البِدعِ، الذَّاهبُ بجَمرتِهم، الطَّامسُ لسُنَّتِهم، فأصبَحوا كما قال تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَـٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾».

* * *

فصلٌ في سَعةِ علمِه وإخلاصِه فيه، وتعظيمِه الحديث

قال هارونُ بنُ سعيدٍ: «سمعتُ الشَّافعيَّ يقول: لولا أنْ نُطوِّلَ على الناسِ؛ لوضعتُ في كلِّ مسألةٍ جُزءَ حُجَجٍ وبيانٍ».

وقال الرَّبيعُ: «أقامَ الشَّافعيُّ هاهنا أربعَ سنينَ ـ يعني: بمصرَ ـ فأَملى ألفًا وخمسَ مِئةِ ورقةٍ، وخَرجَ كتابُ «الأمِّ» ألفَي ورقةٍ، وكتابُ «السُّننِ»، وأشياءُ كثيرةٌ

(١) ما بينَ معكوفتينِ زيادةٌ مِن «مناقب الشافعي» للبيهقي.

(٢) في «توالي التأسيس» (ص١٤٣): «باينهم».

كلُّها في مدَّةِ أربعِ سنينَ، وكانَ عليلًا شديدَ العِلَّة، وربَّما خَرجَ وهو راكبٌ حتّى تمتلئَ سراويلُه وخفُّه»، يعني: مِن البواسيرِ(١).

وقال الرَّبيعُ أيضًا: «لمَّا قدِم الشَّافعيُّ مصرَ وقَعَدَ في مَجلسِه، كانَ يُجالسُه رؤساءُ أصحابِ الحِلَقِ: عبدُ اللهِ بنُ عبدِ الحكمِ ونُظراؤُه، وكان الشَّافعيُّ حسَنَ الوجهِ والخُلقِ، مُحبَّبًا إلى أهلِ مصرَ مِن الفُقهاءِ والنُّبلاءِ والأعيانِ، وكان يَجلسُ في حلْقتِه إذا صلّى الصُّبحَ، فيَجيءُ أهلُ القرآنِ، فيَسألونه عن معانيه وتفسيرِه، فإذا ارتَفعت الشَّمسُ قاموا وجاء أهلُ الحديث، فسألوه عن معانيه وتفسيره، فإذا ارتفعتِ الشمسُ قاموا، واستقرَّت الحلقةُ للمُناظرةِ والمُذاكرةِ، فإذا ارتَفع النَّهارُ تفرَّقوا، وجاءَ أهلُ العربيَّةِ والعَروضِ والشِّعرِ والنَّحوِ حتّى يقرُبَ انتِصافُ النَّهارِ، ثمَّ ينصَرفُ إلى منزلِه.

وقال المُزنيُّ: «قيلَ للشَّافعيِّ: كيفَ شهوتُك للعلمِ؟ قال: أسمعُ بالحرفِ ممَّا لم أسمعْهُ فتودُّ أعضائي أنَّ لها أسماعًا تتنعَّم به مِثلَ ما تَنعَّمَت الأذنانُ، فقيلَ له: فكيفَ حِرصُك عليه؟ قال: حِرصُ الجَموعِ المَنوعِ في بلوغِ لذَّتِه للمال، فقيل له: فكيفَ طلبُك له؟ قال: طلبُ المرأةِ المُضِلَّةِ ولدَها ليسَ لها غيرُه».

وقال الرَّبيعُ: «سمعتُ الشَّافعيَّ يقولُ وهو مريضٌ، وذَكرَ ما جَمعَ مِن الكتبِ، فقال: وددتُ أنَّ الخَلقَ تعلَّموه، ولا يُنسبُ إليَّ منه شيءٌ».

وقال حَرملةُ: «سمعتُ الشَّافعيَّ يقول: وددتُ أنَّ كلَّ عِلمٍ أَعلمُه تعلَّمَه الناسُ، أُؤجرُ عليه ولا يَحمدونَني».

وقال البُويطيُّ: «سمعتُ الشَّافعيَّ يقولُ: لقد أَلَّفتُ هذه الكُتبَ ولم آلُ فيها،

---

(١) «توالي التأسيس» (ص١٩٤).

ولا بدَّ أنْ يوجدَ فيها الخطأُ؛ لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، فما وجدتُم في كُتبي هذه ممّا يُخالفُ الكتابَ والسُّنةَ فقد رجعتُ عنه».

وقال الرَّبيعُ: «سمعتُ الشَّافعيَّ يقولُ: إذا وجدتُم في كتابي خِلافَ سُنةِ رسولِ اللهِ ﷺ، فقولوا بها، ودَعوا ما قلتُه».

قال: «وسمعتُه يقولُ: متى رَويتُ عن رسولِ الله ﷺ حديثًا صَحيحًا ولم آخذْ به، فأُشهدُكم أنَّ عقليَ قد ذَهب»، أخرجه البيهقيُّ[1].

وقال أيضًا: «سمعتُ الشَّافعيَّ يقول: كلُّ مسألةٍ تكلمتُ فيها، وصحَّ الخبرُ فيها عن النَّبيِّ ﷺ عندَ أهلِ النَّقدِ[2] بخلافِ ما قلتُ، فأنا راجعٌ عنها في حياتي، وبعدَ موتي».

وقال أيضًا: «سمعتُ الشَّافعيَّ يقول: أيُّ سماءٍ تُظِلُّني؟! وأيُّ أرضٍ تُقلُّني؟! إذا رَويتُ عن رسولِ الله ﷺ حديثًا ولم أقُلْ به».

وقد اشتهرَ عنهُ قولُه: «إذا صحَّ الحديثُ فهو مَذهبي»[3].

وقال الحُمَيديُّ: «سألَ رجلٌ الشَّافعيَّ عن مسألةٍ فأفتاهُ، وقال: قال النَّبيُّ ﷺ: كذا، فقال الرَّجلُ: أتقولُ بهذا؟ فقال: يا هذا، أرأيتَ في وَسَطي زِنَّارًا؟! أرأَيتَني خارجًا مِن كنيسةٍ؟! أقول: قال النبي ﷺ... وتقول لي: أتقول بهذا؟!».

---

(١) «مناقب الشافعي» (١/ ٤٧٤).

(٢) الذي في «مناقب الشافعي»: «النقل».

(٣) اشتهرتْ هذه المقولةُ عن الإمام الشافعيِّ وعن بقيَّةِ الأئمَّة المجتهدين، وقد ألَّف حولَها تقيُّ الدِّين السبكي رسالةً سمّاها: «معنى قول الإمام المطلبي: إذا صحَّ الحديثُ فهو مذهبي».

وقال الإمامُ أحمدُ: «كان الشَّافعيُّ إذا ثبَتَ عندَه الحديثُ قال به، وخَيرُ خصالِه: أنَّه لم يكُن يشتَهي الكلامَ، إنَّما هِمَّتُه الفقهُ».

وقال الإمامُ أحمدُ أيضًا: «أحسنُ أمرِ الشَّافعيِّ: أنَّه كان إذا سمِعَ الخبرَ إنْ لم يكُن عندَه قال به وتَرك قولَه».

وكان رحمَه اللهُ تعالى مُعظِّمًا للحديثِ وأهلِه، فقال البُويطيُّ: «سمعتُ الشَّافعيَّ يقولُ: عليكم بأصحابِ الحديثِ؛ فإنَّهم أكثرُ صوابًا مِن غيرِهم».

وقال الحسينُ بنُ عليٍّ الكَرابيسيُّ: «قال الشَّافعيُّ: كلُّ مُتكلِّمٍ مِن الكِتابِ والسُّنَّةِ فهو الحقُّ، وما سواهَ هذَيانٌ».

وقال الشَّافعيُّ: «إذا رأيتُ رجلًا مِن أصحابِ الحديثِ فكأنَّما رأيتُ رَجلًا مِن أصحابِ النَّبيِّ ﷺ[1]، جزاهم الله خيرًا، حفِظوا لنا الأصلَ، فلهم علينا الفضلُ».

***

فصلٌ في مُناظراتِه وإنصافِه، ونَهيه عن عِلمِ الكلامِ

قال أحمدُ بنُ خالدٍ الخلَّالُ: «سمعتُ الشَّافعيَّ يقول: ما ناظَرتُ أحدًا فأحببْتُ أن يُخطِئَ».

وقال الحسنُ بنُ الصَّبّاح: «سمعتُ الشَّافعيَّ يقول: ما ناظرْتُ أحدًا قطُّ إلَّا على النَّصيحةِ».

وقال أبو الوليدِ: «سمعتُ الشَّافعيَّ يقول: ما ناظرتُ أحدًا قطُّ فأحببتُ أن يُخطِئَ».

---

(١) إلى هنا جاءت مقولةُ الشافعيِّ في «حلية الأولياء» (٩/ ١٠٩)، و«مناقب الشافعي» للبيهقي: (١/ ٤٧٧)، ثم انتشرت العبارة بتمامها فيما بعدُ، والله أعلم.

وقال الحسينُ بنُ عليٍّ الكَرابيسيُّ: «سمعتُ الشَّافعيَّ يقول: ما ناظرتُ أحدًا قطُّ إلَّا أحببتُ أن يُوفَّقَ ويُسدَّدَ ويُعانَ، ويكونَ عليه رعايةٌ مِن اللهِ وحِفظِه، وما ناظرتُ أحدًا إلَّا ولم أبالِ بيَّنَ اللهُ الحقَّ على لِساني أو لسانِه».

وعنه: «ما ناظرتُ أحدًا قطُّ على الغلبَةِ».

وقال أبو عثمانَ بنُ الشَّافعيِّ: «ما سمعتُ أبي يُناظرُ أحدًا قطُّ فيرفَعُ صوتَه».

وقال الرَّبيعُ: «قال الشَّافعيُّ: ما عرضتُ الحُجَّةَ على أحدٍ فقبِلَها إلَّا عَظُم في عينِي، ولا عَرضتُها على أحدٍ فردَّها إلَّا سَقطَ مِن عيني».

وقال أبو عبدِ اللهِ بنُ محمدٍ: «جَلسَ الشَّافعيُّ يومًا في حَلْقَته، فجاءَ غلامٌ حدثٌ فسأَله عن مسألةٍ فأجابه، ثمَّ سأله عن أُخرى فقال: أخطأتَ، فقال له الشَّافعيُّ: أخطأتُ يا بنَ أخي ما في كتابِك، وأمَّا الحقَّ فلا».

وقال الإمامُ أبو ثورٍ: «كنتُ مِن أصحابِ محمدِ بنِ الحسنِ، فلمَّا قدِمَ الشَّافعيُّ جئتُ كالمُستهزِئِ، فسألتُه عن مسألةٍ مِن الدَّورِ فلم يُجبْني، وأخذَ في مسألةٍ مِن فروعِ الصَّلاةِ، فلما كان بعدَ شهرٍ وعَلِمَ الشَّافعيُّ أنَّه قد لزمْتُه للتَّعلُّمِ قال: خذْ مسألتَكَ في الدَّورِ، فإنِّي إنَّما منعَني أنْ أجيبَك يومَئذٍ أنَّكَ كنتَ مُتعبِّنًا[1]».

ورَوى ابنُ أبي حاتمٍ عن أبي ثورٍ قال: «لمَّا وردَ الشَّافعيُّ العراقَ جاءني حسينُ بنُ عليٍّ الكَرابيسيُّ، وكان يختلِفُ معي إلى أهلِ الرَّأي، فقال لي: وَردَ رجلٌ مِن أصحابِ الحديثِ يتفقَّه، فقُم بنا نسخَرُ منهُ، فذَهبْنا إليه فسأَله الحسينُ عن مسألةٍ فلم يزَلْ يقولُ: قال اللهُ، قال رسولُ اللهِ، حتّى أظلَم علينا البيتُ، فتركْنا ما كُنّا فيه، واتَّبعناه».

---

(١) في المصدر والمراجع: «مُتعنتًا».

وقد مرَّ قولُ الإمامِ أحمدَ: «كانت أقضيتُنا في أيدي أصحابِ أبي حنيفةَ، ما تُنزعُ حتى رأينا الشَّافعيَّ، فكان أفقهَ الناسِ في كتابِ اللهِ وفي سُنَّةِ رسولِ اللهِ».

وقال مرَّةً بمكَّةَ: «سَلوني عمّا شئْتُم أخبرُكم عنه في كتابِ اللهِ! فقيل له: ما تقولُ في المُحرِمِ يَقتلُ الزَّنْبورَ؟ فقال: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]، ثمَّ ذَكر حديثَ: «اقتَدوا بالذَين مِن بَعدِي: أَبي بكرٍ وعمرَ»[١]، وإنَّ عمرَ بنَ الخطَّابِ أَمرَ أنْ يَقتلَ المُحرِمُ الزَّنبورَ[٢]».

وقال الزَّعفرانيُّ: «كنّا نَحضرُ مجلِسَ بشرٍ المريسيِّ، وكنّا لا نَقدِرُ على مُناظرتِه، فقدِمَ الشَّافعيُّ فأعطانا كتابَ «الشَّاهِدِ واليَمينِ»، فدرَستُه في ليلتَين، ثمَّ تقدَّمتُ إلى حَلْقةِ بشرٍ فنَاظَرتُه فيه فقَطعتُه، فقال: ليس هذا مِن كيسكَ، هذا مِن كلامِ رَجلٍ رأيتُه بمكَّةَ، معه نصفُ عقلِ أهلِ الدُّنيا».

وقال زكريا السَّاجيُّ: «سمعتُ أبا شُعيبٍ البَصريَّ يقول ـ وأثنى عليه الرَّبيعُ خيرًا ـ قال: حضرتُ الشَّافعيَّ وعن يمينِه عبدُ اللهِ بنُ عبدِ الحكمِ، وعن يسارِه يوسفُ بنُ عمرٍو بنِ يزيدَ، وحَفصٌ الفَردُ حاضِرٌ، فقال: لابنِ عبدِ الحَكمِ ما تقولُ في القُرآنِ؟! فقال: أقولُ: كلامُ اللهِ، فأقبلَ على يوسفَ بنِ عمرٍو فقال: مثلَ ذلكَ، فجَعلَ الناسُ يُومِئونَ إليه أنْ يسألَ الشَّافعيَّ فقال: يا أبا عبدِ اللهِ أجِبْ! فقال: دَع الكلامَ في هذا فأَبى، فقال: القرآنُ كلامُ اللهِ غيرُ مَخلوقٍ، فناظَره وتجاريا في الكلامِ حتّى كفَّرَه الشَّافعيُّ، فقامَ حفصٌ مُغضَبًا، فلقيتُه بعدُ

---

(١) انظر «مسند أحمد» (٣٨/ ٢٨٠)، و«سنن الترمذي» (٦/ ٥٠) وحسَّنه.

(٢) انظر «السنن الكبرى» للبيهقي: (٥/ ٣٤٧).

فـي سـوقِ الدَّجـاجِ بمصرَ فقـال: رأيتَ ما فعلَ بـي الشَّـافعيُّ؟! ثمَّ قال: أمـا إنَّه مع هـذا لا أعلمُ إنسـانًا أعلـمَ منه».

وقال هارونُ بنُ سعيدٍ: «لو أنَّ الشَّافعيَّ رضي الله عنه ناظرَ على هذا العَمودِ الذي مِن حِجارةٍ بأنَّه مِن خَشبٍ لغَلَبَ؛ لاقتِداره على المُناظرةِ».

وقال الرَّبيعُ: «ناظَرَ الشَّافعيَّ رجلٌ فدَقَّقَ، والشَّافعيُّ ثابتٌ يجيبُ ويُصيبُ، فعَدلَ الرَّجلُ إلى الكلامِ في مناظرتِه، فقال له الشَّافعيُّ: هذا غيرُ ما نحنُ فيه، هذا كلامٌ ولستُ صاحبَ كلام، وليتَ المسألةَ مُتعلِّقةٌ به».

وقـال المُزنـيُّ: «سـألتُ الشَّـافعيَّ عـن مسـألةٍ فـي الـكلامِ فقـال: سـلْني عن شـيءٍ إذا أخطـأتُ فيـه قلـتَ: أخطـأتَ، ولا تَسـألْني عـن شـيءٍ إذا أخطـأتُ فيـه قلـتَ: كفـرتَ».

وأخرج الحافظُ ابنُ حجَرٍ[1] بسندِه المُتصلِ إلى الإمامِ أبي ثورٍ وحُسينِ بنِ عليٍّ الكَرابيسيِّ قالا: «سمعْنا الشَّافعيَّ يقولُ: حُكمي في أهلِ الكَلامِ أنْ يُضرَبوا بالجَريدِ، ويُحمَلوا على الإبلِ، ويُطافَ بهم في العشائرِ والقبائِل، ويُنادَى عليهم: هذا جزاءُ مَن تركَ الكتابَ والسُّنَّةَ، وأَقبلَ على الكلامِ».

وقال الرَّبيعُ: «أخبرني مَن سمِعَ الشَّافعيَّ يقولُ: لأنْ يَلقى اللهَ المرءُ بكلِّ ذنبٍ ما خلا الشِّركَ خيرٌ له مِن أنْ يلقاه بشيءٍ مِن هذهِ الأهواءِ».

* * *

---

(١) «توالي التأسيس» (ص١٤٩).

فصلٌ في تَفنُّنِه بالعلوم

كان رحمَه اللهُ تعالى له طُولُ الباعِ، وقوَّةُ المَلَكةِ في سائرِ العلومِ النَّقليَّةِ والعَقليَّةِ.

وقد مرَّ مَدحُ الأئمَّةِ له بالحدِيثِ والفِقهِ والنَّحوِ واللُّغةِ والشِّعر.

حتّى إنه مَهرَ في عِلمِ الطِّبِّ والنُّجومِ.

ـ [أمّا عِلمُ الطِّب]:

أخرجَ أبو نُعيمٍ مِن طريقِ أبي حسينٍ البَصريِّ قال: «سمعتُ طبيبًا بِمِصرَ يقول: ورَدَ الشَّافعيُّ مصرَ فذاكرَني بالطِّبِّ حتّى ظننتُ أنَّه لا يُحسِنُ غيرَه، فقلتُ له: أقرأُ عليكَ شيئًا مِن كلامِ بُقْراطَ؟ فأشارَ إلى الجامع، فقال: إنَّ هؤلاءِ لا يَتركونني».

وقال حرملةُ: «كان الشَّافعيُّ يتلهَّفُ على ما ضيَّعَ المسلمونَ مِن الطِّبِّ، ويقول: ضيَّعوا ثُلثَ العِلمِ، ووَكلوه إلى اليهودِ والنَّصارى»[(١)].

وقال ابنُ عبدِ الأعلى: «سَمعتُ الشَّافعيَّ يقول: احذَر أن تتناولَ لهؤلاءِ الأطباءِ دواءً إلّا دواءً تعرِفُه».

ـ وأمَّا عِلمُ النُّجومِ:

فكان وهو حدثٌ ينظرُ في عِلمِ النُّجومِ، وما نظَرَ في شيءٍ إلّا تفَقَّه فيه وفهِمَه، فجلَس يومًا وامرأةُ رجلٍ تَطْلَقُ فحسَبَ، فقال: تلِدُ جاريةً عوراءَ على فَرجِها خالٌ وتموتُ لكذا، فولَدتْ فكانَ كما قال، فجعلَ على نفسِه ألا ينظُرَ في النُّجومِ أبدًا، ودَفنَ تلكَ الكتبَ التي كانت عندَه، أخرجه الحافِظ ابنُ حجر[(٢)].

---

(١) وكان الشافعيُّ رضي الله عنه يقول أيضًا: «لا أعلم علمًا بعدَ الحلالِ والحرام أنبلَ مِن الطِّب، إلا أنَّ أهلَ الكتابِ قد غلبُونا عليه»، «السير» (١٠/ ٥٧).

(٢) «توالي التأسيس» (ص١٥١).

وأخرجَ الحاكمُ مِن طريقِ حرملةَ قال: «كانَ الشَّافعيُّ يَنظرُ في النُّجوم، وكان له صَديقٌ، فذَكرَ القِصَّةَ، وفيها: فقال: تلِدُ إلى سبعةٍ وعشرينَ يومًا، وقال: في فخذِه الأَيسرِ خالٌ أسودُ، ويعيشُ أربعةً وعشرينَ يومًا، ثمَّ يموتُ فجأةً، وقال فيها: فأحرَقَ الشَّافعيُّ تلكَ الكُتبَ وما عادَ نظرَ في شيءٍ مِن ذلكَ».

ـ وأمّا الرَّميُ:

فقال عمرُو بنُ سَوادٍ: «قال لي الشَّافعيُّ: كانت نَهمَتي في شَيئَين: العِلمُ والرَّميُ، فنِلتُ مِن الرَّمي حتّى كنتُ أُصيبُ مِن عشرةٍ عشرةً»، وفي روايةِ غيرِه: «مِن كلِّ عشرةٍ تِسعةً».

ـ وأمّا الفراسَةُ:

فقال الحُميديُّ: «خرجتُ أنا والشَّافعيَّ مِن مكَّةَ فلقِينا رجلًا بالأَبْطَحِ فقلتُ للشَّافعي: ازكُن[1] ما الرَّجلُ؟ فقال: نجارٌ أو خياطٌ، قال: فلحقتُه فسألتُه فقال: كنتُ نجّارًا وأنا خيَّاطٌ».

وأَخرج الحاكمُ من وجهٍ آخرَ عن قُتيبةَ قال: «رأيتُ محمدَ بنَ الحسنِ والشَّافعيَّ قاعدَينِ بفناءِ الكعبةِ، فمرَّ رجلٌ فقال: أحدُهما لصاحبِه: تعالَ حتّى نَزْكن على هذا أيَّ حِرفةٍ معه؟ فقال: أحدُهما خيَّاطٌ، وقال الآخرُ: نجَّارٌ، فبعثْنا إليه فسألاه، فقال: كنتُ خيّاطًا وأنا اليومَ نجّارٌ».

قال ابنُ حجرٍ: «وسندُ كلٍّ مِن القَصتَينِ[2] صحيحٌ، فيحمَلُ على التَّعدُّدِ، والزَّكَن[3]: الفِراسةُ».

---

(١) جاءت في النُّسخ: «اذكر»، وهو تحريف، والزَّكن: الفراسة، كما يأتي قريباً.

(٢) في النُّسخ: «القضيتين»، والمثبتُ موافقٌ لِما في «توالي التأسيس» (ص١٥٢).

(٣) في النسخ: «التزكن»، والمثبتُ موافقٌ لِما في «توالي التأسيس»، ولِما في كُتب اللغة.

وقال الرَّبيعُ: «مرَّ أخي في صَحنِ الجامعِ فدعاني الشَّافعيُّ فقال: يا ربيعُ هذا المارُّ الذي يمشي أخوكَ؟ قلتُ: نعم، ولم يكُن رآه قبلَ ذلكَ».

وقال المُزنيُّ: «كنتُ مع الشَّافعيِّ في الجامعِ إذ دخلَ رجلٌ يدورُ على النِّيامِ، فقال الشَّافعيُّ للرَّبيعِ: قُم فقل له: ذهب لك عبدٌ أسودُ مصابٌ بإحدى عينَيه؟ فقمتُ، فقلتُ له، فقال: نعم، فقلتُ: تعالَ، فجاءَ إلى الشَّافعيِّ، فقال: أين عبدي؟ قال: تجدُه في الحبسِ، فذهبَ الرَّجلُ فوجدَه في الحَبسِ».

قال المُزنيُّ: «فقلتُ له: أخبرنا قد حيَّرتَنا، قال: نعم، رأيتُ رجلًا دخلَ مِن بابِ المسجدِ يدورُ بينَ النِّيامِ، فقلتُ: يطلُب هاربًا، ورأيتُه يجيءُ إلى السُّودانِ دونَ البيضِ، فقلتُ: هَربَ له عبدٌ أسودُ، ورأيتُه يجيءُ إلى ما يلي العينَ اليسرى، فقلت: مصابٌ بإحدى عينَيه، قلنا: فما يُدريكَ أنَّه في الحبسِ؟ قال: ذَكرتُ الحديثَ في العَبيدِ: «إذا جاعُوا سَرقُوا، وإذا شَبِعوا زَنَوا»[1]، فتأوَّلتُ أنَّه فعلَ أحدَهما، فكانَ كذلكَ».

***

فصلٌ في أخلاقِه الجميلةِ وكرمِه

قال ابنُ بنتِ الشَّافعيِّ: «سمعتُ أمِّي تقول: دخلَتْ علينا امرأةٌ وأبي نائمٌ ومعها صبيٌّ، فجعلَتْ تُحدِّثُ فبكى الصَّبيُّ، فوضَعتْ يدَها على فيه وخَرجَتْ؛ خوفًا مِن أنْ يَستيقظَ أبي ببكائِه، وكانت له هيبةٌ، فلمّا استَيقظَ أُخبِرَ بذلك، فآلى على نفسِه ألا ينامَ إلَّا والرَّحى يُطحَنُ بها عندَ رأسِه».

وقال الحارثُ بنُ سُرَيج: «دخلتُ مع الشَّافعيِّ على خادمٍ للرَّشيدِ وهو

---

(١) فيه نكارةٌ، ويُنظر «المقاصدُ الحسنة» (ص١٨٩).

في بيتٍ قد فُرِشَ بالدِّيباجِ، فلمَّا رآه رجَعَ وقال: لا يَحِلُّ افتراشُ هذا، فعَدلَ به إلى بيتٍ قد فُرِشَ بالأرمنيِّ، فقال له الشَّافعيُّ: هذا أحسنُ مِن ذاك، وهذا حلالٌ وذاكَ حرامٌ، وهذا أعلى ثمَنًا».

وقال حرملةُ: «سمعتُ الشّافعيَّ يقول: ما كذبتُ قط، ولا حَلفْتُ باللهِ قَطُّ صادِقًا ولا كاذِبًا».

وقال عبدُ اللهِ بنُ الحكمِ للشَّافعيِّ: «إنْ أردتَ أن تسكُنَ البلدَ ـ يعني: مصرَ ـ فليكُن لك قوتُ سنةٍ، ومجلسٌ مِن السُّلطانِ تتعزَّز به، فقال له الشَّافعيُّ: يا أبا محمدٍ، مَن لم تُعِزُّه التَّقوى فلا عِزَّ له، لقد ولدتُ بغَزَّةَ، ورُبِّيتُ بالحجازِ، وما عندَنا قوتُ ليلةٍ، وما بِتْنا جياعًا قط».

وقال عمرُو بنُ سوَّارٍ: «قال لي الشَّافعيُّ: أفلستُ ثلاثَ مرَّاتٍ، فكنتُ أبيعُ قَليلِي وكَثيرِي حتّى حُليَّ ابنتِي وزوجتي، ولم استذلَّ قط».

وقال الرَّبيعُ: «سمعتُ الشَّافعيَّ يقول: ما شَبعتُ منذُ ستَّ عشرةَ سنةً إلَّا شَبعة واحدةً، ثمَّ اطَّرحتُها[1]».

ـ وأمّا كرمُه:

فقال الرَّبيعُ: «كان الشَّافعيُّ إذا سألَه إنسانٌ استحيا مِن السَّائلِ، وبادَرَ بإعطائِه، فإنْ لم يكُن معه أرسلَ إليه إذا رَجع».

قال الرَّبيعُ: «ولقد سمِعْنا بالأَسخياءِ وكان عندَنا منهم قومٌ، وما رأينَا مثلَ الشَّافعيِّ».

---

(١) رواها ابنُ أبي حاتم في «آداب الشافعي ومناقبه» (ص٧٨) ثم قال: «يعني: فطرحتُها؛ لأنَّ الشبعَ يُثقل البدن ويُقسِّي القلب، ويُزيل الفطنةَ ويَجلب النومَ، ويُضعف صاحبَه عن العبادة».

وقال الربيع: «رأيتُ الشَّافعيَّ راكبَ حمارٍ فسقَط سوطُه، فوثَبَ غلامٌ فمسَحَ السَّوطَ بكُمِّه وناولَه إيّاهُ، فقال الشَّافعيُّ لغلامِه: ادفع تلكَ الدَّنانيرَ التي معكَ لهذا الفتى، قال: ما أدري كانت تسعةً أو سبعةً».

وقال المُزنيُّ: «كنتُ مع الشَّافعيِّ فمرَّ بهدفٍ، فإذا رجلٌ يرمي بقوسٍ عربيَّةٍ، فوقفَ عليه الشَّافعيُّ ـ وكان حسَنَ الرَّمي ـ فأصابَ أسهُمًا، فقال له الشَّافعيُّ: أحسنتَ، ثمَّ قال لي: ما معكَ؟ فقلتُ: ثلاثةُ دنانيرٍ، فقال: أعطِه إيّاها، واعتذرْ لي إذ لم يَحضُرْني غيرُها».

وقال البُويطيُّ: «قدِمَ علينا الشَّافعيُّ مصرَ، وكانت زُبيدَةُ ترسِلُ إليه رِزَمَ الوشيِّ والثِّيابِ، فيقسِمُها بينَ الناس».

وقال ابنُ سُليمانَ القُرشيُّ: «قال الشَّافعيُّ: خرج هِرْثِمَةُ بنُ أَعْيَنٍ فأقرأني سلامَ أميرِ المُؤمنينَ هارونَ، وقال: قد أمرَ لك بخمسةِ آلافِ دينارٍ، قال: فحُمِلَ إليه المالُ، فدعا الحجَّامَ فأخذَ شَعرَه، فأعطاهُ خمسينَ دينارًا، ثمَّ أخذَ رِقاعًا فصَرَّ مِن تلكَ الدَّنانيرِ صُرَرًا، ففرَّقها في القُرشيينَ الذينَ هم في الحضرةِ، وصرَّ لمَن يعرفُه مِن أهلِ مكَّةَ حتّى ما رَجعَ إلى بيتِه إلّا بأقلَّ مِن مائةِ دينارٍ»، أخرجَه ابنُ أبي حاتمٍ[1].

وقال الحُميديُّ: «قدِمَ الشَّافعيُّ مرَّةً مِن اليمنِ ومعه عشرونَ ألفَ دينارٍ، فضَرب خيمةً خارجًا مِن مكَّةَ، فما قامَ حتّى فرَّقَها كلَّها»، كذا في هذه الرِّوايةِ.

وأخرجها الحاكِم عن الحُمَيديِّ: «قدِمَ الشَّافعيُّ مِن صنعاءَ إلى مكَّةَ ومعه

---

(١) «آداب الشافعي ومناقبه» (ص٩٥).

عشرةُ آلافِ دينارٍ في مِنديلٍ، فضَربَ خِباءَه في مَوضعٍ خارجًا مِن مكّةَ ما برِحَ حتّى وهَبها كلَّها».

وأخرجها ابنُ عساكرَ[1] عن الحُميديِّ قال: قدِمَ الشّافعيُّ بثلاثةِ آلافِ دينارٍ، فدَخل عليه بنو عمِّه وغيرُهم، فجعلَ يُعطيهم حتّى قامَ وليسَ معه شيءٌ».

وقال أبو ثورٍ: «كان الشّافعيُّ مِن أجودِ الناسِ وأسمَحِهم كفًّا، وكان يشتَري الجاريةَ الصُّنَّاعَ التي تَطبُخُ وتَعملُ الحَلوى، ويشتَرِطُ عليها ألا يَقربَها، وكان يقول لنا تشهُّوا ما أحبَبتُم، فقد اشتريتُ جاريةً تُحسِنُ أنْ تعملَ ما تُريدون، قال: فيقول لها بعضُ أصحابِنا: اعملي لنا كذا وكذا، فكنَّا نحن الذين نأمرُها بما نريدُ، وهو مسرورٌ بذلك».

قال الرَّبيعُ: «عَمِلَ الشّافعيُّ وليمةً، فلمّا آنَ أَكلُ الناسِ قال [لي] [2] البُوَيطيُّ: اجلسْ فكُلْ، فقلتُ: مَن أذِنَ لنا أنْ نأكلَ؟ قال: فسَمِعَ الشّافعيُّ فقال: سبحانَ اللهِ، أنتَ في حلٍّ مِن مالي كلِّه».

قال: «ورآني قد كتبتُ حسابَ النَّفقةِ فقال: لا تُضيِّعْ قراطيسَك باطِلًا، فلستُ أنظرُ في حسابٍ، فقلتُ له: فإنَّ أُمَّ أبي الحسن ـ يعني: ولدَه ـ ربَّما طلبَت الشَّيءَ فأشتري لها، ولم تأذَنْ لي! قال: يا طويلَ الرُّقادِ، أنتَ في حلٍّ مِن مالي كلِّه».

* * *

---

(١) «تاريخ دمشق» (٥١/ ٤٠٢).

(٢) ما بينَ معكوفَتين سقط مِن النُّسخ، وهو مِن «توالي التأسيس» (ص١٥٨).

فصلٌ في بليغِ كلامِه نثرًا

وهو كثيرٌ جدًّا...

قال الحافظُ ابنُ حَجرٍ: «ولو جُمِعَ لكان جُزءًا كَبيرًا»[1]، وها نحن نذكرُ ما ذَكره الحافظُ محذوفَ الأسانيدِ:

قال رحمه الله: سياسَةُ الناسِ أشدُّ مِن سياسَةِ الدَّوابِ.

وقال: إنَّ للعقلِ حدًّا ينتهي إليه، كما إنَّ للبَصرِ حدًّا ينتهي إليه.

وقال: للمُروءَةِ أربعةُ أركانٍ: حُسنُ الخُلُق، والسَّخاءُ، والتَّواضعُ، والشكر.

وقال: لا يَكملُ الرَّجلُ في الدُّنيا إلَّا بأربعٍ: الدِّيانةُ، والأَمانةُ، والصِّيانةُ، والرَّزانةُ.

وقال: الانبساطُ إلى الناسِ: مَجلَبةٌ لقُرناءِ السُّوءِ، والانقباضُ عنهم: مُكسِبةٌ للعداوةِ، فكنْ بينَ المُنقَبِضِ والمُنبسِطِ.

وقال: ما أكرمتُ أحدًا فوقَ مِقدارِه إلّا اتَّضعَ مِن قَدري عندَه بمقدارِ ما أَكرمتُه.

وقال: ما نظرَ الناسُ إلى مَن هُم دونَه إلَّا بَسطوا ألسنَتهم فيه.

وقال: ثلاثةٌ إنْ أهنتَهم أَكرموكَ، وإنْ أكرمتَهم أهانوكَ: المرأةُ، والعبدُ، والفلاحُ.

وقال: مَن حَضرَ مجلِسَ العِلمِ بلا مَحبرةٍ وورَقٍ، كان كمنَ حَضرَ الطَّاحونَ بغيرِ قَمحٍ.

وقال: أصلُ كلِّ عداوةٍ الصَّنيعةُ إلى الأنذالِ.

وقال: مَن أحسَنَ ظنَّه بلئيمٍ، كان أَدنى عُقوبتِه الحِرمانُ.

---

(١) «توالي التأسيس» (ص١٦٦)، وتتمَّةُ عبارةِ الحافظ ابن حجر: «وقد اقتصرتُ منه على ما ساقه الآبريُّ وأبو نعيمٍ والبيهقيُّ بأسانيدهم الثابتةِ محذوفَ الأسانيد».

وقال: صُحبةُ مَن لا يَخافُ العَارَ عارٌ يومَ القيامة.

وقال: أَظلمُ الظَّالمينَ لِنفسِه مَن تواضعَ لمَن لا يُكرِمُه، ورَغِبَ في مَودَّةِ مَن لا يَنفَعُه، وقَبِل مَدحَ مَن لا يَعرِفُه.

وقال: طُبِعَ ابنُ آدمَ على اللُّؤمِ، فمِن شأنِه أن يتَقرَّبَ ممَّن يتباعدُ عنه، ويتباعدَ ممَّن يَتقرَّبُ منه.

وقال: خيرُ الدُّنيا والآخرةِ في خمسِ خصالٍ: غنى النَّفسِ، وكفُّ الأذى، وكسْبُ الحلالِ، ولِباسُ التَّقوى، والثِّقةُ باللهِ في كلِّ حالٍ.

وقال: الشَّفاعاتُ زكاةُ المُروءاتِ.

وقال: مَثلُ الذي يطلُبُ العِلمَ بلا حُجَّةٍ، كمثلِ حاطِبِ ليلٍ، يَحمِلُ حِزمةَ حَطبٍ وفيه أفعى تَلدَغُه وهو لا يَدري.

وقال: زينةُ العلماءِ التَّقوى، وحِليَتُهم حسْنُ الخُلقِ، وجَمالُهم كَرمُ النَّفسِ.

وقال: مَن لا يُحبُّ العِلمَ لا خيرَ فيه، ولا يكُنْ بينَك وبينَه معرِفةٌ ولا صَداقةٌ.

وقال: مَن أظهرَ شُكرَك بما لم تأتِ إليه، فاحذرْ أن يُنكِرَ عليكَ نِعمتَك فيما أَتيتَ إليه.

وقال: مِن علامةِ الصَّديقِ أن يكونَ لصديقِ صديقِه صديقًا.

وقال: إنَّك لا تَقدِرُ أن تُرضِيَ الناسَ كلَّهُم، فأصلِحْ ما بينَك وبينَ اللهِ، ثمَّ لا تُبالِ بالناسِ.

وقال: مَن استُغضِبَ فلم يغضَبْ فهو حمارٌ، ومن استُرضِيَ فلم يرضَ فهو شيطانٌ.

وقال: التَّلطُّف في الحِيلةِ أجدى مِن الوسيلة.

وقال: لا تُشاوِرْ مَن ليسَ في بيتِه دقيقٌ.

وقال: ما ضُحِكَ مِن خطأِ رَجلٍ إلَّا ثبتَ صوابُه في قلبِه.

وقال: الوقارُ في النُّزهةِ سُخْفٌ.

وقال: تركُ العبادةِ ذَنبٌ مُستَحدَثٌ.

وقال: ليسَ مِن المروءَةِ أن يُخبِرَ الرَّجلُ بسِنِّه.

وقال: مَن تعلَّمَ القُرآنَ عظُمَت قيمتُه، ومَن نَظَر في الفقهِ نبُلَ قدرُه، ومَن كتبَ الحديثَ قَويتْ حجَّتُه، ومَن نظَرَ في اللُّغةِ رقَّ طبعُه، ومَن نظَرَ في الحِسابِ جزُلَ رأيُه، ومَن لم يَصُنْ نفسَه لم يَنفعْه علمُه.

وقال: مَن نمَّ لكَ نمَّ بكَ، ومَن نَقلَ إليكَ نَقلَ عنكَ، ومَن إذا أَرضيتَه قال فيكَ ما ليسَ فيك، كذلِكَ إذا أغضَبتَه قال فيكَ ما ليسَ فيكَ.

وقال: أشدُّ الأعمالِ ثلاثةٌ: الجودُ مِن قِلَّةٍ، والوَرعُ في خَلوةٍ، وكلمةُ الحقِّ عندَ مَن يُرجى ويُخافُ.

وقال: مَن طلبَ الرِّئاسةَ في غيرِ حينِها ذلَّ ما بقيَ.

وقال: مَن طلبَ الرِّئاسةَ فرَّتْ منه، وإذا تصدَّرَ الحَدَثُ فاتَه علمٌ كثيرٌ.

وقال الرَّبيعُ: «قال لي الشَّافعيُّ: اقبَلْ مني ثلاثةَ أشياءٍ، لا تخضْ في أصحابِ النَّبيِّ ﷺ، فإنَّ خصمَك النَّبيُّ ﷺ يومَ القيامة، ولا تشتغلْ بالكلامِ فإنِّي قد اطلعتُ مِن أهلِ الكلامِ على أمرٍ عظيمٍ، ولا تشتَغلْ بالنُّجومِ فإنَّه يَجرُّ إلى التَّعطيلِ».

وقال الرَّبيعُ: «سمعتُ الشَّافعيَّ يقولُ: يحتاجُ طالبُ العِلمِ إلى ثلاثِ خِصالٍ: طولِ العُمرِ، وسِعةِ ذاتِ اليدِ، والذكاءِ».

وقال: العِلمُ عِلمانِ: علمُ الأديانِ الفقهُ، وعِلمُ الأبدانِ الطِّبُّ.

فصلٌ في بليغ كلامِه شعرًا

كان رحمه اللهُ تعالى له في الشِّعرِ قوَّةُ المَلكَةِ، ومَزيدُ الرَّغبةِ، حتّى مَهر فيه، وحَفظَ كثيرًا مِن أشعارِ العربِ.

فكانَ يحفَظُ أكثرَ مِن عشرةِ آلافِ بيتٍ مِن أشعارِ هُذيلٍ، وأنشدَ ليلتَينِ مِن أشعارِ مَن اسمُه عمرٌو، وقال: «أحفظُ أشعارَ الثلاثِ مئة مجنون»[1].

ولنذكرْ نَبذةً يسيرةً مِن شِعرِه محذوفةَ الأسانيدِ والرُّواةِ قال:

إذا نحنُ فَضَّلْنا عليًّا فإنَّنا ... روافضُ بالتَّفضيلِ عندَ ذَوِي الجَهلِ

وفضلُ أبي بكرٍ إذا ما ذَكرْتُه ... رُميْتُ بنصْبٍ عندَ ذكريْ للفَضْلِ

فلا زِلْتُ ذا نصبٍ ورفْضٍ كلاهما ... بحبِّيهما حتّى أُوسَّدَ في الرَّمْلِ

وقال يومًا وقد أخذ بيدِ المُزنيِّ:

أُحبُّ مِن الإِخوانِ كُلَّ مُواتي ... وكلَّ غَضِيضِ الطَّرفِ عن عثراتي

يُصاحِبُني في كُلِّ أَمرٍ أُحِبُّه ... ويَحفَظُني حيًّا وبعدَ وفاتي

فمَن لي بهذا ليتَ أنِّي أصبْتُه ... أُقاسِمُه مالي مع الحسناتِ

وقال:

إنَّ الذي رُزِقَ اليسارَ ولم يُصِب ... أجرًا ولا حَمدًا لغيرُ مُوفَّقِ

الجِدُّ يُدني كُلَّ أَمرٍ شاسِعٍ ... والجِدُّ يَفتحُ كلَّ بابٍ مُغلَّقِ

فإذا سَمِعتَ بأنَّ مَجْدودًا حَوى ... عُودًا فَأثْمرَ في يدَيه فصَدِّقِ

---

(١) وجاءت المقولةُ في «مناقب الشافعي» للبيهقي (٢/ ٤٧) «أَرْوي لثلاث مئة شاعرٍ مجنون».

ومِن الدَّلِيلِ على القَضاءِ وكونِه بُؤسُ اللَّبيبِ وطِيبُ عيشِ الأَحمقِ
وأَحقُّ خلْقِ اللهِ بالهمِّ امرُؤٌ ذُو هِمَّةٍ يُبلى بعَيشٍ ضَيِّقِ

وقال:

إذا أصبَحْتُ عندي قُوتُ يومٍ فَخَلِّ الهمَّ عني يا سعيدُ
ولا تُخطِر هُمومَ غدٍ بِبالي فإنَّ غَدًا له رِزْقٌ جديدُ
أُسلِّمُ إنْ أَرادَ اللهُ أَمرًا فأَترُكُ ما أُريدُ لِما يُريدُ

وقال:

وَمِن الشَّقاوةِ أنْ تُحِبَّ وَمْن تُحِبُّ يُحِبُّ غيرَك
أو أنْ تُريدَ الخيرَ للـ إنسانِ وهو يُريدُ ضَيرَك

وقال:

ومنزِلةُ السَّفِيه مِن الفَقِيهِ كمنزِلةِ الفقيهِ مِن السَّفيهِ
فهذا زاهِدٌ في عِلْمِ هذا وهذا فيه أَزهَدُ منه فيه
إذا غَلبَ الشَّقاءُ على سَفيهٍ تَنطَّعَ في مُخالَفةِ الفَقيهِ

وقال:

وأَنزلَني طولُ النَّوى دارَ غُربة يُجاوِرُني مَن ليس مِثلي يُشاكِلُه
فجانبْتُه حتّى يُقال سَجيَّة ولو كان ذا عَقلٍ لكنتُ أُعاقِلُه

وقال الإمامُ أحمدُ بنُ حنبلٍ: «لقيتُ الشَّافعيَّ فقلتُ: يا أبا عبدِ الله، أين تريدُ؟ فأنشأَ يقول:

أرانِـي أرى نفسـي تَتـوقُ إلـى مصرَ ... ومِـن دُونِهـا أرضُ المَفـاوزِ والقَفْـرِ

فـواللهِ مـا أدري أَلِلخَفْـضِ والغِنَـى ... أُسـاقُ إليهـا أم أُسـاقُ إلـى قبـرِي»

***

فصلٌ في صِفةِ طلبِه للعِلمِ

قال عبدُ الرَّحمنِ بنُ وهبٍ: «سمعتُ الشَّافعيَّ يقولُ: قدمتُ مكَّةَ وأنا ابنُ عَشرٍ أو شِبهِهَا، فصِرتُ[1] إلى نسيبٍ لي، قال: فرآني أطلُبُ العِلمَ فقال لي: لا تَعجَلْ لهذا، وأقبِلْ على ما يَنفعُكَ، يعني: التَّكسُّبَ، قال: فجَعلتُ لذَّتي في العِلمِ وطَلَبِه، حتّى رَزقَ الله منه ما رَزقَ».

وقال المُزنيُّ: «سمعتُ الشَّافعيَّ يقول: حفظتُ القرآنَ وأنا ابنُ سبعٍ، وحفظتُ «المُوطَّأَ» وأنا ابنُ عشرٍ».

وقال الرَّبيعُ: «سمعتُ الشَّافعيَّ يقول: كنتُ في الكُتَّابِ أسمعُ المُعلِّمَ يُلقِّن الصَّبيَّ الكلمةَ فأحفَظُها، قال: وخَرجتُ عن مكَّةَ، يعني: بعدَ أنْ بلغَ، قال: فلزِمتُ هُذيلًا بالباديةِ أتعلَّمُ كلامَها، وآخذُ اللُّغةَ، وكانتْ أفصحَ العربِ».

قال[2]: «وسألتُ مسلمَ بنَ خالدٍ حينَ أردتُ الخروجَ إلى مالكٍ أنْ يكتُبَ لي إليه، فكتب لي إليه، وأخذَ مالكٌ كتابَه مني وقرأه».

---

(١) في (ش): «فسرت»، والمثبتُ موافقٌ لما في «توالي التأسيس» (ص١١٠).

(٢) هذا القولُ للشافعيِّ ولكنه مرويٌّ عن غير الرَّبيع، انظر «توالي التأسيس» (ص١١٠).

وقال الرَّبيعُ: عن الشَّافعيِّ قال: «حفِظتُ الموطَّأ، ثمَّ دخلتُ على والي مكَّةَ، فأخذتُ كتابَه إلى والي المدينةِ وإلى مالكٍ، فأتيتُ مالكًا فدَفعَ والي المدينةِ له الكتابَ، فلمَّا قرأه رمى به وقال: يا سبحانَ اللهِ! وصارَ عِلمُ رسولِ اللهِ ﷺ يُؤخذُ بالرَّسائلِ؟! فتقدَّمتُ إليه فقلتُ: أَصلَحكَ اللهُ، إنَّ مِن قصَّتي كذا، قال: فنَظرَ إليَّ ساعةً ـ وكانت له فِراسةٌ ـ فقال: ما اسمُك؟ قلتُ: محمدٌ، قال: يا محمدُ، اتَّقِ اللهَ، فسيكونُ لكَ شأنٌ، فقلتُ: نعم وكرامة».

وقال الرَّبيعُ: «سمعتُ الشَّافعيَّ يقول: قدِمتُ على مالكٍ وقد حَفظتُ «الموطَّأ»، فقلتُ: إنِّي أُريدُ أنْ أَسمعَ منكَ «المُوطَّأ»، فقال: اطلُبْ مَن يقرأُ لكَ، فقلتُ: لا عليكَ أنْ تسمعَ قراءتي فإن سهُلَ عليكَ قرأْتُ لنفسي، فأعادَ فأعدتُ، فقال: اقرأ، فلمَّا سمِعَ قراءَتي قال: اقرأْ، فقرأتُ حتّى فرغتُ منه».

وقال الإمامُ أحمدُ: «سمعتُ الشَّافعيَّ يقولُ: أنا قرأتُ على مالكٍ، وكانتْ تُعجِبه قراءتي»، قال أحمدُ: «لأنَّه كان فَصيحًا».

وقال ابنُ عبدِ الأعلى: «سمعتُ الشَّافعيَّ يقولُ: ما اشتَدَّ عليَّ فوتُ أحدٍ مِثلَ فوتِ اللَّيثِ وابنِ أبي ذِئبٍ»[1]، وكان فقيهَ المدينةِ في زمنِ مالكٍ وقَبلَه، وكان [أحمد][2] يُقدِّمُه في الورعِ.

قال ابنُ حجرٍ[3]: «حين اجتمعَ الشَّافعيُّ بمالكٍ وقرأ عليه «الموطَّأ» كان اللَّيثُ مَوجودًا لكنْ بمصرَ، فأسِفَ يعني: على فوتِ اجتماعِه به، وأمّا ابنُ أبي ذئبٍ فماتَ والشَّافعيُّ ابنُ تسعِ سنينَ بالمدينةِ»، انتهى.

---

(١) إلى هنا ينتهي قولُ الشافعيِّ كما في المصادر والمراجع.

(٢) ما بينَ معكوفَتين ليس في النُّسخ، وهو مِن «توالي التأسيس» (ص١١٢).

(٣) «توالي التأسيس» (ص١١٢).

وقـال رحمـه الله: «كتبتُ عـن ابنِ عُيينةَ مـا شـاءَ اللهُ أن أكتُبَ، ثمَّ كنـتُ أُجالسُ مسـلمَ بـنَ خالـدٍ الزَّنْجيَّ، ثـمَّ قَدِمتُ علـى مالكِ بـنِ أنـسٍ، وإنْ كنتُ لأسـيرُ الأيَّامَ واللَّيالـيَ فـي طَلَـبِ الحديـثِ الواحدِ، وسُـمِّيتُ بمكَّـةَ[1]: ناصِـرَ الحديـثِ، وكنتُ أكتـبُ فـي العَظْـمِ، فإذا كثُـرَ طرحتُـه في جـرَّةٍ عظيمةٍ».

***

فَصلٌ في تَصنيفِه الكتُبَ

قـال أحمـدُ بـنُ أبـي سُـرَيج: «سـمعتُ الشَّـافعيَّ يقـولُ: أنفقـتُ علـى كُتـبِ محمـدِ بـنِ الحسـنِ سـتِّينَ دينـارًا، ثـمَّ تدَبَّرتُهـا فوضَعْـتُ إلـى جنـبِ كلِّ مسـألةٍ حديثًـا، يعنـي: ردًّا عليـه».

وقال البُوَيطيُّ: «قال الشَّافعيُّ: اجتمعَ عليَّ أصحابُ الحديثِ، فسألوني أنْ أضعَ على كتابِ أبي حنيفةَ، فقلتُ: لا أعرفُ قولَهم حتّى أنظرَ في كتبِهم، فأمرتُ فكُتِبت لي كُتبُ محمدِ بنِ الحسَنِ، فنظرتُ فيها سنةً حتى حفِظتُها، ثمَّ وَضعتُ الكتابَ البغداديَّ، يعني: الحُجَّة».

وقال البيهقيُّ: «قرأتُ في كتابِ زكريا بنِ يحيى السَّاجيِّ فيما حدَّثه المَصريون: أنَّ الشَّافعيَّ إنَّما وضَع الكتابَ على مالكٍ أنَّه بَلغَه أنَّ بالأندلُسِ قَلَنْسُوةً لمالكٍ يُستَسقى بها، وكان يُقال لهم: قال رسولُ اللهِ ﷺ فيقولون: قال مالكٌ! فقال الشَّافعيُّ: إنَّ مالكًا بشرٌ يُخطئ ويُصيب، فدعاهُ ذلكَ إلى تصنيفِه الكتابَ في اختلافِه معه، وكان يقولُ: استخرتُ اللهَ في ذلك سنةً».

---

(١) كـذا فـي النُّسـخ تبعًـا لما فـي «توالي التأسـيس» (ص٩٨)، وجـاء في «مناقـب الشـافعي» للبيهقي (١/ ٤٧٢) و«حليـةِ الأوليـاء» (٩/ ١٠٧) وغيرِهمـا: «وسُـمِّيتُ ببغداد».

وقال ابنُ عبدِ الحكمِ: «لم يزل الشَّافعيُّ يقولُ بقولِ مالكٍ لا يُخالِفُه إلَّا كما يُخالِفُه أصحابُه، حتّى أكثرَ فِتيانٌ على الشَّافعيِّ مِن خَلفِه بالألفاظِ التي لا تَجوزُ، فعَمدَ الشَّافعيُّ إلى التَّصنيفِ في خلافِ مالكٍ، وإلّا فالدَّهرَ إذا سُئلَ عن الشَّيءِ يقول: هذا قولُ الأستاذِ، يريدُ: مالِكًا».

ولمَّا وضَعَ الشَّافعيُّ كتابَ الرَّدِّ على المالكيَّةِ سَعوا به عندَ السُّلطانِ وقالوا له: أَخرِجْه عنّا وإلّا أفتنَ البلدَ، فهمَّ بذلك، فأتاهُ الشَّافعيُّ والهاشميُّونَ فكلَّموه فامتنعَ، وقال: إنَّ هؤلاء كرِهوهُ وأخشى الفِتنةَ، فقال له الشَّافعيُّ: أجِّلْني[1] ثلاثةَ أيَّامٍ، فأجَّله[2]، فماتَ الوالي فجأةً في اللَّيلةِ الثَّالثةِ، وكُفيَ الشَّافعيُّ أمرَه، فأقامَ الشَّافعيُّ إلى أن ماتَ.

وأخرجَ الحاكِمُ مِن طريقِ مَحفوظٍ[3] قال: «سمعتُ الشَّافعيَّ يقول: يقولون: إنِّي إنَّما أُخالِفُهم للدُّنيا! وكيف يكون ذلك والدُّنيا معهم؟! وإنَّما يريدُ الإنسانُ الدُّنيا لبَطنِه وفَرجِه، وقد مُنعتُ ما ألَذُّ مِن المطاعِمِ ولا سبيلَ إلى النكاحِ، يعني: لِما كان به مِن البواسيرِ، ولكن لستُ أُخالِفُ إلا مَن خالَفَ سُنةَ رسولِ اللهِ ﷺ».

وقال الرَّبيعُ مِرارًا: «لو رأيتَ الشَّافعيَّ وحُسنَ بيانِه وفَصاحتِه لعجِبتَ منه، ولو أنَّه ألَّفَ هذِه الكُتبَ على عربيَّتِه التي كان يتكلَّمُ بها معنا في المُناظَرةِ لم يُقدَرْ على قراءةِ كُتبِه؛ لفصاحتِه وغرائبِ ألفاظه، غيرَ أنَّه كان في تأليفِه يَجتهدُ في أنْ يُوضِّحَ للعوامِ».

---

(١) اختلفتْ في النُّسخ، والمثبتُ موافقٌ لما في «توالي التأسيس» (ص١٩٧).

(٢) اختلفتْ في النُّسخ، والمثبتُ موافقٌ لما في «توالي التأسيس».

(٣) في «توالي التأسيس» (ص١٧٥) تبعًا للبيهقيِّ في «مناقبه» (١/ ١٧١): «محفوظ بن أبي توبة».

وقال: «لو رأيتُموه لقُلتُم: إنَّ هذه ليست كُتبَه، كانَ واللهِ لسانُه أكبرَ مِن كتبه[(١)]».

وقال الرَّبيعُ: «لزمتُ الشَّافعيَّ قبلَ أنْ يدخُلَ مصرَ، وكانت له جاريةٌ سوداءُ، فكان يعملُ البابَ مِن العِلمِ ثمَّ يقولُ: يا جاريةُ قُومي فأسرِجي، فتُسرِجُ له فيَكتبُ ما يَحتاجُ إليه، ثمَّ يُطفِئُ السِّراجَ، فدامَ على ذلكَ سنةً، فقلتُ له: يا أبا عبدِ اللهِ، إنَّ هذه الجاريةَ مِنك في جَهْدٍ، فقال لي: إنَّ السِّراجَ يُشغِلُ قلبي، قال: وسألَني عن أهلِ مصرَ؟ فقلت: هم فِرقتانِ: فِرقةٌ مالتْ إلى قولِ مالكٍ، وفِرقةٌ مالتْ إلى قولِ أبي حنيفةَ، قال: أرجو أنْ أَقدمَ مِصرَ إن شاءَ اللهُ فآتيهِم بشيءٍ يُغنيهم عن القَولين، قال الرَّبيعُ: ففَعلَ ذلك والله حينَ دخلَ مِصرَ».

وقال حَرملةُ: «كان الشَّافعيُّ يجلِسُ إلى هذه الأسطوانةِ في المَسجدِ، فيُلقَى له طِنْفِسَةٌ فيجلِسُ عليها، ويَنحَني لوجهِه؛ لأنَّه كان مِسْقامًا[(٢)] فيُصنِّفُ، فصنَّفَ هذه الكُتبَ في أربعِ سنينَ».

وقال الرَّبيعُ: «أَلَّفَ الشَّافعيُّ هذا الكتابَ ـ يعني: المَبسوطَ ـ حِفظًا، لم يكُن معه كُتبٌ».

وقال يونسُ بنُ عبدِ الأعلى: «كان الشَّافعيُّ يَضعُ الكتابَ مِن غَدوةٍ إلى الظُّهرِ».

وقال ابنُ نصرٍ الخَولانيُّ: «قدِمَ الشَّافعيُّ مِن الحجازِ فبقيَ بمِصرَ أربعَ سنينَ، ووضَعَ هذه الكُتبَ، وكان معه مِن الحِجازِ كُتبُ ابنِ عيينةَ، وخرجَ إلى يحيى بنِ حسَّان فكَتب عنه، وأَخذَ كُتبًا مِن أشهبَ فيها مسائلُ».

وقد سرَدَ البيهقيُّ كُتبَ الشَّافعيِّ، وذَكرَ الحافظُ ابنُ حجرٍ منها جملةً لا حاجةَ لنا بذلك[(٣)]، واللهُ سبحانَه أعلمُ.

---

(١) في النُّسخ: «قلبه»، والمثبتُ موافقٌ لما في المصادر والمراجع.

(٢) أي: كثير المرض.

(٣) انظر «مناقب الشافعي» للبيهقي (١/ ٢٤٦)، و«توالي التأسيس» (ص١٧٩).

فصلٌ في مِحنةِ الشَّافعيّ

كان رحمه الله تعالى قد وُلِّيَ وِلايةً باليمنِ، وحمِدَه الناسُ لعدلِه، وأثنوا عليه.

قال رحمه الله تعالى: «فلقيتُ إبراهيمَ ابنَ أبي يحيى فلامَني على دُخولي في العَملِ، ثمَّ لقيتُ ابنَ عيينةَ فرحَّبَ بي، وقال لي: قد بَلغني حُسنُ ما انتشَرَ عنكَ، وما أدَّيتَ كلَّ الذي عليكَ فلا تعُدْ»، قال: «فكانت موعظةُ ابنِ عُيينةَ أنفعَ لي، ثمَّ وُلِّيتُ نجرانَ».

قال البَويطيُّ: «قال الشَّافعيُّ: كتبَ حمّادُ البَربريُّ إلى الرَّشيدِ: إنْ كانت لكَ حاجةٌ قِبَلَنا ـ يعني: باليمَن ـ فاحذَرْ محمدَ بنَ إدريسَ؛ فإنَّه قد غَلبَ على ما قبلي، ولو أرادَ الخُروجَ لم يبقَ أحدٌ إلَّا تبعَه، قال: فحُملتُ إلى البابِ، واجتَمع عليَّ أصحابُ الحديثِ».

وقال الكرابيسيُّ: «سمعتُ الشَّافعيَّ يقول: كتبَ مُطرِّفٌ إلى الرَّشيدِ: إنْ أردتَ اليمنَ لا يَفسدُ عليكَ فأَخرِجْ عنّا محمدَ بنَ إدريسَ، وذَكر قومًا مِن الطالبيِّين، قال: فبَعثَ إليَّ حمّادَ البَربريَّ فأُوثِقتُ في الحَديدِ، فقَدِمْنا على هارونَ بالرَّقةِ».

وقال زكريا بنُ يحيى ويحيى بنُ زكريا النَّيسابوريُّ كلاهُما عن الرَّبيعِ يزيدُ بعضُهما على بعضٍ: «إنَّ الشَّافعيَّ قال: خرجتُ إلى اليمنِ فأقمتُ بها أشهُرًا، وارتَفع لي بها شأنٌ، وكان بها والٍ مِن قِبلِ الرَّشيدِ، وكان ظَلومًا غَشومًا، فكنتُ ربَّما أخذتُ على يدَيه، ومَنعتُه مِن الظُّلمِ، وكانَ باليمنَ جماعةٌ مِن العلويينَ قد تَحرَّكوا، فكتبَ الوالي إلى الرَّشيدِ: إنَّ العلويَّةَ قد تَحرَّكوا وأرادوا أنْ يَخرُجوا، وإنَّ ههنا رَجلًا مِن ولدِ شافعِ بنِ السَّائبِ مِن ولدِ المطَّلبِ لا أمرَ لي معه ولا نهيَ، فكتبَ إليه الرَّشيدُ: أنْ يَقبِضَ عليهم وعليه، قال: فقُرِنتُ معهم».

قال: «فبلغَني عن محمدِ بنِ زيادٍ - وكان نديمَ هارونَ - أنَّه كان عِندَ هارونَ حينَ أُدخِلوا عليه فقَتل العلويَّةَ، والتَفتَ إليَّ محمدُ بنُ الحسنِ فقال له: يا أميرَ المؤمنينَ لا يَغلبَنَّكَ هذا بفصاحتِه ولسانِه فإنَّه رجلٌ لَسِنٌ[1]، قال الشَّافعيُّ: فقلتُ لهُ: مهلًا يا أميرَ المؤمنينَ فإنَّكَ الرَّاعي وأنا المَرعيُّ، وأنتَ القادِرُ على ما تُريدُ مِني، ما تقولُ في رَجلَين أحدُهما يراني أخاهُ والآخرُ يراني عبدَه، أيُّهما أحبُّ إليَّ؟ قال: الذي يراكَ أخاهُ، قلت: فأنتَ هو يا أميرَ المؤمنينَ، إنَّكم ولدُ العبَّاسِ، وهم ولدُ عليٍّ، ونحنُ إخوتُكم مِن بني المُطَّلِبِ، فأنتُم تَرونَنا إخوةً، وهم يَرونَنا عبيدًا، قال: فسُرِّيَ عنه ما كان واستوى جالسًا، وقال: عِظْني، فوعظتُه إلى أنْ بكَى، ثمَّ أمرَ لي بخمسينَ ألفَ دِرهمٍ».

وفي روايةِ الكرابيسيِّ قال: «فأُدخِلْنا عليه ثمَّ أُخرِجْنا مِن عندِه، يعني: الرَّشيدَ، ولم يكُن معي سوى خمسينَ دينارًا، فأنفقتُها على كتُبِ محمدِ بنِ الحسَنِ، قال: فجئتُ يومًا، فجلستُ إليه وأنا مِن أكثرِ الناسِ همًّا وغَمًّا مِن سخَطِ أميرِ المؤمنينَ، وزادي قد نفد، فلمّا أنْ جلَستُ أقبلَ محمدٌ يَطعَنُ على أهلِ المدينةِ فقلتُ: إنْ طعَنتَ على البلدِ فإنَّها مُهاجرُ رسولِ اللهِ ﷺ، ومَهبطُ الوحيِ، وإنْ طعَنتَ على أهلِها فهم أبو بكرٍ وعمرُ والمهاجرونَ والأنصارُ، فقال: معاذَ اللهِ أنْ أطعنَ عليهم، وإنَّما أطعَنُ على حُكْمٍ مِن أحكامِهم، فذَكرَ الشَّاهدَ واليمينَ، فذكرَ بحثَه معه في ذلك ومباحِثَ كثيرةٍ، قال: ورجلٌ مِن

---

(١) لا يليق هذا الافتراءُ على الإمام الربانيِّ محمدِ بنِ الحسن الشيباني، وسيأتي النقلُ عن ابن حجرٍ بعدم ثبوت هذه الأساطير، ثم إنَّ الذي نَقله الأئمةُ النُّقادُ وارتضوه: أنَّ الإمامَ محمدَ بنَ الحسن هو الذي كان سببَ نجاةِ الإمامِ الشافعي، وفي ذلك يقول الشافعي: «فأَخذني محمدٌ، وكان سببَ خلاصي»، انظر «الانتقاء» لابن عبد البر: (ص١٥٥).

ورائي يكتُبُ ألفاظي وأنا لا أعلمُ، فأَدخلَه على هارونَ وقرأه عليه، فقال هِرْثِمَةُ بنُ أعيَن: كان الرَّشيدُ مُتَّكِئًا فاستوى جالسًا فقال: أعدْ فأعادَه عليه، قال: صدقَ اللهُ ورسولُه قال رسولُ اللهِ ﷺ: «تَعلَّموا مِن قريشٍ ولا تُعلِّموها، وقدِّموا قُريشًا ولا تُؤخِّروها»[١]، ما أُنكرُ أنْ يكونَ محمدُ بنُ إدريسَ أعلمَ مِن محمدِ بنِ الحسنِ، قال: فرضِيَ عنِّي، وأمرَ لي بخمسِ مئةِ دينارٍ، فخرجَ هِرْثِمَةُ فقال لي: قد أمرَ لكَ بخمسِ مئةِ دينارٍ، وقد أضفنا إليه مثلَه، فو اللهِ ما ملكتُ قبلَها ألفَ دينارٍ».

قال الحافظُ ابنُ حجرٍ[٢] بعدَ أن ذَكر ما قدَّمناه: «هذا أقربُ ما وقفتُ عليه مِن أمرِ المِحنةِ، والذي نُقِلَ عن محمدِ بنِ الحسنِ في حقِّ الشَّافعيِّ ليسَ بثابتٍ، والرِّحلةُ المَنسوبةُ إلى الشَّافعيِّ المَرويَّةُ مِن طريقِ عبدِ اللهِ بنِ محمدٍ كذِبٌ، وقد أَخرجها البيهقيُّ[٣] وغيرُه، وساقَها الفخرُ الرَّازيُّ[٤] في مناقبِ الشَّافعيِّ بغيرِ إسنادٍ مُعتمِدًا عليها، وهي مكذوبةٌ، وغالِبُ ما فيها موضوعٌ، وبعضُها ملفَّقٌ مِن رواياتٍ مُفرَّقةٍ، وأوضَحُ ما فيها مِن الكذبِ قولُه فيها: إنَّ أبا يوسفَ ومحمدَ بنَ الحسنِ حرَّضا الرَّشيدَ على قتلِ الشَّافعيِّ، وهذا باطلٌ مِن وجهَين:

ـ أحدُهما: أنَّ أبا يوسفَ لمَّا دخلَ الشَّافعيُّ بغدادَ كان ماتَ[٥]، ولم يجتَمعْ به الشَّافعيُّ.

---

(١) انظر تخريجَه بتوسُّعٍ عندَ الحافظ ابنِ الملقِّن في كتابه «البدر المنير» (٤/ ٤٦٦).

(٢) «توالي التأسيس» (ص١٦٤).

(٣) انظر «مناقب الإمام الشافعي» (١/ ١١٧).

(٤) انظر «مناقب الإمام الشافعي» (ص٧١).

(٥) كذا في النُّسخ.

ـ **والثَّاني**: أنَّهما كانا أتقى للهِ مِن أنْ يسعيا في قتلِ رجلٍ مُسلمٍ، لا سيَّما وقد اشتهَرَ بالعِلمِ، وليسَ لهُ إليهما ذنبٌ إلَّا الحسدَ له على ما أتاه اللهُ مِن العِلمِ، وهذا ممّا لا يُظنُّ بهما، وإنَّ منصبَهما وجلالَتهما وما اشتُهِرَ مِن دِينهما ليَصُدُّ عن ذلك.

والذي تحرَّرَ لنا بالطُّرقِ الصَّحيحة: أنَّ قدومَ الشَّافعيِّ بغدادَ أوَّل ما قدِمَ كان سنةَ: أربعٍ وثمانين، وكان أبو يوسفَ قد ماتَ قبلَ ذلك بسنَتينِ، وأنَّه لقيَ محمدَ بنَ الحسنِ في تلك القَدمَة، وكان يعرفُه قبلَ ذلكَ مِن الحجازِ، وأَخذَ عنه»، انتهى كلامُ الحافظ.

ومع ذلك فكان محمدُ بنُ الحسَنِ يُبالِغُ في إكرامِ الشَّافعيِّ والتَّأدُّبِ معه، والاغتباطِ به، حتّى قال أبو حسانٍ[1]: «ما رأيتُ محمدًا يُعظِّمُ أحدًا إعظامَ الشَّافعيِّ».

***

فصلٌ في وفاةِ الإمامِ الشَّافعيِّ

قال الزَّعفرانيُّ: «قدِمَ علينا الشَّافعيُّ ـ يعني: مِن الحِجازِ إلى العِراقِ ـ سنةَ: خمسٍ وتِسعينَ ومئةٍ، فأقامَ عِندَنا سنَتَينِ، ثمَّ خرجَ إلى مكَّةَ، ثمَّ قدِمَ علينا سنةَ: ثمانٍ وتِسعينَ، فأقامَ عِندَنا أشهرًا، ثمَّ خرجَ إلى مِصرَ».

وقال الرَّبيعُ: «سمعتُ الشَّافعيَّ يَحكي في قصةٍ ذَكرَها وأنشدَ لنفسِه:

لقد أَصبحتْ نفْسِي تَتُوقُ إلى مصرَ ... ومِن دُونِها أرضُ المهانةِ والفقرِ

فو اللهِ ما أدري أللفَوزِ والغنى ... أُساقُ إليها أم أُساق إلى قَبري

قال: فو اللهِ لقد سِيقَ إليهما جميعًا».

---

(١) هو الحسنُ بنُ عثمانَ الزِّياديُّ كما في «توالي التأسيس» (ص١٦٤).

وقال: «أقامَ الشَّافعيُّ ههنا ـ يعني: بمصرَ ـ أربعَ سنينٍ، فأَملى ألفًا وخمسَ مئةِ ورقةٍ، وخرَّجَ كتابَ «الأُمِّ» ألفَي ورقَةٍ، وكتابَ «السُّنَنِ» وأشياءَ كثيرةً كلَّها في مُدَّةِ أربعِ سنينَ، وكان عليلًا شديدَ العِلَّة، ورُبَّما خَرج وهو راكِبٌ حتّى تمتلئَ سراويلُه وخُفُّه»، يعني: مِن البواسيرِ.

وقال ابنُ عبدِ الحكمِ: «كان الشَّافعيُّ قد مرض مِن هذا الباسورِ مَرضًا شديدًا حتّى ساءَ خُلقُه، فسمعتُه يقولُ: إنِّي لآتي الخَطأ وأنا أعرِفُه»، يعني: تركُ الحِميَة[1].

وعن أبي الوليدِ قال: «وجَّه المأمونُ لحَملِ الشَّافعيِّ ليولِّيَه القضاءَ، فوصلَ الرَّسولُ والشَّافعيُّ عليلٌ شديدُ العِلَّة».

وقال الرَّبيعُ: «جاءَ رسولُ الخليفةِ إلى الشَّافعيِّ بمصرَ يدعوه ليُولِّيَه القضاءَ، فقال الشَّافعيُّ: اللهمَّ إنْ كان خيرًا لي هذا في ديني ودُنيايَ وعاقبةِ أمري فأمضِه، وإلّا فاقبِضني إليكَ، قال: فتُوفيَ بعدَ هذِه الدَّعوةِ بثلاثةِ أيَّامٍ والرَّسولُ على بابِه»، أخرجه البيهقي[2].

وقال الرَّبيعُ: «دَخلْنا على الشَّافعيِّ عندَ وفاتِه أنا والبُويطيُّ والمُزَنيُّ وابنُ عبدِ الحكمِ فنَظر إلينا الشَّافعيُّ فأطال، ثمَّ التفتَ إلينا فقال: أمَّا أنتَ يا أبا يعقوبَ فستَموتُ في حديدِك، وأمَّا أنتَ يا مُزنيُّ فسيكونُ لك بمصرَ هنّاتٌ وهنّاتٌ، ولتُدرِكَنَّ زمانًا تكونُ أقيسَ أهلِ زمانِك، وأمَّا أنتَ يا محمدُ فسترجعُ إلى مذهبِ أبيكَ، وأمَّا أنتَ يا ربيعُ فأنتَ أنفَعُهم لي في نشرِ الكتبِ»، قال الرَّبيعُ: «فكان كما قالَ».

---

(١) هذا التفسير من البيهقيِّ في «مناقبه» (٢/ ٢٩٢)، ونصُّه: «قلت: قد قيل: أراد به تركَ الحِميَة وتناولَ ما لا يَصلحه، وقيل: أراد به فيما كان يتحفَّظه قبلَ ذلك مِن مكارم الأخلاق».

(٢) «مناقب الشافعي» (١/ ١٥٥).

قال: «ولمّا مرِضَ الشَّافعيُّ مَرضَه الذي ماتَ فيه جاءَ محمدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ الحكمِ يُنازِعُ البُويطيَّ في مجلسِ الشَّافعيِّ، فقال الحُميديُّ: قال الشَّافعيُّ: ليسَ أحدٌ مِن أصحابي أعلمَ مِن البُويطيِّ، فغضِبَ محمدٌ وتركَ مجلِسَ الشَّافعيِّ».

وقال أيضًا: «وجَّه الشَّافعيُّ الحُميديَّ إلى الحَلْقةِ، فقال: الحَلقَةُ لأبي يعقوبَ البُويطيِّ، فمَن شاءَ فليجلِسْ، ومَن شاء فليَذهبْ».

وقال أيضًا: «دخلَ المُزنيُّ على الشَّافعيِّ في مَرضِه الذي ماتَ فيه فقال له: كيفَ أصبحتَ يا أستاذُ؟ فقال: أصبحتُ مِن الدُّنيا راحلًا، ولكأسِ المَنيَّةِ شاربًا، وعلى اللهِ واردًا، ولسوءِ عمَلي مُلاقيًا، قال: ثمَّ رمى بطرْفِه إلى السَّماءِ واستَعبر وأَنشد يقول:

إليكَ إلهَ الخَلقِ أَرفعُ رَغبَتي ... وإنْ كنتُ يا ذا المنِّ والجودِ مُجرِمًا

تَعاظَمَني ذنبي فلمّا قرنتُه ... بعفوِكَ ربِّي كان عفوُك أعظَما»

وقال ابنُ عبدِ الحَكمِ: «سمِعتُ أشهبَ يدعو على الشَّافعيِّ بالموتِ، فذكَرتُ ذلك للشَّافعيِّ فأَنشدَ:

تمنَّى رجالٌ أنْ أموتَ وإنْ أمُتْ ... فتلكَ سبيلٌ لستُ فيها بأوحدِ

فقلْ للذي يَبغي خِلافَ الذي مَضى ... تَهيَّأْ لأُخرى مثلَها وكأنْ قدِ

قال: فماتَ الشَّافعيُّ، فاشتَرى أشهبُ مِن تركَتِه غُلامًا طباخًا، ثمَّ مات أشهبُ بعدَ الشَّافعيِّ بثمانيةَ عشرَ يومًا، فاشتريتُ أنا الغلامَ مِن تركَةِ أشهبَ فنُهيتُ عنه، وقيل لي: إنَّه دَفنَ العالَمينِ في بضعةِ عشرَ يومًا، قال: فاشتَريتُه وتركتُ التَّطيُّر».

قال ابنُ حَجرٍ: «فعاشَ محمدٌ بعدَ ذلكَ أربعًا وستِّينَ سنةً»[1].

وسُئِلَ ابنُ عبدِ الحكمِ عن القراءةِ بعدَ الموتِ؟ فقال: «كان أصحابُنا مُجتَمعينَ عندَ رأسِ الشَّافعيِّ ورَجلٌ يقرأُ سورةَ يس، فلم يُنكِر ذلكَ عليه أحدٌ منهم، وحضروا غَسلَه، فما زالوا وُقوفًا على أرجلِهم إلى أنْ كُفِّنَ».

وقال الرَّبيعُ: «ماتَ الشَّافعيُّ في آخرِ يومٍ مِن رجبٍ يومَ الجمعةِ سنةَ: أربعٍ ومِئتَين».

وفي روايةِ ابنِ أبي حاتمٍ عن الرَّبيعِ: «تُوفيَ الشَّافعيُّ ليلةَ الجُمعةِ بعدَ عشاء الآخرةِ، وكان قد صلَّى المغرِبَ، وذلك آخرَ يومٍ مِن رجبٍ، ودفنَّاه يومَ الجُمعةِ، وانصرَفْنا، فرأينا هلالَ شعبانَ».

وفي روايةٍ أُخرى قال الرَّبيعُ: «لمَّا كان مع المَغربِ قال له ابنُ عمِّه: نَنزِلُ حتّى تُصلي! قال: تجلسونَ تنتَظرونَ خروجَ نفسي، فنزَلنا ثمَّ صعَدنا فقلنا: أصلَّيتَ؟ قال: نعم. واستسقَى وكان الوقتُ شتاءً، فقال ابنُ عمِّه: امزِجُوه[2] بماءٍ مسخَّنٍ، فقال الشَّافعيُّ: لا، بل بربِّ السَّفرجلِ، وتُوفي معَ عشاءِ الآخرةِ».

ولما قيلَ لسفيانَ بنِ عُيينةَ: ماتَ محمدُ بنُ إدريسَ قال: «إنْ كان ماتَ فقد ماتَ أفضلَ أهلِ زمانِه»، أَخرجه البيهقيُّ[3].

وأخرجَ القاضي عِياضٌ[4] قال الرَّبيعُ: «كنّا جُلوسًا في حلْقةِ الشَّافعيِّ بعدَ

---

(١) «توالي التأسيس» (ص١٩٥).

(٢) تحرَّف في النُّسخ، والمثبتُ من «توالي التأسيس» (ص١٩٦).

(٣) «مناقب الشافعي» (٢/ ١٧٥)، وفي هامش (ش): «وفيه نظرٌ؛ لتقدُّم وفاةِ سفيانَ كما مرَّ»، وهو صحيحٌ، فإنَّ ابنَ عُيينة توفي سنةَ: (١٩٨)، والشافعيُّ توفي سنةَ: (٢٠٤)، والله أعلم.

(٤) «ترتيب المدارك» (٣/ ١٩٥).

موتِـه بيسـيرٍ، فوقَـفَ علينـا أعرابيٌّ فسـلَّمَ ثمَّ قـال: أينَ قمرُ هـذه الحلْقةِ وشمسُـها؟ فقلنـا: مـات، فقـال: رحمه اللهُ وغفـرَ له بمـا كان يَفتَـحُ ببيانِه مُنغلِـقَ الحُجَّةِ، ويَسُـدُّ علـى خَصمِـه واضِـحَ المَحِجَّةِ، ويَغسـلُ مِن العـارِ وُجوهًا مُسـوَدَّةً، ويُوسِّـعُ بالرَّأيِ أبوابًا مُنسَـدَّةً، ثـمَّ انصرَفَ».

ولمَّا ماتَ الشَّافعيُّ رحمه اللهُ رثاهُ جماعةٌ مِن الشُّعراءِ فأَبلَغوا...

منهم: ابنُ دُريدٍ اللُّغويُّ، ولم يلقَ الشَّافعيَّ وإنَّما أخذَ عن أصحابِه، فأَنشدَ لنفسِه يَمدحُ الشَّافعيَّ ويَرثِيه بقصيدةٍ، وهي طويلةٌ، منها قولُه فيها[١]:

ألَـمْ تـرَ آثـارَ ابـنَ إدريـسَ بعـدَه ... دلائلُهـا فـي المُشـكلاتِ لوامِـعُ
مَعالِـمُ يَفنـى الدَّهـرُ وهـيَ خوالِـدٌ ... وتنخفِـضُ الأعـلامُ وهـي روافِـعُ
مناهِـجُ فيهـا للهُـدى مُتصـرَّفٌ ... مـواردُ فيهـا للرَّشـاد شـرائعُ[٢]
ظواهِرُهـا حكَـمٌ ومُسـتَنبطاتُها ... لمـا حكَـمَ التَّفريـقُ منـه جَوامـعُ
لـرأيُ ابـنِ إدريـسَ ابـنِ عـمِّ محمـدٍ ... ضيـاءٌ إذا مـا أظْلـمَ الخَطـبُ صـادِعُ
إذا المُعضِلاتُ المُشـكِلاتُ تشـابهتْ ... سـما منـهُ نـورٌ فـي دُجاهُـنَّ سـاطِعُ
أبـى اللهُ إلّا رفـعَـه وعـلُـوَّه ... وليـس لِمـا يُعلِيـه ذُو العـرشِ واضِـعُ

إلى أنْ قال:

فمَـن يـكُ علـمُ الشَّـافعيِّ إمامَـه ... فمرْبَعُـه[٣] فـي سـاحةِ العِلـمِ واسِـعُ

---

(١) وقد أَوردها بتمامها ابنُ عبدِ البر في «الانتقاء» (ص١٨٠)، والبيهقيُّ في «مناقبه» (٢/ ٣٣٦)، وابنُ حجرٍ في «توالي التأسيس» (ص١٩٩).

(٢) في النُّسخ: «شوراع»، والمثبتُ مِن المصادر والمراجع.

(٣) كذا في النُّسخ، وفي المصادر والمراجع: «فمرتعه».

سلامٌ على قَبرٍ تَضمَّن جسمَهُ وجادَتْ عليه المُدْجِناتُ[١] الهوامِعُ
لئِنْ فَجعَتْنا الحادِثاتُ بشخصِه وهنَّ لِما حَكمْنَ فيه فَواجِعُ
فأحكامُه فينا بُدورٌ زواهِرٌ وآثارُه فينا نُجومٌ طوالِعُ

وأنشد راثيًا له الإمامُ أبو حيانٍ النَّحويُّ بقصيدتِه المشهورةِ، وهي طويلةٌ، منها قولُه في أوَّلها:

غُذِّيتُ بعِلمِ النَّحوِ إذْ دَرَّ لي ثَديًا فجِسمِي به يَنمى ورُوحي به تَحيَى
ألَا إنَّ عِلْمَ النَّحوِ قد بادَ أهلُه فما إنْ تَرى في الحَيِّ مِن بَعدِهِم حيًّا
سأتركه تَركَ الغزالِ لظلِّه فأُتبِعه هَجرًا وأُوسِعه نائيًا
وأسمُو إلى الفقهِ المباركِ إنَّه ليُرضِيكَ في الأُخرى ويُعلِيكَ في الدُّنيا
هل الفقهُ إلّا أصلُ دِينِ محمدٍ فجرِّدْ له عزمًا وجدِّد له سَعيًا
وكُن تابعًا للشَّافعيِّ وسَالِكًا طريقتَه تَبلُغْ به غايةَ القُصوى
سَمِيُّ الرَّسولِ المصطفى وابنُ عمِّه فناهيكَ مَجدًا قد سَمى الرُّتبةَ العُليا
هو استَنبطَ الفَنَّ الأُصوليَّ فاكتَسى به الفِقهُ مِن دِيباجِ إنشائِه وَشيا
له النَّظمُ والنَّثرُ الذي سار ذِكرُه فلا لحنَ فيه يَعترِيه ولا عِيَّا

ومنها:

فكَم حِكَمٌ قد قُيِّدَتْ مِن كَلامِه كأنَّ بها لُقمانَ عادَ له المُحيّا
تَواليفُه نورٌ ونُورٌ لِناظِرِه فقد أَشرقَتْ شَمسًا وقد عبَّقَت رِيًا

---

(١) تحرَّفت في النُّسخ، والمُدْجِنات: الغيوم الماطرة.

ومنها:

وكان الإمـامُ الشَّـافعيُّ مُعظَّمًـا إليـه انتَهـتْ فـي عصـرِه رُتبـةُ الفُتيـا
فمـا كانَ مِفراحًـا بمـالٍ يُصيبُـه ولا آيسًـا حُزْنًـا لِمـا فـاتَ مِـن دُنيـا
ولا رَاقَـه حُسْـنٌ ولا شَـاقَه هَـوًى إلـى وَجْنـةٍ حمـراءَ ولا شَـفَّةٍ لَمْيـا
ولمَّـا أتـى مِصـرَ انبَـرى لإذائِـه أُنـاسٌ طَوَوا كشـحًا على بُغضِـه طَيَّا
أَتـى ناقِـدًا مـا حَصَّلـوه وهادِمًـا لِمَـا أَهمَلـوا إذْ كان بُنيانُهـم وَهْيًـا
فدَسُّـوا عليـه عندَمـا انفَـردُوا بـه شَـقِيًّا لهـم شَـلَّ الإلـهُ لـه يدَيّـا
فشَـجَّ بمفتـاحِ الحَديـدِ جَبينَـه فَـراحَ قتيـلًا لا بـواءَ ولا نَعيًـا
نعـم قد نعـاهُ الدِّينُ والعِلْـمُ والحُجا وتردادُ صوتٍ في الدُّجا يَسرُدُ الوَحْيا
فَرَعْيًـا لعلِـمٍ كان أتحفَنـا بـه وسَـقيًا لقبـرٍ ضَـمَّ جُثمانَـه سَـقْيا

ومعنى ما أشارَ إليه أبو حيان[1] هو ما قال الحافِظُ ابنُ حجرٍ[2]: «قد اشتُهِرَ أنَّ سببَ موتِ الشَّافعيِّ: أنَّ فِتيانَ ابنِ أبي السَّمْحِ المَالكيِّ المِصريِّ وقعَتْ بينَه وبينَ الشَّافعيِّ مُناظَرةٌ، فبدرَتْ مِن فتيانٍ بادِرةٌ، فرُفِعتْ إلى أميرِ مصرَ فطَلَبَه وعزَّره فحَقدَ لذلك، فلقِيَ الشَّافعيَّ ليلًا فضرَبَه بمفتاحِ حديدٍ فشجَّه، فتَمرَّضَ الشَّافعيُّ منها إلى أنْ مات، قال ابنُ حَجرٍ: ولم أرَ ذلكَ مِن وجهٍ يُعتمد».

والحَقُّ ما قالَه ابنُ حجرٍ؛ فإنَّ مقامَ أولئكَ الأئمَّةِ مُنزَّهٌ عن مثلِ هذا، ولا التفاتَ لكلامِ المُتعصِّبينَ!

---

(١) في هامش (ش): «بقوله: فشجَّ بمفتاحِ الحديد جبينَه.... إلخ».

(٢) «توالي التأسيس» (ص٢٠٠).

ورُؤيَ للشَّافعيِّ بعدَ موتِه مَناماتٌ حَسنةٌ.

قال ابنُ أبي حاتمٍ[١]: «سمعتُ محمدَ بنَ مسلِمٍ يقول: لمَّا ماتَ أبو زُرعةَ الرَّازيُّ رأيتُه في المنامِ فقلتُ له: ما فَعلَ اللهُ بكَ؟ قال: قال لي: ألحِقوه بأبي عبدِ اللهِ وأبي عبدِ اللهِ وأبي عبدِ اللهِ، الأوَّل: مالكٌ، والثَّاني: الشَّافعيُّ، والثَّالثُ: أحمدُ بنُ حنبلٍ».

وأَخرج البيهقيُّ[٢] مِن طريقِ عُثمانَ قال: «رأيتُ فيما يَرى النَّائمُ كأنَّ القيامةَ قد قامتْ، وكأنَّ الله قد بَرزَ لفَصلِ القَضاءِ، وكأنَّ الخلائِقَ قد حُشِروا، وكأنَّ مُناديًا يُنادي مِن بُطنانِ العرشِ: ألا أَدخلوا أبا عبدِ اللهِ وأبا عبدِ اللهِ وأبا عبدِ اللهِ وأبا عبدِ اللهِ الجنَّةَ، فقلتُ لمَلَكٍ إلى جَنبي: مَن هؤلاءِ؟ قال: مالكٌ والثَّوريُّ والشَّافعيُّ وأحمدُ بنُ حنبلٍ، رضوانُ الله عليهم أجمعين».

واللهُ سبحانَه وتعالى أعلمُ.

***

(١) ساقها عن ابنِ أبي حاتمٍ البيهقيُّ في «مناقبه» (٢/ ٣٠٢)، ولم أجدْها في «آداب الشافعي» لابن أبي حاتم.

(٢) أخرجها البيهقيُّ في «المناقب» (٢/ ٣٠٣) عن الحافظ عثمانَ ابنِ خُرَّزاذ الأنطاكي، انظر ترجمتَه في «تهذيب الكمال» (١٩/ ٤١٧).

البابُ الرّابعُ

في مناقبِ الإمامِ أبي عبدِ اللهِ أحمدَ بنِ حنبل

رضي الله عنه

وهو الإمامُ العَلَمُ الحُجَّةُ، المُجتَهدُ البارعُ، الحافظُ الضّابطُ المُتقِنُ، الوَرعُ الزّاهدُ، النّاسِكُ العابِدُ، عالِمُ الإسلامِ، وناصِرُ السُّنة، وقامِعُ البدعة، وأحدُ أئمَّةِ المذاهِبِ المَتبوعة، وحُجَّةُ الإسلامِ، وداحضُ الحُججِ الباطِلةِ بأقوالِه الفاصِلة، العالِمُ الرَّبّاني، والصِّديقُ الثّاني، الإمامُ المُبجَّل، والحَبرُ المُفضَّل:

أبو عبدِ اللهِ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ حنبلِ بنِ هِلالِ بنِ أسدِ بنِ إدريسَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ حيانَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ أنسِ بنِ عوفِ بنِ قاسِطِ بنِ مازنِ بنِ شَيبانَ بنِ ذُهْلِ بنِ ثَعلبةَ بنِ عُكابَةَ بنِ صَعْبِ بنِ عليِّ بنِ بكرِ بنِ وائلِ بنِ قاسِطِ بنِ هِنْبِ بنِ أفْصَى بنِ دُعْمِيِّ بنِ جَدِيلَةَ بنِ أسَدِ بنِ رَبيعةَ بنِ نِزارٍ تاسِعَ عشرَ أجدادِ النَّبيِّ ﷺ، بنِ مَعدِ بنِ عدنانَ، إلى هنا أَجمع النَّسابونَ على صحَّتِه، بنِ أُدِّ بنِ أُدَدَ بنِ الهَمَيْسَعِ بنِ حَمَلِ بنِ النَبْتِ بنِ قَيذارِ بنِ إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ خليلِ الرَّحمنِ صلواتُ اللهِ وسلامُه عليه.

وأبناءُ نزارٍ أربعةٌ: مُضرُ وربيعةُ وإيادٌ وأنمارُ، ومنهم تشعَّبتْ بُطون العربِ كلِّها.

فالإمام أحمدُ مِن وَلدِ ربيعةَ، والنَّبيُّ ﷺ مِن وَلدِ مُضرَ.

وقال مُصعبُ الزُّبَيريُّ وغيرُه: «فِهرٌ: هو جماعُ قريشٍ كلِّها»[1].

ـ [والدة الإمام أحمد]:

وأمُّ الإمامِ أحمدَ ـ كما قال ابنُ بطَّةَ ـ شَيبانيَّةٌ.

---

(١) انظر «تهذيب الكمال» (١/ ١٨١) فقد توسَّع في ذلك.

واسـمُها: صفيَّـةُ بنـتُ مَيمونـةَ بنتِ عبدِ اللهِ الشَّـيبانيِّ مِـن بني عامرٍ، نـزَلَ أبوه بهـم فتزوَّجها.

وجدُّها: عبدُ الملكِ بنُ سوادةَ بنِ هندٍ الشَّيبانيُّ، مِن وُجوهِ بني شَيبانَ، تنزِلُ به قبائلُ العربِ للضيافةِ.

فحازَ رضي الله تعالى عنه بذلك شرفَ النَّسبَينِ[1]، وكمُلَ له بأصلَيه الشَّريفَين أتمَّ الشَّرفَين.

فهو الإمامُ أبو عبدِ الله الذُّهليُّ ثمَّ الشَّيبانيُّ المَروزيُّ ثمَّ البغداديُّ.

ـ [ولادته ووفاته]:

خَرجَ مِن مروٍ بأعمالِ خُراسانَ وهو حَمْلٌ، فوُلِدَ ببغدادَ سنةَ: أربعٍ وستِّينَ ومئةٍ في شهرِ ربيعِ الأوَّلِ.

وتُوفي يومَ الجمعةِ سنةَ: إحدى وأربعينَ ومِئتَين، وله سبعٌ وسبعونَ سنةً[2].

ودُفِنَ ببغدادَ، وقبرُه الآنَ قد وارتْه الدِّجلةُ.

وكان رجلًا رَبعةً مِن الرِّجالِ حسَنَ الوجهِ، يَخضِبُ بالحناءِ خِضابًا ليس بالقاني، في لحيتِه شعراتٌ سودٌ، وثيابُه بيضٌ، يلبَسُ العِمامةَ والإزارَ، ويلبَسُ الغليظَ الأبيضَ مِن الثِّيابِ، ولبَسَ في الشِّتاءِ قَميصَينِ وجُبَّةً ملوَّنةً، ورُبَّما لبِسَ قَميصًا وفَروًا، وربَّما لبِسَ الفَروَ فوقَ الجُبَّةِ في البردِ الشَّديدِ، ولبِسَ العِمامةَ فوقَ القَلنسوةِ وكساءً ثقيلًا.

قال[3] له بعضُهم: هذا اللِّباسُ كلُّه! فضحِكَ وقال: «أنا رقيقٌ في البَردِ».

---

(١) في (ش): «النسبتين».

(٢) انظر ما سيأتي في فصل وفاته.

(٣) في (ش): «وقال».

وربَّما لبِسَ القَلنسوةَ بغيرِ عِمامةٍ، ولبِسَ السَّراويلَ والرِّداءَ، وكثيرًا ما كان يتوشَّحُ فوقَ القميصِ.

قال الرَّواي: ولم أرَه لبِسَ طَيْلَسانًا قط، ولم أرَه أَرخى كُمًّا في مَشيه قط، وخاطَ لِنفسِه قَلَنسوةً فكان يلبِسُها باللَّيلِ، وكانت له جُبَّةٌ خضراءُ فيها رُقعَةٌ بيضاءُ مِن صوفٍ.

قال الرّاوي: وأعطاني خُفًّا له قد لبِسَه سبعَ عشرةَ سنةً، ورأيتُ نعلَه صفراءَ، وقال: «ما مضى أكثرُ ممّا بقيَ، تدري منذُ كَم هذهِ النَّعلُ لها؟ نحوٌ مِن ستَّ عشرةَ سنةً».

وكانت سراويلُه فوقَ كعبِه، وخَضَّبَ رأسَه ولِحيَتَه بالحِنّاءِ وهو ابنُ ثلاثٍ وستِّينَ سنةً.

وكان لا يَخوضُ في شيءٍ مِن أمورِ الناس.

وكان ذا وقارٍ وسكينةٍ، مِن أحيا الناسِ وأكرمِهم نفسًا، وأحسنِهم عِشرةً وأدبًا، كثيرَ الإطراقِ والغَضِّ، مُعرِضًا عن القَبيحِ واللَّغوِ، لا يُسمَعُ منه إلّا المُذاكرَةُ بالحديثِ، وذِكرُ الصّالحين.

قال أبو داودَ: «كانَت مُجالسةُ أحمدَ مجالسةَ آخرةٍ، لا يُذكرُ فيها شيءٌ مِن أمرِ الدُّنيا، وما رأيتُه ذكرَ الدُّنيا قط، وكان ربَّما قعدَ في الشَّمسِ مكشوفَ الظَّهرِ وأثرُ الضَّربِ ظاهرٌ عليه».

وقال ثعلبُ في صِفتِه: «رأيتُ رجلًا كأنَّ النّارَ تُوقدُ بينَ عينَيه».

وقال عبدُ الملكِ المَيمونيُّ: «ما أعلمُ أنِّي رأيتُ أحدًا أنضرَ ثوبًا، ولا أشدَّ تعاهدًا لنفسِه في ثيابِه وشعرِ رأسِه وبدنِه مِن أحمدَ بنِ حنبلٍ».

وكان يُحبُّ الفقراءَ، ويُعرِضُ عن أهلِ الدُّنيا، ويجلِسُ للفقهاءِ فلا يتكلَّمُ حتَّى يُسأَلَ، يجلِسُ حيثُ انتهى به المَجلسُ، ولا يَتصدَّرُ ولا يَمدُّ رِجلَهُ؛ إكرامًا لجليسِه.

وكان حسنَ الخُلقِ، دائِمَ البِشرِ، ليِّنَ الجانِبِ، ليسَ بفظٍّ ولا غَليظٍ.

يُحِبُّ في اللهِ، ويُبغِضُ فيه، يُحبُّ لِمَن أحبَّهُ ما يحِبُّ لنفسِه، ويكره له ما يكرَه لها، لا تأخذُه في اللهِ لومةُ لائمٍ، حسنَ الجِوارِ يُؤذَى فيَحتَملُ.

وأَرسلَ إليه الخليفةُ المُتوكِّلُ الذي سعى فيه بالمِحنة ليقولَ فيه فقال: «لعلَّ له صِبيانًا يكرهونَ قتلَه».

وقال له رجلٌ: اجعلني في حِلٍّ فقد اغتَبتُكَ! فقال: «نعم، إنْ لم تعُدْ».

وكان أصبرَ الناسِ على الوحدةِ، فكان لا يُرى إلّا في مسجدٍ أو حُضورِ جنازةٍ أو عيادةِ مريضٍ.

وكان يَكره المَشيَ في الأسواق.

وقال: «أشتهي ما لا يكونُ، أشتهي مكانًا ليس فيه أحدٌ».

وقال: «ما أُبالي ألا يَراني أحدٌ ولا أراه، وإنْ كنتُ لأشتهي رؤيةَ عبدِ الوهّابِ[1]».

وقال: «الخَلوةُ أروحُ لقلبي».

وقال: «أريدُ أنْ أنزِلَ مكّةَ فأُلقي نفسي في شِعْبٍ مِن الشِّعابِ حتّى لا أُعرفَ».

---

(١) كَتب مُحقِّقُ «مناقب الإمام أحمد» (ص٣٧٤): «هو عبدُ الوهاب بنُ عبدِ الحكم الورّاق، كان مِن خواصِّ الإمام أحمد».

وبالجُملةِ: فأوصافُه الجَميلةُ كما سيأتي كثيرةٌ.

قال حُمَيدُ بنُ عبدِ الرَّحمنِ[1]: «كان يُقال: لم يكن أشبهَ برسولِ اللهِ ﷺ مِن أصحابِه مِن عبدِ اللهِ بنِ مَسعودٍ هَديًا وسمْتًا، وكان أشبهَ الناسِ بعبدِ اللهِ علقمةُ بنُ قَيسٍ، وكان أشبهَ الناسِ بعلقمةَ إبراهيمُ النَّخعيُّ، وكان أشبهَ الناسِ بإبراهيمَ منصورُ بنُ المُعْتَمِرِ، وكان أشبهَ الناسِ بمنصورٍ سُفيانُ الثَّوري، وكان أشبهَ الناسِ بسفيانَ وكيعُ بنُ الجَرّاحِ».

قال محمدُ بنُ يونسَ: «وكان أشبهَ الناس بوكيعٍ أحمدُ بنُ حنبلٍ».

كيف لا؟! وهو الإمامُ المجتهدُ حافظُ السُّنةِ ومُحييها، ومُميتِ البدعةِ ومُخفيها، الذي شاعَ فضلُه واشتهرَ عِلمُه، وارتَفعَ قدرُه وعظُمَتْ مَنزلتُه، وعُرِفَتْ مَكانَتُه وظَهرتْ سيادَتُه، فأقرَّ بعِلمِه علماءُ الأمصارِ، وأذعنَ لفضلِه فضلاءُ الأقطار.

واشتهرَتْ عنه رِوايةُ الحديثِ عندَ الأئمَّةِ الأخيارِ، وحَفظَ ألفَ ألفِ حديثٍ مِن الأخبارِ، وكان مُتمَسِّكًا في دينِه بالأحاديثِ والآثارِ، قامِعًا لأهلِ البدعةِ مِن ذَوي الأشرارِ، حتّى كان عندَ الأُمةِ[2] كأبي بكرٍ الصِّديقِ يومَ الرِّدَّةِ، وعُمرَ يومَ السَّقيفَةِ، وعليٍّ يومَ صِفِّينَ، وعثمانَ يومَ الدّارِ.

الصّابرُ في اللهِ على مِحْنَتِه، الدّافِعُ عن كتابِ اللهِ وسُنَّتِه، المَضروبُ

---

(١) هو الإمام الحافظ الثبتُ حُميدُ بنُ عبدِ الرحمن الرُّؤاسي، رَوى له أصحابُ الكُتبِ السِّتة، والخبرُ نَقَله الذهبيُّ في «السير» (١١/ ٣١٦).

(٢) في (ش): «الأئمة».

بالسِّياطِ فلم تأخذْه في اللهِ لومةُ لائمٍ، فكان ذلك فيه مِصداقَ الحديثِ الواردِ عن أبي القاسِمِ حيث قال ﷺ: «إنه كائنٌ في أُمتي ما كان في بني إسرائيلَ، حتّى إنَّ المِنشارَ ليُوضَعُ على مَفْرِقِ رأسِ أحدِهم فما يَصْرِفُه ذلك عن دِينه»[1].

قال عليُّ بنُ شُعيبٍ الطُّوسيُّ: «كان أحمدُ بنُ حنبلٍ عندَنا المَثلَ الذي قال فيه النَّبيُّ ﷺ هذا الحديثَ، ولولا أنَّ أبا عبدِ اللهِ قام بهذا الشّأن لكان عارًا وشنارًا علينا إلى يومِ القيامةِ، أنَّ قومًا سُبِكوا فلم يَخرجْ منهم أحدٌ».

وعن أنسٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: **«ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه فقد وَجدَ حلاوةَ الإيمانِ: أنْ يكونَ اللهُ ورَسولُه أحبَّ إليه ممّا سِواهُما، وأن يُحِبَّ المرءَ لا يُحِبُّه إلّا للهِ، وأن يُقذَفَ في النّارِ أحبَّ إليه مِن أنْ يرجِعَ إلى الكُفرِ بعدَ إذ[2] أنقذَه اللهُ منه»**[3].

قال الإمامُ البيهقيُّ: «فاجتمعتْ هذه الخصالُ الثَّلاثُ في أبي عبدِ الله رحمه الله».

* * *

(١) أورده الخطيبُ في «تاريخ بغداد» (٥/ ١٨٤)، وأصلُ الحديث أخرجه البخاريُّ (٥/ ٤٥) مِن حديث بلفظ: «لقد كان مَن قبلَكم لَيُمشطُ بمشاطِ الحديدِ.... إلخ».

(٢) في (ش): «أنْ».

(٣) البخاري: (١/ ١٢)، مسلم: (١/ ٦٦).

فصلٌ في مَن رَوى عنه أحمدُ أو رَوى عن أحمد وفي سَعَةِ حِفظِه

لا شُبهةَ عندَ الأئمَّةِ بأنه إمامُ السُّنةِ، وأنه أجمعُ الأئمَّةِ حديثًا، ورَوتْ عنه أئمَّةُ الأمصارِ قديمًا وحديثًا.

طَلَبَ رحمهُ اللهُ العِلمَ سنةَ وفاةِ مالكٍ، وهي سَنةُ: تِسعٍ وسبعينَ.

فكان يتأسَّفُ على عدمِ اجتِماعِه به، وكان يقولُ: «فاتني الإمامُ مالكٌ، فأخلَفَ اللهُ عليَّ سفيانَ بنَ عُيينة، وفاتني حمّادُ بنُ زَيدٍ، فأَخلَف اللهُ عليَّ إسماعيلَ بنَ عُليَّة».

فَرَوى رضي الله عنه عن: سُفيانَ بنِ عُيينةَ، وسُفيانَ الثَّوريِّ، ومحمدِ بنِ إدريسَ الشافعيِّ، ويزيدَ بنِ هارونَ، ويحيى القَطّانِ، وإبراهيمَ بنِ سعدٍ، وهُشيمٍ، ووكيعٍ، وابنِ عُليَّةَ، وعبدِ الرَّحمنِ بنِ مَهديٍّ، وعبدِ الرَّزاقِ، وجَريرِ بنِ عبدِ الحَميدِ، ومُعْتمرِ بنِ سُليمانَ، والقاضي أبو[1] يوسفَ، وأبو الوليدِ الطَّيالسيّ، وأبو نُعيمٍ الفَضل، وأبو عاصِمٍ النَّبيل، وعبدِ المُؤمنِ بنِ عبدِ اللهِ، وبَهْزٍ، وعفانَ، ورَوحِ بنِ عُبادةَ، وسليمانَ بنِ حربٍ، وأبي بكرِ بنِ عيّاشٍ، وابنِ مَنيعٍ، وإبراهيمَ ابنِ عَقيلٍ، وخلائقَ لا يُحصَونَ، ذَكرهم الحافظُ ابنُ الجوزيِّ وغيرُه على حروفِ المُعجمِ[2].

سمِعَ منهم بمكَّةَ والبَصرةِ والكوفةِ وبغدادَ واليمنِ والجَزيرةِ، وخَرجَ إلى اليمنِ وإلى طرسوسَ ماشيًا، وشاركَ الإمامَ الشافعيَّ في أكثرِ شُيوخِه، كما قال ابنُ حجرٍ[3].

---

(١) كذا في النُّسخ، وكذلك فيما سيأتي.

(٢) انظر «مناقب الإمام أحمد» (ص٤٠).

(٣) «توالي التأسيس» (ص٧٧).

واشتَهرتْ عنه روايةُ الحديثِ، وروى عنه مِن الأئمَّةِ ما لا يُمكنُ حصرُه حتّى رَوى عنه كبارُ مشايخِه.

فرَوى عنه: الإمامُ الشافعيُّ، وعبدُ الرَّزّاقِ، وعبدُ الرَّحمنِ بنُ مَهديٍّ، ويزيدُ بنُ هارونَ، ويحيى بنُ آدمَ، وأبو الوليدِ، والأسودُ بنُ عامرٍ، وقُتيبةُ بنُ سَعيدٍ، ومَعروفٌ الكَرخيُّ، وعليُّ بنُ المَدينيِّ، والبُخاريُّ، ومُسلمٌ، وأبو داودَ، وإبراهيمُ الحَربيُّ، وأبو زُرعةَ الرّازيُّ، وأبو زُرعةَ الدِّمشقيُّ، وأبو بكرٍ الأثرمُ، وأبو بكرِ بنُ أبي الدُّنيا، وأبو القاسِمِ البَغويُّ، ومحمدُ بنُ إسحاقَ الصّاغانيُّ، وأبو حاتمٍ الرّازيُّ، وأحمدُ بنُ أبي الحواريِّ، وموسى بنُ هارونَ، وحنبلُ بنُ إسحاقَ، وعُثمانُ بنُ سعيدٍ الدّارميُّ، وحَجاجُ بنُ الشّاعرِ، وخلائقُ كثيرونَ ذَكرهم الحافظُ أبو الفَرج على حُروفِ المُعجمِ[1].

وكان محبًّا لطَلَبِ العِلمِ، مُكثرًا مِن الحديثِ، وكان يقول: «ما تزوجْتُ إلّا بعدَ الأربعين»، وقال: «نحن كتبْنا الحديثَ مِن سِتَّةِ أوجهٍ - أو سبعةٍ - ولم نَضبِطْه، فكيف يَضبِطُ مَن كتبَه مِن وجهٍ واحدٍ؟!».

وما زالَ في طَلَب الحديثِ حتّى قال صالحُ بنُ الإمامِ أحمدَ: «رأى رجلٌ مع أبي مَحبرةً فقال له: يا أبا عبدِ اللهِ أنتَ قَد بلغْتَ هذا المَبلغَ، وأنتَ إمامُ المُسلمِينَ! فقال: مع المَحبَرةِ إلى المَقبَرةِ».

وقال: «أطلُبُ العِلمَ إلى أنْ أَدخلَ القَبر».

وقال أحمدُ الدَّوْرَقيُّ: «لمّا قدِمَ أحمدُ مِن مكّةَ مِن عندِ عبدِ الرَّزّاقِ رأيتُ به

---

(١) انظر: «مناقب الإمام أحمد» (ص٦٧٣).

سُحوبًا[١] وآثارَ التَّعبِ والنَّصَبِ، فقلتُ له: لقد شَققْتَ على نفسِكَ في خُروجِكَ إليه! فقال: ما أهونَ المَشقَّةَ فيما استَفدْنا منه، كتبْنا عنه حديثَ الزُّهريِّ عن سالمِ بنِ عبدِ اللهِ عن أبيهِ، وحديثُه عن سعيدِ بنِ المُسيَّبِ عن أبي هُريرةَ».

وكان مُكثِرًا مِن الحديثِ، ومِن المشايخِ المَعروفينَ بالحديثِ، حتّى وَقعَ له أنَّه أخذَ عن ثلاثةٍ مِن الشُّيوخِ ثلاثَ مئةِ ألفِ حديثٍ، وهذا القَدرُ كافٍ في عُلوِّ مَرتَبتِه.

قال أحمدُ بنُ مَنيعٍ: «سَمعتُ جدِّي يقول: مرَّ أحمدُ بنُ حنبلٍ جائيًا مِن الكوفةِ وبيدِه خريطةٌ فيها كُتبٌ، فأخذتُ بيدِه فقلتُ: مرَّةً إلى الكُوفة، ومرَّةً إلى البصرة، إلى متى؟! إذا كتبَ الرَّجلُ ثلاثينَ ألفَ حديثٍ ألم يكفِه؟ فسَكتَ، ثمَّ قلتُ: ستِّينَ ألفًا؟ فسَكتَ، فقلتُ: مئةَ ألفٍ؟ فقال: حينئذٍ يعرِفُ شيئًا، قال أحمدُ بنُ مَنيعٍ: فنَظرنا فإذا أحمدُ قد كَتبَ ثلاثَ مئةِ ألفٍ عن بهزِ بنِ أسدٍ وعفّانَ[٢]، وأظنُّه قال: ورَوحِ بنِ عُبادةَ».

وقال محمدُ بنُ أحمدَ بنِ النَّصرِ: «سُئلَ أحمدُ عن الرَّجلِ يَسمعُ مئةَ ألفِ حديثٍ أيُفتِي؟ قال: لا، قلتُ: فمئَتي ألفِ حديثٍ؟ قال: لا، قلتُ: فثلاثَ مئةِ ألفِ حديثٍ، قال: لعلَّه».

وقال أبو عليٍّ الضَّريرُ: «قلتُ لأحمدَ بنِ حنبلٍ: كم يَكْفي الرَّجلَ مِن الحديثِ حتَّى يُمكنَه أن يُفتيَ؟ أيكفيه مئةُ ألفِ حديثٍ؟ قال: لا، قلتُ: فمئَتا ألفٍ؟ قال: لا، قلتُ: أربعُ مئةِ ألفٍ؟ قال: لا، قلتُ: خمسُ مئةِ ألفٍ؟ قال: أرجُو».

---

(١) تحرَّفتْ في النُّسخ.

(٢) تداخل النصُّ في النُّسخ، وقوَّمتُه من «مناقب الإمام أحمد» (ص٣٣).

قال ابنُ حَجرٍ[1]: «ومِن عَظيمِ ما اتَّصلَ بي مِن حِفظِه قولُ أبي زُرعةَ الرّازيِّ: إنَّ كُتبه كانت اثنَي عشرَ حِملًا، وكان يَحفظُها كلَّها على[2] ظَهرِ قلبِه».

وقال عبدُ الله بنُ الإمامِ أحمدَ: «سمعتُ أبا زُرعةَ يقول: كان أبوكَ يَحفظُ ألفَ ألفِ حديثٍ»[3].

وقيل لأبي زُرعةَ: مَن أحفظُ مَشايخِ المُحدِّثين؟ قال: أحمدُ.

وقال عبدُ الوهّابِ الورّاقُ: «ما رأيتُ مِثلَ أحمدَ بنِ حنبلٍ»، قالوا له: وأيُّ شيءٍ بانَ لك مِن فَضلِه وعِلمِه على سائرِ مَن رأيتَ؟ قال: «رَجلٌ سُئِلَ عن ستِّينَ ألفَ مسألةٍ فأجابَ فيها بأنْ قال: حدَّثنا وأخبرنا».

***

فصلٌ في ثناءِ الأئمَّةِ على الإمامِ أحمدَ

قد أكثرَ أئمَّةُ الإسلامِ وعلماءُ الأنامِ مِن الثَّناءِ على هذا الإمامِ، وبالغُوا في تَعظيمِه والثَّناءِ عليه لا سيَّما الإمامُ الشافعيُّ رضي الله عنه.

قال الشافعيُّ رحمه اللهُ: «خرجتُ مِن بغدادَ وما خلَّفتُ بها أحدًا أورعَ ولا أتقى ولا أفقه ـ وأظنُّه قال: ولا أعلمَ ـ مِن أحمدَ بنِ حنبل».

وقال أيضًا: «ما خلَّفتُ بالعِراقِ أحدًا يُشبه أحمدَ».

---

(١) «توالي التأسيس» (ص٧٧).

(٢) الذي في «توالي التأسيس»: «عن».

(٣) قال الذهبي في «السير» (١١/ ١٨٧): «هذه حكايةٌ صحيحةٌ في سَعة عِلم أبي عبد الله، وكانوا يَعدُّون في ذلك المُكرَّر والأثرَ وفتوى التابعيِّ وما فُسِّر، ونحوَ ذلك، وإلا فالمتونُ المرفوعةُ القويةُ لا تبلغ عُشرَ معشارِ ذلك».

وقال الرَّبيعُ: «قال لنا الشافعيُّ: أحمدُ إمامٌ في ثمانِ خصالٍ: إمامٌ في الحديثِ، إمامٌ في الفقهِ، إمامٌ في اللُّغةِ، إمامٌ في القرآنِ، إمامٌ في الفقرِ، إمامٌ في الزُّهدِ، إمامٌ في الوَرعِ، إمامٌ في السُّنةِ».

وقال أيضًا: «عجِبتُ لصغيرٍ لا يقولُ شيئًا إلّا صدَّقَه الكِبارُ[1]، وهو أحمدُ»[2].

وقال أيضًا: «ما رأيتُ أعقلَ مِن أحمدَ وسليمانَ بنِ داودَ».

وحدَّثَ الشافعيُّ عن أحمدَ فقال: «أنبأنا[3] الثِّقةُ مِن أصحابِنا»، يعني: أحمدَ.

وقال له الشافعيُّ: «يا أبا عبدِ اللهِ إذا رأيتَ الحديثَ الصَّحيحَ فأخبِرْني حتّى أذهبَ إليه».

وفي روايةٍ أُخرى: قال الشافعيُّ لأحمدَ: «أنتَ أعلمُ بالأخبارِ الصِّحاحِ منّا، فإذا كان خبرٌ صحيحٌ فأعلِمْني به حتّى أذهبَ إليه، كوفيًّا كان أو مِصريًّا أو شاميًّا»، نَقل ذلك البَيهقيُّ وغيرُه.

وامتدحَه الإمامُ الشافعيُّ بالبيتَين المَشهورينِ[4]:

---

(١) في النُّسخ: «الكتاب»، وانظر التعليقَ التالي.

(٢) أُغلقتْ عليَّ هذه العبارة، فطفِقتُ أبحث عنها فوجدت نصَّها عن الشافعيِّ هكذا: «ثلاثةٌ مِن العلماءِ مِن عجائب الزمان: عربيٌّ لا يُعرب كلمةً وهو أَبو ثَور، وأَعجميٌّ لا يُخطئ في كلمة وهو الحسنُ الزَّعفرانيُّ، وصغيرٌ كلما قال شيئًا صدَّقه الكبارُ، وهو أَحمد بن حَنبل»، انظر «مناقب الإمام أحمد» (ص١٤٤) لابن الجوزي، وجاءتْ في «السير» (١١/ ١٩٥) هكذا: «قال المزني: قال الشافعي: رأيتُ ببغدادَ شابًّا إذا قال: حدَّثنا، قال الناسُ كلُّهم: صدق، قلتُ: ومَن هو؟ قال: أحمد بن حنبل».

(٣) في المصادر والمراجع: «حدَّثنا».

(٤) عزا هذَينِ البيتَين الحمويُّ في «معجم الأدباء» (٣/ ١٠٢٨) إلى الحسين بن إبراهيم النَّطَنْزي، ولم أجدهما في الكتب المسنَدة بترجمة الإمام أحمد، أو في المراجعِ القديمة، والله أعلم.

قالُــوا يَــزورُكَ أحمــدُ وتَــزوره قلــتُ الفضائِــلُ لا تُفــارِقُ مَنزلَــه
إنْ زارنــي فبفضْلِــه أو زُرْتُــه فلفضْلِـه فالفَضْـلُ فـي الحالَيـنِ لـه

ويقالُ: إنَّ الإمامَ أحمدَ أجابه بقولِه:

إنْ زُرتَنَــا فبفضْــلٍ منــكَ تَمنحنــا أو نحـنُ زُرْنـا فلِلْفضـلِ الـذي فيكَ
فــلا عدِمْنــا كلا الحالَــينِ منــك ولا نــال الــذي يتمنَّــى فيــكَ شــانيكا

وقــال قُتيبــةُ بــنُ ســعيدٍ: «خيــرُ أهــلِ زَمانِنــا ابــنُ المُبــاركِ، ثمَّ هــذا الشّــابُ»، يعنــي: أحمدَ.

وقال أيضًا: «أحمدُ وإسحاقُ بنُ راهويه إماما الدُّنيا».

وقــال أيضــا: «مَـن أحـبَّ أحمـدَ فهو صاحـبُ سُـنةٍ»، وفـي أُخـرى: «فاعْلَمْ: أنـه علـى الطَّريقِ».

وقال أيضًا: «لو أدركَ أحمدُ عصرَ الثَّوريِّ ومالكٍ والأوزاعيِّ واللَّيثِ بنِ سعدٍ، لقُدِّمَ»، فقيل له: يُضمُّ أحمدُ إلى التّابعينَ؟! فقال: «إلى كبارِ التّابعينَ».

وقال أيضًا: «لولا الثَّوريُّ لماتَ الوَرعُ، ولولا أحمدُ لأَحدثُوا في الدِّينِ».

وقال أيضًا: «يموتُ أحمدُ وتَظهرُ البِدعُ».

وقال عبدُ الرَّزّاقِ: «ما رأيتُ أفقهَ مِن أحمدَ ولا أورَعَ».

وقال أيضًا: «ما قَدِمَ علينا أحدٌ يشبِهُ أحمدَ».

وقال أيضًا: «رَحلَ إلينا أربعةٌ مِن رُؤساءِ الحَديثِ: الشّاذَكُونيُّ وكان أحفظَهم للحديثِ، وابنُ المَدينيِّ وكان أعرفَهم باختلافِه، ويحيى بنُ مَعينٍ وكان أعلَمهم بالرِّجالِ، وأحمدُ بنُ حنبلٍ وكان أجمعَهم لذلكَ كلِّه».

وفـي هـذا مَنقبةٌ عَظيمـةٌ لأحمدَ؛ حيثُ إنَّ هـؤلاءِ الأربعةَ أعظـمُ مَن رحلَ إلى عبدِ الرَّزّاقِ، وأعظَمُهم الإمامُ أحمدُ.

وقال أيضًا: «إنْ يعِشْ هذا الرَّجلُ يكُنْ خَلفًا مِن العلماءِ».

وقال أبو يعقوبَ[1]: «ما رُحِلَ إلى أحدٍ بعدَ رسولِ اللهِ ﷺ ما رُحِلَ إلى عَبدِ الرَّزّاقِ»، ويقول: «ما قَدِمَ علينا أحدٌ يُشبِهُ أحمدَ».

وأَثنى عليهِ يزيدُ بنُ هارونَ، ورَجَع إلى قولِه في مسألةِ ضمانِ العاريةِ.

قال أحمدُ بنُ سِنانٍ: «ما رأيتُ يزيدَ بنَ هارونَ لأحدٍ أشدَّ تعظيمًا منه لأحمدَ، كان يُقعِده إلى جنبِه إذا حدَّثنا، وكان يُوقِّرُه ولا يُمازِحُه»، وضَحِكَ إنسانٌ بحضرةِ يزيدَ بنِ هارونَ وأحمدُ حاضِرٌ فغضِبَ يزيدُ، وقال: أتضحكونَ وأحمدُ هاهُنا؟!

وقال وكيعٌ: «ما قَدِمَ الكوفةَ مثلُ أحمدَ».

وقال عبدُ الرَّحمنِ بنُ مَهديٍّ: «أحمدُ أعلمُ الناسِ بحديثِ سُفيانَ».

وقال أيضًا: «ما نَظرْتُ أحمدَ إلّا تَذكَّرتُ سفيانَ».

وقـال أيضًـا: «مَـن أرادَ أنْ ينظُـرَ إلـى ما بيـنَ كتفَي الثَّـوريِّ فليَنظرْ إلـى هذا»، يعنـي: أحمدَ.

وقال أيضًا: «كادَ أحمدُ أن يكونَ إمامًا في بطنِ أُمِّه».

وقال يحيى بنُ سَعيدٍ القطّانُ: «ما قدِمَ عليَّ مِثلُ أحمدَ ويحيى بنِ مَعينٍ».

وقال أيضًا: «ما قدِمَ عليَّ مِن بغدادَ أحبَّ إليَّ مِن أحمدَ».

وقال لِمَن ذَكر أحمدَ: «أتذكُرُ حَبرًا مِن أحبارِ هذِه الأُمَّةِ».

---

(١) هو الإمام إسحاقُ بنُ إبراهيمَ الحنظلي، المعروفُ بابن راهُويه.

وقال الهيثمُ بنُ جَميلٍ: «إنْ عاشَ هذا الفَتى فسيكونُ حُجَّةً على أهلِ زمانِه»، يعني: أحمدَ.

وفي روايةٍ أُخرى قال: «إنَّ لكلِّ زَمانٍ رجلًا يكونُ حُجَّةً على الخَلقِ، وإنَّ فُضيلَ بنَ عِياضٍ حُجَّةٌ على أهلِ زمانِه، وإنْ عاشَ هذا الفَتى سيكونُ حُجَّةً على أهلِ زمانِه»، يعني: أحمدَ.

وقيل له يومًا: خالفوكَ في كذا، فقال: مَن خالَفني؟ فقيلَ: أحمدُ، فقال: «ودَدتُ لو نَقَصَ مِن عُمري ويَزِيدُ في عُمرِه، وهو خليقٌ أن يَنتفعَ به المسلمونَ».

وقال حفصُ بنُ غياثٍ: «ما قَدِمَ الكوفةَ مثلُ أحمدَ».

وقال أبو الوليدِ[1] لمّا ضُرِبَ أحمدُ: «لو كان في بني إسرائيلَ لكان أُحدوثةً».

وقال أيضًا لمّا وَرد عليه كتابُ أحمدَ: «ما بالكوفةِ والبصرةِ أحبُّ إليَّ منه، ولا أرفعُ قَدرًا في نفسي منه».

وسُئلَ أبو مُسهرٍ الدِّمشقيُّ: أتعرِفُ أحدًا يَحفَظُ دينَ هذِه الأُمَّةِ؟ فقال: «لا أعلمُ إلّا شابًا بناحيةِ المَشرقِ»، يعني: أحمدَ.

فهذا بعضُ كلامِ مشايخِه فيه.

* * *

وأمّا ثناءُ نُظرائِه عليه

فقال أبو بكرٍ الحُمَيديُّ: «ما دُمتُ بالحجازِ وأحمدُ بالعراقِ وإسحاقُ بخراسانَ لا يَغلِبُنا أحدٌ».

وقال رجلٌ بحضرةِ ابنِ أبي أُوَيس: ذهبَ أصحابُ الحديثِ فقال: «ما أبقى اللهُ أحمدَ فلم يَذهبُوا».

---

(١) هو أبو الوليدِ هشامُ بنُ عبدِ الملك الطيالسيُّ صاحبُ «المسند».

وقال عليُّ بنُ المَدينيِّ: «اتخذتُ أحمدَ إمامًا فيما بيني وبينَ اللهِ تعالى، ومَن يقوى على ما يَقوى عليه أحمدُ».

وقال أيضًا: «إذا ابتُليتُ بشيءٍ فأفتاني أحمدُ بنُ حَنبلٍ لم أُبالِ إذا لَقيتُ ربِّي كيف كان».

وقال أيضًا: «أحمدُ سيِّدُنا».

وسُئِلَ ابنُ المَدينيِّ التَّحديثَ فقال: «إنَّ سَيدي أحمدَ أمَرَني ألا أُحدِّثَ إلّا مِن كتابٍ».

وقال أيضًا: «أحمدُ عِندي أفضلُ مِن سعيدِ بنِ جُبيرٍ في زمانِه، إذ كان لسعيدٍ نظيرٌ، وليسَ لهذا نظيرٌ».

وقال أيضًا: «ليسَ في أصحابِنا أحفظُ مِن أحمدَ».

وقال أيضًا: «حَفِظَ اللهُ أحمدَ، هو اليومَ حُجَّةُ اللهِ على خَلقِه».

وقال أيضًا: «إنَّ اللهَ تعالى أعزَّ هذا الدِّينَ برَجلَين لا ثالثَ لهُما: أبو[1] بكرٍ الصِّديقُ يومَ الرِّدَّةِ، وأحمدُ يومَ المِحنةِ».

وقال أيضًا: «ما قامَ أحدٌ مِن الإسلامِ بعدَ رسولِ اللهِ ﷺ ما قامَ أحمدُ»، فقيلَ له: ولا أبو بكرٍ؟! فقال: ولا أبو بكرٍ، فإنه كان له أعوانٌ، ولم يكنْ لأحمدَ أعوانٌ».

وقال أيضًا: «أعرِفُ أحمدَ خمسينَ سنةً يَزدادُ خيرًا».

وقال يحيى بنُ مَعينٍ: «ثلاثةٌ حديثُهم للهِ تعالى: ابنُ عُبَيدٍ، والقَعْنبيُّ، وأحمدُ».

---

(١) كذا في النُّسخ.

وقال أيضًا: أصحابُ الحديثِ وثقاتُ الناسِ أربعةٌ: وكيعٌ، ويَعلى بنُ عُبَيدٍ، والقَعْنبيُّ، وأحمدُ».

وقال أيضًا: «أرادَ الناسُ أنْ أكونَ مثلَ أحمدَ، لا واللهِ لا أكونُ مثلَه أبدًا».

وقال محمدُ بنُ الحُسينِ الأنْماطيُّ: «كنّا في مجلسٍ فيه يحيى بنُ معينٍ وأبو خَيثمةَ وجماعةٌ مِن كبارِ العلماءِ، فأثنَوا على أحمدَ، فقال رجلٌ: لا تُكثروا. فقال يحيى بنُ مَعينٍ: وكثرةُ الثَّناءِ على أحمدَ تُستكثر؟! لو اقتصرْنا على ذِكرِه فقط في مَجلسِنا لما وفَّيْنا».

وقال أبو عبيدٍ القاسِمُ بنُ سلامٍ: «انتهى العلمُ إلى أربعةٍ: أحمدُ وهو أفقهُهم، وابنُ أبي شَيبةَ وهو أحفَظُهم، وعليُّ بنُ المَدينيِّ وهو أعلمُهم، ويحيى بنُ مَعينٍ وهو أكتبُهم».

وقال أيضًا: «أحمدُ إمامُنا، وإنِّي لأتزيَّنُ بذكرِه، ولم أرَ أعلمَ بالسُّنةِ منه، وليس في شَرقٍ ولا غَربٍ مثلَه».

وقال أيضًا: «زُرتُ أحمدَ يومًا فأجلسَني صدرَ دارِه وجلسَ دُوني، فقلتُ: يا أبا عبدِ اللهِ، صاحبُ البيتِ أحقُّ بصدرِه، فقال: نعم، يَقعُدُ ويُقعِدُ مَن يريدُ فيه، فقلتُ في نفسي: خذْ هذه فائدةً، ثمَّ قلتُ: لو فعلتُ حقَّكَ لأتيتُكَ كلَّ يومٍ، فقال: لا تَقلْ، إنَّ ليَ إخوانًا ألقاهُم مرَّةً واحدةً في السَّنةِ، وأنا أوثقُ بمودَّتِهم ممَّنْ ألقى كلَّ يومٍ، فقلتُ: هذِه أُخرى، فلمّا أردتُ القيامَ قامَ معي فقلتُ: لا تَفعلْ، فقال: مِن تمامِ زيارةِ الزّائرِ أن يمشيَ معهُ إلى بابِ الدّارِ، ويأخذَ بركابِه، فقلتُ: هذِه ثالثةٌ، ثمَّ فَعل وأخذَ بركابي».

وقال إبراهيمُ الحَربيُّ: «أدركتُ ثلاثةً لم يُر مثلُهم أبدًا، ولا تَلدُ النِّساءُ مثلَهم:

أبا عُبيدٍ القاسمَ بنَ سَلامٍ مثَّلتُه بجبل نُفخَ فيه العِلمُ، وبِشرَ بنَ الحارثِ شبَّهتُه برجلٍ عُجِنَ مِن قَرنِه إلى قدمِه عقلًا، وأحمدَ بنَ حَنبلٍ كأنَّ اللهَ جَمعَ له عِلمَ الأوَّلِين والآخِرين مِن كلِّ صِنفٍ، يقول ما شاءَ ويُمسِكُ ما شاءَ».

وقال أيضًا: «أنا أقولُ: سعيدُ بنُ المُسيَّبِ في زمانِه، وسفيانُ الثَّوريُ في زَمانِه، وأحمدُ في زمانِه».

وقال أيضًا: «انتهى عِلمُ رسولِ اللهِ ﷺ المرويُّ بالكوفةِ والمدينةِ والبصرةِ والشّامِ إلى أربعةٍ: أحمدَ ويحيى بنِ مَعين وزُهيرِ بنِ حَربٍ وأبي بكرِ بنِ أبي شيبةَ، وكان أحمدُ أفقهَ القَوم».

وكان محمدُ الشافعيُّ لمّا مات[1].

وسُئِلَ[2] عن قَومٍ اضطروا إلى الصَّلاةِ عُراةً فقال: «أمّا التّابعونَ ـ وأحمدُ سيِّدُهم ـ فيقولون: يُصلِّي بهم إمامُهم وسْطَهم، يُومِئُون إيماءً، فمَن خالَفَ التّابعينَ وأحمدَ معهم لا أُبالي به».

وقال أيضًا: «يقول الناسُ: أحمدُ بنُ حَنبلٍ بالتَّوهُّمِ، واللهِ ما أجدُ لأحدٍ مِن التّابعينَ عليه مَزيَّةً، ولا أعرِفُ أحدًا يُقدِّرُ قَدْرَه، ولا يَعرِفُ مِن الإسلامِ مَحلَّه، ولقد صَحِبتُه عِشرينَ سنةً، صيفًا وشتاءً، وحرًّا وبردًا، وليلًا ونهارًا، فما لقيتُه في يومٍ إلّا

---

(١) كذا العبارة في النُّسخ، ولم أفهم المرادَ منها، ثم طفقتُ أتتبَّع مناقبَ الإمام أحمدَ فوجدت نصًّا لعلَّ العبارةَ مقتطفةٌ منه، حتى وقفت على قوله: «قال محمد بنُ عبدِ الله الشافعيُّ: لما مات سعيدُ بنُ أحمدَ بنِ حنبل جاء إبراهيمُ الحربيُّ إلى عبد الله بن أحمد، فقام إليه عبد الله فقال: تقوم إلي! فقال: لم لا أقوم إليك؟! والله لو رآك أبي لقام إليك، فقال إبراهيم: والله لو رأى ابنُ عيينةَ أباك لقام إليه»، «مناقب الإمام أحمد» لابن الجوزي: (ص١٨٥)، والله أعلم.

(٢) أي: إبراهيم الحربي، وهذا ما يُؤكد صحَّةَ ما ذهبتُ إليه في التعليق السابق، والله الموفِّق.

وهو زائِدٌ عليه بالأمسِ، ولقد كان يُقدِّمُ أئمَّةَ العلماءِ مِن كلِّ بلدٍ، وإمامَ كلِّ مِصرٍ، فهم بجلالَتِهم ما دامَ الرَّجلُ منهم خارجًا عن مسجدِ أحمدَ، فإذا دَخلَ المسجدَ صارَ غُلامًا مُتعلِّمًا».

وقال إسحاقُ بنُ راهويه وقد ذُكرَ عندَه أحمدُ: «لا نُدرِكُ فضلَه».

وقال أيضًا: «أحمدُ بنُ حنبلٍ حُجَّةٌ بينَ اللهِ وبينَ عبيدِه في أرضِه».

وقال أيضًا: «لولا أحمدُ وبَذلُه نفسَه فيما بذلَ لذَهب الإسلامُ».

وقال بِشرُ بنُ الحارثِ وقد سُئِلَ عن أحمدَ: «أنا أُسألُ عنه؟! رجلٌ أُدخِلَ الكيرَ فخَرجَ ذهبًا أحمرَ».

وفي أُخرى نحوُه، وقال في آخرِه: «فبلغَ ذلك أحمدَ فقال: الحمدُ لله الذي رَضي بِشرٌ بنا».

وقيل لبِشرٍ: يا أبا نَصرٍ، إنَّ هذا الرَّجلَ ـ يعني: أحمدَ ـ قامَ اليومَ بأمرٍ يَعجَزُ عنه الخَلقُ! فقال: «أرجو أنْ يكونَ مِن مَن نَفعه اللهُ بالعِلمِ».

وسُئِلَ بِشرٌ عن أحمدَ أيامَ الفِتنةِ فقال: «ذاكَ مِن أئمَّةِ المسلمينَ».

وقال لبِشرٍ أصحابُه حينَ ضُرِبَ أحمدُ: يا أبا نَصرٍ، لو خَرجتَ فقلتَ لهم: أنا على قولِ أحمدَ، فقال: «أتريدونَ أنْ أقومَ مَقامَ الأنبياءِ كما قامَ أحمدُ؟!».

ولمّا حُمِلَ أحمدُ ليُضرَبَ جاؤُوا إلى بِشرٍ فقالوا له: قد حُمِلَ أحمدُ والسِّياطُ، وقد وَجبَ عليكَ أنْ تتكلَّمَ! فقال: «أتريدُونَ منِّي مَقامَ الأنبياءِ؟! حَفِظَ اللهُ أحمدَ مِن بينِ يدَيه، ومِن خَلفِه»، وقيلَ لبشرٍ: لو تكلَّمتَ! فذَكرَ نحوَه.

وقيلَ له: ألا صَنعْتَ كما صَنعَ أحمدُ! فذَكرَ نحوَه وزاد بعدَ قولِه: «ومِن خَلفِه، ومِن فوقِه، ومِن تحتِه، وعن يمينِه، وعن شمالِه».

وجاءَه رجلٌ فقال: السّاعةَ ضُرِبَ أحمدُ تسعةَ عشرَ سوطًا، فمدَّ بِشرٌ رِجلَه وقال: «ما أقبحَ هذه السّاقَ ألا يكونَ فيها هذا القيدُ نُصرةً لهذا الرَّجلِ».

وأَتى بشرًا رجلٌ مِن المشايخِ العُبّادِ لمّا أُخِذَ أحمدُ فقال: قُمْ بنا نَنصرُ هذا الرَّجلَ! فقال: «هذا مقامُ النَّبيينَ لا أستطيعُه».

وقال بشرٌ: سمعتُ المعافى بنَ عمرانَ يقول: سُئِلَ سفيانُ الثَّوريُّ عن الفُتوَّةِ؟ فقال: «الفُتوَّةُ: العَقلُ والحياءُ، وراسُها: الحِفاظ، وزينَتُها: الحِلمُ والأدبُ، وشرفُها: العِلْمُ والوَرعُ، وحِليَتُها: المحافظَةُ على الصَّلواتِ وبِرُّ الوالدَينِ، وصِلةُ الرَّحمِ، وبَذلُ المعروفِ، وحفظُ الجارِ، وتركُ التَّكبُّرِ، ولُزومُ الجَماعةِ، والوَقارُ، وغَضُّ الطَّرفِ عن المَحارِمِ، ولينُ الكلامِ، وبَذلُ السَّلامِ، وبِرُّ الفِتيانِ العاقِلينَ أمرَ اللهِ ونهيَه، وصِدقُ الحديثِ، واجتِنابُ الحَلفِ والأيمانِ، وإظهارُ المَودَّةِ، وإطلاقُ الوَجهِ، وإكرامُ الجَليسِ، والإنصاتُ للحديثِ، وكِتمانُ السِّرِّ، وسَترُ العيوبِ، وأداءُ الأمانةِ، وتَركُ الخيانةِ، والوَفاءُ بالوعدِ، والصَّمتُ في المَجالسِ مِن غيرِ عِيٍّ، والتَّواضعُ مِن غيرِ حاجةٍ، وإجلالُ الكبيرِ، والرِّفقُ بالصَّغيرِ، والرّأفةُ والرَّحمةُ للمُسلمينَ، والصَّبرُ عندَ البلاءِ، والشُّكرُ عندَ الرَّخاءِ، وكمالُها: الخَشيةُ للهِ عزَّ وجلَّ، فيَنبغي للفتى أنْ يكونَ فيه هذه الخصالُ، فإذا كان كذلكَ كان فتًى»، قال بشرٌ: «وقد جَمعَ أحمدُ هذه الخصالَ فكانَ فتًى».

وقال ذو النُّونِ المِصريُّ وهو في السِّجنِ لمّا دَخلَ عليه أبو بكرٍ المَرُّوْذِيُّ: «ما حالُ سيِّدِنا؟»، يعني: أحمدَ.

وقال أبو زُرْعةَ: «ما رأيتُ مثلَ أحمدَ في فنونِ العِلمِ، وما قامَ أحدٌ مقامَه».

وقال أيضًا: «ما رأتْ عينيَّ مثلَه»، فقيلَ له: في العِلمِ؟ فقال: «في العِلمِ والزُّهدِ والفقهِ والمعرفةِ، وكلِّ خيرٍ، ما رأيتُ مثلَه».

وقال: «لم أزَلْ أسمعُ الناسَ يَذكرونَ أحمدَ ويُقدِّمونَه على يحيى بنِ معينٍ وعلى ابنِ المَدينيِّ وأبي خَيثمةَ، وما أعلمُ في أصحابِنا أفقهَ مِن أحمدَ، ولا أجمعَ منهُ»، فقيل له: إسحاقُ بنُ راهَويه؟ فقال: «أحمدُ أكثرُ وأفقَه، وقد رأيتُ الشُّيوخَ فما رأيتُ أكملَ منه، اجتَمعَ فيه زُهدٌ وفَضلٌ وفقهٌ، وأشياءُ كثيرةٌ».

وقال الإمامُ أبو ثَورٍ وقد سُئل عن مسألةٍ قال فيها: «أبو عبدِ اللهِ أحمدُ شيخُنا وإمامُنا كذا وكذا».

وقال: «أحمدُ أعلمُ وأفقهُ مِن الثَّوريِّ».

وقال: «لو قال أحدٌ إنَّ أحمدَ مِن أهلِ الجنَّةِ لما عُنِّفَ».

وقال أيضًا: «كنتُ إذا نظرتُ إلى أحمدَ خُيِّلَ لي أنَّ الشَّريعةَ بينَ عَينَيه».

وقال المُزنيُّ صاحبُ الشافعيِّ: «أحمدُ بنُ حَنبلٍ يومَ المِحنةِ، وأبو بكرٍ يومَ الرِّدَّةِ، وعمرُ يومَ السَّقيفةِ، وعثمانُ يومَ الدّارِ، وعليٌّ يومَ صِفِّينَ».

وقال أبو يعقوبَ البُويطِيُّ في كتابه إلى الرَّبيعِ بنِ سُلَيمانَ مِن بَغدادَ مِن السِّجنِ: «إنِّي لأرجو أن يُجريَ اللهُ تعالى أجرَ كلِّ مُمتنِعٍ في هذِه المَسألةِ لسيِّدِنا الذي ببغدادَ أحمدَ بنِ حنبلٍ».

وقال محمدُ بنُ يحيى الذُّهْليُّ: «جعلتُ أحمدَ إمامًا فيما بيني وبينَ اللهِ تعالى»، وفي أُخرى نحوَه.

وقال سفيانُ بنُ وكيعٍ: «أحمدُ مِحنَةٌ، مَن عابه فهوَ فاسِقٌ».

وقال أحمدُ بنُ شُعيبٍ: «لم يكنْ مثلَ أحمدَ بنِ حنبلٍ وعليِّ بنِ المَدينيِّ ويحيى بنِ مَعينٍ وإسحاقَ بنِ راهويه، وذَكرَ معرفةَ ابنِ المَدينيِّ بِعللِ الحديثِ، ومعرفةَ يحيى بنِ مَعينٍ بالرِّجالِ، ومعرفةَ إسحاقَ بالفقهِ، ثمَّ قال: أحمدُ أعلمُ

بالعِلَلِ مِن إسحاقَ، وقال: جَمعَ أحمدُ المعرفةَ بالحديثِ والفقهِ والورعِ والزُّهدِ والصَّبر».

وقال نصرُ بنُ عليٍّ: «أحمدُ أفضلُ أهلِ زمانِه».

وقال أبو معمرٍ: «ما رأيتُ منذُ خمسينَ سنةً مثلَ أحمدَ، ولو كان في زَمنِ ابنِ المباركِ لآثرناهُ عليه».

وقال أبو جعفرٍ: «أحمدُ مِن أعلامِ الدِّينِ».

وقال يعقوبُ بنُ سفيانَ: «كتبتُ عن ألفِ شيخٍ، وحُجَّتي فيما بَيني وبينَ اللهِ رجلانِ: أحمدُ بنُ حَنبلٍ وأحمدُ بنُ صالحٍ المِصريُّ».

وقال محمدُ بنُ يحيى الأزديُّ: «أحمدُ إمامُنا وهو بقيَّةُ المؤمنينَ، ولا نُخالِفُه، قد رَضينا به إمامًا، فيه خلفٌ من العلماءِ، نَبرأُ ممَّن يُخالِفُه فإنَّه مُبتدعٌ مخذولٌ»، ومرادُه: مَن يخالِفُه في العقيدةِ.

وقال أبو هَمّامٍ الوليدُ: «ما رأيتُ مثلَ أحمدَ، ولا أَرى».

وقال أبو عُميرٍ النَّحاسُ وقد ذُكر عندَه أحمدُ: «رحمه اللهُ، عن الدُّنيا ما كان أصبرَه، وبالماضِينَ ما كان أشبَهه، وبالصّالحينَ ما كان أَلحقه، عُرِضَتْ له الدُّنيا فأباها، والبدعُ فنفاها، واخْتصَّه اللهُ سبحانَه بنُصرَةِ دينِه، والقيامِ بحِفظِ سُنَّتِه، ورَضيَه لإقامةِ حُجَّتِه، ونَصْرِ كلامِه حينَ عَجزَ عنه الناسُ».

وقال محمدُ بنُ إبراهيمَ البُوشَنْجِيُّ: «ما رأيتُ أجمعَ في كلِّ شيءٍ ولا أعقلَ مِن أحمدَ، وهو عِندي أفضلُ وأفقَه مِن سفيانَ الثَّوريِّ، وسفيانُ لم يُمتحَنْ في الشِّدَّةِ والبَلوى كأحمدَ، ولا عِلمُ سفيانَ ومَن تقدَّمَ مِن فُقهاءِ الأمصارِ كأحمدَ، امتُحنَ بالسَّراءِ والضَّرّاءِ لدى أربعةِ خُلفاءَ فكان مُعتصمًا باللهِ، تَداولَه المأمونُ والمُعتَصمُ

والواثِقُ، بعضُهم بالضَّربِ والحَبسِ، وبعضُهم بالإخافةِ، فلم يحِدْ عَن الحَقِّ، ثمَّ امتُحنَ أيامَ المُتوكِّلِ بالتَّكريمِ والتَّعظيمِ وبَسطِ الدُّنيا، فلم يَحِدْ عن الحَقِّ رَغبةً ولا رَهبةً، وهذه الحالاتُ لم يُمتحَنْ بها سفيانُ».

وقال أيضًا: «ما رأيتُ أحدًا في عَصرِ أحمدَ أجمعَ منه دِيانةً وصِيانةً، ومِلْكًا لِنفسِه وطَلْقًا لها، وفِقهًا وعِلمًا، وأدبَ نفسٍ، وكرَمَ خُلقٍ، وثَباتَ قلبٍ، وكَرمَ مُجالسةٍ».

وقال حجّاجُ بنُ الشّاعرِ: «مَنَّ اللهُ على هذه الأُمَّةِ بأحمدَ، ثَبتَ في القرآنِ، ولولاه لهَلكَ الناسُ».

وقال: «قبَّلتُ يومًا بينَ عينَيِّ أحمدَ وقلتُ له: بلَّغكَ اللهُ مبلَغَ سفيانَ ومالكٍ، وبَلغَ واللهِ في الإمامةِ أكثرَ مِن مَبلَغِهما».

ومرَّ المَرُّوْذِيُّ بحَجّاج بنِ الشّاعرِ فقامَ إليه وقال: «سلامٌ عليكَ يا خادِمَ الصِّدِّيقِينَ».

وقال(١): «ما رأيتُ أفضلَ مِن أحمدَ».

وقال: «كنتُ أذكرُ أحمدَ في الطَّريقِ بعدَ انصِرافي مِن عندِه فأَبكي شوقًا إليه».

وقال أبو عُميرٍ الطّالَقانِيُّ عن مشايخِه أنَّه سمِعَهم يقولون: «أحمدُ قرَّةُ عينِ الإسلامِ».

وقال عبدُ الوهّابِ الوَرّاقُ: «كان أحمدُ أعلمَ أهلِ زمانِه، وأحمدُ إمامُنا، وهو مِن الرّاسخينَ في العِلْمِ، وإذا سألَني اللهُ: بمَن اقتَديتَ؟ أقولُ: بأحمدَ».

---

(١) أي: حجاج بن الشاعر، كما في المصادر والمراجع.

وقال أيضًا: «ما رأيتُ مثلَ أحمدَ»، فقالوا له: بأيِّ دَليلٍ؟ فقال: «رَجلٌ سُئِلَ عَن سِتِّينَ ألفَ مسألةٍ، فأجابَ فيها بأخبرنا وحدَّثَنا».

وقال مُهنَّأ بنُ يحيى: «ما رأيتُ أحدًا أجمعَ لِكلِّ خيرٍ مِن أحمدَ، ما رأيتُ مِثلَه في فِقهِهِ وعِلمِه وزُهدِه ووَرعِه».

وقال شيخُ أهلِ السُّنةِ أبو الحسنِ الأشعريُّ[1]: «إنْ قال قائِلٌ: قد أنكرتُم قولَ المُعتَزلةِ والقَدريَّةِ والجَهميَّةِ والحَروريَّةِ والرَّافِضةِ والمُرجِئةِ، فعرِّفُونا قولَكم الذي به تقولون، ودِيانتكم التي بها تَدينونَ؟! قيل له: قَولُنا الذي نقولُ به، ودينُنا الذي به نَتديَّنُ، التمسُّكُ بكتابِ الله وبسُنَّة نبيِّنا عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، وما رُويَ عن الصَّحابةِ والتَّابعينَ وأئمَّةِ الحديثِ، ونحن بذلك مُعتصِمونَ، وبما كان يقولُ به أبو عبدِ اللهِ أحمدُ بنُ حَنبلٍ ـ نَضَّرَ اللهُ وجهَه ورَفعَ درجتَه وأجزلَ مَثوبتَه ـ قائلون، ولِما خالَفَ قولَه مُجانِبونَ؛ لأنَّه الإمامُ الفاضِلُ، والرَّئيسُ الكامِلُ الذي أبانَ اللهُ به الحقَّ، ورَفعَ به الضَّلالَ، وأَوضحَ به المِنهاجَ، وقَمعَ به بِدعَ المُبتَدعينَ وزَيغَ الزَّائغينَ وشَكَّ الشَّاكِّين، فرحمةُ اللهِ عليهِ مِن إمامٍ مُقدَّمٍ، وجَليلٍ مُعظَّمٍ، وكَبيرٍ مُفخَّمٍ[2]».

وبالجُملةِ: فثناءُ الأئمَّةِ والمشايخِ والزُّهادِ والعُبّادِ لهذا الإمامِ لا يَحصرُه كتابٌ.

قال إدريسُ بنُ عبدِ الكريمِ المُقرئ: رأيتُ علماءَنا مثلَ الهيثمِ بنِ خارِجةَ ومُصعبٍ الزُّبيريِّ ويحيى بنِ مَعينٍ، وذكرَ جَماعةً عديدةً أسماؤُهم، وقال في آخرِه: «لا أُحصيهم مِن أهلِ العلْمِ والفقهِ يُعظِّمونَ أحمدَ، ويُجلِّونَه ويُوقِّرونَه، ويُبجِّلونَه ويَقصِدونَه للسَّلامِ عليه».

---

(١) «الإبانة عن أصول الديانة» (ص٢٠).

(٢) في مطبوعة «الإبانة» و«تبيين كذب المُفتري» (ص١٥٨): «مفهَّم».

وقال عبدُ بنُ حُميدٍ: «كُنّا في مسجدٍ وأصحابُ الحديثِ يَتذاكَرونَ، وأحمدُ يَومئذٍ شابٌّ وهو المَنظورُ إليه».

وقال محمدُ بنُ شَدّادٍ: «كنّا على بابِ إسماعيلَ بنِ عُلَيَّةَ جماعةً إذْ طَلَعَ أحمدُ فجاءَ فسَلَّمَ، فسألوه عن مسألةٍ فأجابَ، فلمّا ولَّى أجمعَ القومُ أنَّه ما يأتي بابَ إسماعيلَ بنِ عُلَيَّةَ أفضلَ منه».

قال الحافظُ أبو الفَرجِ بنُ الجَوزيِّ: «والإمامُ أحمدُ ـ بحمدِ اللهِ ـ مسألةُ إجماعٍ، أقرَّ له الكلُّ بالفضلِ وغيرِه إلّا الخُصوم»[١].

وقال أبو الوفاءِ[٢]: «ومِن عَجيبِ ما تَسمعُه مِن بعضِ الجهلةِ: أنَّ أحمدَ ليس بفقيهٍ ولكنَّه مُحدِّثٌ، وأين هُم مِن الاختياراتِ التي خَرجتْ عنه، وبناها على الحديثِ بناءً لا يَعرِفونَه، وأينَ هم مِن دَقائقِ مسائلِ الفقهِ التي لا تُرى لأحدٍ منهم، فإنَّه قد انفردَ بما سلَّموه له مِن الحِفظِ وشارَكهم فيما لهم، لا سيَّما مع ما مرَّ لكَ مِن مَدحِ هؤلاءِ الأئمَّة له بالحِفظِ والفِقهِ والفضلِ وغيرِ ذلك»[٣].

قال أحمدُ بنُ سعيدٍ الدارمي[٤]: «ما رأيتُ أسودَ الرّأسِ أحفظَ لحديثِ رسولِ اللهِ ﷺ، ولا أعلَمَ بفقهه ومَعانيه مِن أبي عَبدِ اللهِ أحمدَ بنِ حَنبل».

والكلامُ في هذا ممّا يطولُ...

---

(١) «مناقب الإمام أحمد» (ص١٨٣).

(٢) هو ابن عقيل، نقله عنه في «مناقب الإمام أحمد» (ص٨٠).

(٣) قال الذهبي في «السير» (١١/ ٣٢١) بعدَ أنْ نَقل كلامَ ابنِ عَقيلٍ: «قلت: أحسبهم يَظنونه كان محدِّثًا وَبَسْ! بل يتخيَّلونه مِن بابةِ مُحدِّثي زمانِنا! وواللهِ لقد بلغ في الفقه خاصةً رتبةَ الليثِ ومالكٍ والشافعيِّ وأبي يوسفَ، وفي الزهد والورع رُتبةَ الفضلِ وإبراهيمَ بنِ أدهم، وفي الحفظ رُتبةَ شعبةَ ويحيى القطانِ وابنِ المديني، ولكنَّ الجاهلَ لا يَعلم رُتبةَ نفسِه، فكيف يعرف رُتبة غيرِه؟!».

(٤) في النُّسخ: «الرازي»، والمثبتُ موافقٌ لكافة المصادر والمراجع.

فصلٌ في ثناءِ إلياسَ والخَضِرِ وغيرِهما عليه

رَوى أبـو الفَـرجِ بسـندِه إلـى أبي حَفـصٍ القاضي قال: «قَـدمَ على أبـي عبدِ اللهِ أحمـدَ بنِ حنبلٍ رجـلٌ مِن بحرِ الهند فقال: إنِّي خرجْتُ أُريـدُ الصِّينَ فأُصيبَ مَركبُنا، فأتانـي راكبـانِ على مَوجةٍ مِن أمواجِ البحرِ فقال لي أحدُهمـا: أتحبُّ أنْ يُخلِّصَكَ اللهُ علـى أنْ تُقـرِئَ أحمـدَ بـنَ حنبـلٍ منّـا السَّـلامَ؟ قلـتُ: ومَـن أحمـدُ؟ ومَـن أنتُمـا يَرحمُكمـا اللهُ؟ فقـال: أنـا إليـاسُ، وهذا المَلَـكُ المُـوكل بجزائر البحـرِ، وأحمدُ بنُ حنبـلٍ بالعـراقِ، قلـتُ: نعـم، فنَفضني البحـرُ نفضَـةً، فإذا أنا بسـاحلِ الأيلـة[1]، وقد جئتُـك لأُبلِّغكَ السَّـلام».

وقال بلالٌ الخَوّاصُ: «كنتُ في تِيه بني إسرائيلَ، فإذا رجلٌ يُماشِيني فَعجِبتُ منهُ، ثُمَّ أُلهمتُ أنَّه الخَضرُ فقلتُ له: بحقِّ الحَقِّ مَن أنتَ؟ قال: أخوكَ الخَضرُ، قلتُ له: أريدُ أنْ أسألَك مسألةً؟ قال: سلْ، قلتُ: ما تقولُ في الشافعيِّ؟ قال: مِن الأوتادِ، قلتُ: فأحمدُ بنُ حَنبلٍ؟ قال: صِدِّيقٌ».

وفي «مجمعِ الأحبابِ»[2]: «وفي روايةٍ أُخرى عن بلالٍ الخَوّاصِ قلتُ له: ما تقولُ في بِشرِ بنِ الحارِثِ؟ قال: لم يَخلُفْ بعدَه مثلَه، قلتُ: فما تقول: في أحمدَ؟ قال: صِدِّيقٌ، قلتُ: فما تقولُ في أبي ثَورٍ؟ قال: رجلٌ طالبُ حقٍّ، قلتُ: فأنا بأيِّ وسيلةٍ رأيتُكَ؟ قال: ببرِّكَ لأمِّكَ».

وقـال إسـحاقُ بـنُ إبراهيـمَ البُسـتيُّ: «سـمعتُ أبي يقول: قـال رجلٌ مِـن أهلِ

---

(١) كـذا فـي النُّسـخ، وفـي «مناقـب الإمـام أحمـد» (ص١٩١): «الأُبُلَّـة»، وهـي على شـاطئ دجلة، ولعلهـا أصحُّ.

(٢) «مجمع الأحباب» (٢/ ٣٦٢).

بغـدادَ: رَكِبـتُ سـفينةً فـي البحـرِ فخَرجْنا إلـى جزيـرةٍ، فرأيتُ شـيخًا قاعـدًا أبيضَ الـرّأسِ واللِّحيـةِ، فسـلَّمتُ عليـه فقـال: إذا أتيتَ بغـدادَ فأقـرِئ أحمدَ بنَ حنبـلٍ منّا السَّـلامَ وقُل لـه: ﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ ثمَّ غابَ الشَّـيخُ، فعلِمْنا أنَّـه الخَضرُ».

وقال سلمَةُ بنُ شَبيبٍ: «كنّا مع أحمدَ بنِ حَنبلٍ جُلوسًا إذْ جاءَه رجلٌ فقال: مَن منكم أحمدُ بنُ حنبلٍ؟ فقال له أحمدُ: ما حاجَتُك؟ فقال: صِرتُ إليكَ مِن أربعِ مئةِ فرسَخٍ بَرِّها وبحرِها، جاءَني الخَضرُ ليلةَ الجمعةِ وقال لي: لمَ لا تَخرجُ إلى أحمدَ بنِ حَنبلٍ؟ فقلتُ له: لا أعرِفُه! فقال: تأتي بغدادَ وتسأل عنه، وقُل له: الذي على العَرشِ راضٍ عنكَ، وسائرُ الملائكةِ راضونَ عنكَ؛ لِصبرِك للهِ».

وفي روايةٍ نحوُه: «وقال له: الأعمالُ بالخَواتيمِ، هل لكَ حاجةٌ غيرَ ما ذكرتَ؟ فقال: لا، ورَجعَ».

وقال بعضُ الصَّيّادينَ: «كنّا نصيدُ السَّمكَ، فإذا رجلٌ عليه أطمارٌ رثَّةٌ يَمشي، فاستقبَلتُه فقلتُ له: أأنتَ مِن الأبدالِ؟ قال: نعم، قلتُ: إلى أينَ؟ قال: الشّامَ، قلتُ: مِن أينَ قال: مِن عندِ أحمدَ بنِ حَنبلٍ، قلتُ: ما تَعملُ عندَه؟ قال: أسأَلُه عن مسألةٍ، أحمدُ منّا وهو أفضلُ منّا، ثمَّ صلينا المغربَ ثمَّ العشاءَ ثمَّ انفتل فقلتُ له: إنَّ هذا السَّمكَ نصيدُه، فقال: إنّا لا نأكلُ، ثمَّ كأنَّ الأرضَ ابتلعتْه».

وقال أحمدُ بنُ عليٍّ[1]: «سِرْنا في نَهرٍ أيامًا ففنِيَ زادُنا، فقصدتُ بُخارى اشتري طعامًا، فإذا رَجلٌ أشقرُ أحمرُ، فقال: مِن أينَ؟ فقلْنا: مِن بغدادَ، قال: فما فَعل أحمدُ؟ قلْنا: تركناه حيًّا، فرفَع رأسَه يدعو له، فقلتُ لرفيقي: بقيَ لكَ شيءٌ؟ هذا أقصى عملِ الإسلامِ، وهذا مَوضعُ التُّرك».

(١) في «مناقب» ابن الجوزي (ص٢٠١): «أحمد بن عليٍّ الأبار».

وقال أبو بكرٍ المَرُّوْذِيُّ: «قلتُ لأحمدَ: إنَّ رجلًا قال له: إنَّه مِن بلادِ التُّركِ، وإلى هناك يَدعون لكَ، فكيفَ تُؤدِّي شُكرَ نِعمةِ اللهِ وما بَثَّ لكَ في الناسِ؟ فقال: أسألُ اللهَ ألا يَجعَلنا مُرائينَ».

وقال أحمدُ بنُ حُسينٍ: «سمعتُ رجلًا يقولُ: عِندَنا بخُراسانَ يَرونَ أنَّ أحمدَ بنَ حَنبلٍ لا يُشبِه البشرَ، يَظنُّونَ أنَّه مِن الملائكةِ».

وقال عليُّ بنُ الجَهمِ: «رأيتُ الناسَ يَمرُّونَ أفواجًا فسألْتُ فقالوا: رَجلٌ رأى أحمدَ. فقلتُ له: رأيتَه؟ فقال: وَصلَّيتُ في مَسجدِه».

وقال أبو بكرٍ المَرُّوْذِيُّ: «رأيتُ بعضَ النَّصارى المُتَطبِّبينَ قد خَرج مِن عندِ أحمدَ ومعه قِسيسٌ أو راهِبٌ، فقال: إنَّه سألَني أنْ يجيءَ معي حتّى يَنظُرَ أحمدَ، وقال له: إنِّي لأشتَهي أنْ أراكَ منذُ ستِّينَ سنةً، وليس بقاؤُكَ صلاحًا للمسلمينَ فقط، بلْ للخَلقِ جميعًا، وما منّا إلّا مَن رضيَ بكَ، فقلتُ لأحمدَ: إنِّي لأرجو أنَّ الدُّعاءَ لكَ في جميعِ الأمصارِ. فقال: يا أبا بكرٍ إذا عَرفَ الرَّجلُ نفسَه، فما يَنفَعُ كلامُ الناسِ».

وقال أيضًا: «قلتُ لأحمدَ: ما أكثرُ الدّاعي لكَ؟ فقال: أخافُ أن يكونَ هذا استِدراجًا».

وبالجُملةِ: فالكلامُ في هذا ممّا يَطولُ، وشُهرةُ إمامَتِه ومَناقبِه وسِيادَتِه وبَراعَتِه وزهادَتِه ومجموعِ محاسنِه كالشَّمسِ إلّا أنَّها لا تَغرُب...

رضي الله عنه، ونفعنا اللهُ تعالى به، آمين.

***

فصلٌ في تَواضُعِه وحُسنِ أخلاقِه

قال يحيى بنُ مَعين: «صَحِبْنا أحمدَ خمسينَ سنةً فلم يَفتخِرْ علينا».

وكان ربَّما أخذَ القَدُّومَ وخَرجَ ليُصلِحَ دارَ سكانه[1] بيدِه، ورُبَّما اشترى الحَطبَ بنفسِه وحملَه.

وقال له بعضُهم: إنَّكَ رجلٌ مِن العَربِ فمِن أيِّهم؟ فقال له: «نحنُ قومٌ مساكينُ»، ثمَّ أعادَ عليهِ بعدَ ذلكَ مرارًا وهو يُجيبه بذلك.

وقال له آخرُ: ائذَنْ لي أنْ أُقبِّلَ رأسَكَ! فقال: «لم أبلُغْ ذلك».

وقال له آخرُ: أحيَيتَ السُّنةَ، فقال له: «هذا فسادٌ لقلبِ الرَّجلِ».

وقال له آخرُ: الحمدُ للهِ الذي رأيتُكَ، فقال له: «ومَن أنا؟!».

وقال له آخرُ: يا أبا عَبدِ اللهِ، الناسُ مُحتاجونَ إليكَ في كذا وكذا، وذَكر الحديثَ ومسائِلَ الفقهِ، فقال: «إليَّ أنا؟!»، ثمَّ تَنفَّسَ الصُّعداءَ ورُؤيَ أثرُ الغمِّ في وجهِه.

وقال له آخرُ: جزاكَ اللهُ عن الإسلامِ خيرًا، فقال: «بل جَزى اللهُ الإسلامَ عنِّي خيرًا، ومَن أنا؟! ومَن أنا؟!».

وسأله آخرُ الدُّعاءَ فقال: «ونحنُ مَن يَدعو لنا؟!».

ورُويَ أنَّه قال: «مَن أنا حتّى يَجيئوا إليَّ؟! مَن أنا؟! اذهبُوا اطلبُوا الحديثَ».

ولمسَه آخرُ بيدِه ثمَّ جعلَ يمسَحُ بدنَه بيدِه، فغضِبَ وأنكرَه إنكارًا شديدًا.

وقال له آخرُ: لا يَزالُ الناسُ بخيرٍ ما بَقيتَ، فقال له: «لا تَقلْ هذا مَن أنا في الناسِ؟!»، وسألَه عن الورَعِ فاغتَمَّ لذلكَ حتَّى شَقَّ على السّائلِ ما فعلَه،

---

(١) كذا في النُّسخ، وفي المصادر والمراجع: «السكان»، والله أعلم.

ثـمَّ ذهـبَ عنـه، وهو يقـول: ما أظنُّـه ينتَفـعُ بنفسِـه أيامًا حيـثُ جَدَّدنا عليـه غمًّا.

وذُكـرَ يومًـا عنـدَه الـوَرعُ فقـال: «أسـأَلُ اللهَ تعالـى ألا يَمقُتَنـا، أيـنَ نحـنُ مِن أهلِ الـورعِ».

وقال له آخرُ: ما أكثرُ الدّاعينَ لكَ؟ فقال: «أخشى أنْ يكونَ استدراجًا، أسأَلُ اللهَ أن يجعلَنا خيرًا ممّا يظنُّونَ، ويَغفرَ لنا ما لا يَعلمونَ».

وقال آخرُ: سمعتُ بعضَ المُحدِّثينَ يقول: أبو عبدِ اللهِ لم يزهَدْ في الدَّراهِمِ وحدَها، بل هو زاهِدٌ في الناس أيضًا، فقال: «ومَن أنا حتّى أزهدَ في الناسِ، هم يُريدونَ أنْ يَزهدُوا فيَّ».

وكان إذا أرادَ الخُروجَ مِن المسجدِ وبحضرتِه جماعةٌ مِن الشُّيوخِ أو الأحداثِ مِن قُريشٍ أو الأشرافِ قدَّمَهم وخرجَ بعدَهم.

وكان يحبُّ الفُقراءَ، ولم يُرَ الفقيرُ في مجلسٍ أعزَّ منه في مَجلسِه.

ويُعرِضُ عن أهلِ الدُّنيا، ويَعلوه السَّكينةُ والوقارُ.

ويَجلِسُ للفقهاءِ فلا يتكلَّمُ حتّى يُسأَلَ.

يجلِسُ حيثُ انتَهى به المجلِسُ، ولا يتَصدَّرُ، ولا يَمدُّ رِجلَه إكرامًا لجليسِه.

قـال[١] البُوشَـنْجيُّ: «مـا رأيـتُ أحمـدَ جالسًـا إلّا القُرفُصـاءَ إلّا أنْ يكـونَ في الصَّلاةِ».

وقد رُويَ عن النَّبي ﷺ أنَّه قال[٢]: «جِلسةُ المُتخشِّعِ القُرفُصاءُ».

---

(١) في (ش): «وقال».

(٢) في حديث قيلةَ بنت مخرمة: أنها رأتْ رسولَ الله ﷺ في المسجد وهو قاعدٌ القرفصاء، قالت: «فلما رأيتُ رسولَ الله ﷺ المتخشِّعَ في الجلسة أُرعدت من الفرق»، كما في «الشمائل» للترمذي: =

والقُرفُصاءُ: أنْ يجلِسَ الرَّجلُ على أليتَيهِ رافعًا رُكبتَيه إلى صَدرِه مُفضيًا بأخمَصِ قدَميه إلى الأرضِ، ورُبَّما احتَبى بيدَيه، فلا جِلسةَ أخشعَ منها.

وكان كثيرًا ما يُدعَى فيقولُ: «لبيكَ».

وكان لا يَجهَلُ وإنْ جُهِلَ عليه احتَملَ، لم يكُنْ بالحقودِ ولا العَجولِ.

وكان ربَّما احتاجَ فخَرجَ مع اللَّقاطِ ولَقَطَ يومًا شيئًا يسيرًا، فقيلَ له: قَد أكلْتَ الخبزَ الحلالَ ممّا لقطْتَ.

وكان ربَّما احتاجَ فنَسخَ بالأُجرة!

وقال أبو داودَ[1]: «كان الإمامُ أحمدُ مِن أحياءِ الناسِ وأكرمِهم نفسًا، وأحسَنِهم عِشرةً وأدبًا، كثيرَ الإطراقِ والغَضِّ، مُعرضًا عن القَبيحِ واللَّغوِ، لا يُسمَعُ منه إلّا المُذاكرةُ بالحديثِ، وذِكرُ الصّالحينَ، وكان ذا وَقارٍ وسَكينةٍ، يبَشُّ لِلاقِيه، ويُكثِرُ التَّواضعَ للمشايخِ مع إكرامِهم له وتعظيمِهم إيّاه، لا سيَّما يحيى بنُ مَعينٍ، وكان أكبرَ منه بنحوٍ مِن سبعِ سنينَ».

وقال عبدوسُ العَطّارُ: «وجَّهتُ بابني إلى أبي عبدِ الله، فرحَّبَ به وأَجلسه في حِجرِه، وأرسلَ فاتخذَ له خبيصًا[2] ووضَعه بينَ يدَيه، وجعلَ يَبْسطُه، وقال للجاريةِ: كُلي معي، ثمَّ قامَ فجاءَ وفي ثوبِه لَوزٌ وسُكَّرٌ وشدَّه في منديلٍ ودفعَه إلى الخادمِ، وقال للصَّبيِّ: اقرأ على أبي محمدٍ السَّلامَ».

---

(١٢٨)، وعبارةُ ابنِ الجوزيِّ في «المناقب» (ص ٢٨٨) أوضحُ وهي: «وهذه الجلسةُ التي تحكيها قيلةُ في حديثها: إني رأيتُ رسولَ الله ﷺ جالسًا جلسةَ المتخشِّع القُرفصاء».

(١) في «المناقب» لابن الجوزي (ص٢٩٥): «بلغني عن أبي الحسينِ بنِ المُنادي قال: سمعتُ جدِّي يقول: كان أحمد... إلخ».

(٢) الخَبيص: نوعٌ مِن الحلوى، انظر «مختار الصحاح».

وكان يجيبُ مَن يدعوه إلى عُرسٍ أو إملاكٍ[1] ويأكلُ.

ودعاهُ رجلٌ فأجابَ، فلمّا استقرَّ به المَجلسُ أُخبِرَ أنَّ بالمنزلِ آنيةَ فضَّةٍ، فلمّا رآها قامَ وتبعَه مَن في البيتِ، فذهبَ إليه الدّاعي وحلَفَ أنَّه لم يكُن ذلكَ بأمرِه ولا عَلِمَ به، وجَعلَ يُلحُّ عليه وهو يأبى، فنَزل بالرَّجلِ أمرٌ عظيمٌ حيثُ جَرى ذلكَ.

وفي أُخرى: أنَّه رأى آنيةَ فضَّةٍ فوقَ كرسيٍّ فقال: «زِيُّ المَجوسِ زِيُّ المجوسِ»، وخرجَ.

وحضرَ يومًا عندَ بعضِهم فلمّا قَدَّم الطَّعامَ أكلَ معهم، فلمّا قَدَّم الفالوذَجَ امتنعَ، فسُئلَ الأكلَ منه فقال: «طعامٌ رفيعٌ»، ثمَّ لم يَزدْ على لُقمةٍ واحدةٍ.

وكان ربَّما اتَّخذَ العدَسَ بالشَّحمِ والتَّمرِ، ثمَّ يخُصُّ الصِّبيانَ بقَصعةٍ، ثمَّ يُصوِّتُ ببعضِهم فيضحَكونَ.

وكان يَستفُّ الخبيصَ بكفِّه لا بالمِلعقةِ.

وكان حسن الجوار يُؤذى فيحتمل.

قال بعضُ جيرانِه: «كان لي بُرجُ حمامٍ يُشرِفُ على أبي عبدِ اللهِ، فمَكثَ صابرًا على ذلك، فصعِدَ عمي يومًا فأشْرفَ عليه، فقال: ما تَستَحي تُؤذِي أبا عبدِ اللهِ! فقلْتُ له: لم يقل لي شيئًا! ثمَّ إنَّه ذَبحَ الطُّيورَ، وهَدمَ البُرجَ».

***

(١) المِلاك والإملاك: التزويج وعقدُ النكاح، انظر «النهاية في غريب الحديث» (٤/ ٣٥٩).

فصلٌ في هَيبتِه

قال أحمدُ بنُ مسلمٍ: «كنّا نهابُ أن نُرادَّ أحمدَ أو نُحاجَّه»، يعني: لهيبتِه ولجلالَةِ الإسلامِ[1].

وقال الحسَنُ بنُ أحمدَ والي الجِسرِ: «دخلْتُ على إسحاقَ بنِ إبراهيمَ وفلانٍ وفلانٍ وذَكرَ السَّلاطينَ، فما رأيتُ أهيبَ مِن أحمدَ بنِ حنبلٍ، صِرتُ إليه لأكلِّمَه، فوقَعتْ عليَّ الرِّعدَةُ حينَ رأيتُه مِن هيبتِه».

وزارَه جماعةٌ مِن الأُمراءِ فمِن هيبتِه لم يَقرعوا بابَه، وإنَّما قرَعوا بابَ عمِّه، فخَرجَ حينَ سمِعَ.

وقال أبو عبيدٍ القاسمُ بنُ سَلامٍ: «جالستُ أبا يوسفَ القاضيَ ومحمدَ بنَ الحَسنِ ويحيى بنَ سعيدٍ القَطّانَ وعبدَ الرَّحمنِ بنَ مَهديٍّ وذَكرَ جماعةً، ثمَّ قال: فما هِبتُ أحدًا منهم ما هِبتُ أحمدَ، دخلتُ عليه السِّجنَ؛ لأُسلِّمَ عليه فسألَني رجلٌ عن مَسألةٍ فلَم أُجِبه هيبةً له».

وزارَه يحيى بنُ خاقانَ وزيرُ الخَليفةِ المُتوكِّلِ بأمرِ المُتوكِّلِ، فجاءَ في مَوكبٍ عظيمٍ ـ وكان يومًا مطيرًا ـ فنزلَ هيبةً لأحمدَ خارجَ الزُّقاقِ.

قال صالحُ بنُ الإمامِ أحمدَ: «فجهدْتُ به أن يَدخُلَ راكبًا فلم يَفعلْ، ودَخلَ وهو يَخوضُ في الطِّينِ فدَخلَ البيتَ، وأبي في الزّاويَةِ قاعدٌ عليه كساءٌ مُرقَّعٌ وعِمامةٌ، والسِّترُ الذي على البابِ قِطعةُ خَيشٍ، فسَلَّمَ عليه وسألَه عن حالِه، وقال: أميرُ المؤمنينَ يقرأُ عليكَ السَّلامَ ويقول: كيف أنتَ في نفسِكَ؟ وكيفَ حالُكَ؟ وقد[2] أنِسْتُ بقربِكَ،

---

(١) في «المناقب» لابن الجوزي (ص٢٩١): «يعني: لجلالته، ولهيبةِ الإسلام الذي رُزِقه».

(٢) في «المناقب» لابن الجوزي (ص٥٠٧): «قد» دونَ واو، وكأنه مِن تتمَّة كلامِ أمير المؤمنين.

ويَسألُكَ أن تَدعوَ له، فقال: ما يأتي عليَّ يومٌ إلّا وأنا أدعو له، ثمَّ قال له: قد وجَّه معي ألفَ دينارٍ تُفرِّقُها على أهلِ الحاجةِ، فقال: يا أبا زكريّا أنا في البيتِ[1] مُنقَطِعٌ عن الناسِ، وقد أَعفاني أميرُ المؤمنينَ ممّا أَكره، فقال: يا أبا عَبدِ اللهِ الخُلفاءُ لا يَحتَملونَ هذا كلَّه، فقال: يا أبا زكريا تَلطَّفْ في ذلك، ودعا له ثمَّ قامَ».

***

فصلٌ في تَعفُّفِه عن أموالِ الناسِ

كانت الخُلفاءُ والأُمراءُ والكُبراءُ والمَشايخُ مِن العُلماءِ تَعرِضُ عليه الأموالَ الجَزيلةَ، وهو لا يَقبلُها زُهدًا في الدُّنيا، ورَغبةً عن ما في أيدِي الناسِ.

قال عبدُ الرَّزاقِ: «قدِمَ علينا أحمدُ فأقام سنتَين إلّا شيئًا، فقال له عبدُ الرَّزاقِ: ليستْ أرضُنا هذه بأرضِ مَتجرٍ، وأرى أنْ تَقبلَ مني كذا وكذا شيء مِن الذَّهبِ، فقال: أنا بخيرٍ، ولم يَقبلْ شيئًا».

ورَهنَ نعلَيه عندَ خبّازٍ عندَ خروجِه مِن اليمنِ، وأَكرى نفسَه مِن الحَمّالينَ.

وفي روايةٍ: عَرضَ عبدُ الرَّزاقِ عليه الدَّنانيرَ فتبَسَّمَ وقال: «لو قَبلْتُ مِن غيرِك قَبلْتُ منكَ».

وعَرضَ عليه يزيدُ بنُ هارونَ نحوًا مِن خمسِ مئةٍ فلم يقبلْها.

وعَرضَ على ابنِ مَعينٍ والمُسْتَملي فقَبِلا منه.

وقال حمدانُ الواسِطيُّ: «قدِمَ علينا أحمدُ ومعَه جماعةٌ قد نَفدتْ نفقاتُهم، فبَرَرْتُهم فقَبِلوا، وجاءني أحمدُ بفرْوةٍ فقال: قُل: لمَن يَبيعُ لي هذه؟ فعرَضْتُ عليه

(١) في (ش): «البيع»، وهو تحريف.

صُرَّةَ دَراهمَ فلم يَقبلْها، فقيلَ لي: هذا رجلٌ صالحٌ فأَضعِفْها، ففَعلْتُ فلم يقبلْ، وأخذَ الفَروةَ وخَرجَ».

وأرادَ مرَّةً بيعَ جُبَّتِه زمنَ البَردِ لحاجَتِه فصَرفَه بعضُهم عن ذلك، وأَخذ له مِن يزيدَ بنِ هارونَ مئةَ دِرهمٍ فقال: «إنِّي لمُحتاجٌ إليها وابنُ سبيلٍ ولكنْ لا أُعوِّدُ نفسي ذلك، ثمَّ ردَّها وباعَ جُبَّته.

وقال صالحُ بنُ أحمدَ: «دخلْتُ على أبي أيّامَ الواثِق واللهُ يَعلمُ حالَنا، وتَحتَه لِبدٌ له سِنونَ كثيرةٌ، وإذا تحتَه كتابٌ فقرأْتُه فإذا فيه: (يا أبا عبدِ الله، قد وجَّهتُ لك بأربعةِ آلافِ دِرهمٍ، وأُحِبُّ أنْ تَقضيَ بها دَينَك، وتُوسِّعَ بها على عيالِكَ، وليستْ بصدَقةٍ ولا زكاةٍ، وإنَّما هو شيءٌ وَرثْتُه مِن أبي)، فقلتُ: يا أبتِ ما هذا؟ فاحمرَّ وجهُه وقال: رفعتُه منكَ، ثمَّ قال: اذهبْ بجوابِه، ثمَّ كَتب له وَصَل كتابُكَ ونحنُ في عافيةٍ، فأمّا الدَّينُ فإنَّه لرجلٍ لا يُرهِقُنا، والعيالُ في نِعمةِ الله والحمدُ لله، ولمّا كان بعدَ حينٍ كَتب له الرَّجلُ كالأوَّلِ، فرَدَّ عليه كجوابِه الأوَّلِ».

وفي روايةٍ: أنَّ الذي وَجَّهها إليه الجُنيدُ بنُ عيسى مولى ابنِ المُبارك.

ونوى رجلٌ في بضاعةٍ أنَّ رِبحَها له، أي: لأحمدَ، فجاءَ رِبحُها عشرةَ آلافٍ فحملَها إليه، فقال: جزاهُ اللهُ خيرًا، نحنُ في غنًى وسَعةٍ، ولم يَقبلْها.

وفي روايةٍ: أنَّ الرَّجلَ محمدُ بنُ سُليمانَ السَّرخَسيُّ.

وكان الحسنُ بنُ عبدِ العزيزِ قد ورِثَ مئةَ ألفِ دينارٍ، فحملَ إليه منها ثلاثةَ آلافِ دينارٍ فردَّها إليه وقال: «إنّا في كفايةِ اللهِ».

وقال إسماعيلُ بنُ حنبلٍ: «أُحصيَ ما رَدَّه ـ يعني: أحمدَ ـ حينَ جِيءَ به إلى العَسكرِ، فإذا هو سَبعونَ ألفًا».

وأَخبره أهلُه: أنْ ليس عندَهم دقيقٌ فقال: نعم السّاعة، ثمَّ كُرِّر عليه فقال: السّاعةَ، وإذا بالبابِ يُدَقُّ، فأُذِنَ لمَن أتاه بالدُّخولِ فدخلَ، وإذا هو رجلٌ على كتِفِه عصًا فقال له: أنتَ أحمدُ بنُ حنبلٍ؟ فقال: نعم، فقال: أنا رجلٌ مِن خُراسانَ مَرِضَ جارٌ لي فعُدتُه فقلتُ: ألكَ حاجةٌ؟ فقال: نعم هذِه خمسةُ آلافِ دِرهمٍ تُوصِلُها إلى أحمدَ بنِ حَنبلٍ بعدَ وفاتي، فقال: أله بينَنا وبينَه قَرابةٌ؟ فقال: لا، قال: فبينَنا وبينَه رَحمٌ؟ قال: لا، فقال: فبينَنا وبينَه نعمةٌ يَربُّها؟[1] قال: لا، قال: ضُمَّها رَحمكَ اللهُ، فزادَ فخَشَّنَ له ـ أي: في الكلامِ ـ فحَملَ المالَ وانْصرفَ.

ودَفعَ إلى بعضِهم دراهمَ يَشتري له وَرِقًا، فاشتَرى ثُمَّ إنَّه جَعل بينَ الوَرِق[2] خمسَ مئةَ دِينارٍ، ثمَّ إنَّه أعطاهُ إيّاها مِن غيرِ أنْ يُعلِمَه، ثمَّ إنَّه لمّا فتحَه جَعلَت الدَّنانيرُ تَتناثرُ في حِجرِه منه، فقال لأصحابِه مَن يعلَمُ منكُم الرَّجلَ؟ فأَعلمَه به بعضُهم، فقامَ معه إلى مكانِه فلمّا لَحقه، وضعَ دنانيرَه في حِجرِه وانصرَف.

وفي روايةٍ أُخرى: أنَّه رَدَّ الوَرِقَ معه، فجعلَ الرَّجلُ يقول له: بدراهِمكَ اشتَريتُ الكاغِدَ فخذْه، فأَبى.

والأمورُ التي وقعَتْ له في رَدِّ الدَّراهِمِ والدَّنانيرِ على أربابِها ممّا يطولُ، فإنَّ مَن ردَّ الأُلوفَ لا يُستعظَم له رَدُّ المئةِ والدِّينار.

***

---

(١) تحرَّفتْ في النُّسخ.

(٢) تحرَّفتْ في النُّسخ إلى: «الأوراق».

فصلٌ في إعراضِه عن القَضاءِ

قال المُزنيُّ: «قال الشافعيُّ: لمّا دخلتُ على هارونَ الرَّشيدِ قلتُ: إنِّي خَلَّفتُ اليمنَ ضائعةً تحتاجُ إلى حاكمٍ، فقال: انظُرْ رجلًا ممَّنْ يَجلِسُ إليكَ حتّى نُولِّيَه قضاءَها، فلمّا رَجعَ الشافعيُّ إلى مَنزِلِه[1] ورأى أحمدَ بنَ حنبلٍ مِن أمثَلِهم أَقبلَ عليه وأخبرَه بذلك، وقال: تَهيَّأْ للقاءِ أميرِ المؤمنينَ يُولِّيكَ قضاءَ اليمنِ، فأَقبلَ عليه وقال: إنَّما جِئتُك؛ لأقتبِسَ منكَ العِلمَ، فكيفَ تأمرني بتوليةِ القضاءِ؟! وغَضِبَ منه، فاستَحيا الشافعيُّ»[2].

وفي رِوايةٍ: قال الشافعيُّ له: يا أبا عبدِ اللهِ، إنَّ أميرَ المؤمنينَ سألني أنْ ألتمسَ له قاضيًا لليمنِ، وأنتَ تُحبُّ الخُروجَ إلى عبدِ الرَّزاقِ، قد تقضي بالحقِّ وتنالُ ما تُريدُ، فقال للشّافِعيِّ: إن سمِعْتُ منكَ هذا ثانيةً لم تَرني عندَك! ويقال: كان عمْرُ[3] أحمدَ حينَئذٍ سبعًا وعشرينَ سنةً.

قال الإمامُ البيهقيُّ بعدَ سَوقِ الحِكاية: «وهذا في عُنوانِ شبابِه، ثمَّ بقيَ على سيرتِه في الاشتِغالِ بالعِلمِ والعِبادةِ، ومُجانبةِ السَّلاطينِ».

ودخلَ إسحاقُ ابنُ راهُويه على عبدِ اللهِ بنِ طاهرٍ[4] وبيدِه كتابٌ لأحمدَ، فقرأه عليه، فلمّا سمِعَ أحمدُ بأنَّه أُدْخِلَ كتابُه عليه تَركَ مُكاتبةَ إسحاقَ لذلكَ!

***

---

(١) في (ش): «مجلسه»، وكذلك هي في «المناقب» لابن الجوزي: (ص٣٦٠).

(٢) قال الذهبي في «السير» (١١/ ٢٢٤) بعدَ أنْ أَوردَ هذه الرواية: «إسنادُه مظلم».

(٣) في هامش (ش): «في نسخة: سِنُّ».

(٤) عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي (ت٢٣٠) أمير خراسان، مِن أشهر وُلاة العباسيين، انظر: «الأعلام» للزركلي: (٤/ ٩٣).

فصلٌ في وَرعِه

ذَكر البيهقيُّ: «أنَّ الإمامَ أحمدَ أَتى عليه ثلاثةُ أيّامٍ ما طَعِمَ فيها، ثمَّ أُحضِرَ إليه شيءٌ مِن الدَّقيقِ، فعرفوا في البيتِ شِدَّةَ حاجتِه إلى الطَّعامِ، فخَبزوا له بالعَجلةِ، فلمّا أنْ وضِعَ بينَ يدَيه، قال: خَبَزتُم بسرعةٍ! فقيلَ له: كان التَّنورُ في دارِ صالحٍ مُسجرًا، فقال: ارفعوه، ولم يأكلْ، وأمرَ بسدِّ البابِ الذي بينَه وبينَ ابنِه صالح».

قال البيهقيُّ: «وهذا لأنَّ ابنَه صالحًا أَخذ جائزةَ المُتوكِّلِ، فلم يأكُلِ الخُبزَ الذي خُبزَ في تَنُّورِه، فاللهُ يرحمنا وإيّاه».

وقال عليُّ بنُ المَدينيِّ لسُليمانَ بنِ داودَ: «تَتشبَّه بأحمدَ هيهاتَ! أحمدُ رَهنَ سَطلًا في قُوتِه، فلمّا أرادَ فَكاكَه أَحضرَ له الذي عِندَه الرَّهنُ سطلَين، وقال: أيُّهما لكَ؟ فقال: لا أدري، أنتَ في حِلٍّ منه وممّا أعطيتُكَ، فقال: واللهِ إنَّه لسطلُه وإنَّما أردْتُ امتحانَه».

وكان إذا رأى نَصرانيًّا غَمَّضَ عينَيه، فقيلَ له في ذلك فقال: «لا أقدِرُ أنْ أرى مَن افتَرى على اللهِ كذبًا».

وقال إسحاقُ بنُ إبراهيمَ: «أعطاني أحمدُ يومًا قطعةً فقال: اشترِ بهذه باقلّاءَ، وأَعطتْني أمُّ ولدِه قطعةً فقالت: خُذْ للصِّبيانِ بها باقلّاءَ، ففَضلَ مِن قِطعة الصِّبيانِ شيءٌ، فأخذَتُ به زَيتًا، فصَببْتُه على الباقلّاءِ التي له، فقال: ما هذا؟ فأخبَرتُه، فقال: ارفَعْ يا أحمقُ متّى تَعقِل؟!».

واحتاجَ يومًا وهو مريضٌ إلى ماءِ قَرْعةٍ مشويَّةٍ، فقال لولدِه صالحٍ: «لا تَشوِها في مَنزِلكَ، ولا في منزِلِ عبدِ اللهِ».

وفي روايةٍ: قال المَرُّوْذِيُّ: «فمَضيتُ فَشويتُها له».

وأَمر أن يُشتَرى له سمنٌ، فجيءَ به إليه على وَرقةٍ، فأَخذَه وقال: «رُدَّ الورقةَ».

وأَمر يومًا أن يُشتَرى له باقلّاءَ، فجيءَ له منها بشيءٍ كثيرٍ، فسأل عن ذلك، فقيل إنَّ اثنينِ قد تَضادّا فأرخَصا، فأمرَ أن يُرَدَّ فيُتركَ هو والثَّمنُ.

وقال عبدُ اللهِ بنُ أحمدَ: «قلتُ لأبي: بقيَ شيءٌ مِن صِلةِ المُتوكِّلِ، أفأحُجُّ منه؟ فقال: نعم، فقلتُ: فلمَ لا تأخُذُ منه؟ فقال: ليس حرامًا ولكنِّي تَنزَّهتُ عنه».

وكان يزرَعُ أرضَ دارِه فيُخرِجُ زكاتَها ذهابًا إلى قولِ عمرَ بنِ الخطّابِ في أرضِ السَّوادِ.

واستأذنَ محمدُ بنُ إبراهيمَ الأنْماطيُّ أنْ يكتبَ مِن محبرتِه حديثًا كان أنبأه به، فقال له: «اكتبْ، فهذا ورَعٌ مُظلِمٌ».

واستأذَنه محمدُ بنُ طارقٍ أن يَستَمِدَّ مِن مَحبرتِه فقال: «لم يبلُغْ ورَعي ورَعَكَ هذا، وتبسَّمَ».

وأمّا ما يُنقل عن الإمامِ أحمدَ: مِن أنه امتَنعَ مِن أكلِ البِطِّيخِ لعدَمِ عِلمِه بكيفيَّةِ أكلِ النبيِّ ﷺ فكذِبٌ باطلٌ لا أصلَ له، كما صرَّحَ بذلِكَ أئمَّتُنا حتّى في متونِ كُتبِ الفقه[1].

***

---

(١) قال الإمام ابنُ مُفلحٍ في «الفروع» (١٠/ ٣٨٧): «وما نُقل عن الإمام أحمدَ: أنه امتَنع مِن البطيخ لعدمِ علمِه بكيفيَّة أكلِ النبيِّ ﷺ كذبٌ، ذَكره شيخُنا»، وأراد بقوله (شيخنا) الإمامَ ابنَ تيمية، وانظر ذلك في «مجموع الفتاوى» (٣٢/ ٢١٢)، وذَكره صاحبُ «مُنتهى الإرادات» (٥/ ١٨٥).

فصلٌ في زُهدِه

قال سليمانُ بنُ الأشعثِ: «ما رأيتُ أحمدَ بنَ حنبلٍ يَذكرُ الدُّنيا قط».

وقال أبو داودَ: «كانت مُجالسةُ أحمدَ مُجالسةُ آخرةٍ، لا يُذكرُ فيها شيءٌ مِن أمرِ الدُّنيا، وما رأيتُ أحمدَ بنَ حنبلٍ ذَكرَ الدُّنيا قط».

وقال أبو حفصٍ بنُ سليمانَ: «صلَّيتُ مع أحمدَ التَّراويحَ، فكان يُصلِّي به ابنُ عُميرٍ، وكان في المسجدِ سراجٌ على الدَّرجةِ، وليسَ فيه قِنديلٌ ولا حَصيرٌ، وقد صبرَ على الفقرِ سبعينَ سنةً».

وقيل له: إنَّ فلانًا أُعطيَ ألفَ دينارٍ، فقال: «وَرِزقُ رَبِّكَ خيرٌ وأبقى».

وذُكِر له جماعةٌ مِن المُحدِّثينَ فقال: «كانت أيَّامُهم قلائِلَ ثمَّ تلاحَقوا».

وذُكرَ عندَه رجلٌ فقال: «الفائزُ مَن فاز غدًا».

ولم يكُن لأحدٍ عندَه تَبِعةٌ.

وقال ابنُه صالحٌ: «ودَخلَ منزِلي وقد غَيَّرنا سَقفَه فأَملى عليَّ: حدَّثني سُليمانُ بنُ حَربٍ، حَدَّثنا حَمادُ بنُ سلمةَ عن يونسَ عن الحسنِ قال: قدِمَ الأحنفُ بنُ قَيسٍ مِن سفَرٍ وقد غيَّروا سقْفَ بيتِه، ثمَّ قال في آخرِه: مَعذرةً إليكم لا أَدخلُه حتّى تُغيِّروه».

قال صالحٌ: «وربَّما اشتَرينا الشَّيءَ وأخفيناه عنه خشيةَ تَوبيخِه».

ودخلَ عليه أحمدُ بنُ عيسى في جماعةٍ مِن المُحدِّثينَ فقالوا له: ما هذا الغَمُّ والإسلامُ حنيفَيةٌ سَمحةٌ؟! فقال لِمَن حضرَه: «انظروا إلى هؤلاءِ ما أُحبُّ أنْ يَدخلَ عليَّ منهم أحدٌ».

وكان يقول: «ما أعدِلُ بالفقرِ شيئًا، ولا أعدِلُ بالصَّبرِ عليه شيئًا».

وقال ابنُه صالحٌ: «رأيتُ أبي يأخُذُ الكسرةَ فيَنفضُ غبارَها، ثمَّ يَبلُّها بالماء ويأكلُها بالمِلحِ، ولم أرَهُ اشترى فاكهةً قطُّ إلّا بِطيخَةٌ أكلَها في الحَرورِ[1]».

وقال يومًا: «قد بَرِدَتْ أطرافي وأظنُّ ذلكَ مِن كثرةِ إدامي بالخَلِّ والمِلحِ».

وكثيرًا ما كان يأتَدِمُ الخَلَّ[2].

وكان يأخذُ بدرهمٍ شَحمًا، فيأكلُ منه شهرًا.

وذُكِرَ عندَه الفُضيلُ وفتحٌ المَوصليُّ وفقرُهما فتَغرغَرتْ عيناه وقال: «عندَ ذِكرِ الصّالحينَ تَنزلُ الرَّحمةُ»[3].

وقال: «إنِّي أَفرح إذا لم يكن عندي شيءٌ»، وجاءَه ولدُه عقيبَ كلامِه فقال: «ما عندَ أبيكَ شيءٌ».

وقال الحسنُ بنُ محمدٍ: «دَخلتُ دارَه فإذا فيه حصيرٌ خَلَقٌ وكُتبُه حولَه».

وقال يومًا لولدِه عبدِ اللهِ وقد رأى لِينَ رجلِه: «لِمَ لا تَمشي حافِيًا حتّى يَخشَنا؟!».

وقال يومًا: «إنَّما هو طعامٌ دونَ طعامٍ، ولِباسٌ دونَ لباسٍ، وإنَّما هي أيامٌ قلائِلُ».

وقال: «أَسرُّ أيامي إليَّ يومٌ أُصبِح وليسَ عندي شيءٌ».

وأَمر يومًا بأنْ يُخلى له الحمّامُ، فلما أُخليَ قال: «لي خمسونَ سنةً لم أَدخل الحمّامَ، ويجوزُ ألا أدخُلَه الساعةَ»، ثمَّ أَمر بأنْ يُطلقَ الناسُ.

---

(١) في المصادر والمراجع: «إلا بِطيخة فيأكلها بخبز».

(٢) في (ش): «بالخل».

(٣) وعبارةُ الإمامِ أحمدَ كما في «المناقب» لابن الجوزي (ص٣٦٥): «كان يقال: عندَ ذِكر الصالحينَ تَنزل الرَّحمة».

وقال أبو بكرٍ المَرُّوْذِيُّ: «سمعتُ أحمدَ بنَ حنبلٍ يقول: ما أَعدِلُ بالفَقرِ شيئًا، رأيتُ قَومًا صالحينَ:

- لقد رأيتُ عبدَ اللهِ بنَ إدريسَ وعليه جُبَّةٌ مِن لَبودٍ، وقد أَتى عليه السِّنونَ والدُّهورُ.

- ورأيتُ أبا داودَ الحَفَرِيَّ وعليه جُبَّةٌ مُخرَّقةٌ قد خَرجَ القُطنُ منها، يُصلِّي بينَ المغربِ والعشاءِ وهو يتَرجَّح[1] مِن الجُوعِ.

- ورأيتُ أيوبَ ابنَ النَّجارِ بمكَّةَ قد خَرجَ مما كان فيه ومعه رِشاءٌ يَستقي به بمكة، وقد خرج مِن كلِّ ما كان يملكُه وكان مِن العابِدينَ، وكان في دُنيا فتَركها في يَدَي يحيى القَطّانِ.

- وقد رأيتُ بجالةَ العابدَ[2]، وكنتُ أسمعُ صوتَ خُفِّه في الطَّوافِ بالليلِ.

- ولقد كان في المسجدِ رجلٌ يقالُ له: العرفيُّ، يقومُ مِن أوَّلِ الليل إلى الصَّباحِ، قال: فاشتَهيتُ النَّظرَ إليه فإذا هو شابٌّ مصْفَرٌّ.

- ولقد رأيتُ حُسينًا[3] وكان يُشبَّه بالرّاهبِ، ما رأيتُ بالكوفةِ أفضلَ منه.

- ورأيتُ سعيدَ بنَ عامرٍ بالبصرة».

ولقيَ رضي الله عنه خلقًا كثيرًا مِن الصّالحينَ الزُّهادِ.

ورَوى الخطيبُ في «تاريخِ بغدادَ»[4]: «قَصد حاتمٌ الأصمُّ الحجَّ، فلمّا

---

(١) يترجَّح: أي يميل، وفي بعض النسخ: «يترجج».

(٢) في «المناقب» لابن الجوزي (ص٦٩): «ابن بجالة».

(٣) في «المناقب» لابن الجوزي (ص٦٩): «حسينًا الجُعفي».

(٤) «تاريخ بغداد» (٩/ ١٥٠).

دَخلَ بغداد قال لبعضِ أصحابِ الإمامِ أحمد: أُحبُّ أنْ أزورَ أحمدَ بنَ حنبلٍ! فقال له: امضِ بنا إليه، فلمّا دَخلَ عليه في منزلِه قال له صاحبُه: حاتمٌ قصدَ زيارتَك والسَّلامَ عليك، فأقبلَ عليه أحمدُ وتحادَثا ساعةً طويلةً ثمَّ قال له أحمدُ بعدَ بَشاشةٍ: يا حاتمُ فيمَ التَّخلُّصُ مِن الناسِ؟ فقال: يا أحمدُ في ثلاثٍ، قال: وما هي؟ قال:

- أن تُعطيَهُم مالكَ ولا تأخذْ مِن مالِهم شيئًا.
- وتَقضيَ حقوقَهم ولا تَستقضيَ مِن أحدٍ منهم حَقًّا.
- وتحتَملَ مكروهَهم ولا تُكرِه أحدًا منهم على شيءٍ.

قال: فجَعلَ أحمدُ ينكثُ بأُصبعِه على الأرضِ ويقول: إنَّها لشديدةٌ، إنَّها لشديدةٌ، فقال له حاتمٌ: وليتَكَ تَسلمُ، وليتَكَ تَسلمُ، وليتَكَ تَسلمُ».

***

فصلٌ في إيثارِه العُزلةَ والخُمولَ

رَوى الأئمَّةُ: أنَّ أحمدَ كان أصبرَ الناسِ على الوَحدةِ، فكان لا يُرى إلّا في مسجدٍ، أو حُضورِ جنازةٍ، أو عيادةِ مريضٍ.

وكان يَكره المَشيَ في الأسواقِ.

وقال: «أشتَهي ما لا يكونُ، أشتهي مكانًا ليسَ فيه أحدٌ».

وقال: «ما أُبالي ألا يَراني أحدٌ ولا أراهُ، وإنْ كنتُ لأَشتهي رؤيةَ عبدِ الوهّابِ[1]».

---

(١) كَتب مُحقِّقُ «مناقب الإمام أحمد» (ص٣٧٤): «هو عبدُ الوهاب بنُ عبدِ الحكم الورّاق، كان مِن خواصِّ الإمام أحمد».

وقال: «الخَلوةُ أروحُ لِقلبي».

وسُئلَ حُضورَ جَنازةٍ فترَحَّمَ على الميتِ وقال: «أخشى أنْ يَعلمَ الناسُ فيَكثُروا».

وقال له رجلٌ: إنِّي أُحبُّ أنْ آتيَك ولكنِّي أخافُ أن تَكره! فقال: «إنِّي لأكرَهُ ذلك».

وقال: «أُريدُ أنْ أَنزلَ مكَّةَ فأُلقي نفسيَ في شِعبٍ مِن الشِّعابِ حتّى لا أُعرفَ».

وسُئِلَ لمَ لا تَصحبُ الناسَ؟! فقال: «خَشيةَ الفِراقِ».

وكان يؤثِرُ الخُمولَ فلا يُحبُّ أنْ يَجريَ له ذِكرٌ.

دَخل عليه عمُّه يومًا ويدُ أحمدَ تحتَ خدِّه فقال له: ما هذا؟ فرَفعَ رأسَه وقال: «طوبى لمَن أَخملَ اللهُ ذِكرَه».

وكان يتركُ زِيَّ الفقراءِ خِيفةَ أنْ يُشهِرَ نفسَه.

وقال للمَروذيِّ: «قُل لعبدِ الوهّابِ: أخمِلْ ذِكرَك، فإنِّي بُليتُ بالشُّهرةِ»، ثمَّ قال: «واللهِ لو وَجدتُ سَبيلًا لخَرجتُ مِن هذه المدينةِ حتّى لا يَذكُروني ولا أذكرهُم».

وصلَّى يومًا الغَداةَ فلمّا دَخلَ منزِلَه تبِعَه الناسُ فقال: «لا تَتبعوني مرَّةً أُخرى».

وكان يَكرهُ أنْ يَتبعَه في مَشيهِ أحدٌ[1].

وفي روايةٍ: ورُبَّما وَقفَ حتّى يَذهبَ الذي يَتبعُه.

***

---

(١) قال الذهبي في «السير» (١١/ ٢٢٦): «قلت: إيثارُ الخمول والتواضعِ وكثرةِ الوَجَل مِن علامات التقوى والفلاح».

فصلٌ في خَوفِه مِن اللهِ تعالى

كان رضي الله عنه: إذا دَعا له رجلٌ قال: «الأعمالُ بخواتيمِها».

وكان كثيرًا ما يقول: «رَبِّ سلِّمْ سلِّمْ»، رُوِيَ ذلك مِن طُرقٍ ثلاثٍ.

وقال ابنُه عبدُ اللهِ: «سمعتُ أبي يقول: وَدِدت أنِّي نَجوتُ مِن هذا الأمرِ كَفافًا، لا عليَّ ولا لي».

ورأى بعضُهم له منامًا حسنًا فأَخبره به فقال: «يا أخي، إنَّ سهلَ بنَ سَلامةَ[1] أُخبِرَ بمثلِ هذا ثمَّ خَرجَ إلى سفْكِ الدِّماءِ، ثمَّ قال: إنَّ الرُّؤيا تَسُرُّ المؤمنَ ولا تَغرُّه».

وقال له رجلٌ: ذَكروا أنَّك مِن خيرِ الناسِ، فما اكترَثَ له.

وقال: «الخَوفُ يَمنعُني مِن أكلِ الطَّعامِ والشَّرابِ فما أشتَهيه».

وجيءَ له بطستٍ في مَرَضِه الذي ماتَ فيه فبالَ فيه دمًا عَبيطًا[2]، فقال المُتطَبِّبُ: «هذا رجلٌ فتَّتَ الحُزنُ ـ أو قال: الغَمُّ ـ جَوفَه».

وقيل له يومًا: كيفَ أصبحتَ؟ فقال: «كيفَ أصبحَ مَن رَبُّه يُطالبُه بأداءِ الفَرائِض، ونبيُّه يُطالبُه بأداءِ السُّنَّةِ، والمَلكانِ يُطالبانِه بتَصحيحِ الأعمالِ، ونفسُه تُطالبُه بهواها، وإبليسُ يُطالبُه بالفحشاءِ، ومَلكُ الموتِ يُطالبُه بقبضِ روحِه، وعيالُه يُطالبونَه بالنَّفقَةِ».

---

(١) هو المارق الخارجيُّ أبو حاتمٍ سهلُ بنُ سلامة الخراساني قُتل عام: (٢٠١هـ)، خَدع الناسَ ودعاهم إلى الأمر بالمعروف والنهيِ عن المنكر، والعملِ بالكتاب والسُّنة، فبايعه بعضُ العوامِّ على القتال معَه وقتلِ مَن خالفه، وكانوا يشتمون الناس بالفسق، انظر «الكامل في التاريخ» (٥/ ٤٨٣)، و«تاريخ الإسلام» (٥/ ١٠).

(٢) دمٌ عَبيط: خالصٌ طريٌّ، انظر «مختار الصحاح» (ص١٩٩).

وقال المَرُّوْذِيُّ: «كان أبو عبدِ اللهِ مُتوكِّئًا على يَدي فاستقبلَتْنا امرأةٌ بيدِها طُنبورٌ، فكَسرتُه ودُسْتُه وأبو عبدِ اللهِ مُنكِّسُ الرّأسِ، ثمَّ إنَّ أمرَ الطُّنبورِ انتَشر فقال أبو عبدِ اللهِ: «ما عَلمْتُ بهذا ولا أنَّه كَسَر طُنْبورًا بحضرتي إلى السّاعة».

***

فصلٌ في عِبادتِه وحجِّه ودُعائِه

روى الأئمَّةُ أنَّه لم يُرَ أحدٌ أقوى على الزُّهدِ والعِبادةِ وجَهْدِ النَّفسِ مِن أحمدَ بنِ حَنبلٍ...

كان يصومُ النَّهارَ، ويُعجِّلُ الفِطرَ، ويُصلِّي بعدَ العشاءِ ركعاتٍ، ثمَّ يَنامُ خفيفًا، ثمَّ يَقومُ فيَتطهَّرُ ويُصلِّي إلى الصَّباحِ، ويُوتِر بركعةٍ، وكان هذا دأبَه.

قال الرّاوي لهذا: ولم أرَه مُفطِرًا إلّا في يومٍ كان احتَجمَ فيه[1].

وقال ابنُه صالحٌ: «أَدمنَ أبي الصَّومَ لمّا قدِمَ مِن عِندِ المُتوكِّلِ وتَركَ الدَّسمَ، فتَوهَّمتُ أنَّه ألزَمَ نفسَه ذلك إنْ سَلِمَ».

وكان يُحيي اللَّيلَ وهو غلامٌ.

وقال عبدُ اللهِ: «كان أبي يُصلِّي كلَّ يومٍ وليلةٍ ثلاثَ مئةِ ركعةٍ، فلمّا ضَعُف صلّى مئةً وخمسينَ، ولمّا كَبر أبي زادَ في الاجتهادِ».

وقال لمحمدِ بنِ محمدِ بنِ إدريسَ الشافعيِّ: «أبوكَ أحدُ السِّتةِ الذين أَدعو لهم سَحرًا».

ورُوي أنَّه أتى مكَّةَ هو والشافعيُّ وابنُ مَعينٍ، فأمّا الشافعيُّ فاستَلقى،

---

(١) وكذلك يُفطر في العيدَين، كما في «المناقب» لابن الجوزي: (ص٦٨٨).

وكذلك يحيى بنُ معينٍ، فلمّا أصبَحوا قال الشافعيُّ: «عَملتُ مئتَي مسألةٍ»، وقال يحيى: «نَفيتُ عن النَّبيِّ ﷺ مئتَي كذّابٍ»، وقال أحمدُ: «وأنا صلَّيتُ ركعاتٍ خَتمتُ فيها القُرآنَ».

ورُوي أنَّه كان لا يَدعُ أحدًا يَستَقي الماءَ الذي يتوضَّأ به، وإنَّما كان يَستقيه بيدِه، وكانتِ الدَّلوُ إذا طلعَتْ ملأى قال: الحمدُ للهِ، فسُئِلَ عن ذلك فقال: سَمعْتُ اللهَ يقول: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾ [الملك: ٣٠].

ورُوي أنَّه كان يقول عندَ كلِّ لُقمةٍ: «الحمدُ للهِ».

ويقول: «أكلٌ وحَمدٌ خيرٌ مِن أكلٍ وصمتٍ».

وكان كثيرًا ما يَتلو سورةَ الكهف.

وقال أبو بكرٍ المَرُّوْذِيُّ: «كنتُ مع أبي عبدِ اللهِ نحوًا مِن أربعةِ أشهُرٍ بالعسكرِ فلا يَدعُ قيامَ اللَّيلِ وقراءةَ النَّهارِ، وما عَلمْتُ بخَتمةٍ ختمها؛ لأنَّه كان يُسرُّ القِراءةَ».

وقال عبدُ الصَّمدِ بنُ سُليمانَ: «بِتُّ ليلةً عندَ أحمدَ فوَضعَ لي ماءً، فلمّا أصبحَ وجَدني لم استَعمِلْه، فقال: صاحبُ حديثٍ ولا وِردَ له في اللَّيلِ! فقلتُ: إنِّي مُسافرٌ، فقال: ولو كُنتَ مسافرًا، حَجَّ مسروقٌ فما نام إلّا ساجدًا!».

وكان يُصلِّي بعدَ الجمعةِ ستَّ ركعاتٍ، يَفصلُ بينَ كُلِّ رَكعَتينِ بِتَسليمٍ، وكان بِشرُ بنُ الحارثِ يُصلِّي أربعًا مِن غيرِ تَسليمٍ.

وقال لمّا قَدِمَ عليه أبو زُرعةَ: «ما صَلَّيتُ اليومَ غيرَ الفَرضِ استأثَرتُ بمذاكرةِ أبي زُرعةَ على نوافلي».

وأمّا حَجُّه:

فقال ابنُه عبدُ اللهِ: «حجَّ أبي خمسَ حَجّاتٍ: ثلاثًا منها ماشيًا، وثِنتَين راكبًا».

ورافقَ في بعضِها يحيى بنَ معينٍ، واتَّفقا على أنَّهما بعدَ انقضاءِ الحَجِّ يَمضيانِ إلى صنعاءَ اليمنِ؛ يأخُذانِ الحديثَ عن عبدِ الرَّزاقِ فوجَداه في الطَّوافِ، فلمّا فَرغَ اجتَمعا عليه، وكان لا يَعرفُ أبي شخصَه، وإنَّما يَعرِفُه باسمِه فقال له يحيى بنُ معينٍ: هذا أخوكَ أحمدُ بنُ حنبلٍ، فقال: حيّاهُ اللهُ، إنَّه ليَبلغُني عنه كلُّ ما أُسَرُّ به، ثبَّته اللهُ على ذلك.

ورُوي أنَّه أَنفقَ في بعضِ حَجّاتِه عشرينَ درهمًا، وفي أُخرى نحوُه وقال: «ثلاثينَ درهمًا موضعَ عشرينَ».

وقال رضي الله عنه: «كَفى بعضُ الناسِ مِن مكَّةَ إلى هنا أربعةَ عَشرَ دِرهمًا»، فُسئِلَ عنه فقال: «أنا».

وكان يقول في دُعائِه: «اللهمَّ كما صُنتَ وَجهي عن السُّجودِ لغيرِكَ، فَصُنْه عن سُؤالِ غَيرك».

وكان يقول: «اللهمَّ مَن كان على هوًى أو على رأيٍ وهو يَظنُّ أنَّه على الحَقِّ وليسَ كذلكَ، فرُدَّه إلى الحَقِّ حتّى لا يَضِلَّ مِن هذه الأُمَّةِ أحدٌ، اللهمَّ لا تُشغلْ قُلوبَنا بما تكفَّلْتَ لنا به، ولا تَجعلنا في رِزقِك خَوَلًا[1] لغيرِك، ولا تَمنعْنا خيرَ ما عندَك لشرِّ ما عندَنا، ولا تَرنا حيثُ نَهيتَنا، ولا تَفقِدْنا مِن حيث أَمرتَنا، أعزَّنا بالطّاعةِ، ولا تُذِلَّنا بالمَعصيةِ».

---

(١) خَوَلاً: أي مِلكًا، انظر «مختار الصحاح» (ص٩٨).

وقال يومًا وقد سُئلَ الدُّعاءَ: «اللهمَّ إنَّكَ تعلَمُ أنَّكَ لنا [على] [1] أكثرَ ممّا نُحبُّ، فاجعلْنا لكَ على ما تُحبُّ».

وقال لمّا أُخرِجَ مِن دارِ الخليفةِ مَضروبًا مَكْبوبًا على وَجهِه: «يا شاكِرًا اصنَعْ بي ما تَشكُرني عليه».

وقال له رجلٌ يُريدُ السَّفر: زَوِّدْني دَعوةً فقال له: «قلْ يا دليلَ الحَيارى دُلَّني على طَريقِ الصّادِقينَ، واجعلْني مِن عِبادِكَ الصّالحينَ»، قال: فخَرجَ الرَّجلُ فأصابتْه شدَّةٌ وانقَطعَ عن أصحابِه، فدَعا بهذا الدُّعاءِ فلَحِقَ أصحابَه، فجاءَ إلى أحمدَ فأخبرَه بذلِكَ فقال: «اكتُمْها عليَّ».

وكان يقول: «اللهمَّ أمِتْنا على الإسلامِ والسُّنةِ».

***

فصلٌ في كراماته

رُوي: أنَّه دعا لولَدِ ابنِه صالحٍ وقَد يُئِسَ منه مِن كثرةِ الرُّعافِ، وعَجِزَ عنه الأطباءُ فانْقَطعَ.

وكان بعضُهم يَكتبُ عِندَه فانكَسر قلمُه فأعطاهُ قلمًا، فرُويَ أنَّه وُضِعَ على نَخلةٍ لم تحمِلْ فحَملتْ.

وسُئلَ الدُّعاءَ لمُقعَدةٍ فقال: «نحنُ أحوجُ إلى الدُّعاءِ»، ثمَّ دَخلَ فدَعا لها، فلمّا ذَهبَ السّائلُ إلى المرأةِ دَقَّ عليها البابَ، فخَرجتْ بِرجلَيها ففَتحَتْ فقالتْ: «قد وَهبَ اللهُ ليَ العافيةَ».

---

(١) ما بينَ معكوفَتين ليس في النُّسخ، وهو مِن المصادر والمراجع، وهذا الدعاءُ وَرَد ضمنَ قصةٍ قال عنها الذهبيُّ: «وهي منكرة»، انظر «السير» (١١/ ٢٢٩)، والله أعلم.

واحتَرقَ بيتٌ بجميعِ ما فيه فلم يَسلَمْ مِن الحريقِ إلّا ثوبٌ لأحمدَ، نظروا فإذا هو على سريرٍ والنّارُ قد أكلَتْ ما حولَه ولم تَعرضْ له.

ورُوي أنَّه احترقَ بيتٌ بما فيه إلّا كتابٌ كان بخطِّ يدِه.

وقال الإمامُ أبو الفَرجِ[1]: «ولمّا وَقعَ الغَرقُ ببغدادَ سنةَ: أربعٍ وخَمسينَ وخَمسِ مئةٍ وغَرقَتْ كُتبي، لم يَسلمْ لي غيرُ مُجلَّدٍ فيه وَرقتانِ بخطِّه[2]».

وقال صدقةُ بنُ الفَضلِ: «نِمتُ بمسجدٍ وقد اشتدَّ بي الجوعُ وليستْ معي نفقةٌ، فانتَبهتُ فإذا أحمدُ بنُ حنبلٍ ومعه حمّالٌ معه خبزٌ وغيرُه، فقال: إنِّي أُنبِئتُ البارحةَ في المنامِ فقيلَ لي: صديقُكَ صدقةُ بنُ الفَضلِ جائعٌ فأَدْرِكه».

وقال عبدُ اللهِ بنُ موسى[3]: «خرجتُ أنا وأبي لزيارةِ أحمدَ فاشتَدتْ الظُّلمةُ، فقال أبي: تعالَ نَتوسَّلُ إلى اللهِ تعالى بهذا العبدِ الصّالحِ؛ لتُضيءَ لنا الطَّريقُ، فإنِّي منذُ ثلاثين سنةً لم أتوسلْ إلى اللهِ تعالى به إلّا قَضى حاجتي، ثمَّ دعا وأمَّنتُ على دعائِه فكانت اللَّيلةُ كأنَّها مُقمِرةٌ»[4].

وقال عليُّ بنُ محمدٍ القُرشيُّ: لمّا قُدِّم أحمدُ بنُ حنبلٍ ليُضربَ أيّامَ المِحنة وجُرِّد

---

(١) «مناقب الإمام أحمد» (ص٤٠٠).

(٢) قال الذهبيُّ في «السير» (١١/ ٢٣١) بعدَ أنْ نَقل قصةَ ابنِ الجوزيِّ هذه: «قلتُ: وكذا استفاض وثبت أنَّ الغرقَ الكائنَ بعدَ العشرينَ وسبعِ مائةٍ ببغدادَ عام على مقابر مقبرة أحمد، وأنَّ الماءَ دَخل في الدِّهليز عُلوَ ذراعٍ ووقف بقدرة الله، وبقيت الحُصر حولَ قبرِ الإمام بغبارِها، وكان ذلك آية».

(٣) ذَكر القصَّةَ الحافظُ عبدُ الغنيِّ المقدسيُّ في جزئه «المحنةَ على إمام أهل السُّنة أحمدَ بنِ حنبل» (ص٧٩) وقال عن هذا الرجل: «وكان رجلًا صالحًا مِن أهل السُّنة».

(٤) رَوى القصةَ ابنُ الجوزيِّ في «المناقب» (ص٤٠٠)، وفي سندها: أبو بكرٍ محمدُ بنُ عيسى الطرسوسيُّ، متكلَّمٌ فيه، انظر «لسان الميزان» (٧/ ٤٣٠).

مِن ثيابِه ولم يبقَ إلّا سَراويلُه، فبينَما هو يُضرب انحلَّ السَّراويلُ، قال المَرُّوْذِيُّ وابنُ مَسْكويه الهمدانيُّ: فواللهِ لقد رأينا أحمدَ رَفعَ رأسَه إلى السَّماءِ وحرَّكَ شَفتَيه فما استتمَّ الدُّعاءَ حتّى رأينا كفًّا مِن ذهبٍ قد خَرج مِن تحتِ السَّراويلِ فردَّهُ إلى مَوضِعه بقدرةِ اللهِ تعالى، فضَجَّت العامَّةُ وهمُّوا بالهجومِ على السُّلطانِ، فأَمر بحلِّه»[1].

ورَوى أبو يَعلى الحنبليُّ[2]:

أنَّ الخليفةَ المُتوكِّلَ أرسلَ إلى الإمامِ أحمدَ صاحِبًا له يُعلِمُه أنَّ له جاريةً بها صَرعٌ، ويَسألُه أنْ يَدعوَ اللهَ تعالى لها بالعافية، فأَخرج له أحمدُ نعلَ خَشبٍ بشراكٍ مِن خُوصٍ، وقال له: «تَمضي إلى دارِ أميرِ المؤمنينَ وتَجلسُ عندَ رأسِ الجاريةِ وتقول له يعني: للجِنيِّ: قال لك أحمدُ: أيُّما أحبُّ إليكَ: أن تَخرُجَ مِن هذه الجاريةِ، أو تُصفعَ بهذا النَّعلِ سبعينَ؟»، فمضى إليه وقال له مثلَ ذلك، فقال له المارِدُ على لِسانِ الجاريةِ: السَّمعُ والطّاعةُ، لو أَمرنا أحمدُ ألا نُقيمَ بالعراقِ ما أقمنا، إنَّه أطاعَ اللهَ ورسولَه، ومَن أطاعَ اللهَ تعالى أطاعَهُ كلُّ شيءٍ، وخَرجَ مِن الجاريةِ وهدتْ[3] ورُزقَتْ أولادًا، فلمّا ماتَ أحمدُ عاوَدها هذا المارِدُ، فأَرسلَ المُتوكِّلُ إلى أبي بَكرٍ المَرُّوْذِيِّ صاحبِ الإمامِ أحمدَ وعرَّفَه بالحالِ، فأَخذَ المَرُّوْذِيُّ النَّعلَ ومَضى إلى الجاريَةِ فكلَّمَه العفريتُ على لسانِها: لا أَخرجُ مِن هذه الجاريةِ ولا أُطيعكَ، ولا أَقبلُ مثلَكَ، أحمدُ أطاعَ اللهَ تعالى، فأُمِرْنا بطاعَتِه.

* * *

(١) أورد هذه القصةَ الذهبيُّ في «السِّير» (١١/ ٢٥٥) وقال: «إنها لا تصح».

(٢) «طبقات الحنابلة» (٢/ ١٤٨).

(٣) كذا في النسخ، وفي «طبقات الحنابلة»: «وهدأَتْ وزُوِّجتْ ورُزقتْ... إلخ».

فَصْلٌ في كَرمِه

قال الشّاعِرُ[١]:

لَيسَ العَطاءُ مِنَ الفُضُولِ سَماحةً حتّى تَجودَ وما لدَيكَ قليلُ

فالكرمُ إنَّما يظهرُ بإعطاءِ ما يُحتاجُ إليه وإنْ قَلَّ، فمَن أعطى دِرهمًا واحدًا وهو مُضطرٌّ إليه فهو أفضلُ ممَّنْ يُعطي الألفَ ونحوَها وهو مُستغنٍ عنها.

فكان الإمامُ أحمدُ يتصدَّقُ ويجودُ بما يقدِرُ عليه.

قال يحيى بنُ هلالٍ: «استَعطَيتُ محمدَ بنَ عبدِ اللهِ بنِ نُميرٍ فأعطاني أربعةَ دَراهمَ وقال: هذا نِصفُ ما أملِكُ، وجِئتُ إلى أبي عبدِ اللهِ فاستَعطَيتُه فأعطاني أربعةَ دراهمَ وقال: هذا كُلُّ ما أملِكُ».

وقال هارونُ المُستَمليُّ: «قلْتُ لأحمدَ: ما عندي شيءٌ فأعطاني خمسةَ دَراهمَ، وقال: ما عندَنا غيرُها».

وكان شديدَ الحياءِ كريمَ الأخلاقِ يُعجِبُه السَّخاءُ، وكان ربَّما واسى بقُوتِه، وكان إذا حَضرَ طعامَه أحدٌ بسَطه؛ ليأكلَ عندَه كما يأكلُ في بيتِه.

وأَخذَ قُوتَه يومًا فجعلَ يأكلُ منه[٢]، فجاءَ كلبٌ فجَعلَ يُحرِّكُ ذنبَه وهو يُلقي إليه لُقمةً لُقمةً وهو لا يَنصرفُ، فصاحَ عليه بعضُ مَن حَضر، فقال: دَعْه فإنَّ ابنَ عَبّاسٍ قال: «إنَّ لها أنفُسَ سُوءٍ»[٣].

---

(١) البيتُ للمقنَّع الكِنديِّ كما في «الدر الفريد» (٩/ ٥٣).

(٢) «منه» سقط مِن (ش).

(٣) قال ابنُ عبدِ البرِّ في «التمهيد»: «رُوي عن ابن عباسٍ: أنَّ الكلابَ مِن الجنِّ، وهي ضَعَفةُ الجنِّ، فإذا غشيتْكم فألقوا لها بشيءٍ، فإنَّ لها أنفسًا، يعني: أعينًا»، والله أعلم، تنبيه: تحرَّفت كلمةُ (ضَعَفة) في =

وقال أبو سعيدٍ بنُ أبي حنيفةَ المُؤدِّبُ لعبدِ اللهِ بنِ أحمدَ: «كنتُ آتي أباكَ فيُعطيني الشَّيءَ ويقول: هذا نصفُ ما عندَنا، فجِئتُ يومًا فأطَلْتُ القُعودَ فأَتى بأربعةِ أرغِفةٍ وقال: هذا نِصفُ ما عندَنا، فقلتُ: هذه خيرٌ لي مِن أربعةِ آلافٍ مِن غيركَ».

ووقعَ لأحمدَ مِقراضٌ في بئرٍ فنَزلَ ساكنٌ له فأَخرجه منها، فأَعطاه نصفًا كان معَه فقال له الرَّجلُ: المِقراضُ يُساوي قيراطًا لا آخذُ شيئًا، فلمّا كان بعدَ أيّامٍ قال له: «كم عليكَ مِن أُجرةِ الحانوتِ؟» قال: كِراءُ ثلاثةِ أشهرٍ، فقال له: «أنتَ في حِلٍّ».

وأَهدى له رجلٌ فاكهةً فبعثَ إليه ثوبًا.

وأَهدى إليه جارُه جَوزًا وزَبيبًا وتينًا يُساوي ثلاثةَ دراهمَ، فأَعطى دينارًا لولَدِه عبدِ اللهِ، وقال له: اذهَبْ فاشترِ بعشرةِ دراهمَ سُكَّرًا، وبسبعةِ دراهمَ تمرًا، واذهَبْ به إليه في الليل، ففَعلَ.

وأَهدى له بعضُ مَن يَسمَعُ عليه ثوبًا، فقَبِله وبَعثَ إليه بمِثلَيه، وقيل: بأربعةِ أمثالِه.

***

فصلٌ في شيءٍ مِن كلامِه نَثرًا وشِعرًا

ـ قال رحمَه اللهُ: إظهارُ المَحبرةِ مِن الرِّياءِ.

ـ وذُكرَ عندَه الإخلاصُ والصِّدقُ فقال: بهذا ارتَفعَ القَوم.

ـ وقال: بادِرْ كُلَّ خيرٍ هَممْتَ به قبلَ أن يَعرِضَ لك عائِقٌ.

ـ وقال: أُشبِّهُ الشَّبابَ بشيءٍ كان في الكُمِّ فسَقطَ.

= مطبوعة «التمهيد» إلى (بقعة)!

- وقال: إنَّ لكلِّ شيءٍ كَرمًا، وكَرمُ القلوبِ الرِّضا عن اللهِ تعالى.

- وقال: عزيزٌ عليَّ أن تُذيبَ الدُّنيا أكبادَ رجالٍ وعَتْ صُدورُهم القرآنَ.

- وقال لابنِه عبدِ اللهِ: انوِ الخيرَ فإنَّك لا تَزالُ بخيرٍ ما نَويتَه.

- وقال لرجلٍ شكا إليه: اصبرْ فإنَّ النَّصرَ مع الصَّبرِ.

- وقال لعبدِ الملكِ بنِ عبدِ الحميدِ: يا أبا الحسنَ كم يعيشُ أحدُنا خمسينَ سنةً ستِّينَ سنةً؟ كأنَّكَ بنا ولم نكن[1]!

- وقال لعليِّ بنِ المدينيِّ: إنِّي لأُحبُّ أنْ أَصحبَك إلى مكَّةَ، وما مَنعني إلّا خوفَ أنْ أمَلَّكَ أو تَملَّني، فلمّا ودَّعَه قال له: يا أبا عبدِ اللهِ أوصني! قال: الزَمْ التَّقوى، وانصب الآخرةَ أمامَك.

- وقال: يُؤكلُ الطَّعامُ بثلاثٍ: مع الإخوانِ بالسُّرورِ، ومع الفُقراءِ بالإيثارِ، ومع أبناءِ الدُّنيا بالمُروءَةِ.

- وسُئلَ عن الحبِّ في اللهِ فقال: هو ألا تُحبَّه لدُنيا.

- وسُئلَ لمَ لا تَصحب الناسَ؟ فقال: خَشيةَ الفِراقِ.

- وسُئلَ بمَ تَلينُ القُلوبُ؟ فقال: بأكلِ الحلالِ.

- وسُئلَ عن الفُتوَّةِ فقال: تَركُ ما يُهْوى لما يُخْشى.

- وسُئلَ بمَ بلغَ القَومُ المَدحَ؟ فقال: بالصِّدقِ.

- وسُئلَ المَوعِظةَ فقال للسّائلِ:

- إنْ كان اللهُ قد تكفَّلَ برِزْقكَ فاهتِمامُك لماذا؟!

---

(١) في (ك): «تكن».

- وإنْ كان الرِّزقُ مقسومًا فالحِرصُ لماذا؟!

- وإنْ كان الخَلفُ على اللهِ تعالى فالبُخلُ لماذا؟!

- وإنْ كانت الجنَّةُ حقًّا فالرّاحةُ لماذا؟!

- وإنْ كانتِ النّارُ حقًّا فالمعصيةُ لماذا؟!

- وإنْ كان سؤالُ مُنكرٍ ونكيرٍ حقًّا فالأُنسُ لماذا؟!

- وإنْ كانت الدُّنيا فانيةً فالطَّمأنينةُ لماذا؟!

- وإنْ كان الحسابُ حقًّا فالجمعُ لماذا؟!

- وإنْ كان كلُّ شيءٍ بقضاءٍ وقدرٍ فالحُزنُ لماذا؟!

- وكَتب إلى سعيدِ بنِ يعقوبَ: «بسم الله الرَّحمن الرَّحيم مِن أحمدَ بنِ محمدِ بنِ حنبلٍ إلى سعيدِ بنِ يعقوبَ أمّا بعدُ: فإنَّ الدُّنيا داءٌ، والسُّلطانَ داءٌ، والعالِمَ طبيبٌ، فإذا رأيتَ الطَّبيبَ يَجرُّ الدّاءَ إلى نفسِه فاحذرْه، والسَّلامُ عليكَ».

- واستشارَهُ رجلٌ في التَّزويجِ فقال: تزوَّجْ ببكرٍ لا أُمَّ لها.

- ورأى رجلًا يَكتبُ خطًّا دقيقًا فقال: لا تَفعلْ، أحوجُ ما تكونُ إليه يخونُكَ.

وأمّا شِعرُه:

فرُويَ أنه دَخلَ عليه أحمدُ بنُ يحيى ثَعلبُ فقال له: فيمَ تَنظرُ؟ فقال: في النَّحوِ والعربيَّةِ فأنشدَه:

إذا ما خَلوتَ الدَّهرَ يومًا فلا تَقلْ	خلوتُ ولكنْ قُلْ عليَّ رَقيبُ
ولا تَحسَبنَّ اللهَ يَغفُل ساعةً	ولا أنَّ ما يَخفى عليه يَغيبُ
لهونا عن الأيّامِ حتّى تتابعتْ	ذُنوبٌ على آثارِهنَّ ذُنوبُ

فيـا ليـتَ أنَّ اللهَ يَغْفِـرُ مـا مضـى ويـأْذَنُ فـي توباتِنـا فنَتـوبُ

وفـي أُخـرى نحـوُه إلّا أنَّـه قـال فيهـا: مـا الـذِي تَطلـبُ مِـن العِلـمِ؟ فقـال: القوافـي والشِّـعر.

وفيها قال: وَدِدتُ أنّي قلتُ له غَيرَ ذَلك، فقال: اكتُبْ، ثمَّ ذَكر الأبياتِ نفسَها، وزادَ بعدَ البيتِ الرّابعِ:

إذا مـا مَـضى القـرنُ الذي أنـتَ فيهمُ وخُلِّفْـتَ في قَـرنٍ فأنـتَ غَريـبُ

وسُمِعَ يومًا يقول:

تَفنـى اللَّـذاذَةُ ممَّـنْ نـالَ صَفوتَهـا مِـن الحـرامِ ويَبقـى الإثْـمُ والعـارُ

تَبقـى عواقِـبُ سُـوءٍ مِـن مَغبَّتِهـا لا خيـرَ فـي لَـذَّةٍ مِـن بعدِهـا النّـارُ

وقال رضي الله عنه لعليِّ بنِ المَدينيِّ رحمه اللهُ تعالى:

يـا ابـنَ المَدينـيِّ الـذي عُرِضَـتْ لـه دُنيـا فجـادَ بدينِـه لينالَهـا

أمـرٌ بـدا لـكَ[1] رُشـدُه فتبِعْتَـه أم زهـرةُ الدُّنيـا أردْتَ نوالَهـا

ولقـدْ عهِدتُـكَ مـرَّةً مُتَشـدِّدًا[2] صَعْـبَ المَقالـةِ للتـي تُدْعـى لهـا

إنَّ المُـرزَّأَ مَـنْ يُصـابُ بدينِـه لا مَـن يُـرزّى ناقـةً وفِصالَهـا

والآثارُ في هذا كثيرةٌ، وسيأتي بيانُ تصنيفِه.

واللهُ سبحانُه وتعالى أعلَمُ.

---

(١) في (ش): «بذلك».

(٢) في النُّسخ: «متسددًا»، والمثبتُ مِن المصادر والمراجع.

فصلٌ في زَوجاتِه وسَراريه وأولادِه

رَوى الأئمَّةُ أنَّ الإمامَ أحمدَ إنَّما تَزوَّج بعدَ الأربعينَ.

ـ قال أبو الفرجِ: «وأوَّلُ زوجاتِه عبّاسةُ بنتُ الفَضلِ أمُّ صالحٍ.

وفي أُخرى نحوُه، وأنَّه لم يُولدْ له منها غيرُ ولدِه صالحٌ، ثمَّ إنَّها تُوفِّيتْ.

ويُروَى[١] أنَّها أقامتْ معه ثلاثينَ سَنةً.

ـ الثّانيةُ: ابنةُ عمِّه ريحانةُ أمُّ عبدِ اللهِ.

يُروى أنه تزوَّجَها بعدَ موتِ عَبّاسةَ، ولم يُولَد له منها غيرُ عبدِ اللهِ ولدِه.

ولمّا أرادَ تَزويجَها قال له أبوها: يا أبا عبدِ اللهِ إنَّها وَوضَعَ يدَه على عينِه، يُريدُ أنَّها: بعينٍ واحدةٍ فقال: عَلِمْتُ.

وفي أُخرى: أنَّه كان بعثَ يخطِبُ أختَها، فلمّا أجابتْه أُخبِرَ أنَّ لها أُختًا بعينٍ واحدةٍ، فعادَ فخَطَبَ ذاتِ العينِ الواحدةِ، وأنَّها أقامتْ معَه سبعَ سنينٍ، فقالت له: كيفَ رأيتَ يا ابنَ عمٍّ؟ فقال: لم أُنكِرْ عليكَ شيئًا إلّا أنَّ نَعلكِ تَصِرُّ.

وفي أُخرى نحوُه وفيها: فباعتْها واشترَتْ مقطوعًا فلَبِستْه.

قال أبو الفرجِ: «ولم أعلَمْه تَزوَّجَ غيرَهما»[٢].

وفي روايةٍ: أنَّه تَرحَّمَ على أهلِه وقال: «أقمْنا عشرينَ سنةً لم نَختلفْ في كلمةٍ».

ـ وأمّا سَراريه:

فرُويَ أنَّه اشْتَرى جاريةً اسمُها: حُسنٌ.

---

(١) في (ش): «روي».

(٢) انظر «مناقب الإمام أحمد» (ص٤٠٥).

اشتَراها لمّا تُوفِّيَت أمُّ عبدِ اللهِ، فولَدتْ: أمَّ عليٍّ، واسمُها: زَينبُ.

ثمَّ وَلدتْ له: الحسن والحسينَ توأمًا، ثمَّ ماتا قُربَ وِلادَتهما.

ثمَّ وَلدَتْ الحسنَ ومحمدَ.

ثمَّ ولدتْ سعيدًا.

وقالت له حُسنٌ: اصرِفْ خِلخالي، قال: وتَطيبُ نَفسُكِ؟ فقالت: نعم، فقال: «الحمدُ للهِ الذي وَفَّقكِ لهذا».

ـ وكان ابنُه صالحٌ يُكنى: أبا الفضلِ.

وهو أكبرُ أولادِه، ولِدَ سنةَ: ثلاثٍ ومئتَينِ.

وكان أحمدُ يُحبُّه ويُكرِمُه، وابتُليَ بالعيالِ على حداثةِ سِنِّه، فقلَّتْ رِوايتُه عنه، على أنَّه قد رَوى عنه كثيرًا.

ورَوى عن: أبي داودَ الطَّيالسيِّ وإبراهيمَ بنِ الفَضلِ وغيرِهما.

ورَوى عنه: ابنُه زهيرٌ والبغويُّ.

وفي روايةٍ: أنَّه وَليَ قَضاءَ أصبهانَ[1] وماتَ بها.

وكان سخيًّا جيدًا، ويُروى أنَّه اقتَصَد[2] ودَعا إخوانَه، وأَنفقَ ذلك اليوم نحوًا مِن عشرينَ دينارًا.

ورُويَ أنَّه لمّا وَليَ أصبهانَ وقَرأ عهدَ الخليفةِ إليه بحضرةِ المشايخِ جَعلَ يَبكي،

---

(١) وجاء في «طبقات الحنابلة» (١/ ٤٦٦): «وكان صالحٌ قد وَلي القضاءَ بطرسوسَ قبلَ وِلاية القضاء بأصبهان».

(٢) في (ش): «افتصد»، وهو تحريف.

وهم يقولونَ: ما ببلدِنا إلّا مَن يُحبُّ أبا عبدِ اللهِ ويَميلُ إليكَ، فقال: «إنَّما أبكاني أنِّي ذَكرتُ أبي وأنَّه لا يُريدُ أنْ يَراني بهذه الحالِ، وكان عليه السَّواد[١]، ولكنَّ اللهَ يَعلمُ أنِّي ما دَخلْتُ في هذا الأمرِ إلّا لدَينٍ غَلبني وكثرةِ عيالٍ أحمدُ [الله تعالى] [٢].

وكان إذا خَلا نَزعَ سوادَه ويقول: تُراني أموتُ وأنا هكذا؟!

وتُوفي في شهرِ رمضانَ سنةَ: خمسينَ ومئتينِ بأصبهانَ[٣].

ـ وأمّا عبدُ اللهِ بنُ الإمامِ أحمدَ فيُكنى أبا عبدِ الرَّحمن.

وكان أَروى الناسِ عن أبيه، وسَمِعَ مُعظمَ تصانيفِه وحديثِه.

وسمِعَ مِن: عبدِ الأعلى بنِ حمّادٍ وكامِلِ بنِ طلحةَ وغيرِهم.

وكان حافِظًا، وشَهِدَ له بذلكَ أبوه.

وقيل له: أينَ تُحبُّ أنْ تُدفنَ؟ فقال: «صَحَّ عندي أنَّ بالقطيعةِ[٤] نبيًّا مدفُونًا، ولأنْ أكونَ فِي جوارِ نبيٍّ أحبُّ إليَّ مِن أنْ أكونَ في جوارِ أبي».

تُوفِّي يومَ الأحدِ لِتسعٍ بَقينَ مِن جُمادى الآخرةِ سنةَ: تسعينَ ومئتَين، ودُفِنَ آخرَ النَّهارِ، وصَلّى عليه زُهيرُ ابنُ أخيه صالحٍ، وكان له جمعٌ عظيمٌ.

---

(١) هو شعارُ الدولة العباسيَّة.

(٢) ما بينَ معكوفَتين سقط مِن النُّسخ، وتمَّمتُه مِن «طبقات الحنابلة» (١/ ٤٦٤)، و«تاريخ بغداد» (١٠/ ٤٣٣)، وهو لازمٌ كي لا يصير المعنى: أنَّ صالحًا دَخل القضاءَ لدَينٍ غلبه، ولكثرةِ عيالِ أحمدَ!

(٣) قال في «طبقات الحنابلة» (١/ ٤٦٧): «ومات صالحٌ بأصبهان، ودُفن إلى قُرب قبرِ حُمَمة الدَّوسيِّ صاحبِ رسول الله ﷺ، له ثلاثٌ وستونَ سنة، وله أولادٌ منهم: زهيرٌ وأحمد».

(٤) دُفن بقَطيعة أمِّ جعفرٍ بمحلَّة باب التبن ببغداد، وبها قبرُ موسى الكاظم، انظر «معجم البلدان» (١/ ٣٠٦).

- **وأمّا سعيدُ بنُ الإمامِ أحمدَ:**

فقال حنبلُ بنُ إسحاقَ: وُلد سعيدٌ قبلَ موتِ أحمدَ بنحوٍ مِن خمسينَ يومًا، ويُروى أنّه وَلي قضاءَ الكوفة.

- **وأمّا الحسَنُ ومحمدٌ:** فلا يُعرفُ مِن أخبارِهما شيءٌ.

- **وأما زينبُ:** فلها حديثٌ في بابِ وَرَعِه.

ورُوي أنّه كان يَضربها على اللَّحنِ ويَنهرها[1].

***

فصلٌ في طَلَبِ أحمدَ للعِلم

رَوى الأئمَّةُ أنَّ أحمدَ وُلد ببغدادَ وبها نَشأ، وطَلَبَ العِلمَ والحديثَ مِن شِيوخِها، ثمَّ أخَذَ في الرِّحلَةِ.

قال أبو عَفيفٍ: «كان أحمدُ بنُ حنبلٍ معنا في الكُتّابِ، وهو غُلَيمٌ يُعرَفُ فضلُه، وكان الخليفةُ بالرَّقَّة، فيَكتبُ الناسُ إلى منازِلِهم، فتَبعثُ نساؤُهم إلى المُعلِّمِ: ابعَثْ إلينا بأحمدَ، ليَكتبَ إليهم جوابَ كُتبِهِم، فيبعثه فيَجيءُ إليهنَّ مُطأطِأً الرّأسِ فيَكتبُ الجوابَ، فربَّما أَمْلينَ عليهِ شيئًا مِن المُنكرِ فلا يَكتبُه لهنَّ».

وابتدأ في طَلَبِ العِلمِ وعمرُه ستَّ عشرةَ سنةً، وكان ابتداءُ طلبِه العِلمَ مِن شيوخِ بغدادَ سنةَ: تسعٍ وسبعينَ ومئةٍ، ثمَّ رَحلَ إلى البلادِ النّائيةِ والدّانيةِ، فكَتبَ عن علماءِ كلِّ بلدٍ.

---

(١) وقال الذهبي في «السير» (١١/ ٣٣٣): «وانقطع عَقِبُ أبي عبدِ الله فيما نَعلم».

قال أحمدُ: «أوَّلُ مَن كَتبتُ عنه الحديثَ أبو يوسفَ[1]، وطَلبتُ الحديثَ وأنا ابنُ ستَّ عشرةَ سنةً، وماتَ هُشيمٌ وأنا ابنُ عشرينَ سنةً، وأوَّلُ سماعي منه سنةَ: تسعٍ وسبعينَ ومئةٍ».

وفي أُخرى نحوُه ولم يَذكر هُشَيمًا، وفيها: «فجاءَنا رجلٌ فقال: ماتَ حمّادُ بنُ زيدٍ، وماتَ مالكُ بنُ أنسٍ تلكَ السَّنةِ».

وكنّا عندَ عبدِ الرَّزاقِ باليمنِ فجاءَنا موتُ سفيانَ بنِ عُيينةَ وعبدِ الرَّحمنِ بنِ مهديٍّ ويحيى بنِ سعيدٍ سنةَ: ثمانٍ وتسعينَ ومئةٍ.

وقال: «سمعتُ مِن سُليمانَ بنِ حَربٍ وأبي النُّعمانِ عارمٍ وأبي عَمرٍو الحَوضي سنةَ: أربعٍ وتسعينَ، وسمعتُ مِن هاشمِ بنِ اليَزيدِ سنةَ: تسعٍ وسبعينَ، وأتيتُ ابنَ المباركِ فقالوا: خَرجَ إلى طَرسُوسَ، وتُوفي بها سنةَ: إحدى وثمانينَ، وسمعتُ مِن عبدِ المُؤمِنِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ خالدٍ سنةَ: اثنتينِ وثمانينَ».

وقال: «خَرجْتُ إلى سفيانَ بنِ عيينةَ سنةَ: سبعٍ وثمانينَ، قدِمْنا وقد ماتَ فُضيلُ بنُ عياضٍ، وهي أوَّلُ سنةٍ حَجَجتُ، وكَتبتُ عن إبراهيمَ بنِ سعدٍ، وصَليتُ خلفَه غيرَ مرَّةٍ، ولو كانت عندي خمسونَ دِرهمًا كنتُ خَرجتُ إلى الرِّيِّ إلى جريرِ بنِ عبدِ الحَميدِ، فخَرجَ بعضُ أصحابِنا ولم أخرُجْ، وخرجْتُ إلى الكوفةِ ثمَّ رجعْتُ إلى أُمي ولم أكنْ استأذنتُها، وكُنتُ ربَّما أردتُ البُكورَ في

---

(١) قال الإمام ابنُ رجبٍ الحنبليُّ: «وكان [الإمام أحمد] أوّلاً قد كَتب كُتبَ أصحابِ أبي حنيفةَ وفهِمَها، وفَهِم مآخذَهم في الفقه ومداركَهم»، انظر «مجموع رسائل ابن رجب» (٢/ ٦٣١).
ونَقَل الذهبيُّ في «السير» (١١/ ٣٠٦) عن عبد الله قال: «كَتب أبي عن أبي يوسفَ ومحمدٍ الكُتبَ، وكان يَحفظها».

الحديثِ فتأخذُ أُمي بثيابي وتقول: حتّى يُؤذِّنَ الناسُ، أو حتّى يُصبِحوا، وكنتُ ربَّما بكَّرتُ إلى مجلسِ أبي بكرِ بنِ عيّاشٍ وغيرِه».

وقال: «دخلْتُ عَبّادانَ[1] سنةَ ستٍّ وثمانينَ، ورَحلْتُ إلى المُعْتمر[2] تلكَ السَّنة».

وقال: «كنتُ مُقيمًا على يحيى بنِ سَعيدٍ القطّانِ، ثمَّ خَرجْتُ إلى واسِطَ فسأَلَ يحيى عنِّي فقالوا: خَرجَ إلى واسِط، فقال: وما يَصنعُ بها؟ قالوا: مُقيمٌ على يزيدَ بنِ هارونَ، قال: وما يَصنعُ به؟!»، يُريدُ أنَّه أعلمُ منه!

وقال: «دخلْتُ البصرةَ خمسًا: دخلتُها أوَّلَ رجبٍ سنةَ: ستٍّ وثمانينَ ومئةٍ سمعْتُ مِن المُعتَمرِ بنِ سليمانَ، ودَخلتُ سنةَ: تسعينَ، ودَخلتُ سنةَ: أربعٍ وتسعينَ وقد ماتَ غُندرٌ، فأقمتُ على يحيى بنِ سَعيدٍ ستَّةَ أشهُرٍ، ودَخلْتُ سنةَ: مئتَينِ».

وقال الإمامُ أحمدَ أيضًا: «ذَهبتُ إلى إبراهيمَ بنِ عَقيلٍ وكان عسِرًا لا يُوصَلُ إليه، فأقمْتُ على بابِه باليمنِ يومًا أو يومَينِ حتّى وصلْتُ إليه، فحَدَّثَني بحديثَينِ، وكان عندَه أحاديثُ عن جابرٍ، فلم أقدِرْ أنْ أسمعَها مِن عُسرِه».

ولمّا اجتَمعَ أحمدُ وابنُ مَعينٍ بعبدِ الرَّزاقِ بمكَّةَ وأخذَ يحيى بنُ مَعينٍ مِن عبدِ الرَّزاقِ مَوعِدًا للقِراءةِ عليه بمكة، وقال لأحمدَ: قد أراحَكَ اللهِ مسيرةَ شهرٍ ورُجوعَ شَهرٍ والنَّفقةَ، فقال له أحمدُ: «ما كان اللهُ ليَراني مفسِدًا لنيَّتي»، ثمَّ مَضى إليه إلى صنعاءَ.

---

(١) عبّادان: مدينةٌ قرب البصرة، انظر: «معجم ما استعجم» (٣/ ٩١٦).

(٢) تحرَّف في بعض النُّسخ.

وقال: «ما كتبْنا عن عبدِ الرَّزاقِ مِن حِفظِهِ شيئًا إلّا المجلسَ الأوَّلَ؛ لأنا دَخلنا عليه ليلًا فأَملى علينا سبعينَ حديثًا، ثمَّ التفتَ إلى القومِ وقال: لو لا هذا ما حَدَّثْتُكم»، يعني: أحمدَ.

وقال له بعضُهم: شَققْتَ على نفسِكَ في خُروجِكَ إليه! فقال: «ما أهونَ المَشقَّةَ فيما استَفَدْنا منه، كَتبْنا عنه حديثَ الزُّهريِّ عَن سالمِ بنِ عبدِ اللهِ عن أبيه، وحديثَه عن سعيدِ بنِ المُسيَّبِ عن أبي هُريرةَ».

وقال مُهنَّأ: «رأيتُ أحمدَ بنَ حنبلٍ قُدّامَ سفيانَ وعبدِ الرَّزاقِ، فقلتُ: تُراهُما يَدرِيان مَن عِندَهُما؟!».

وقال قُتيبةُ بنُ سعيدٍ: «قَدمتُ بغدادَ وما كانت هِمَّتي إلّا لقاءَ أحمدَ، فإذا هو قد جاءَني مع يحيى بنِ مَعينٍ، فتذاكَرْنا فقامَ أحمدُ وجَلسَ بينَ يدَي وقال: أملِ عليَّ هذا، ثمَّ تذاكَرْنا فقامَ أيضًا وجلسَ بينَ يدَي، فقلتُ: يا أبا عبدِ اللهِ مكانَكَ! فقال: لا تَشتَغلْ بي فإنِّي أُريدُ أنْ آخُذَ العِلمَ على وَجهِه».

وقال خلفُ: «جاءَني أحمدُ ليَسمعَ حديثَ أبي عوانةَ، فاجتَهدتُ أنْ أرفعَه فأبى وقال: لا أجلِسُ إلّا بينَ يدَيك، فإنّا أُمِرْنا بالتَّواضُعِ لمَن نَتعلَّم منه».

وقال إسحاقُ الشهيديُّ: «كنتُ أَرى يحيى القَطّانَ يُصلِّي العصرَ ثمَّ يَستندُ إلى أصلِ منارةٍ، فيَقفُ بينَ يدَيه أحمدُ بنُ حنبلٍ وغيرُه مِن العلماءِ يَسألونه عن الحديثِ وهُم قيامٌ إلى وقْتِ المغربِ، فلا يأمُر أحدًا منهم بالجُلوسِ ولا هم يجلسونَ إجلالًا له».

- **حكايةٌ:**

قال أحمدُ بنُ منصورٍ: «خَرجْتُ معَ أحمدَ بنِ حنبلٍ ويحيى بنِ مَعينٍ إلى

عبدِ الرَّزاقِ خادِمًا لهما، فلمّا عُدْنا إلى الكوفةِ قال يحيى بنُ مَعينٍ لأحمدَ بنِ حَنبلٍ: أُريدُ أنْ أُخرِجَ[١] لأبي نُعيمٍ ـ يعني: الفَضلَ بنَ دُكينٍ ـ شيئًا مِن أحاديثِه وأختَبرَه في أثنائِها[٢]، فقال له أحمدُ بنُ حنبلٍ: لا تَفعلْ الرَّجلُ ثقةٌ، فقال يحيى: لا بُدَّ لي، وأَخذ ورقةً فيها ثلاثونَ حديثًا مِن حديثِ أبي نُعيمٍ، وجَعلَ على رأسِ كُلِّ عشرةٍ منها حديثًا ليس مِن حديثِه، ثمَّ جاؤوا إلى أبي نُعيمٍ فدقُّوا عليه البابَ، فخَرج فجَلس على دُكّانِ طينٍ على بابِه، فأخذَ أحمدَ بنَ حنبلٍ فأَجلسه عن يمينِه، وأخذَ يحيى بنَ مَعينٍ فأَجلسه عن يسارِه، وجلستُ أسفلَ الدُّكانِ، فأَخرج يحيى بنُ مَعينٍ الوَرقَ فقرأ عليه عشرةَ أحاديثَ، وأبو نُعيمٍ ساكِتٌ، ثمَّ قرأ الحاديَ عشرَ فقال له أبو نُعيمٍ: هذا ليس مِن حديثي اضرِبْ عليه!

ثمَّ شرَعَ ابنُ مَعينٍ في القراءةِ إلى أنْ وَصلَ إلى الحديثِ الآخرِ فقَرأه فقال له أبو نُعيمٍ: وهذا ليسَ مِن حديثي اضرِبْ عليه!

ثمَّ قرأ العشرَ الثّالثَ وقرأ الحديثَ الآخرَ فتَغيَّر وجهُ أبي نُعيمٍ وانْقلَبتْ عيناه وقَبضَ على ذِراعِ أحمدَ، ثمَّ التَفتَ إلى ابنِ مَعينٍ وذِراعُ أحمدَ في يدِه وقال لابنِ مَعينٍ: أمّا هذا ـ يعني: أحمدَ ـ فأَورعُ مِن أنْ يعملَ هذا، وأمّا هذا ـ قال ابنُ منصورٍ: يُشيرُ إليَّ ـ فأصغرُ مِن أنْ يَفعلَ مثلَ هذا، ولكنَّ هذا مِن فِعلِكَ يا فاعِلُ، ثمَّ أَخرجَ رِجلَه فَرفسَ يحيى بنَ مَعينٍ فرَمى به مِن الدُّكانِ، وقامَ فدَخلَ دارَه، فقال أحمدُ ليحيى: ألمْ أمْنعَك مِن ذلكَ، وأقلْ لك: إنَّ الرَّجلَ ثَبتٌ؟ فقال ابنُ مَعينٍ: لَرفستُه أحبُّ إليَّ مِن سَفرتي كلِّها».

---

(١) كذا في النُّسخ، وصوابُها: «أَختبر»، كما في المصادر والمراجع.

(٢) عبارة «شيئًا مِن أحاديثِه وأختَبرُه في أثنائِها»: لم أجدها في مصادر القصة.

حكايةٌ:

ذَكر الإمامُ البيهقيُّ بسندِه إلى جعفرِ بنِ محمدٍ الطَّيالسيِّ قال: «صلَّى أحمدُ بنُ حنبلٍ ويحيى بنُ مَعينٍ في مسجدِ الرَّصافَة، فقامَ بينَ أيديهم قاصٌّ وقال: حدَّثنا أحمدُ بنُ حنبلٍ ويحيى بنُ مَعينٍ قالا: حدَّثنا عبدُ الرَّزاقِ، قال: أخبرنا معمَرٌ عن قتادةَ عن أنسٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ قالَ: لا إلهَ إلّا اللهُ يَخلقُ الله مِن كلِّ كلمةٍ منها طيرًا[١] مِنقارُه مِن ذَهبٍ، وريشُه مِن مُرجانٍ...»، وأَخذ في ذِكرِ قِصَّةٍ نحوًا مِن عشرينَ وَرقةٍ، فجَعلَ أحمدُ يَنظرُ إلى يحيى بنِ مَعينٍ، ويحيى يَنظرُ إلى أحمدَ، فقال كلٌّ منهما لصاحبِه: أنتَ حدَّثتَه بهذا؟ فيقولُ الآخرُ: لا، ما سمعتُ بهذا إلّا هذه السّاعةَ! قال: فسكَتا حتّى فرَغَ مِن قِصصِه، فأشارَ إليه يحيى بنُ مَعينٍ بيدِه أنْ تعالَ، فجاءَ مُتوهِّمًا النَّوالَ، فقال له: مَن حدَّثكَ بهذا الحديثِ؟ فقال: أحمدُ بنُ حنبلٍ ويحيى بنُ مَعينٍ، فقال: هذا أحمدُ بنُ حنبلٍ وأنا يحيى بنُ مَعينٍ ما سَمعْنا بهذا قطُّ في حديثِ رسولِ اللهِ ﷺ، فإنْ كان لا بُدَّ مِن الكذبِ فعلى غَيرِنا، فقال له: أنتَ يحيى بنُ مَعينٍ؟ قال: نعم، قال: لم أزَلْ أسمعُ أنَّ يحيى بنَ مَعينٍ أحمقُ وما علمْتُ ذلك إلّا السّاعةَ، فقال له يحيى: وكيفَ عَلمْتَ أنَّه أحمقُ؟ قال: كأنَّ ليسَ في الدُّنيا يحيى بنُ مَعينٍ وأحمدُ بنُ حنبلٍ غيرُكما، كَتبتُ عن سبعةَ عشرَ أحمدَ بنِ حنبلٍ ويحيى بنِ مَعينٍ غيرِكما. قال: فوَضعَ أحمدُ كُمَّه على وجهِه وقال: دعْه يقومُ، فقامَ كالمُستَهزِئِ بهما»[٢].

* * *

---

(١) في النُّسخ: «طير»!

(٢) أَورد هذه القصةَ الذهبيُّ في «السير» (١١/ ٣٠١)، ثم قال: «هذه الحكايةُ اشتهرتْ على ألسنة الجماعة، وهي باطلة».

فصلٌ في ابتِدائِه بالتَّحديثِ والفَتوى والتَّصْنيفِ

أَفتى رضي الله عنه شابًّا وحدَّث...

ورَوى سنةَ: ثمانٍ وتسعينَ ومئةٍ بمسجدِ الخَيفِ، يُعلِّمُ أصحابَ الحديثِ الفِقه، ويُفتي الناسَ في المناسِكِ.

وفي أُخرى نحوُه وزادَ: «وابنُ عُيينةَ حيٌّ»، وفيه: «فوَقفْتُ عليه ولم أَكنْ أعرِفُه قبلَ ذلك»، وفيه: «فجَرتْ بيني وبينَه المعرِفةُ مِن ذلك الوقتِ»[1].

قال الإمامُ أبو الفرجِ: «إلّا أنَّه لم يَتصدَّر لذلك إلّا وهو ابنُ أربعينَ سنة».

واستَدلَّ بقولِ حجّاجِ بنِ الشّاعرِ: «سأَلْتُ أحمدَ أنْ يُحدِّثَني سنةَ: ثلاثٍ ومئتَينِ فأَبى، ثمَّ رَجعتُ سنةَ أربعٍ فوجَدتُه يُحدِّثُ، وكان له أربعونَ سنةً».

وكان يَجتَمعُ في مَجلسِه زُهاءَ خمسةِ آلافٍ أو يزيدونَ يكتبونَ، والباقي يتَعلَّمونَ حُسنَ الأدب.

[مصنَّفاته]

وشَرع في التَّصنيفِ ووَضعَ كُتبَ الحديث.

قال الأئمة: مصنَّفاتُ الإمامِ أحمدَ كلُّها في المَنقول.

فمنها:

ـ المُسند:

وهو ثلاثونَ ألفَ حديثٍ، ولابنه فيه زوائدُ نحوُ العشرةِ آلافٍ[2].

---

(١) المتكلِّمُ هو نوحُ بنُ حبيبٍ القَومَسي، كما في «المناقب» لابن الجوزي: (ص٢٥٦).

(٢) لعلَّ زوائدَ عبدِ الله على «المسند» لا تتجاوز المئات! ويُنظر في ذلك كتابُ «زوائدِ عبد الله بن =

وقال لابنه عبدِ اللهِ: «احتَفظْ به فسيكونُ للنّاسِ إمامًا».

وقـال: «قـد جمعـتُ هـذا الكتـابَ وانتقيتُـه مِن سـبعِ مئةِ ألـفٍ وخمـسِ مئةٍ، فمـا اختلـفَ المسـلمون فيه مِـن الحديـثِ فارجِعـوا إليه، فـإنْ وجدتمـوه فيه وإلا فليـس بحُجَّة»[١].

وتلقتْه الأُمةُ بالقَبول.

قال العِراقيُّ: «وأمَّا وجودُ الضَّعيفِ فهو فيه محقَّقٌ، بل فيه أحاديثُ موضوعةٌ، ولعبدِ اللهِ ابنِه فيه زياداتٌ، فيها الضَّعيفُ والموضوعُ»[٢]، انتهى.

وقد ألَّفَ الحافظُ ابنُ حَجرٍ «القولَ المُسدَّدَ في الذَّبِّ عن مسند الإمامِ أحمد»، وقال عن «مسند أحمد»: «هذا التَّصنيف العظيم، الذي تلقتْه الأُمةُ بالقَبولِ والتَّكريمِ، وجَعله إمامُهم حُجَّةً يُرجعُ إليه، ويُعوَّل عندَ الاختلافِ عليه»[٣].

= أحمد بن حنبل في المسنَد» للدكتور المحقِّق عامر حسن صبري جزاه الله خيرًا.

(١) قال الحافظ الذهبيُّ مُعقِّبًا على قول الإمام أحمد: «قلت: في الصحيحَينِ أحاديثُ قليلةٌ ليست في «المسند»، لكنْ قد يقال: لا ترد على قوله؛ فإنَّ المسلمينَ ما اختلفوا فيها، ثم ما يلزم مِن هذا القول: أنَّ ما وُجد فيه أنْ يكونَ حجةٌ، ففيه: جملةٌ مِن الأحاديث الضعيفة مما يسوغ نقلُها، ولا يجب الاحتجاجُ بها، وفيه: أحاديثُ معدودةٌ شبهُ موضوعة، ولكنها قطرةٌ في بحر»، انظر «السير» (١١/ ٣٢٦).

قال ابنُ القيمِ رحمه الله في كتابه «الفروسيَّة» (ص٢٠٨): «وقد استشكل بعضُ الحفاظ هذا مِن أحمد، وقال: في الصَّحِيحَين أحاديثُ ليستْ في «المسند»! وأُجيب عن هذا بـ: أنَّ تلك الألفاظَ بعينها وإنْ خلا «المسند» عنها فلها فيه أصولٌ ونظائرُ وشواهد، وأما أنْ يكونَ متنُ صحيحٍ لا مطعنَ فيه ليس له في المسند أصلٌ ولا نظيرٌ فلا يكاد يوجد البتة».

(٢) «التقييد والإيضاح» (ص٥٧).

(٣) «القول المُسدَّد» (ص٣).

ثم سَردَ الأحاديثَ التي ذَكرها العِراقيُّ وهي تسعةٌ، وأضافَ إليها خمسةَ عشرَ حديثًا أَوردَها ابنُ الجَوزيُّ في «الموضوعات»، وأجاب عنها حديثًا حديثًا[1].

وقال[2]: «ليس في المُسندِ حديثٌ لا أصلَ له إلا ثلاثةٌ أو أربعةٌ، حديث ابنِ عَوفٍ أنّه يَدخلُ الجنَّةَ زَحفًا، والاعتذارُ عنه: أنّه مما أُمر بالضَّربِ عليه فترُكَ سهوًا، أو ضُربَ عليه وكُتِبَ مِن تحتِ الضَّربِ»، انتهى.

- ومنها:
- التَّفسير: وهو مئةُ ألفٍ وعشرون ألفًا[3].
- والنَّاسخُ والمنسوخُ.
- والتَّاريخُ.
- وحديثُ شُعبةَ.
- والمُقَدَّم والمُؤخَّرُ في القُرآنِ.
- وجَواباتُ القُرآن.
- والمناسكُ الكبيرُ.

---

(١) وقال الإمام السيوطيُّ في «تدريب الراوي» (١/ ٥٨): «وقد فاته أحاديثُ أُخرُ أَوردها ابنُ الجوزيِّ وهي فيه، وجمعتُها في جزءٍ سمَّيتُه: «الذيلَ المُمهَّد» مع الذبِّ عنها، وعدتها أربعةَ عشرَ حديثًا».

(٢) أي: الحافظ ابن حجرٍ في «تعجيل المنفعة»، كما نقله السيوطيُّ في «تدريب الراوي» (١/ ٥٨)، ولكني لم أجدْه فيها!

(٣) أنكر وُجودَه الإمامُ الذهبيُّ في «السير» (١١/ ٣٢٧)، ومما قال: «تفسيرُه المذكورُ شيءٌ لا وجودَ له، ولو وُجد لاجتهد الفضلاءُ في تحصيله ولاشتهر، ثم لو ألَّف تفسيرًا لما كان يكون أزيدَ مِن عشرة آلاف أثرٍ».

ـ والصَّغيرُ.

وأشياءُ أُخرُ[(١)].

وكان يَنهى أنْ يُكتبَ كلامُه، ولولا ذلك لأعجزتْ كثرتُه.

قال حنبلُ بنُ إسحاقَ: «رأيتُ أحمدَ يَكره أنْ يُكتبَ رأيُه».

وقال رحمه اللهُ: «بلغني أنَّ إسحاقَ الكوسجَ يَروي عني مسائلَ بخراسان، فاشهدوا أني رَجعتُ عنها».

فنَهى عن كَتْبِ كلامِه تواضعًا.

وقدَّرَ اللهُ أنْ شاعَ في العالَم لُحسنِ مَقصدِه، فلا يكادُ تَقعُ مسألةٌ في الأُصولِ والفروعِ إلا وله فيها نصٌّ، وربَّما لم توجدْ لغيره مِمَّن تكلَّم.

***

فصلٌ في تمسُّكِه بالسُّنةِ وتعظِيمِ الحديثِ وأهلِه

كان رضي اللهُ عنه شديدَ التَّمسُكِ بالسُّنةِ عاملًا بها، مُعظِّمًا لها.

قال عبدُ المَلِكِ المَيمونيُّ: «ما رأيتُ أفضلَ مِن أحمدَ، ولا أشدَّ تعظيمًا للسُّنةِ منه في المُحدِّثين، ولا أتبعَ لها منه».

وقال رحمهُ اللهُ تعالى: «ما كتبتُ حديثًا إلا عملتُ به، حتّى مَرَّ بي في الحديثِ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ احتَجتمَ وأعطى الحَجّامَ دينارًا، فاحتجمتُ، وأعطيتُ الحَجَّام دينارًا»[(٢)].

---

(١) ويُنظر في ذلك كتابُ «الجامعِ لعلوم الإمام أحمد» (١/ ٦٢)، ففيه جهدٌ وجمعٌ مفيد.

(٢) حجامةُ رسولِ الله ﷺ مشهورةٌ بكتب السُّنة، وأما تعيينُ الدينارِ فقد جاء في «المصنَّف» لابن أبي شيبة: (١١/ ٧١)، و«المعجم الكبير» للطبراني: (١١/ ٣٣٧).

ويُروى أنَّه استأذنَ زوجتَه في أنْ يَتسرّى فأذنتْ له، فاشترى جاريةً بثمن يَسيرٍ، وسمَّاها رَيحانةً؛ اقتداءً بالنبيِّ ﷺ.

وقيل له: أحياكَ اللهُ على الإسلامِ فقال: «والسُّنة».

وقال رضي الله عنه: «إذا صحَّ حديثٌ عن النبيِّ ﷺ لم نأخذْ بما خالفَه، كان قائلُه صحابيًّا أو غيرَه، وإذا صحَّ عن الصَّحابيِّ بعينِه حديثٌ لم نأخذْ بقول مَن خالفَه مِن التَّابعينَ ولا مَن بعدَهم، وكذلك التَّابعونَ يُقدَّم الأولُ فالأولُ، فإن اختلفتْ الأقوالُ تَخيَّرنا إنْ كان القائلون في رُتبةٍ واحدةٍ، فإنْ كان في الإسناد شيءٌ أخذنا به إذا لم نَجدْ ما هو أصحُّ منه، مثلَ: حديثِ عمرو بنِ شُعيبٍ ونحوِه، ونأخذ بالمُرسلِ إذا لم يَجيء خلافُه»[1].

وقال عبدُ الرَّحمنِ الطبيب: «اعتَلَّ أحمدُ وبِشرُ بنُ الحارثِ، فكنتُ أَدخلُ على بِشرٍ فأقولُ: كيف تَجدكَ؟ فيقول: أحمدُ اللهَ إليكَ، أجدُ كذا أجدُ كذا، وأَدخلُ على أحمدَ فأقولُ: كيفَ تَجدكَ؟ فيقولُ: بخيرٍ، فقلتُ: إني أسألُ بشرًا فيبدأُ بحمدِ اللهِ ثم يُخبرُني، فقال: سَلْه عَمَّن أَخذ هذا؟ فقلتُ له: إني أهابُ، فقال: قل له: أخوكَ أحمدُ يقولُ لكَ عَمَّن أَخذتَ هذا؟ فلما ذكرتُ له ذلكَ عنه قال: أبو عبدِ اللهِ لا يُريدُ الشَّيءَ إلا بإسنادٍ، عن ابنِ عونٍ عن ابنِ سيرينَ: (إذا حمدَ اللهَ العبدُ قبلَ الشَّكوى لم يكنْ شكوى)، وإنَّما أقولُ أجدُ كذا لأَعرفَ قُدرةَ اللهِ، قال: فخرجتُ مِن عِندِه فمضيتُ إلى أبي عبدِ اللهِ لأُعرِّفَه ما قال، فكنتُ بعدَ ذلكَ إذا دخلتُ إليه يقولْ: أحمدُ اللهَ إليكَ، ثم يَذكرُ ما يَجدُ.

وسُئلَ عن الوَسواسِ والخَطراتِ فقال: «لم يتكلَّمْ فيه الصَّحابةُ ولا التابعون».

---

(١) انظر «المناقب» لابن الجوزي: (ص٢٤٤).

- وأمّا تَعظيمُه أهلَ الحديثِ:

فقيلَ له: ذُكرَ لابن أبي قُتيلةَ[١] أصحابُ الحديثِ فقال: قَومُ سوءٍ! فقال: «زنديقٌ، زنديقٌ، زنديقٌ».

وقال رضيَ اللهُ عنه: «مَن عَظَّمَ أصحابَ الحديثِ عَظُمَ عندَ رسولِ اللهِ ﷺ، ومَن حقَّرهم سَقطَ مِن عينِه لأنَّهم أحبارُه».

وقيل له: مَن ماتَ على الإسلامِ والسُّنَّةِ ماتَ على خيرٍ، فقال: «اسكتْ بل على الخيرِ كلِّه».

وقيل: أينَ يُطلبُ البُدلاءُ؟ فسكتَ طويلًا ثمَّ قال: «إن لم تكنْ في أصحابِ الحديثِ فلا أدري».

ورأى رضيَ اللهُ عنه أصحابَ الحديثِ وقد خَرجوا مِن عندِ مُحدِّثٍ وبأيديهم المحابرَ فقال: «إنْ لم يكنْ هؤلاءِ الناسَ فمَن؟!».

وعنه أنَّه قال: «إنْ لم يكنْ أصحابُ الحديثِ الأبدالَ فمَن؟!»[٢].

وسُئلَ عن الرَّجلِ يَصومُ ويُصلِّي: أهو أحبُّ إليكَ ممَّن يَكتبُ الحديثَ؟ فقال: «لا، بل الذي يَكتب؛ لِئلا يقولَ كقولِ القائلِ: إني رأيتُ الناسَ على شيءٍ فتبعتُ[٣]».

وقال: «مَن ردَّ حديثَ رسولِ اللهِ ﷺ فهو على شَفا هَلَكةٍ».

***

---

(١) في النُّسخ: «لأبي قبيلة»، والمثبتُ موافقٌ للمصادر والمراجع.

(٢) هذه المقولةُ زيادةٌ مِن (ك).

(٣) كذا في النُّسخ، وفي المصادر والمراجع: «فتبعتُهم».

فصلٌ في نَهيِهِ عن الرّأي

كان رضـي اللهُ عنـه يَكره وضعَ كُتـبِ الرّأي وكُتـبِ التَّفريعِ، ويُحبُّ التَّمسُّـكَ بالأثرِ.

وقال لعثمانَ بنِ سعيدٍ: «لا تَنظُرْ في كُتبِ أبي عبيد اللهِ[1] ولا إسحاقَ ولا سفيانَ ولا الشافعيِّ ولا مالكٍ، وعليكَ بالأصل».

قلـتُ: ومـرادُه بذلك مَن لـه قُدرةٌ على الاسـتنباطِ مِـن الأصلِ، وهـو الكتابُ والسُّنةُ.

وقال له سَلَمةُ بنُ شَبيبٍ: إنَّ أصحابَ الحديثِ يَكتبونَ كُتبَ الشافعيِّ؟ فقال: «لا أَرى لهم ذلك».

وسُئل عن كتابِ أبي ثورٍ: فقال: «بدعةٌ، عليكم بالحديثِ».

وكان رضي اللهُ عنه يأمرُ بـ: «الموطَّأ» ويُرخِّصُ فيه، ويَنهى عن «جامعِ سفيانَ»، وسُئل عنهما فنهى وقال: «عليكَ بالأثرِ»[2].

ونهى عن كُتبِ الرّأيِ فقيل له: إنَّ ابنَ المُباركِ كَتبها! فقال: «ابنُ المُباركِ لم يَنزلْ مِن السَّماءِ، وإنَّما أُمرنا أنْ نأخذَ العِلمَ مِن فَوق»[3].

وقال: «لا قياسَ إلا على أصلٍ، فإذا نَقصَ الأصلُ فعلامَ مَ يُقاسُ[4]؟!».

---

(١) في النسخ: «أبي عبد الله»، والمثبتُ موافقٌ للمصادر والمراجع.

(٢) أَوردهـا ابـنُ الجـوزيِّ فـي «المناقـب» (ص٢٦٤) عن عبـد الرحمن بن يحيـى بن خاقـان أنه بلغه عـن أحمد.

(٣) أوردها ابنُ الجوزيِّ في «المناقب» (ص٢٦٤) دونَ سندٍ.

(٤) في (ش): «القياس».

وقال: «لا ينبغي أنْ يَقيسَ إلا عالِمٌ كبيرٌ يَعرِفُ كيفَ شَبَهُ الشَّيءِ بالشَّيء».

وقـال رضـي الله عنـه: «أصولُ السُّـنةِ عندَنـا التَّمسُّـكُ بما كان عليـه أصحابُ رسـولِ اللهِ ﷺ والاقتـداءُ بهـم، وتـركُ المِـراءِ والجِـدالِ والخُصوماتِ فـي الدِّينِ، والسُّـنةُ عندَنا آثارُ رسـولِ اللهِ ﷺ، وليس في السُّـنةِ قياسٌ، ولا تُضربُ لها الأمثالُ، ولا تُـدرَكُ بالعُقـولِ والأهـواءِ، إنَّما هـو الاتباعُ، وتـركُ الهوى».

وقال المَرُّوْذيُّ: «سألتُه عن أشياءَ كثيرةٍ فقال فيها: لا أدري».

وقال: «ربَّما مَكثتُ في المسألةِ ثلاثَ سنينَ».

وكان يُكثِر مِن قولِ: لا أدري.

واللهُ تعالى أعلمُ.

***

فصلٌ في إعراضِه عن أهلِ البِدَع

جاءَه يومًا الحِزاميُّ ـ وقد كان ذهبَ إلى ابن أبي دُؤادٍ[١] ـ فأَغلق البابَ دونَه.

وقال له أبو داودَ: إذا رأيتَ سُنيًّا مع بِدعيٍّ أأترُكُ كلامَه؟ فقال: «أَعلِمْه، فإن انتهى وإلا فألحِقه به».

وقال: «لا أحدَ أحوجُ إلى الحديثِ مِن أهلِ هذا الزَّمانِ؛ فإنَّ البِدعَ قد كَثرتْ، فمَن لم يكنْ معَه شيءٌ منه وقعَ فيها».

وكان الخليفةُ المُتوكِّلُ قد سأَلَ الإمامَ أحمدَ عمَّن يُقلِّدُ[٢] القضاءَ، فسُئلَ عن

---

(١) في النسخ: «رواد» وهو تحريفٌ، والصوابُ المثبت.

(٢) في (ك): «تقلد».

جماعةٍ مِن الأعيانِ فنهى عنهم واحدًا واحدًا، وذَكرَ ما في كلٍّ منهم، وبعضُهم نهى عنه؛ لصُحبتِه مَن لا يُرتَضى.

وقال في آخرِه: «وبالجُملَةِ: إنَّ أهلَ البِدَع والأهواءِ لا يَنبغي أن يُستعانَ بهم في شيءٍ مِن أمورِ المسلمين، والرّأيُ رأيُ أميرِ المؤمنينَ ـ أطالَ اللهُ بقاءَه ـ مِن التَّمسُّكِ بالسُّنةِ، والمُخالفَةِ لأهل البِدَع».

وكان رضي الله عنه يَنهى عن جماعةٍ مِن الأعيانِ ممَّن خالفَ السُّنةَ ظاهرًا، وهو محمولٌ على نُصحِ الدِّينِ.

وقال رضي الله عنه لابنِ إسحاقَ السَّرَّاجِ: «بلغني أنَّ الحارثَ المُحاسبيَّ يُكثرُ الكونَ عندَك، فلو أحضرتَني عندكَ وأجلَستَني بحيثُ لا يَراني فأسمعُ كَلامَه»، ثمَّ إنَّه رضي الله عنه لمَّا حَضرَ هو وأصحابُه وسَمعَ كلامَه في المنزلِ وكان في غُرفةِ المنزلِ صَعدَ إليه ابنُ إسحاقَ، فقال: كيفَ رأيتَ هؤلاء؟ فقال: لم أرَ مثلَهم، ولا سَمعتُ في الحقائقِ مثلَ كَلامِه، وعلى كلِّ حالٍ فلا أرى لك صُحبتَهم»، ثمَّ خَرج.

وعن أبي نصرٍ النَّصرآباذيِّ قال: «بلغني: أنَّ الحارثَ تكلَّمَ في شيءٍ مِن الكلامِ فهَجره الإمامُ أحمدُ، فاختفى في دارٍ[1] ببغدادَ وماتَ فيها، فلم يُصلِّ عليه إلا أربعةُ نَفرٍ».

وكان رضي الله عنه يقول: «لا تُجالِسوا أهلَ الكلامِ وإنْ ذَبُّوا عن السُّنة».

وكَتب رضيَ اللهُ عنه إلى عُبيد الله[2] بنِ يحيى بنِ خاقان: «لستُ بصاحبِ كلامٍ، ولا أَراه إلا في الكتابِ والسُّنةِ عن النَّبيِّ ﷺ وأصحابِه، فأمَّا الكلامُ في غيرِ ذلكَ فغيرُ محمودٍ».

---

(١) كذا في (ش)، وفي باقي النُّسخ: (داره)، والمثبتُ موافقٌ للمصادر والمراجع.

(٢) في النسخ: «عبيد الله»، وهو تحريفٌ.

فصلٌ في مِحنَة الإمامِ أحمدَ رضي الله تعالى عنه[1]

وما وَقع له معَ المأمونِ وأخيهِ المُعتصمِ، ثمَّ الواثقِ بنِ المُعتصمِ بسببِ القرآنِ الكريم، وما أَصابَه مِن الحَبسِ الطَّويلِ والضَّربِ الشَّديدِ، والتَّهديدِ بالقَتلِ وقِلَّةِ مُبالاتِه بما كان منهم، وتمسُّكِه بالدِّين القَويمِ والصِّراطِ المُستَقيم:

وهي مِحنةٌ عظيمةٌ، رُقِمتْ في الطُّروسِ، وزَهَقتْ منها النُّفوسِ، وبها ارتفعتْ مَنزِلتُه عندَ الأئمةِ الأخيارِ، وزادَ بها رِفعةً في سائرِ الأقطارِ، وقد بشَّره بها قبلَ وقوعِها النَّبيُّ المختار، على لسانِ الإمامِ الجليلِ محمدِ بنِ إدريسَ ذي الجَلالةِ والفَخارِ.

ذَكر الأئمَةُ: أنَّ الإمامَ الشافعيَّ رحمه الله تعالى لمَّا دخلَ مصرَ رأى النَّبيَّ ﷺ في المنامِ، وأَخبره أنَّ الإمامَ أحمدَ سيُمتَحن!

قال الرَّبيعُ بنُ سليمانَ: «فكتبَ الشافعيُّ كتابًا إلى أبي عبدِ اللهِ أحمدَ بنِ حنبلٍ، ثمَّ قال لي: يا ابنَ سليمانَ انحدرْ بكتابي هذا إلى العِراق، ولا تَقرأْه، فأخذتُ الكتابَ وخرجتُ مِن مصرَ حتّى قَدِمتُ العِراقَ، فوافيتُ مسجدَ أحمدَ بنِ حنبلٍ فصادفتُه يُصلِّي الفجرَ فصليتُ معَه، وكنتُ لم أركعْ السُّنةَ فقمتُ أركعُ عَقيبَ الصَّلاةِ، فجعلَ ينظرُ إليَّ مَليًّا حتّى عرفَني، فلمّا سَلَّمتُ مِن صلاتي سَلَّمتُ عليه، وأوصلتُ الكتابَ إليه، وقلت له: هذا كتابُ أخيكَ الشافعيِّ مِن مصرَ، فجعلَ يَسألني عن الشافعيِّ طويلًا قبلَ أنْ يَنظرَ في الكتاب، ثمَّ قال لي: نظرتَ فيه؟ قلت: لا، ففكَّ ختمَه وقَرأه

---

(١) وقد أُفردتْ مِحنةُ الإمامِ أحمدَ بالتصانيف، فأوَّلُ مَن أَلَّف فيها ابنُه صالح (ت٢٦٦)، وبعدَه أَلَّف حنبلُ بنُ إسحاق (ت٢٧٣) ابنُ عمِّ الإمامِ أحمدَ وتلميذُه، وللحافظ عبد الغنيِّ المقدسيِّ كذلك «محنةُ الإمام أحمد بن حنبل».

تتمَّة: لم يَذكر المؤلِّفُ رحمه الله جهادَ الإمامِ أحمد، وقد وَرَد مِن جهادِه رضي الله عنه: أنه خرج إلى طَرَسوسَ غازيًا، ورابط بها، وانظر «السير» (١١/ ٣١١).

حتّى إذا بلغَ موضعًا منه بكى، وقال: أرجو اللهَ تعالى أن يُحقِّقَ ما قاله الشافعيُّ! قلتُ: يا أبا عبدِ الله أيُّ شيءٍ قد كتبَ إليكَ؟ قال: ذكَرَ في كتابِه أنَّه رأى النَّبيَّ ﷺ في نومِه وهو يقولُ له: يا ابنَ إدريسَ بَشِّر هذا الفتى أبا عبدِ اللهِ أحمدَ بنَ حنبلٍ أنَّه سيُمتَحنُ في دِين اللهِ، ويُدعى أن يقولَ: القرآنُ مخلوقٌ، فلا يفعلْ، فإنَّه سيُضربُ بالسِّياطِ، وإنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يَنشرُ له بذلك علمًا لا يُطوى إلى يومِ القيامةِ، فقلتُ: بشارةٌ! فأيُّ شيءٍ جائزتي عليها؟ وكان عليه ثوبانِ فنَزعَ أحدَهما فدَفعه إليَّ، وكان ممَّا يلي جلدَهُ، وأعطاني جوابَ الكتابِ، فخَرجتُ حتّى قَدِمتُ على الشافعيِّ فأخبرتُه بما جرى، قال: فأينَ الثَّوبُ؟ قلتُ: هو ذا، فقال: ليس نفجَعُك به!».

ويُروى أنَّ الشافعيَّ قال للرَّبيعِ: «لا نَبتاعُه منكَ ولا نَستهديه، ولكن اغسِلْه وجئْنا بمائه»، قال: فغسلتُه وحَملتُ ماءَه إليه، فجَعله في قَنينةٍ، وكنتُ أراه في كلِّ يومٍ يأخذُ منه فيمسَحُ على وجهِه تبرُّكًا بأحمدَ بنِ حنبلٍ».

إذا تقرَّر هذا:

فقال الحافظُ أبو الفرجِ بنُ الجوزيِّ[1]: «لم يزلْ الناسُ على قانونِ السَّلفِ مِن قولِهم: القرآنُ كلامُ اللهِ غيرُ مَخلوقٍ حتّى نَبغَت[2] المُعتزلَة، فقالوا بخَلْقِ القُرآن، وكانوا يتسترونَ بذلك في زَمنِ الرَّشيدِ، حتّى أنَّ الرَّشيدَ قال يومًا: بلغني أنَّ بِشرَ المَريسيَّ يقولُ: القرآنُ مخلوقٌ، وَللهِ عليَّ إنْ أظفَرني به لأَقتُلَنَّه قِتلَةً ما قتلتُها أحدًا، فأَقامَ بِشرٌ متواريًا أيامَ الرَّشيدِ نحوًا مِن عشرينَ سنةً، فلمّا تُوفي الرَّشيدُ كان الأمرُ كذلك في زَمنِ ولدِه الأمين، فلمّا وَليَ المأمونُ خالطَه قومٌ مِن المعتزلةِ، فحَسَّنوا له القولَ بخلقِ القُرآن».

---

(١) «مناقب الإمام أحمد» (ص٤١٦).

(٢) في (ش): «بغت»، والمثبتُ موافقٌ لما في «المناقب» لابن الجوزيِّ، ونَبغتْ بمعنى: ظَهرت.

وقـال البيهقـيُّ: «قرَّبَ مِن مَجلسِه جماعـةً مِـن المُبتدِعينَ والفلاسـفة، حتّى ألْقـوا فـي سَـمعِه مِـن كلامِ أهلِ الزَّيـغِ والبِدعِ مـا حَملَه علـى القَولِ بخَلْـقِ القُرآن، ونَفيِ الصِّفـاتِ»، انتهى.

وكان يَتردَّد في حَملِ الناسِ على ذلكَ، ويُراقبُ بقايا الأشياخِ، ثمَّ قوي عَزمُه على ذلك.

قال يحيى بنُ أَكتمٍ: «قال لنا المأمونُ: لولا مكانُ يزيدَ بنِ هارونَ لأظهرتُ القولَ بخَلقِ القُرآنِ، فقال له بعضُ جُلسائِهِ: ومَن يزيدُ بنُ هارونَ حتّى يَتَّقيه أميرُ المؤمنين؟! فقال: إني أخافُ إنْ أظهَرتُه يَردُّ عليَّ فيَختلفُ الناسُ، وتكونُ فتنةٌ، وأنا أكرَهُ الفِتنةَ، فقال له أحدُهم: أنا أتكلَّمُ مع يزيدَ بنِ هارونَ، فقال له: دُونَكه، فلمّا ذَهب إليه بواسطَ قال له: يا أبا خالدٍ، إنَّ أميرَ المؤمنين يُقرئكَ السَّلامَ ويقول: إنِّي أريدُ أنْ أقولَ القرآنُ مَخلوقٌ، فما عندكَ في ذلك؟ فقال: كذبتَ على أميرِ المؤمنين، أميرُ المؤمنين[١] لا يَحملُ الناسَ على ما لا يَعرِفونَه، ولم يقلْ به أحدٌ، فرجعَ الرَّجلُ وذَكر ذلكَ للمأمونِ فقال له: إنَّه تَلعَّب بكَ».

***

فصلٌ فيما جَرى لأحمدَ معَ المأمونِ

قـال حنبـلُ بنُ إسـحاقَ بـنِ حنبلٍ ابنُ عـمِّ الإمامِ أحمدَ: «سـمعتُ أبـا عبدِ الله يقـولُ: أوَّلُ مَـن حُمِـل للمِحنَـةِ سـبعةُ أنفُـسٍ وهـم: يحيى بـنُ معين، وأبـو خيثمةَ زهيـرُ بنُ حَـربٍ، وأحمدُ بـنُ إبراهيـمَ الدَّورَقيُّ، وإسـماعيلُ الجَـوزيُّ[٢]، ومحمدُ

---

(١) «أمير المؤمنين» سقط مِن (ش).

(٢) في النُّسخ: «الجزري»، والمثبتُ موافقٌ لما في المصادر والمراجع، وهو إسماعيل بن داودَ الجوزي، انظر «تاريخ بغداد» (٧/ ٢٢١)، و«تاريخ الإسلام» (٥/ ٢٤٧).

بنُ سَعدٍ كاتبُ الواقِديِّ، وأبو مُسلمٍ المُستملي[1] فأَجابوا، ولو كانوا صَبروا وقاموا للهِ لكان انقطعَ الأمرُ وحَذِرَهم الرَّجل يعني: المأمونُ، ولكنْ لمّا أجابوا ـ وهم عَينُ البلدِ ـ اجترأ على غيرهم».

وكان أبو عبدِ اللهِ إذا ذَكرهم يَغتمُّ ويقول: «هم أوَّلُ مَن ثَلمَ هذه الثُّلْمةُ».

قال حنبلٌ: «حدثني أبي قال: وردَ كتابُ المأمونِ مِن الرُّومِ إلى بغدادَ إلى إسحاقَ بنِ إبراهيمَ يأمُره بامتحان أبي عبدِ اللهِ أحمدَ بنِ حنبلٍ وعُبيدِ اللهِ بنِ عمرَ القَواريريِّ والحسنِ بنِ حمادٍ المعروفِ بسَجَّادةَ ومحمدِ بنِ نوحٍ، فوجَّه إليهم إسحاقُ وأحضرَهم، فأُدخلوا على إسحاقَ فامتحنَهم، فأبى أبو عبدِ اللهِ والقومُ أنْ يُجيبوا، فلمَّا كان بعدَ يومٍ أو يومينِ دعا إسحاقُ بالقواريريِّ وسَجَّادةَ مِن الحَبسِ وهما مُقيَّدانِ، فسألَهما فأجاباه فخلى عنهما، فكان أبو عبدِ اللهِ رحمه اللهُ يُقيم عُذرَهما ويقول: أليس قد حُبسا وقُيِّدا؟! قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦]، ثمَّ قال أبو عبدِ اللهِ: القَيدُ كُرهٌ، والحَبسُ كُرهٌ، والضَّربُ كُرهٌ، فأمَّا إذا لم يُنلْ بمكروهٍ، فلا عُذرَ له».

قال أبو عبدِ اللهِ: «وكان في الكتابِ اقرأْ عليهم: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، فقرأ عليَّ إسحاقُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، فقلتُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، فقال لي إسحاقُ: ما أردتَ بهذا؟ قلتُ: قرأتُ كلامَ اللهِ وذَكرتُ ما وَصفَ به نفسَه سبحانه وتعالى، ولم أزدْ في كتابِه شيئًا».

ومرادُ الإمامِ أحمدَ بذلكَ: إقامةُ حُجَّتِه عليهم في إثباتِ الصِّفاتِ مِن الآيةِ التي احتجُّوا عليه بها، فكان ما استَدلوا به دليلًا له لا عليه، ثمَّ وَرَد كتابُ المأمونِ إلى

---

(١) تحرَّف في النسخ.

إسحاقَ بنِ إبراهيمَ بحَملِ أبي عبدِ اللهِ ومحمدِ بنِ نوحٍ إليه ببلادِ الرُّومِ، فحُمِلا إلى طَرسوسَ مُقيَّدِين.

وذَكر ابنُ الجَوزيِّ[1] بسندِه إلى أبي جعفرٍ الأنباريِّ أنَّه قال: «لمَّا حُملَ أحمدُ إلى المأمونِ أُخبِرتُ، فعبَرتُ الفُراتَ فإذا هو جالسٌ، فسلَّمتُ عليه فقال: يا أبا جعفرٍ تَعنَّيتَ! فقلتُ: ليس في هذا عناءٌ، وقلتُ له: أنتَ اليومَ رأسٌ، والناسُ يَقتدون بك، فو اللهِ لئن أجبتَ إلى خلقِ القُرآنِ؛ ليُجيبَنَّ بإجابتك خَلقٌ[2] مِن خَلقِ اللهِ، وإنْ أنتَ لم تُجبْ ليَمتنعَنَّ خَلقٌ مِن الناسِ كثيرٌ، ومعَ هذا فإنَّ الرَّجلَ ـ يعني: المأمون ـ إن لم يَقتُلْكَ فالموتُ لا بدَّ منه، فثِقْ باللهِ ولا تُجبْهم إلى شيءٍ، قال: فجَعلَ أبو عبدِ اللهِ يبكي ويقول: ما شاء اللهُ، ما شاء اللهُ».

وذَكر البيهقيُّ وابنُ الجَوزيِّ[3] كلٌّ منهما بسندِه إلى إبراهيمَ بنِ عبدِ اللهِ البَصريِّ أنَّه قال: «قال أحمدُ بنُ حَنبلٍ: ما سَمعتُ كلمةً كانت أقوى لقَلبي مِن كلمةٍ كلَّمني بها أعرابيٌّ قال: يا أحمدُ إنْ يقتلْكَ الحقُّ مِتَّ شهيدًا، وإنْ عِشتَ عِشتَ حَميدًا».

قال ابنُ أبي حاتِم: «فكان كما قال الأعرابيُّ، لقد رَفعَ اللهُ عزَّ وجلَّ شأنَ أحمدَ بعدَما امتُحنَ، وعَظُمَ عندَ الناسِ، وارتفعَ أمرُه جدًّا، ولَقِيه رجلٌ وهو راحلٌ فقال: أيُّكم أحمدُ بنُ حنبلٍ؟ فقيل: هذا، فقال له: ما عليكَ أنْ تُقتلَ ههنا وتدخلَ الجنَّة ههنا!».

وقال أحمدُ بنُ غسانَ: «كنتُ سائرًا مع أحمدَ لمّا طَلبه المأمونُ، فإذا نحنُ برَجلٍ عليه عباءةٌ قد شَدَّها على عُنقِه، فقال: يا أبا عبدِ اللهِ إنَّ اللهَ قد رَضيكَ له وافدًا، فانظرْ ألا

---

(١) «مناقب الإمام أحمد» (ص٤٢٣).

(٢) في «المناقب» لابن الجوزي: «خلقٌ كثير».

(٣) «مناقب الإمام أحمد» (ص٤٢٣).

يكونَ وفودُكَ على المسلمينَ وفودًا مشؤومًا، واعلمْ: أنَّ الناسَ إنَّما يَنتظرونك لأنْ تقولَ فيقولوا، فاعلمْ: إنَّما هو المَوتُ والجنَّة، ثمَّ مضى، قال: فلم نكنْ[1] بأسرعَ مِن أنْ وَرَد علينا قاصدُ المأمونِ فقال: أينَ هؤلاء الأشقياءُ؟ فقال له أحمدُ: يا عدوَّ اللهِ، أنتَ تقولُ القُرآنُ مخلوقٌ، ونكونُ نحنُ الأشقياءُ؟! قال: فأُنزِلْنا مِن المحامِلِ وصُيِّرنا في خيمةٍ فخَرجَ إلينا خادمٌ وهو يَمسحُ عن وجهِه بكُمِّه، ويقولُ عزَّ عليَّ يا أبا عبدِ اللهِ، جَرَّدَ أميرُ المؤمنينَ سيفًا لم يُجرِّدْه قطُّ، وبَسطَ نِطعًا[2] لم يَبسطه قطُّ ثمَّ قال: وقرابتي مِن رَسولِ اللهِ ﷺ لا رفعتُ سَيفي عن أحمدَ وصاحبِه حتّى يَقولا القُرآنُ مخلوقٌ، قال: فنظرتُ إلى أحمدَ وقد بَركَ على رُكبتَيه، ولَحَظ السَّماءَ بعينَيه ثمَّ قال: غرَّ هذا الفاجرَ حِلْمُكَ[3] حتّى يَتجرأ على أوليائكَ بالضَّربِ والقَتلِ، فإنْ يكنْ القُرآنُ كلامُكَ غيرَ مخلوقٍ فاكفِنا مؤنتَه، قال: فواللهِ ما مضى الثلثُ الأولُ مِن الليلِ إلا ونحنُ بصيحةٍ وضجَّةٍ، وإذا قاصدُ المأمونِ قد أَقبل علينا فقال: صدَقتَ يا أبا عبدِ اللهِ، القُرآنُ كلامُ اللهِ غيرُ مخلوقٍ، وقد ماتَ واللهِ أميرُ المؤمنين».

قال الإمامُ أحمدُ: «وكنتُ دعوتُ اللهَ ألا يُرِيَني وجهَ المأمونِ».

فلمّا ماتَ المأمونُ رُدَّ الإمامُ أحمدُ إلى بغدادَ مُقيَّدًا فسُجنَ بها حتّى امتحنَه المُعتصِمُ أخو المأمونِ، واللهُ أعلمُ.

***

(١) في النُّسخة (ش): «يكن».

(٢) النِّطع: البِساط مِن الجلد.

(٣) في النُّسخ: «علا عن هذا الفاجر حكمك»، والمثبتُ مِن «حلية الأولياء» (٩/ ١٩٤)، و«البداية والنهاية» (١٠/ ٣٦٦)، وجاءت العبارةُ في مطبوعة «مِحنة الإمام أحمد» للمقدسي (ص٣٨): «علا عن هذا الفاجر حلمك».

فصلٌ في مِحنةِ أحمدَ مَعَ المُعتَصم

قالوا[1]: لمّا ماتَ المأمونُ ووَليَ أخوه أبو إسحاقَ المُعتَصمُ رُدَّ بأبي عبدِ اللهِ أحمدَ ومحمدِ بنِ نوحٍ إلى بغدادَ، فماتَ محمدُ بنُ نوحٍ في الطريقِ ففُكَّ عنه القَيدُ، وصلّى عليه الإمامُ أحمدُ وقال: «ما رأيتُ أحدًا على حداثَةِ سِنِّه أقومَ بأمرِ اللهِ مِن محمدِ بنِ نوحٍ، قال لي ذاتَ يومٍ: يا أبا عبدِ اللهِ إنَّكَ لستَ مثلي، أنت رجلٌ يُقتدى بكَ وقد مدَّ الخَلقُ أعناقَهم؛ ليَسمَعوا مقالتَك، فاتقِ اللهَ، واثبتْ لأمرِ اللهِ»، فكان أحمدُ يَتعجَّبُ مِن تَقويتِه له وموعظتِه.

ووَصَلَ الإمامُ أحمدُ إلى بغدادَ مُقيَّدًا وحُبسَ في دارٍ أيامًا، ثمَّ نُقلَ إلى حبسِ العامَّةِ، فكان يُصلِّي بأهلِ السِّجنِ وهو مُقيَّد.

وأَرسلَ إليه آدمُ العسقلانيُّ يقولُ له وهو ببغدادَ: «اتقِ اللهَ، وتَقرَّب إليه بما أنتَ فيه، ولا يَستفزَّنكَ أحدٌ فإنَّكَ مُشرِفٌ على الجنَّةِ، ثمَّ ذَكرَ له حديثًا يَرفعُه إلى النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال[2]: «مَن أَرادكم على مَعصيةِ اللهِ فلا تُطيعوه»، فلمَّا وصَلَ إليه الخَبرُ أطرَقَ مَليًا، ثمَّ قال: «رحمه اللهُ حيًّا وميتًا فلقد نَصَح فأَحسنَ».

قال المَرُّوْذيُّ: «لمَّا سُجنَ أبو عبدِ اللهِ جاءَه السَّجانُ فقال له: يا أبا عبدِ اللهِ، الحديثُ الذي رُوي في الظلمة وأعوانِهم صحيحٌ؟ قال: نعم، قال السَّجانُ: وأنا مِن أعوانِ الظلمةِ؟ فقال له أبو عبدِ اللهِ: أعوانُ الظلمةِ مَن يأخذُ شَعركَ، ويَغسلُ ثوبَكَ، ويُصلِحُ طعامَكَ، ويَبيعُ ويشَتري منكَ، فأمَّا أنتَ فمِن أنفُسِهم!».

قال إسحاقُ بنُ حنبلٍ: «كنتُ أتكلَّمُ مع أصحابِ السُّلطانِ والقُوادِ في خَلاصِ

---

(١) في (ش): «قال».

(٢) رواه أحمد: (١٨/ ١٨٣)، وابنُ ماجه: (٤/ ١٢٢) بلفظ: «مَن أَمركم منهم بمعصيةِ الله فلا تُطيعوه».

أبي عبدِ اللهِ، فلم يَتمَّ لي أمرٌ، فاستأذنتُ على إسحاقَ بنِ إبراهيمَ فدَخلتُ إليه[١] وكلَّمتُه، فقال لحاجبِه: اذهبْ معه إلى ابنِ أخيهِ ولا يُكلِّم ابنَ أخيه بشيءٍ إلا أخبرتَني به، قال إسحاقُ: فدخلتُ على أبي عبدِ اللهِ ومعي حاجبُه فقلتُ: يا أبا عبدِ اللهِ قد أجابَ أصحابُكَ، وقد أُعذِرتَ فيما بينَك وبينَ اللهِ، وبقيتَ أنتَ في الحَبسِ والضِّيق، فقال أبو عبدِ اللهِ: يا عمِّ إذا أجابَ العالِمُ تقيَّةً والجاهلُ بجهلٍ متى يَتبيَّنُ الحقُّ؟! قال: فأمسكتُ عنه».

قال: «فذُكِرَ لأبي عبدِ اللهِ ما رُوي في التَّقيَّة مِن الأحاديثِ فقال: كيفَ تَصنعون بحديث: «إنَّ مَن كان قبلَكم يُنشَر أحدُهم بالمِنشارِ ثمَّ لا يَصدُّه ذلك عن دِينِه»[٢]، قال: فيَئِسنا منه، ثمَّ قال: لستُ أُبالي بالحبسِ ما هو ومنزِلي إلا واحدٌ، ولا قتلًا بالسَّيفِ، إنَّما أخافُ فتنةً بالسَّوطِ، وأخافُ ألا أَصبرَ، فسَمِعه بعضُ أهلِ الحَبسِ وهو يقولُ ذلكَ، فقال: لا عليكَ يا أبا عبدِ اللهِ، ما هو إلا سَوطانِ ثمَّ لا تَدري أينَ يقعُ الباقي، فلمَّا سَمِعَ ذلكَ سُرِّي عنه».

قال: ثمَّ حُوِّل أبو عبدِ اللهِ إلى دارِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ في شهرِ رمضانَ سنةَ: تسعَ عشرةَ ومئتين، فبَعثَ إسحاقُ بنُ إبراهيمَ فأخذَ الزَّنبيلَ الذي فيه إفطارُ أبي عبدِ اللهِ، فنَظرَ إليه فإذا فيه رَغيفانِ وشيءٌ مِن قِثّاءٍ وملحٍ، فعَجِبَ إسحاقُ مِن ذلك، وكان أحمدُ بنُ أبي دُؤادٍ[٣]......................

---

(١) كذا في النُّسخ.

(٢) رواه البخاري: (٤/ ٢٠١).

(٣) تحرَّفتْ في النُّسخ إلى: «داود»، وجاء هنا في هامش (ش): «صوابُه: دُؤادٍ، ومَن كَتب (داود) فهو غلط، أحمدُ بنُ دُؤادِ بنِ حريز، القاضي أبو عبدِ اللهِ الإياديُّ البصريُّ ثم البغداديُّ، وَلي القضاءَ للمُعتَصمِ وللواثقِ، وكان مُصرِّحًا بمذهب الجَهْميَّة، داعيًا إلى القولِ بخَلقِ القُرآنِ، قال الصُّوليُّ: =

المُعتزليُّ متولِّيًا لقضاءِ القُضاةِ[1]، فكان يَحمِل المُعتَصمَ على القولِ بخَلقِ القُرآنِ.

قال أبو عبدِ اللهِ: «فكان إسحاقُ يوجِّه إليَّ كلَّ يومٍ برجلَينِ يُناظِراني، يقالُ لأحدِهما: أحمدُ بنُ رباحٍ، والآخرُ: أبو شُعيبٍ الحَجامُ، فلا يزالانِ يُناظراني، فإذا أرادا الانصرافَ دَعيا بقَيدٍ حتّى صارَ في رِجلي سَبعةُ قيودٍ».

قال أبو عبدِ اللهِ: «ثمَّ أُدخلتُ على إسحاقَ فقال لي: لو أجبتَ أميرَ المؤمنينَ إلى ما دعاكَ إليه، فكلَّمتُه بكلامٍ قويٍ، فقال يا أحمدُ: إنِّي عليكَ مُشفقٌ وقد آلى أميرُ المؤمنين إنْ لم تُجِبه ليَقتُلنَّكَ، فقلتُ له: ما عندي في هذا الأمرِ إلّا الأولَ»، كذا نَقل البَيهقيُّ.

ونقلَ ابنُ الجَوزيِّ[2]: «أنَّ إسحاقَ بنَ إبراهيمَ قال له: إنَّ أميرَ المؤمنين لا يَقتلُكَ، وقد آلى إنْ لم تُجبْه ليَضربنَّكَ ضَربًا بعدَ ضَربٍ، وليُلقينَّكَ في موضعٍ لا تَرى فيه شَمسًا، ثمَّ قال إسحاقُ: اذهبوا به إلى أميرِ المؤمنين، فجيءَ لأحمدَ بدابةٍ وحُمِل عليها بقيودِه، وما معه أحدٌ يُمسكُه، وكادَ غيرَ مرَّةٍ يقعُ، قال الإمامُ أحمدُ: فذهبوا بي إلى دارِ المُعتَصمِ وأُدخِلتُ في حُجرَةٍ ليلًا، وأُغلقَ عليَّ البابُ، وأُقعِدَ عليه رَجلانِ وليس في المكانِ سِراجٌ، فأردتُ أنْ أتيمَّمَ للصَّلاةِ فمدَدت يدي فإذا بإناءٍ فيه ماءٌ وطِستٌ موضوعٌ، فتوضأتُ وقمتُ أُصلِّي ولا أعرفُ القِبلةَ فصلَّيتُ،

= كان يُقال أكرمُ مَن كان في دولةِ بني العباسِ البرامكة، ثمَّ ابنُ أبي دُؤادٍ لولا ما وَضعَ به نفسَه مِن مَحبَّة المِحنةِ لاجتمعت الألسنُ عليه، ولم يُضَفْ إلى كرَمِه كرمُ أحدٍ، انتهى تاريخ الإسلام للذهبي»، انظر «تاريخ الإسلام» (٥/ ٧٥٨).

(١) في (ش): «الكوفة».

(٢) «مناقب الإمام أحمد» (ص٤٣٢).

فلمَّا أصبحتُ جاءَ رسولُ المُعتَصمِ فقال: أجبْ، فثقُلتْ عليَّ القيودُ وكِدتُ غيرَ مرَّةٍ أخِرُّ على وَجهي، فأَخرَجتُ تِكَّةَ سَراويلي وشَدَدتُ بها القيودَ، ثمَّ مَشيتُ إلى أنْ دَخلتُ عليه والتِكَّةُ[1] بيدي أحملُ بها القُيودَ، فإذا هو جالسٌ وابنُ أبي دُؤادٍ[2] حاضرٌ، وقد جَمعَ خَلقًا كثيرًا مِن أصحابِهِ، مِنهم: أبو عبدِ الرَّحمنِ الشافعيُّ وغيرُه، فلمَّا نظرَ إليَّ المُعتَصمُ سَمعتُه يقولُ لهم كالمُنكرِ عليهم: أليسَ قد زعمتُم أنَّه حَدثُ السِّنِ؟ هذا شيخٌ مُكتَهِلٌ!».

وفي رِوايةٍ: «لمَّا نَظر أحمدُ إلى أبي عبدِ الرَّحمنِ الشافعيِّ قال له: أيُّ شيءٍ تَحفظُ عن الشافعيِّ في المَسحِ؟ فقال ابنُ أبي دُؤادٍ: انظروا هذا هو يَقدَم لضَربِ العُنقِ وهو يُناظر في الفقه! ثمَّ إنَّ المُعتَصمِ قال لأحمدَ: ادْنُه ادْنُه، حتّى قَرُبَ منه ثمَّ أَجلسه وقد أَثقله الحديدُ».

قال الإمامُ أحمدُ: فمكثتُ قليلًا ثمَّ قلتُ: يا أميرَ المؤمنين، أتأذنُ لي في الكلام؟ فقال: تكلَّم، فقلتُ: إلى ماذا دعا اللهُ ورسولُه؟ وفي روايةٍ: إلى ما دعا إليه ابنُ عمِّكَ رسولُ اللهِ ﷺ؟

قال: إلى شهادةِ أنْ لا إلهَ إلا الله، فقلتُ: أنا أشهدُ أنْ لا إله إلا اللهُ.

ثمَّ قلتُ: إنَّ جدَّكَ ابنَ عباسٍ يقولُ: لمّا قَدِمَ وَفدُ عبدِ القيسِ على رسولِ اللهِ ﷺ سألوه عن الإيمانِ، فقال: أتدرونَ ما الإيمانُ؟ قالوا: اللهُ ورَسولُه أعلمُ، قال: شهادةُ أنْ لا إله إلا اللهُ وأنَّ محمدًا رسولُ اللهِ، وإقامُ الصَّلاةِ، وإيتاءُ الزَّكاةِ، وأنْ تُعطوا الخُمسَ مِن المغنَمِ»، فإلى ما أُدعا وهذه شهادتي وإخلاصي بالتوحيد؟!

---

(١) التِّكَّة: الرِّباط الذي يكون فوقَ السِّروال، انظر «المعجم الوسيط» (١/ ٨٦).

(٢) تحرَّفتْ في النُّسخ.

فقال المُعتَصمُ: لولا أنّي وجَدتُكَ في يدِ مَن كان قبلي ما عَرضتُ لكَ، ثمَّ قال: يا عبدَ الرَّحمنِ[١] أَلم آمُركَ برفعِ المِحنة؟

قال الإمامُ أحمدُ: فقلتُ: اللهُ أكبرُ، إنَّ في هذا لفرجًا للمسلمين.

ثمَّ قال المُعتَصمُ للحاضِرينَ: ناظروه!

ثمَّ قال: يا عبدَ الرَّحمنِ[٢] كَلِّمْه، فقال لي عبدُ الرَّحمنِ: ما تقولُ في القرآنِ؟ فسكتُّ، فقال لي المُعتَصمُ: أَجِبْه!

فقلتُ له: ما يقولُ في عِلمِ اللهِ؟ فسكَتَ.

فقلتُ لعبدِ الرَّحمنِ: القُرآنُ مِن عِلمِ اللهِ عزَّ وجلَّ، ومَن زَعمَ: أنَّ عِلمَ اللهِ مَخلوقٌ، فقد كَفر باللهِ، فسَكتَ عبدُ الرَّحمنِ.

فقالَ الحاضرونَ للمُعتَصمِ: يا أميرَ المؤمنينَ كَفَّرنا وكفَّركَ! فلم يَلتفتْ إلى ذلك منهم.

فقال لي عبدُ الرَّحمنِ: كان اللهُ ولا قرآنَ.

فقلتُ له: أكان اللهُ ولا عِلمَ؟! فأمسَكَ، ولو زَعمَ أنَّ اللهَ كان ولا عِلمَ لكفرَ.

قال الإمامُ أحمدُ: واحتجُّوا عليَّ بحديثِ عِمرانَ بنِ حُصينٍ: أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ خَلقَ الذِّكرَ، والذِّكرُ هو القُرآنُ، فقلتُ: هذا خطأ، حدثنا غيرُ واحدٍ: أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ «كَتب الذِّكرَ»[٣].

---

(١) جاء في النُّسخ: «يا أبا عبد الرحمن»، والصوابُ المثبتُ كما في المصادر والمراجع، والخِطابُ لعبدِ الرحمنِ بنِ إسحاق.

(٢) جاء في النُّسخ: «يا أبا عبد الرحمن»، الصوابُ المثبتُ كما في المصادر والمراجع.

(٣) رواه البخاري: (٤/ ١٠٥)، ونصُّه: «وكَتب في الذِّكرِ كلَّ شيء».

واحتجُّوا عليَّ بحديثِ ابنِ مسعودٍ: «ما خَلق اللهُ مِن جنَّةٍ ولا نارٍ ولا سماءٍ ولا أرضٍ أعظمَ مِن آيةِ الكرسيِّ»[1].

قال أبو عبدِ اللهِ: فقلتُ: إنَّما وَقع الخَلقُ على الجنَّةِ والنَّارِ والسَّماءِ والأرض.

وجَعلَ المُعتَصمُ يقولُ: ناظروهُ، وجَعلَ كلٌّ منهم يأتيه بما عندَه وهو يَردُّ على كلٍّ منهم.

فقال المُعتَصمُ: ما تقولُ يا أحمدُ؟ فقال: ائتوني مِن كتابِ اللهِ أو سُنَّةِ رسولِ اللهِ بشيءٍ وأنا أُكلِّمكم عليه!

فقال ابنُ أبي دُؤادٍ: وأنتَ لا تقولُ إلا ما فيهما؟! وجَعلَ يُراجعُ أحمدَ وهو لا يُجيبُه بغيرِ ما قال.

فقال ابنُ أبي دُؤادٍ: هذا مُبتَدعٌ ضالٌّ مُضِلٌّ.

قال أبو عبدِ الله: كان القومُ إذا انقطعوا عن الحُجَّةِ عَرضَ ابنُ أبي دُؤادٍ فتكلَّم، وكلَّمَني مرَّةً فلم ألتفتْ إليه فقال لي المُعتَصمُ: ألا تُكلِّمُه؟ فقلتُ: لستُ أَعرِفه مِن أهلِ العِلمِ فأُكلِّمَه!

قال أبو عبدِ الله: وكان ابنُ أبي دُؤادٍ مِن أَجهلِ الناسِ بالعِلمِ والكلامِ.

قال: فجَعلَ ابنُ أبي دُؤادٍ يقولُ: يا أميرَ المؤمنينَ واللهِ إنْ أجابكَ لهو أحبُّ إليَّ مِن مئةِ ألفِ دينارٍ ومئةِ ألفِ دينارٍ، وعدَّدَ مِن ذلكَ ما شاء اللهُ.

فقال المُعتَصمُ: واللهِ إنه لفقيهٌ، واللهِ إنه لعالِمٌ، ووَدِدت أنْ يكونَ معي يُصلحُ مِن شأني ويَردُّ على أهلِ المِلَل، ثمَّ قال: واللهِ لئنْ أجابَ لأُطلِقَنَّه بيدي، ولأَركبَنَّ إليه بجُندي، ولأفعلَنَ ولأفعلَنَ...

---

(١) رواه الترمذيُّ: (٥/ ١١)، والبيهقيُّ في «الأسماء والصفات» (٦٣٢) وأجاب عليه.

ثمَّ قال: يا أحمدُ أتَعرِفُ صالحًا الرَّشيديَّ؟ قلتُ: قد سمعتُ باسمِه.

قال: كان مُؤدِّبي، وكان صاحبَ سُنَّة، فسألتُه عن القُرآنِ فخالفَني، فأمرتُ به فوُطِئ وسُحِبَ، ثمَّ قال: يا أحمدُ أجبْني وأعادَ كلامَه، فقلتُ: ائتوني بآيةٍ مِن كتابٍ أو سُنَّةٍ!

وطالتِ المُناظرةُ فقامَ المُعتَصم.

قال الإمامُ أحمدُ: ثمَّ رُدِدت إلى المكانِ الذي كنتُ فيه، ووُجِّه إليَّ برجلَينِ مِن أصحابِ ابنِ أبي دُؤادٍ يبيتانِ عندي ويناظراني، فلمَّا كان وقتُ الإفطار جيء بالطَّعامِ، ويَجتهدانِ بي أنْ أُفطِر فلم أَفعل، فلمّا كان في اليومِ الثاني جاء الرَّسولُ فذهبَ بي فقال لهم: ناظِروه وكلِّموُه، فجعلوا يناظروني، ويَتكلَّم هذا مِن ههنا فأردُّ عليه، ويتكلَّمُ هذا مِن ههنا فأردُّ عليه، وإذا جاؤوا بشيءٍ مِن الكلامِ والبِدَعِ ممّا ليسَ فيه كتابُ اللهِ ولا سُنَّةُ رسولِ اللهِ ولا عندي فيه خَبرٌ أقولُ: لا أدري ما هذا.

فيقولون: يا أميرَ المؤمنينَ إذا تَوجَّهتْ له الحُجَّةُ انسابَ علينا، وإذا كانت الحُجَّةُ عليه قال: لستُ صاحبَ كلامٍ أنا صاحبُ أثرٍ!

فلم يزالوا كذلك إلى أنْ قرُبَ الزَّوالُ، فلمَّا ضَجِرَ قال لهم: قوموا.

ثمَّ رُدِدت إلى المكانِ الذي كنتُ فيه، فلمّا كان الليلُ نامَ مَن كان معي وأنا مُتفكِّرٌ في أمري، فإذا أنا برجلٍ طويلٍ يَتخطّى الناسَ حتّى دَنا مني فقال: أنتَ أحمدُ بنُ حنبلٍ؟ فسكَتُّ، فقال ثالثة: أنتَ أبو عبدِ اللهِ أحمدُ بنُ حنبلٍ؟ قلت: نعم، قال: اصبرْ ولكَ الجنَّةُ! قال أبو عبدِ الله: فلمَّا مسَّني حرُّ السَّوطِ ذَكرتُ قولَ الرَّجلِ فصبرتُ.

قال: فلمّا كانت الليلةُ الثَّالثةُ قلتُ: خَليقٌ أنْ يَحدُثَ غدًا مِن أمري شيءٌ، فلمّا

كان مِن الغَدِ وجَّه إليَّ المُعتَصِمُ فأُدخِلتُ، فإذا الدَّارُ غاصةٌ(١)، فجعلتُ أدخلُ مِن موضعٍ إلى موضعٍ، وقومٌ معهم السُّيوفُ، وقومٌ معهم السِّياطُ، وغيرُ ذلكَ، ولم يكنْ في اليومَينِ الماضيينِ شيءٌ مِن ذلكَ، فلمَّا انتهيتُ إليه قال: اقعد، ثمَّ قال لي: يا أحمدُ أجبْني إلى ما أدعوكَ إليه، فإنَّه بلغَني أنَّكَ تُحبُّ الرِّئاسةَ، وواللهِ إنْ أجبْتني إلى ما أدعوكَ لآتينَّك في حَشَمي ومَواليَّ ولأطأنَّ بساطَكَ، ولأُنوِّهَنَّ بك يا أحمدُ، اللهَ اللهَ في نفسِك!

قلتُ: يا أميرَ المؤمنينَ هذا القرآنُ وأحاديثُ رسولِ اللهِ ﷺ وأخبارُه، فمهما وضَحَ عليَّ مِن حُجَّةٍ صِرتُ إليها.

فقال: ناظِروه، كلِّموه...

قال: فجعلوا يُناظروني، ويَتكلَّمُ هذا فأردُّ عليه، ويَتكلَّم هذا فأردُّ عليه، وصارَ صَوتي يَعلوا أصواتَهم.

قال أبو عبدِ اللهِ: واحتجُّوا عليَّ فقال: تجيءُ سورةُ البقرةِ يومَ القيامة!

فقلتُ لهم: إنَّما هو الثَّوابُ، قال اللهُ عز وجل: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]، وإنَّما تأتي قدرتُه، أي: آثارُ قُدرتِه(٢)، فلمّا طالَ المَجلِسُ نَحّاني ثمَّ خلا بهم.

وكان المُعتَصِمُ لا يَعلمُ ويَظنُّ أنَّ القَولَ قولُهم، ثمَّ نَحّاهم ورَدَّني إليه، وقال: ويحَكَ يا أحمدُ أجبْني حتّى أُطلقَ عنكَ بيدي، إنِّي واللهِ لأُشفقُ عليكَ كشَفقَتي على

---

(١) في النُّسخ: «غاضة» وهو تحريفٌ، والمثبتُ موافقٌ لما في المصادر والمراجع.

(٢) في (ك) هنا زيادةُ «إنما القرآن»!

هارونَ ابني، فرَدَدت عليه نحوًا ممّا كنتُ أردُّ قبلَ ذلكَ، فغَضِبَ ولَعَن، وقال: لقد طَمِعتُ فيكَ أن تُجيبَني! خُذوه واسحبوه واخلعوه.

قال أبو عبدِ اللهِ: وكان معيَ شعرٌ مِن شَعرِ النبيِّ ﷺ، أعطانيه أبو الفضلِ بنُ الرَّبيعِ[1] صَرَرتُه في ثوبي، فأرادَ بعضُهم خرقَ القَميصِ فقال المُعتَصمُ: لا تَخرِقوه.

فعلمْتُ أنَّ ذلكَ ببركةِ شعرهِ ﷺ، فنُزِعَ عني، ثمَّ إنَّ المُعتَصمَ جَلسَ على كُرسيٍّ.

قال أبو عبدِ الله: وجَعلتُ بينَ العُقَابَينِ[2] ثمَّ مُدَّتْ يداي، فقال بعضُ مَن حَضر: افعلْ كذا وكذا، فلم أفهمْ ما قال فتَخلَّعتْ يداي، فقلتُ: يا أميرَ المؤمنينَ إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «لا يَحلُّ دمُ امرئٍ مُسلمٍ يَشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ، وأنِّي رسولُ اللهِ إلا بإحدى ثلاثٍ» الحديث[3]، وقال رسولُ اللهِ ﷺ: «أُمرتُ أنْ أُقاتلَ الناسَ حتّى يقولوا لا إله إلا اللهَ، فإذا قالوها عَصموا مني دماءَهم وأموالَهم»[4]، فبِمَ تَستحِلُّ دَمي؟! ولم آتِ شيئًا مِن هذا يا أميرَ المؤمنينَ؟ اذكرْ وقوفَك بينَ يدي اللهِ عزَّ وجل كوُقوفي بينَ يديكَ، يا أميرَ المؤمنينَ راقِب اللهَ تعالى.

فلمّا رأى المُعتَصمُ ثبوتَ أبي عبدِ اللهِ وتَصمِيمَه لان لأبي عبدِ اللهِ، فخَشيَ ابنُ أبي دُؤادٍ مِن رأفَتِه عليه، فقال: يا أميرَ المؤمنينَ: إنْ تَركتَه قيلَ إنك تَركْتَ مذهبَ المأمونِ وسَخِطت قولَه وإنه غَلبَ خليفتَينِ!

---

(١) كذا في النُّسخ، والذي في المصادر: «أعطانيه بعضُ ولدِ الفضلِ بنِ الرَّبيع».

(٢) العُقابان: خشبتانِ يُشبح الرَّجلُ بينَهما للجَلْد، انظر «المنجد في اللغة» (ص٨٤).

(٣) رواه البخاري: (٩/ ٥)، ومسلم: (٣/ ١٣٠٢).

(٤) رواه البخاري: (١/ ١٤)، ومسلم: (١/ ٥١).

فهاجَه ذلكَ وطَلَبَ كُرسيًّا جَلسَ عليه، وقامَ ابنُ أبي دُؤادٍ وأصحابُه على رأسِهِ، ثمَّ قال المُعتَصمُ للجَلّادِين: أَروني أسياطَكُم، فنَظَر إليها ثمَّ قال: ائتوني بغيرِها، فأَتوه بغيرِها ثمَّ قال: تقدَّموا، قال أبو عبدِ اللهِ: فجَعلَ الجَلادُ منهم يَضرِبُني سَوطَينِ فيقولُ المُعتَصمُ: شُدَّ قطعَ اللهُ يدَكَ، ثمَّ يَتنحّى فيَتقَدَّمُ غيرُه فيَضرِبُني سَوطَين، وهو في كلِّ ذلكَ يقولُ: شُدُّوا قَطعَ اللهُ أيديَكم، فلمّا ضُرِبتُ تسعةَ عشرَ سَوطًا قامَ المُعتَصمُ فقال: على مَ تَقتلُ نفسَك؟! واللهِ إنِّي عليكَ شَفيقٌ.

قال أحمدُ: فنَخَسني بعضُهم بقائم سيفه وقال: تُريدُ أنْ تَغلِبَ هؤلاءِ كلَّهم؟! وقال آخرُ: ويلَكَ الخليفةُ قائمٌ على رأسِكَ، وقال آخرُ: يا أميرَ المؤمنينَ دَمُه في عُنقي اقتلْه، وقال آخر: يا أميرَ المؤمنينَ أنتَ صائمٌ وفي الشَّمسِ قائمٌ! فقال لي: ويحكَ يا أحمدُ: ما تقول؟ فقلتُ: ائتوني بكتابِ اللهِ وسُنَّةِ رسولِ اللهِ ﷺ أقُلْ بما فيها.

قال: ثمَّ رَجعَ فجَلس، ثمَّ قال للجَلادِ تقدَّمْ أوجِعْ قَطعَ اللهُ يدَك، ثمَّ قامَ إليَّ الثانيةَ فأعادَ عليَّ كلامَه، وأعدتُ عليه كلامي، فرَجعَ وجَلسَ وقال للجَلادِين: تقدَّموا، وجَعل يقولُ لكلِّ واحدٍ منهم: شُدَّ قَطعَ اللهُ يدَك.

قال أحمدُ: فذهبَ عَقلي، ثمَّ أفَقتُ فإذا الأقيادُ قد أُطلقتْ عني، قال لي رجلٌ ممَّن حَضر: إنَّا كَببْناكَ على وَجهِك، وطَرحْنا على ظهرِكَ بارِيَّة[1] ودُسْناك، فقال: إنِّي لم أشْعُرْ بذلكَ، وأَتوني بسَويقٍ فقالوا: اشربْ وتقيَّأ، فقلتُ: لستُ أُفطِرُ - يعني: مِن الصِّيام - ثمَّ جيءَ بي إلى دارِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ فحَضَرتْ صلاةُ الظُّهرِ فتَقدَّمَ ابنُ سماعةَ فصلَّى، فلمَّا انفتلَ مِن الصَّلاة قال لي: صَلَّيتَ

---

(١) البارِيَّة: الحَصير المنسوج، انظر «القاموس المحيط» (١/ ٣٥٤).

والـدَّمُ يَسـيلُ في ثَوبِـك؟! قلتُ: قد صلّى عمـرُ بنُ الخطـابِ وجُرحُه يَثْعَـب دمًا[١].

وذَكر ابنُ الجَوزيِّ[٢] بسندِه إلى المَرُّوْذيِّ قال: «قال لي أبو عبدِ اللهِ: اخرجْ انظر ماذا ترى[٣]؟ بعدَ أنْ قلتُ له: يا أستاذُ قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ [النِّساء: ٢٩]، قال: فخرَجتُ إلى رَحبة دارِ الخليفةِ فرأيتُ خَلقًا لا يُحصي عددُهم إلا اللهُ، والصُّحفُ والأقلامُ في أيديهم، والمَحابرُ في أَذْرعتِهم، فقال لهم المَرُّوْذيُّ: أيَّ شيءٍ تعملون؟ قالوا: ننتظرُ ما يقولُ أحمدُ فنكتُبه، فدَخل المَرُّوْذيُّ إلى أبي عبدِ الله فقال: رأيتُ قومًا بأيديهم الصُّحفُ والأقلامُ يَنتظرون ما تقولُ فيكتُبونَه، فقال: يا مَرْوُّذيُّ أُضِلُّ هؤلاءِ كلَّهم؟! أقتلُ نفسي ولا أُضِلُّ هؤلاءِ كلَّهم! [٤]

وكَتبوا له: إنْ رجعتَ عن مَقالتِكَ ارتدَدْنا عن الإسلام.

وقال مَيمونُ بنُ الأصبَغِ: «كنتُ ببغدادَ فسَمعْتُ ضَجَّةً فقلتُ: ما هذا؟ فقالوا: أحمدُ بنُ حنبلٍ يُمتَحنُ، فأتيتُ منزلي فأخذتُ مالًا له خَطرٌ، فذهبتُ به إلى مَن

---

(١) يَثْعَب: يجري ويسيل، انظر «القاموس المحيط» (١/ ٦٣)، وخبرُ عمرَ بنِ الخطاب هذا كان ليلةَ طُعِن رواه مالكٌ في «الموطأ» (٧٩).

(٢) «مناقب الإمام أحمد» (ص٤٤٥).

(٣) في النُّسخ: «لماذا ترى»، والمثبتُ موافقٌ للمصادر والمراجع.

(٤) قال ابنُ الجوزيِّ في «المناقب» (ص٤٤٦) بعدَ هذه الحكاية: «قلت: هذا رجلٌ هانَتْ عليه نفسُه في الله تعالى فبَذلها كما هانتْ على بلالٍ نفسُه، وقد روينا عن سعيد بن المسيب: أنه كانت نفسُه عليه في الله تعالى أهونَ مِن نفس ذُبابٍ، وإنما تَهون أنفسُهم عليهم لتُلمحهم العواقب، فعيونُ البصائر ناظرةٌ إلى المآل لا إلى الحال، وشدةُ ابتلاءِ أحمدَ دليلٌ على قُوة دينِه؛ لأنه صَحَّ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: يُبتلى الرجلُ على حَسَب دِينه، فسُبحان مَن أَيَّده وبَصَّره، وقَوّاه ونَصَره»، وذَكر الذهبيُّ في «السير» (١١/ ٢٥٤): أنَّ في سند القصة انقطاعٌ، والله أعلم.

يُدخِلني إلى المجلسِ فأَدخلوني، فإذا بالسُّيوفِ قد جُرِّدَتْ، وبالرِّماحِ قد رُكزَتْ، وبالتِراسِ قد نُصِبتْ، والسِّياطِ قد طُرحَتْ، فوَقفتُ حيثُ أسمعُ الكلامَ، فأتى أميرُ المؤمنينَ فجَلسَ على كُرسيٍّ، وأُتي بأحمدَ بنِ حنبلٍ فقال له: وقرابتي مِن رَسولِ اللهِ ﷺ لأَضربنَّكَ بالسِّياطِ أو تقولُ كما أقولُ، ثمَّ قال للجَلادِ: خُذْه إليكَ فأخذَه، فلمّا ضُرِبَ سَوطًا قال: بسم اللهِ، فلمّا ضُرِبَ الثَّاني قال: لا حولَ ولا قُوَّةَ إلا باللهِ، فلمّا ضُرِبَ الثَّالثَ قال: القُرآنُ كلامُ اللهِ غيرُ مَخلوقٍ، فلمّا ضُرِبَ الرَّابعَ قال: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [التَّوبة: ٥١]، فضَربَه تسعةً وعشرينَ سَوطًا، وكانت تِكَّةُ سَراويلِه حاشيةَ ثوبٍ فانقطَعتْ، فنزلَ السَّراويلُ إلى عانَتِه فقلتُ: السَّاعةَ يَنهتِكُ، فرَمى أبو عبدِ اللهِ طرفَه نحوَ السَّماءِ، وحَرَّكَ شفتَه فما كان بأسرعَ مِن أنْ بقيَ السِّراويلُ لم يَنزلْ».

وذَكرَ البَيهقيُّ: «أنه في أوَّلِ سَوط قال: بسم الله، وفي الثّاني قال: توكلتُ على اللهِ وهذا في رِضا اللهِ، وفي الثالثِ قال: ما شاء اللهُ كان وكلُّ شيءٍ عندَه بمقدارٍ، وفي الرّابعِ قال: لا حَولَ ولا قوَّةَ إلَّا باللهِ، وفي الخامسِ قال: يا أميرَ المؤمنينَ إنك موقوفٌ ومُسائلٌ عنِّي بينَ يدي ربٍّ لا يَظلِمُ ويأخذُ للمَظلومِ مِن الظَّالِمِ، وفي السّادسِ قال: يا أميرَ المؤمنينَ سألتُكَ باللهِ والدَّارِ الآخرةِ، قال: وهو لا يَرفعُ رأسَه إليه، وفي السّابعِ قال: يا أميرَ المؤمنينَ اذكُرْ الوقوفَ بينَ يدي اللهِ كوقوفي بينَ يديكَ لا تَستطيعُ منعًا ولا عن نفسِكَ دفعًا، فلمّا ضَربَه الثّامنَ اضطربَ المِئزَرُ في وسَطِه.

قال المَرْوَزيُّ وابنُ مِسْكَويْه الهَمَداني: لقد رأينا أحمدَ رَفعَ رأسَه إلى السَّماءِ وحَرَّكَ شَفتَه، فما استَتمَّ الدُّعاءَ حتّى رأينا كفًّا مِن ذَهبٍ قد خَرجَ مِن مِيزَرِه، فرَدَّ

المِيزرَ إلى مَوضعِه بقدرَةِ اللهِ تعالى، فضَجَّت العامَّةُ وهَمُّوا بالهُجومِ على دارِ السُّلطانِ، فأَمر بحلِّه[1].

قال المَرْوَزِيُّ وابنُ مِسكُوَيْه: فدَخلْنا على أبي عبدِ اللهِ فقُلنا: أيُّ شيءٍ كان تَحريكُ شَفتَيكَ عندَ اضطرابِ المِئزَرِ؟ قال: رَفعتُ رأسي إلى السَّماءِ وناديتُ: يا غياثَ المُستَغيثينَ، ويا إلهَ العالَمين، إنْ كنتَ تَعلمُ أنِّي قائمٌ بحقٍّ فلا تَهتِكَ عَورتي، فاستجابَ اللهُ دُعائي.

وقال إسحاقُ بنُ إبراهيمَ: أنا واللهِ رأيتُ يومَ ضُربَ أحمدُ وقد ارتفعَ السَّراويلُ مِن بعدِ انخفاضِهِ، وانعقدَ مِن بعدِ انحِلالِه، وما رأيتُ يومًا كان أعظمَ على المُعتَصمِ مِن ذلكَ اليومِ، واللهِ لو لم يُرفعْ عنه الضَّربُ لم يَبرحْ مِن مكانِهِ إلّا ميِّتًا»، انتهى كلامُ البيهقيِّ[2].

وكان بِشرُ بنُ الحارثِ ساعةَ ضَربِه يقولُ: «اللهمَّ ثبِّتْه، اللهمَّ أعِنْه»، لم يزلْ كذلكَ كالحيرانِ وهو يقولُ: «إنْ أجابَ لأدخُلَنَّ فأقومُ مَقامَه»، فلمّا لم يُجِبْ قال: «الحمدُ للهِ».

وكان أبو عُبيدٍ القاسمُ بنُ سلّامٍ يقول: «يُضرَبُ[3] سيدُنا لا صَبرَ، يُضرَبُ سيدُنا لا صبرَ!».

وقال أبو شُعيبٍ:

---

(١) وهَّن الحافظُ الذهبيُّ هذه الرِّوايةَ في «السير» (١١/ ٢٥٦).

(٢) ساق كلامَ البيهقيِّ بتمامه ابنُ السعديِّ الحنبلي في «الجوهر المحصَّل في مناقب الإمام أحمدَ بنِ حنبل» (ص٦٣).

(٣) في المصادر والمراجع: «أيضرب» في المكانَين.

ضَربـوا ابـنَ حنبلَ بالسِّـياطِ بظُلمِهم بغيًـا فثُبِّـتَ بالثَّبـاتِ الأنـوَرِ
قـال المُوفَّـقُ حيـنَ مُـدِّدَ بينَهـم مَـدَّ الأديـمِ علـى الصَّعيـدِ القَرقَـرِ:
إنِّـي أمـوتُ ولا أبـوءُ بفجـرةٍ تُصلِـي بَوائقُهـا محَـلَّ المُفتَـري

وفي رواياتِ ضَربِه أخبارٌ كثيرةٌ، وقد ذَكرنا منها ما صحَّ، كما اعتَمده الأئمةُ وارتضاه الحفاظ.

وفي بعضِ التَّواريخِ: أنَّ الخليفةَ المُعتَصمَ أخذَه عَقيبَ ذلكَ صُفارٌ[1]، وكان يَنتبه مِن الليل مَذعورًا، وربَّما سُمِعَ وهو يقولُ: «مالي ولأحمدَ؟!»، كأنَّه يُعذَبُ إلى أنْ مات، وكانت مدَّةُ ولايتِه: ثماني سنينَ وشَهرينِ وأيامًا.

وقال ابنُ أبي حَاتمٍ: «سَمعتُ أبا زُرعةَ يقولُ: دعا المُعتَصمُ بإسحاقَ عمِّ أحمدَ بنِ حنبلٍ، ثمَّ قال للنَّاسِ: تَعرِفونَه؟ قالوا: نعم، قال: فانظروا إليه أليسَ هو صحيحُ البدنِ؟ ولولا أنه فعلَ ذلكَ لوقعَ شَرٌّ لا يَقدِرُ على دَفعه، فلمّا قال: قد سَلَّمتُه إليكم صحيحَ البدنِ هَدأ الناسُ وسَكَتوا»[2].

وقال ميمونُ بنُ الأصبَغِ: «أُخرِجَ أحمدُ بعدَ أنْ اجتمع الناسُ وضَجُّوا حتّى خافَ السُّلطانُ فخَرج.

وقـال بعضُهـم لمَّـا ضُـرِبَ: «يا أميـرَ المؤمنينَ اضـربْ عُنقَـه ودَمُه فـي رَقبتي، فقـال ابـنُ أبـي دُؤادٍ: لا تفعـلْ فإنـه إنْ مـاتَ فـي دارِك قـال النـاسُ: صَبرَ حتّـى قُتلَ

---

(١) الصُّفار: داءٌ بالبطن، انظر «القاموس المحيط» (ص٤٢٥).

(٢) قال الذهبي في «السير» (١١/ ٢٦٠) بعدَ كلامِ المُعتصم: «قلت: ما قال هذا مع تمكُّنِه في الخلافة وشجاعتِه إلا عن أمرٍ كبير، كأنه خاف أنْ يموتَ مِن الضرب؛ فتَخرج عليه العامةُ، ولو خَرج عليه عامةُ بغداد لربما عجز عنهم».

واتخـذوه إمامًـا، وثَبتـوا علـى ما هـم عليه، ولكـنْ أطلِقْـه السَّـاعةَ فإنْ مـاتَ خارجًا عنكَ شَـكَّ النـاسُ في أمرِه، فلمّـا رأوه الناسُ صحيحًـا هَدأ ضَجيجُهم، بعـدَ أنْ كان خافَ مِـن شِـدَّةِ ضَجيجِهم».

وفي روايةٍ: «كان ابنُ أبي دُؤادٍ يُحاول[1] الخليفةَ على حبسِ أبي عبدِ اللهِ وعَدمِ إطلاقِه، ويقولُ: يا أميرَ المؤمنينَ احبسْه فإنه فتنةٌ، فغَضِبَ المُعتَصمُ وقال لنائبِه: يا إسحاقُ أطلِقْه، قال أبو عبدِ اللهِ: فلم يجدْ بُدًّا مِن أنْ يُخلِّيَ عني، ولولا ذلكَ لكان قد حبسني».

وقال البَيهقيُّ: «قال حنبلٌ: وخَلعَ عليه المُعتَصمُ مُبطَّنةً وقَميصًا وطَيلسانًا وخُفًّا وقَلَنسوةً، وأُخرِجَ على دابَّةٍ عندَ غُروبِ الشَّمسِ، فصارَ إلى منزِله ومعَه الناسُ، فدخلَ مَنزلَه ورَمى بنفسِه على وجهِه، وخَلعَ ما كان خُلعَ عليه، فأمرَ به فبِيعَ وأخذَ ثَمنَه فتصدَّقَ به.

وبلغنا: أنَّ أبا إسحاقَ ـ يعني: المُعتَصمَ ـ نَدِمَ وأُسقِطَ في يَده، وأَمر إسحاقَ نائبَه ألا يَقطعَ عنه خبرَه، قال: فكان إسحاقُ يأتينا كلَّ يومٍ يتعرَّفُ خَبرَه حتّى صَحَّ وبَرِأ بعدَ العِلاجِ، وخَرجَ للصَّلاةِ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمين».

وكانت مدَّةُ إقامةِ الإمامِ أحمدَ في الحبسِ والضَّربِ: ثمانيةً وعشرينَ شهرًا.

وفي رِوايةٍ: مكثَ في السِّجنِ ثلاثَ سنينَ، وكان ضَربُه في العشرِ الأواخرِ مِن رمضانَ، فقامَ مقامَ الصدِّيقين، وأُخرِجَ في رمضانَ.

قال أبو عمروٍ المَخزوميُّ: «كنتُ أطوفُ بالبيتِ بمكةَ مع سعيدِ بنِ منصورٍ، فإذا صوتٌ مِن ورائي: ضُرِبَ أحمدُ بنُ حنبلٍ اليومَ، فجاء الخبرُ أنه ضُرِبَ».

---

(١) في (ك): «يجادل».

وفي رِوايةٍ: «فقال لي سعيدُ بنُ منصورٍ: أَتَسمعُ ما أسمَعُ؟ فقلتُ: نعم، قال: فاعرِفْ اليومَ، قال: فجاءَ الخبرُ أنه ضُربَ ذلكَ اليومَ».

ـ وأما صَبرُه:

فقال بعضُ مَن كان معَ أحمدَ: «ما رأيتُ مثلَ أحمدَ، عَطِشَ يومًا فقال لصاحبِ الشَّرابِ: ناوِلْني، فناوَله قَدحًا فيه ماءٌ وثلجٌ، فأخذَه ونَظرَ إليهِ ثمَّ ردَّه ولم يَشربْ، وعَجبتُ مِن صَبرِه على الجُوعِ والعَطشِ معَ ما هو فيه مِن الهَولِ».

قال صالحُ: «وقد كنتُ أحتالُ[1] أنْ أُوصِلَ إليه طعامًا فلم أقدرْ».

قال بعضُهم: «ولم أرَ أشجَعَ منه ولا أشَدَّ قلبًا؛ فإنه مدَّةَ مُناظرتِه لم يَلحنْ في كلمةٍ».

وفي رِوايةٍ نحوُ ما تقدَّمَ وذَكر فيها: صَبرَه وقال فيها: «ما نحنُ إلا أمثالَ الذُّباب».

وقال بعضُ الجلادِينَ: «لقد بَطلَ أحمدُ الشُّطّارَ، لقد ضَربتُه ضَربًا لو أوقعتُه ببَعيرٍ لنَقَبتُ عن جَوفِه».

وقال آخرُ: «لقد ضَربتُه ثمانينَ سَوطًا لو وَقعتْ بفيلٍ لهَدَّتْه».

وفي رِوايةٍ: «قال والسِّياطُ تنزلُ عليه: بكَ أستغيثُ يا جبار السَّمواتِ والأرضِ».

ورُوي: أنَّ رجلًا رأى أحمدَ بعدَما ضُرِبَ فقال: رأيتُ مَن ضُرِبَ ألفَ سَوطٍ فما رأيتُ مِثلَ هذا، ثمَّ أَخذَ المِيلَ فأَدخله في بعضِ تلكَ الجِراحاتِ، وكان هذا الرَّجلُ يُعالِجُه، ثمَّ إنَّ أثرَ الضَّربِ بَقيَ بيِّنًا بظَهرِه إلى أنْ ماتَ رحمه اللهُ.

وقال: «وَدِدتُ أنِّي أنجو مِن هذا الأمرِ لا عليَّ ولا لي».

---

(١) في (ش): «أحب إلي»، هو تحريفٌ.

ورُويَ أنَّ أحمدَ كان كثيرًا ما يقول: «رَحِمَ اللهُ أبا الهيثمِ»، وأكثر مِن ذلكَ فسُئل عنه فقال: «رَجلٌ كان يَتحدَّثُ وقد قُدِّمتُ للضَّربِ فقال لي: أنا أبو الهيثمِ العيّارُ اللِّصُّ الطَّرارُ، مكتوبٌ في ديوانِ أميرِ المؤمنينَ أنِّي ضُربتُ ثمانيةَ عشرَ ألفَ سَوطٍ، وإنَّما ضُربتُ على طاعةِ الشَّيطانِ لأجلِ الدُّنيا، فاصبرْ أنتَ في طاعةِ الرَّحمنِ لأجلِ الدِّينِ».

ولمّا انقضى ضَربُه قيلَ له: ادعُ على مَن ظَلمكَ! فقال: «ليسَ بصابرٍ مَن دَعا».

ورُويَ أنَّ الواثِقَ أَرسلَ إليه يقولُ له: اجعلْ المُعتَصمَ في حِلٍّ! فقال: «ما خَرجتُ مِن دارِه حتّى جَعلتُه في حِلٍّ».

ورُويَ بطُرقٍ عَديدةٍ: أنه جَعلَ الجميعَ في حِلٍّ.

وتَلقّى المشايخُ أحمدَ بنَ حنبلٍ بعدَ المِحنةِ[1] وجاؤوا إليه للسَّلام.

قال مُهنَّأ: «رأيتُ يعقوبَ بنَ إبراهيمَ بنِ سَعدٍ يُقبِّل جبهةَ أحمدَ بنِ حنبلٍ حينَ خَرج مِن الحبسِ، ورأيتُه ودَخلَ عليه الحسنُ بنُ عبدِ العزيزِ والحارثُ بنُ مِسكينٍ فقال لهما: ضُربتُ فسَقطتُ، وابنُ أبي دُؤادٍ يقولُ: يا أميرَ المؤمنينَ هو واللهِ ضالٌّ مُضِلٌّ، فقال له الحارثُ: إنه يُروى أنَّ مالكَ بنَ أنسٍ قال: إنَّ الزُّهريَّ سُعي به حتّى ضُرِبَ بالسِّياطِ، فقيلَ لمالكٍ: نعم، وعُلِّقتْ كتفُه في عُنقِه، فقال مالكٌ: وقد ضُرِبَ سعيدُ بنُ المُسيَّبِ وحُلِقَ رأسُه ولحيتُه، وضُرِبَ أبو الزِّنادِ بالسِّياطِ، وضُرِبَ محمدُ بنُ المُنكَدرِ وأصحابُه، وقال عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ: لا تَغبطوا أحدًا لم يُصِبْه في هذا الأمرِ أذًى، قال: وما ذَكر مالكٌ نفسَه فأُعجِبَ أحمدُ بقولِ الحارثِ».

---

(١) في (ك): «السنة»، وهو تحريف.

وعـادَه يحيـى بـنُ معيـنٍ فلـم يُكلِّمْـه وولّاه ظهـرَهُ فقـامَ عنـه وقـال: «بعـدَ الصُّحبـةِ الطَّويلـة!».

ورُوي أنه اعتذرَ وقال: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النَّحل: ١٠٦] فلم يُجبْه أحمدُ.

ثـمَّ إنـه قـال: ما قـال أحمـدُ بعـدَ خُروجـي؟ فقيـل لـه: إنه قـال: يحتـجُّ يحيى بحديـثِ عمّـارٍ، وحديـثُ عمّـارٍ: «مَررْتُ بهـم وهم يسـبُّونَك فنَهيتُهـم فضَربوني»، وأنتـم قيـلَ لكـم: نُريـدُ أنْ نَضربَكم، فقـال: «غَفر اللهُ لأحمـدَ، واللهِ ما تحتَ السَّـماءِ أفقـهَ في ديـنِ الله منـه»، واللهُ سـبحانهُ أعلم.

[قول الإمامِ أحمدَ في مسألةِ خَلْق القرآن]

فائدةٌ: جاءَ عن الإمام أحمدَ في القرآنِ رواياتٌ فقال في بعضِها: «مَن لم يَقلْ القُرآنُ كلامُ اللهِ غيرُ مَخلوقٍ فهو كافرٌ، لا تَشكَّنَّ في كفرِه، فمَن لم يَقلْ ذلكَ فهو يقولُ مَخلوقٌ».

وقال: «مَن قال: لَفظي بالقُرآنِ مَخلوقٌ فهو جَهميٌّ».

وقيل له: إنَّ الكَرابيسيَّ يقولُ: لفظي بالقُرآنِ مَخلوقٌ! فقال: «كَذبَ الخَبيثُ هَتكه اللهُ، قد خَلفَ هذا بِشرًا المَريسيَّ».

وسُئلَ عمَّن يقول: لفظي بالقُرآنِ مَخلوقٌ؟ فقال: جَهميٌّ.

وفي أُخرى: «فقال: ك ف ر» مُقطَّعة.

وهـذا لو سُـلِّمَ فكلُّـه مَحمـولٌ على التَّشـديدِ سـدًّا للذريعـةِ وحسـمًا للمادَّة، وإلَّا فقـد قـال الحافـظُ ابـنُ رجـبٍ: «الصَّحيحُ الصَّريـحُ عن أحمـدَ: أنـه كان يُبدِّعُ مَـن يقول بـأنَّ اللفـظَ بالقـرآنِ غيرُ مَخلـوقٍ»[1].

---

(١) انظر «ذيل طبقات الحنابلة» (٢/ ٢٢٨).

وقال صالحُ بنُ أحمدَ: «قيل لي: إنَّ أبا طالبٍ يَحكي عن أبيكَ أنه يقولُ: لفظي بالقُرآنِ غيرُ مَخلوقٍ، فأخبرتُ أبي بذلك فقال: مَن أخبركَ؟ فقلتُ: فلان، فقال: ابعثْ إلى أبي طالبٍ يَحضُر، وجاء فورانُ[1] فقال له: أنا قلتُ لفظي بالقُرآنِ غيرُ مَخلوقٍ؟! وغَضِبَ وجَعلَ يُرعِد، فقال: قرأتُ عليكَ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] فقلتَ: ليسَ هذا بمَخلوقٍ، فقال له: فلمَ حَكيتَ عني أنِّي قلتُ لكَ: لفظي بالقُرآنِ غيرُ مَخلوقٍ؟! وبلغني أنَّك وَضعتَ ذلكَ في كتابٍ وبعثتَ به إلى قومٍ، فإنْ كان كذلكَ فامحُه أشدَّ المَحو، واكتبْ إلى القومِ الذينَ كَتبتَ إليهم: أنِّي لم أقلْه لك، فجَعل فورانُ يَعتذر إليه، وانصرفَ مِن عنده وهو مَرعوبٌ، فذَكرَ أبو طالبٍ: أنَّه حكَّه مِن كتابِه، وكَتبَ إلى القومِ يُخبرهم: أنه وَهِمَ على أبي في الحكايةِ»، واللهُ أعلمُ.

***

فصلٌ في مِحنَة الواثِق بنِ المُعتَصم

رَوى الأئمةُ: أنَّه لمّا ماتَ المُعتَصمُ ووَلي ابنُه هارونُ الواثقُ، أكثرَ الناسُ مِن الأخذِ عن الإمامِ أحمدَ، وانبسطَ في التَّحديثِ بعدَ موتِه بالكوفةِ، فشَقَّ ذلكَ على أهلِ البِدَعِ، فكتَبَ الحسنُ بنُ عليِّ بنِ الجَعدِ قاضي بغدادَ إلى ابنِ أبي دُؤادٍ أنَّ أحمدَ قد انبَسطَ في الحديثِ، فلمّا بَلغَ أبا عبدِ اللهِ أحمدَ بنَ حنبلٍ أَمسكَ عن التَّحديثِ مِن نفسهِ مِن غيرِ أنْ يُمنعَ، واستَمرَّ ابنُ أبي دُؤادٍ يُحسِّنُ للواثِقِ امتحانَ الناسِ بخَلقِ القُرآنِ، ففعلَ ذلك، وامتحنَ الناسَ وحَملهم على القَولِ بخَلقِ القُرآنِ، لكنَّه لم يَتعرضْ للإمامِ أحمدَ.

---

(١) هو عبد الله بن محمد بن المهاجر، ويُعرف بـ: (فوران)، مِن أصحاب الإمام أحمد، انظر «تاريخ الإسلام» (٦/ ١٠٩).

قـال الحافظُ ابـنُ الجَوزيِّ[١]: «إمّا لِمـا عَلِمَ مِن صَبره، أو لأنه خافَ على نفسِـه أنْ يَعـرِضَ لـه شـيءٌ ببركتِـه، يعنـي: كما عَـرضَ لأبيـه، إلّا أنَّه أرسـلَ إلى أحمـدَ بنِ حنبـلٍ يقـولُ لـه: لا تَجمعَـنَّ إليكَ أحـدًا، ولا تُسـاكنِّي فـي بلدٍ أنـا فيه، فأقـامَ أحمدُ مُختَفِيًـا حتّى مـاتَ الواثقُ».

وكانت مدَّةُ وِلايةِ الواثق: خمسَ سنينَ وشهرَين.

ورَوى الأئمةُ: أنَّ الواثقَ امتَحنَ قومًا مِن الأئمةِ، فمنهم: مَن أجابَ خوفًا وتقيَّةً، ومنهم: مَن امتَنعَ كأحمدَ بنِ نَصرٍ الخُزاعيِّ، ونُعيمِ بنِ حمّادٍ، وأبي نُعيمٍ[٢] الفَضل بن دُكين، والبُوَيطيِّ صاحبِ الشافعيِّ.

ـ فأمّا أحمدُ بنُ نَصرٍ:

فـكان مِـن أهلِ الدِّيـنِ والصَّـلاحِ، والأمّارينَ بالمَعـروفِ، سَـمِعَ الحديثَ مِن مالـكِ بنِ أنـسٍ وغيـرِه، ورَوى عنه يحيـى بنُ مَعيـنٍ وغيرُه.

دعاهُ الواثقُ إلى القولِ بخَلقِ القُرآنِ فأبى، فأَمر بضَربِ عُنقِه فضُرِبَ، وحُمِلَ رأسُه إلى بغدادَ فنُصِبَ في الجانبِ الشَّرقيّ أيّامًا، وفي الجانبِ الغربيِّ أيّامًا.

قال إبراهيمُ بنُ إسماعيلَ: «كان أحمدُ بنُ نَصرٍ خِلِّي، فلمّا قُتِل في المِحنَة وصُلِبَ رأسُه أُخبِرتُ أنَّ الرّأسَ يَقرأُ القُرآن، فمَضَيتُ فبِتُّ بقُربٍ مِن الرأسِ، وكان ثَمَّ[٣] مَن يَحفظه، فلمّا هَدأت العيونُ سَمعتُ الرّأسَ يَقرأُ القُرآنَ: ﴿الٓمٓ ١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ١ ـ ٢]، فاقشَعرَّ جِلدي، ثمَّ رأيتُه

---

(١) «مناقب الإمام أحمد» (ص٤٧٢).

(٢) في النُّسخ: «أبو نعيم»، والمثبتُ موافقٌ للسِّياق اللُّغوي.

(٣) «ثَمَّ» مِن هامش (ش).

بعدَ ذلكَ في المنامِ وعليه السُّندسُ والاستبرقُ، وعلى رأسِه تاجٌ، فقلتُ: ما فَعل اللهُ بكَ؟ قال: غَفر لي وأَدخلني الجنَّةَ»(١).

وقال في حقِّه الإمامُ أحمدُ رحمه اللهُ: «ما كان أسخاهُ، لقد جادَ بنفسِه!».

ـ وأمّا نُعيمُ بنُ حَمّادٍ:

فكان مِن أهلِ مَروٍ، طَلبَ الكثيرَ مِن الحديثِ بالحجازِ والعِراق، ثمَّ نَزلَ مصرَ، ثمَّ أُشخِصَ(٢) منها في خِلافة الواثِقِ فسُئلَ عن القُرآن، فلم يُوافقْهم على ما أَرادوه منه مِن القَولِ بخَلقِ القُرآنِ، فحُبسَ حتَّى ماتَ.

ـ وأمّا أبو نُعيمٍ الفَضلُ بنُ دُكين:

فَروى الحافظُ أبو الفرجِ(٣) بسندِه إلى محمدِ بنِ أحمدَ بنِ عمرِو بنِ عيسى قال: «سمعتُ أبي يقولُ: ما رأيتُ مَجلِسًا أنبلَ مِن مجلسٍ اجتمَعَ فيه المشايخُ بجامعِ الكوفةِ في وقتِ الامتحانِ، فقُرِئ عليهم الكتابُ الذي فيه المِحنَة، فقال أبو نُعيمٍ: أدركتُ ثماني مئةَ شيخٍ ونيِّفًا وسبعينَ شيخًا منهم: الأعمشُ فمَن دُونَه، ما رأيتُ أحدًا يقولُ بهذه المقالةِ يعني: بخَلقِ القُرآنِ، ولا تَكلَّم أحدٌ بها إلا رُميَ بالزَّندقةِ، فقام أحمدُ بنُ يونسَ فقبَّل رأسَ أبي نُعيمٍ وقال له: جزاكَ اللهُ خيرًا عن الإسلامِ».

وقال أبو بكرِ بنُ أبي شيبةَ: «لمّا جاءتِ المِحنَةُ إلى الكوفة قال لي أحمدُ بنُ يونسَ: الْقَ أبا نُعيمٍ فقلْ له، فلقيتُه فقلتُ له، فقال: إنَّما هو ضَربُ الأسياطِ، ثمَّ أخذَ زِرَّ ثوبِه [فقَطعه](٤) وقال: رأسي أهونُ عليَّ مِن هذا».

---

(١) وانظر تتمَّةَ القصَّة في «المناقب» لابن الجوزيِّ: (ص٥٣٧).

(٢) شَخَص مِن بلدٍ إلى بلدٍ أي: ذهب، وأَشخصه غيرُه، انظر «مختار الصحاح» (ص١٦٢).

(٣) «مناقب الإمام أحمد» (ص٥٣٢).

(٤) ما بينَ معكوفَتينِ ليس في النُّسخ، وهو موجودٌ في «المناقب» لابن الجوزيِّ وغيرِه.

ـ وأمّا البُويطيُّ صاحبُ الشافعيِّ:

فأُريدَ منه القولُ بخَلقِ القُرآنِ فامتَنع، فحُبسَ إلى أنْ ماتَ سنةَ: اثنتينِ وثلاثينَ ومئتين.

قال الرَّبيعُ بنُ سليمانَ: «رأيتُ البُويطيَّ على بَغلٍ في عُنقِه غُلٌّ، وفي رِجلَيه قَيدٌ، وبينَ الغُلِّ والقَيدِ سِلسِلةُ حَديد، فيها طوبةٌ وزنُها أربعونَ رَطلًا، وهو يقولُ: إنما خَلقَ اللهُ الخَلقَ بـ: (كُنْ)، فإذا كانت (كُنْ) مَخلوقةً فكأنَّ مَخلوقًا خَلقَ مَخلوقًا، واللهِ لأَموتَنَّ في حديدي هذا حتّى يأتيَ مِن بعدي قومٌ يَعلمونَ أنَّه قد ماتَ في هذا الشّأنِ قومٌ في حديدِهم، ولئن دَخلتُ عليه ـ يعني: الواثِقَ ـ لأَصْدُقَنَّه».

ـ وممَّن لم يُجبْ بخَلقِ القُرآنِ **الحارثُ بنُ مِسكينَ:**

فلم يَزل محبوسًا حتى أَطلَقه المتوكِّلُ، وكان رجلًا مالكيَّ المذهبِ ثَبتًا.

ـ ومنهم عبدُ الأعلى بنُ مُسهرٍ:

أَبى أن يقولَ: القُرآنُ مَخلوقٌ، فلمّا قُدِّم لضَربِ العُنقِ قال: مَخلوقٌ، فقال له[1]: أمّا أنَّك لو قلتَ ذلكَ قَبلُ لقَبِلتُ منكَ، ولكنْ تَخرجُ فتقولُ خِفتُ، فأَمر بحَبسِه فماتَ مَسجونًا، رحمةُ اللهِ عليهم أجمعين.

وأَعرضْنا عن ذِكرِ جَماعةٍ مِن الأعيانِ ممَّن أجابَ في الظّاهرِ دونَ الباطنِ، تنزيهًا لمَقامِهم عن الشَّينِ، معَ أنَّ إجابتَهم مَحمولةٌ على أنَّهم كانوا مُكرهِين، ومعَ ذلكَ فالمَقصودُ في الإجابةِ إنَّما هو الإمامُ أحمدُ لأنَّه إمامُهم الأعظمُ.

---

(١) القائل هو الخليفة المأمونُ عبدُ الله بنُ هارون، كما في «المناقب» لابن الجوزي: (ص٥٣٢).

[قصَّةُ المُباهلة التي فعَلها أعداءُ الإمام أحمد]

ورُوي: أنَّ المُتوكِّلَ في أيامِ خِلافتِه جَلسَ يومًا للخاصَّةِ ثمَّ قامَ، فدَخلَ بيتًا له مِن قواريرٍ سَقفُه وحيطانُه وأرضُه، وقد أَجرى فيها الماءَ، والماءُ يَعلو عليه، يُخيَّل إلى مَن داخِلَه كأنَّه في جوفِ الماءِ، وفُرِشَ له فراشٌ عظيمٌ، وجَلسَ عن يمينِه وشمالِه خَواصُّ جماعتِه، ثمَّ ضحكَ المُتوكِّلُ، فقالوا: مِمَّ ضَحكَ أميرُ المؤمنينَ أضحَكَ اللهُ سِنَّه؟ فقال: أضحَكني أنِّي ذاتَ يومٍ واقفٌ على رأسِ الواثِقِ، إذ قامَ مِن مَجلِسه فجَلسَ في مَجلِسي هذا، فرُمتُ الدُّخولَ فمُنعتُ، ووقَفتُ حيثُ الخادمُ واقفٌ، وجَلس عن يمينِه وشمالِه ابنُ أبي دُؤادٍ ومحمدُ بنُ عبدِ الملِكِ الزَّيّاتُ وإسحاقُ بنُ إبراهيمَ، فبينَما هم كذلكَ إذ قال الواثِقُ: واللهِ لقد فكَّرتُ فيما دعوتُ الناسَ إليه وسُرعةِ إجابةِ مَن أجابَنا، وشدَّةِ خلافِ مَن خَالفَنا، حتّى حَملْنا مَن خَالفَنا على السَّوطِ والسَّيفِ، والضَّربِ الشَّديدِ والحَبسِ الطَّويلِ، ولا يَردعُه ذلكَ ولا يَردُّه إلى قولنا، فوجدتُ مَن أجابَنا رَغِبَ فيما في أيدينا فأسرعَ في إجابتِنا رَغبةً منه فيما عندَنا، ووجَدتُ مَن خالفَنا منعَه دِينٌ ووَرَعٌ عن إجابتِنا، وصَبْرٌ على ما ينالُه مِن القَتلِ والضَّربِ والحَبسِ، فَوَاللهِ لقد دَخلَ قَلبي مِن ذلكَ أمرٌ شَككتُ فيما نحنُ فيه حتّى هَممْتُ بتَركِ ذلكَ، ولقد هَممْتُ أنْ آمرَ بالنِّداءِ في ذلكَ، وأكفَّ الناسَ بعضَهم عن بعضٍ.

فبَدأَ ابنُ أبي دُؤادٍ وقال: اللهَ اللهَ يا أميرَ المؤمنينَ أنْ تُميتَ سُنَّةً قد أحييتَها، وأنْ تُبدِّلَ دِينًا قد أقمتَه، ولقد جَهِدَ الأسلافُ فما بلغوا فيه ما بلَغتَ، فجزاكَ اللهُ عن الإسلامِ والدِّينِ خيرَ ما جزى وليًّا عن أوليائه.

ثـمَّ أطرقـوا رؤوسَـهُم سـاعةً يَتفكـرونَ في ذلـك، إذ بدأ ابـنُ أبـي دُؤادٍ فقال: واللهِ يـا أميـرَ المؤمنيـنَ إنَّ هذا القولَ الـذي نحنُ عليه لهـوَ الدِّينُ الـذي ارتضاه اللهُ

لأوليائه ورُسلِه، وبَعث به نبيَّه محمدًا ﷺ، ولكنْ الناسُ عَمَوا عن قَبولِه.

فقال الواثِقُ: أريدُ أن تُباهِلوني على ذلك!

فقال ابنُ أبي دُؤادٍ عن نفسِه: ضَربَه اللهُ بالفالِجِ في دارِ الدُّنيا قبلَ الآخرةِ إنْ لم يكنْ ما يقولُ أميرُ المؤمنينَ حقًّا مِن أنَّ القُرآنَ مَخلوقٌ.

وقال محمدُ بنُ عبدِ الملِكِ الزَّيّاتُ عن نفسِه: سَمَّرَ اللهُ يدَيه بمَساميرَ مِن حديدٍ في دارِ الدُّنيا قبلَ الآخرةِ إنْ لم يكنْ ما يقولُ أميرُ المؤمنينَ حقًّا بأنَّ القُرآنَ مَخلوقٌ.

وقال إسحاقُ بنُ إبراهيمَ عن نفسِه: أَنتنَ اللهُ رِيحَه في دارِ الدُّنيا قبلَ الآخرةِ حتّى يَهرُبَ منه قريبٌ وحميمٌ إنْ لم يكنْ ما يقولُ أميرُ المؤمنينَ حقًّا مِن أنَّ القُرآنَ مَخلوقٌ.

وقال نَجاحٌ[1] عن نفسِه: قَتله اللهُ في أضيقِ مَحبَسٍ إنْ لم يكنْ ما يقولُ أميرُ المؤمنينَ حقًّا مِن أنَّ القُرآنَ مَخلوقٌ.

ودَخلَ عليهم إيتاخ[2] وهم في ذلك فأَخذوه على البَديهة وسألوه عن ذلك، فقال عن نفسِه: غَرَّقه اللهُ في البحرِ إنْ لم يكنْ ما يقولُ أميرُ المؤمنينَ حقًّا مِن أنَّ القُرآنَ مَخلوقٌ.

فثَبتَ الواثِقُ على ما كان عليه مِن موافقَتِهم، وقال عندَ ذلكَ عن نفسِه: أَحرقَ اللهُ بدنَه بالنارِ في دارِ الدُّنيا قبلَ الآخرةِ إنْ لم يكنْ ما يقولُ أميرُ المؤمنينَ حقًّا مِن أنَّ القُرآنَ مَخلوقٌ.

---

(١) لم يتقدَّم معنا في الكتاب أنه كان بمجلسِ المُتوكِّل، ولكنه وَرَد في المصادر والمراجع.

(٢) في النُّسخ: «تياخ»، والمثبتُ موافقٌ للمصادر والمراجع، وهو الأمير إيتاخ التركيُّ العباسي، انظر «تاريخ الإسلام» (٥/ ٧٩٧).

قال الخَليفَةُ المُتوكِّلُ على اللهِ: فأنا أضحَكُ مِن أجلِ أنَّه لم يَدعُ أحدٌ منهم على نفسِه بدعوةٍ إلا استُجيبتْ فيه!

أمّا ابنُ أبي دُؤادٍ: فقد رأيتُم ما ضَربه اللهُ به مِن الفالجِ.

وأمّا ابنُ الزَّيّاتِ: فأنا أَقعدتُه في تَنورٍ مِن حَديدٍ وسَمَّرتُ يدَيه بمَسامير مِن حديدٍ.

وأمّا إسحاقُ بنُ إبراهيمَ: فإنَّه مَرض مَرضَه الذي ماتَ فيه، فأقبلَ يَعرقُ عَرقًا مُنتِنًا حتّى هَربَ منه الحميمُ والقريبُ، وكان يُلقى عليه كلَّ يومٍ عشرونَ غِلالةً[1] فتؤخَذُ منه وهي مثلُ الجِيفَة، فيُرمى بها في دِجلةَ لا يُنتَفعُ بها تَتقطَّعُ مِن شِدَّة النَّتنِ والعَرقِ.

وأمّا نَجاحٌ: فأنا بنيتُ عليه بيتًا ذِراعًا في ذِراعينِ حتّى مات فيه.

وأمّا إيتاخ[2] فأنا كتبتُ إلى إسحاقَ بنِ إبراهيمَ أنْ كبِّلْه بالحديدِ وغَرِّقْه.

وأمّا الواثِقُ: فابتُليَ بداءٍ لكثرةِ جماعِه، فأَمره الأطباءُ بالجلوسِ في التَّنورِ، فسُجِرَ له بحَطبِ الزَّيتونِ ثمَّ أُخرِجَ ما فيه، وجُعِلَ على ظهرِه، فأَقبلَ يَصيحُ ويَستغيثُ، فسَقط بدنُه كلُّه، وصارَ فيه نُفاخاتٌ مثلُ أكبرِ البِطيخِ، فتُركَ على حالِه حتّى مَضتْ ثلاثُ ساعاتٍ مِن النَّهارِ، ثمَّ أُخرِجَ وقد كادَ يَحترِقُ أو يقولَ القائلَ في رأيِ العَينِ: قد احترقَ، فأَجلسه المُتطبِّبونَ، فلمّا وَجدَ رَوحَ الهواءِ اشتَدَّ به الوَجعُ، وأَقبلَ يَصيحُ ويَخورُ خَورانَ الثَّورِ، ويقولُ: رُدُّوني إلى التَّنور فإنِّي إنْ لم أُردَّ مِتُّ! والأطباءُ تَمنعُ مِن ذلكَ.

---

(١) الغِلالة: نوعٌ مِن الألبسة يُلبس تحتَ الثوب، انظر «مختار الصحاح» (ص٢٢٩).

(٢) في النُّسخ: «تياخ»، والمثبتُ موافقٌ للمصادر والمراجع.

فاجتَمعَ نساؤُه وخواصُّه لِما رأوا به مِن كثرةِ الألَمِ والصِّياح، ورَجَوا أنْ يكونَ فَرَجُه في الرَّدِّ إلى التَّنورِ فردُّوه، فلمّا وَجدَ مَسَّ النارِ سَكنَ صياحُه، وتَفطَّرتْ النُّفاخاتُ التي كانت خَرجتْ ببدنِه، وخَمدتْ وبَردَ في جَوفِ التَّنورِ، فأُخرِجَ وقد احترقَ وصارَ أسودَ كالفحمِ، فلم تَمضِ ساعةٌ حتّى قُضي عليه، فأنا أتَعجَّبُ مِن أنه لم يَدعُ أحدٌ منهم على نفسِه في تلكَ الساعةِ بدُعاءٍ إلا استجابَ اللهُ له في نفسِه!

قلتُ: وإنَّما ذَكرتُ هذه الحكايةَ لِما فيها مِن الكَرامة للإمامِ أحمدَ؛ فإنَّ أولئكَ الجماعةَ كانوا مِمَّن يُؤذِيه ويَكرَهه ويَبغي عليه.

قال محمدُ بنُ فُضيلٍ: «تَناولتُ مرَّةً أحمدَ بنَ حنبلٍ، فحَصلَ لي في لساني ألمٌ لم أستطعْ معَه القرارَ، فأتاني في بعضِ الليالي آتٍ في المنامِ فقال لي: هذا بتَناوُلِك الرَّجلَ الصَّالحَ وكرَّرَ عليَّ فانتبهتُ، فلم أزلْ أتوبُ إلى اللهِ تعالى ممّا قلتُ حتَّى سَكنَ ما بي».

وقال عِمرانُ بنُ موسى: «دَخلتُ على الجلادِ الذي جَلدَ أحمدَ بنَ حنبلٍ لأنظرَ إليه، فمَكثَ خمسةً وأربعينَ يومًا يَنبحُ كما تَنبحُ الكلابُ».

قال الحافظُ أبو الفرجِ: «ويُروى: أنَّ الواثِقَ تَركَ امتحانَ الناسِ بسببِ مُناظرةٍ جَرتْ بينَ يدَيه»[١].

ثمَّ ذَكر أبو الفَرجِ[٢] بسنده إلى طاهرِ بنِ خَلَفٍ قال: «سَمعتُ المُهتدي باللهِ محمدَ بنَ الواثقِ يقول: كان أبي إذا أرادَ أنْ يَقتل رجلًا أَحضرَنا ذلك المَجلسَ، فدَعانا يومًا وقد أُتي بشيخٍ مُقيَّدٍ، ثمَّ إنه استحضرَ ابنَ أبي دُؤادٍ وأصحابَه، ثمَّ طلبَ

(١) «مناقب الإمام أحمد» (ص٤٧٥).

(٢) «مناقب الإمام أحمد» (ص٤٧٥).

الشَّيخَ، فقال: السَّلامُ عليك يا أميرَ المؤمنينَ، فقال له الخليفةُ: لا سَلَّمَ اللهُ عليكَ، فقال: يا أميرَ المؤمنينَ بئسَ ما أدَّبكَ مُؤدِّبكَ! قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ [النساء: ٨٦] والله ما حيَّيتَني بها ولا بأحسنَ منها!

فقال ابنُ أبي دُؤادٍ: يا أميرَ المؤمنينَ الرَّجلُ مُتكلِّمٌ، فقال له: كَلِّمْه، فقال: يا شيخُ ما تقولُ في القُرآنِ؟ فقال له الشَّيخُ: لم تُنصفْني وَلِّني السُّؤالَ! فقال: سَلْ، فقال له الشَّيخُ: ما تقولُ في القُرآنِ؟ قال: مَخلوقٌ.

فقال: هذا شيءٌ عَلِمَه النَّبيُّ ﷺ وأبو بكرٍ وعمرُ وعثمانُ وعليٌّ والخلفاءُ الرّاشدونَ، أم شيءٌ لم يعلموه؟ فقال: شيءٌ لم يعلَموه.

فقال: سبحانَ الله! شيءٌ لم يَعلَمْه النَّبيُّ ﷺ ولا أبو بكرٍ ولا عمرُ ولا عثمانُ ولا عليٌّ ولا الخلفاءُ الرّاشدونَ عَلِمتَه أنتَ؟!

قال: فخَجِلَ، فقال: أقِلْني.

قال: والمسألةُ بحالِها؟ قال: نعم.

قال: ما تقولُ في القُرآنِ؟ فقال: مخلوقٌ.

فقال: شيءٌ عَلِمَه النَّبيُّ ﷺ والخلفاءُ الرّاشدونَ أم لم يَعلَموه؟ فقال: علمُوه ولم يَدعوا الناسَ إليه.

فقال: أفلا وَسِعكَ ما وَسِعهم؟

قال: ثمَّ قام أبي فدخلَ مَجلِسَ الخَلوةِ، واستَلقى على قَفاه، ووضَعَ إحدى رجلَيه على الأُخرى، وهو يقول: هذا شيءٌ لم يَعلَمْه النَّبيُّ ﷺ ولا أبو بكرٍ ولا عمرُ ولا عثمانُ ولا عليٌّ ولا الخلفاءُ الرّاشدونَ عَلِمتَه أنتَ سبحانَ اللهِ! شيءٌ عَلِمَه النَّبيُّ ﷺ والخلفاءُ الرّاشدونَ ولم يَدعوا الناسَ إليه، أفلا وَسِعَكَ ما وَسِعَهم!

ثمَّ دعا عمّارًا الحاجِبَ فأَمرَ أنْ يَرفعَ عنه القُيودَ ويُعطيَه أربعَ مئةِ دينارٍ، ويأذنَ له في الرُّجوعِ، وسَقطَ مِن عَينِه ابنُ أبي دُؤادٍ، ولم يَمتَحِنْ بعدَ ذلكَ أحدًا[1].

وفي روايةٍ أُخرى: أنَّ الواثِقَ قال له: يا شيخُ ناظِرْ ابنَ أبي دُؤادٍ، فقال: يا أميرَ المؤمنين ابنُ أبي دُؤادٍ يَصبو ويَضعُفُ عن المُناظرة، فغَضِب الواثِقُ عليه وقال: عن مناظرتِكَ أنت!

فقال الشَّيخُ: هَوِّنْ عليكَ يا أميرَ المؤمنين ما بكَ، وائذنْ له في مناظرتي.

فقال: ولذلكَ دَعوتُكَ.

فقال الشَّيخُ: يا أميرَ المؤمنين تَحفظُ عليَّ ما أقولُه وعليه ما يَقولُه؟ فقال: أفعَلْ.

فقال الشَّيخُ لابنِ أبي دُؤادٍ: يا أحمدُ أَخبرْني هلْ مقالتُكَ هذه واجبةٌ بحيثُ لا يَكملُ الدِّينُ إلا بقَولِها؟ فقال: نعم.

فقال الشَّيخُ: أخبرْني عن رسولِ اللهِ ﷺ هل سَترَ عن أُمَّته شيئًا يَجبُ عليهم؟ فقال: لا.

فقال الشَّيخُ: فدَعا النَّبيُّ ﷺ الأمَّةَ إلى مقالتِكَ هذه؟ فسَكتَ.

فقال الشَّيخُ: تَكلَّمْ، فسَكتَ، فالتَفتَ الشَّيخُ إلى الواثِقِ وقال: يا أميرَ المؤمنين واحدةٌ، فقال الواثِقُ: واحدةٌ.

فقال الشَّيخُ: أَخبرْني يا أحمدُ حينَ أَنزلَ اللهُ على رسولِه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ هل اللهُ تعالى هو الصّادقُ في إكمالِ دِينِه أم أنتَ الصّادقُ في نُقصانِه؟ حتّى يقال فيه مقالتُكَ هذه؟ فسَكَتَ.

---

(١) قال الذهبيُّ في «السير» (١١/ ٣١٣) بعدَ هذه القصة: «هذه قصةٌ مليحة وإنْ كان في طريقها مَن يُجهل، ولها شاهدٌ».

فقال: أجبْ فلم يُجبْ، فقال الشَّيخُ: يا أميرَ المؤمنين ثنتانِ، فقال الواثِقُ: ثنتان.

فقال الشَّيخُ: يا أحمدُ أَخبرْني عن مقالتِكَ هذه، عَلِمها رسولُ اللهِ أم جَهِلها؟ فقال: عَلِمَها، فقال: فدَعا الناسَ إليها؟ فسَكتَ ولم يُجبْ.

فقال الشَّيخُ: ثلاث، فقال الواثِقُ: ثلاث.

ثمَّ قال الشَّيخُ: فأَخبرْني يا أحمدُ، أفاتسع لرسولِ اللهِ ﷺ أنْ عَلِمَها وأَمسَكَ عنها كما زَعمتَ ولم يُطالبْ أمَّتَه؟ قال: نعم.

قال الشَّيخُ: واتسعَ لأبي بكرٍ وعمرَ وعثمانَ وعليٍّ رضي اللهُ عنهم؟ قال: نعم.

فأَعرضَ الشَّيخُ حينئذٍ عن ابنِ أبي دُؤادٍ، وأَقبل على أميرِ المؤمنينَ وقال: أَلَم أقلْ لأميرِ المؤمنينَ: إنَّه يَصبأُ ويَضعفُ عن المُناظرةِ؟! يا أميرَ المؤمنين إنْ لم يَتسعْ لنا مِن الإمساكِ عن هذه المَقالةِ بما زَعمَ هذا أنَّه اتسعَ لرَسولِ اللهِ ﷺ ولأبي بكرٍ وعمرَ وعثمانَ وعليٍّ، فلا وَسَّعَ اللهُ على مَن لا يَتَّسعُ له ما اتسعَ لهم!

فقال الواثِقَ: نعم، إنْ لم يَتسعْ لنا ما اتسعَ لهم فلا وسَّعَ اللهُ علينا، اقطعوا قيدَ الشَّيخِ، فلمّا قُطِعَ عنه أَهوى ليَأخذَه فجاذَبه الحدّادُ.

فقال الواثقُ: دَع الشَّيخَ يأخذُه، فوضَعَهُ في كُمِّه وقال للواثِقِ: نويتُ أنْ أوصيَ أن يُجعلَ هذا القيدُ في كفني أُخاصِمُ به هذا الظالمَ عندَ الله، وأقولُ: سَلْ عبدَكَ: لِمَ قيَّدني ورَوَّع أهلي؟ ثمَّ بكى الشَّيخُ وبكى الواثِقُ.

قال محمدُ بنُ الواثِق: وبَكينا معَه، ثمَّ سألَه الواثقُ أنْ يَجعلَه في حِلٍّ، فقال: واللهِ يا أميرَ المؤمنين لقد جَعلتُكَ في حِلٍّ مِن أوَّلِ يومٍ إكرامًا لرسولِ اللهِ ﷺ.

فقال الواثِقُ: لي إليكَ حاجةٌ! فقال: إنْ كانت مُمكنةً، فقال: تُقيم عندي نَنتفِع بكَ وتَنتفِع بنا.

فقال الشَّيخُ: إنَّ ردَّكَ إيايَ إلى الموضعِ الذي أَخرجني منه هذا الظالمُ أنفعُ لكَ مِن مقامي، وأُخبركَ بما في ذلكَ؟ أصيرُ إلى أهلي وولدي، فأَكفُّ عنكَ دُعاءَهم، فقد خَلَّفتُهم على ذلك.

قال الواثِقُ: فتقبَّلْ منّا صِلةً تَستعينُ بها على دَهرِكَ! فقال: لا يحلُّ لي وأنا غنيٌّ عنها.

فقال له: سَلْ حاجتَك! فقال الشَّيخُ: أو تقضيها يا أميرَ المؤمنين؟ قال: نعم، قال: تأذنُ لي أنْ يُخلّى لي السَّبيلُ السّاعةَ.

فقال: أذنتُ، فسَلَّمَ وخَرج.

وُذكر: أنَّ الواثِقَ وولدَه رجِعا مِن يومئذٍ عن تلكَ المَقالةِ.

وذُكر: أنَّ الشَّيخَ كان أبا عبدِ الرحمنِ عبدَ اللهِ بنَ محمدِ بنِ إسحاقَ[1].

واللهُ سبحانهُ أعلم.

***

فصلٌ فيما جَرى للإمامِ أحمدَ مَعَ المُتوكِّلِ على اللهِ ابنِ المُعتَصِمِ

قال الحافظُ أبو الفرجِ: «وَليَ المُتوكِّلُ على اللهِ سنةَ: اثنتين وثلاثين ومئتين، فأَظهرَ اللهُ به السُّنةَ، وكَشفَ تلكَ الغُمَّة، فشَكَره الناسُ على ما فَعل، وأَجرى على الإمامِ أحمدَ في كلِّ شهرٍ أربعةَ آلافِ درهمٍ فلم يَرضَ أحمدُ بذلكَ»[2].

---

(١) هو أبو عبدِ الرحمن عبدُ الله بنُ محمدِ بنِ إسحاق الأَذْرَمي النَّصيبي المَوصلي، انظر «تاريخ الإسلام» (٥/ ١١٦٠)، وقد ساق القصةَ الخطيبُ في «تاريخ بغداد» (١١/ ٢٧١).

(٢) «مناقب الإمام أحمد» (ص٤٨٢).

وقال عليُّ بنُ الجُهمِ: «وجَّهَ إليَّ المُتوكِّلُ فقال لي: رأيتُ النبيَّ ﷺ في المنامِ فقمتُ إليه، فقال: تقومُ إليَّ وأنتَ خليفةٌ؟

فقلتُ له: أبشِرْ يا أميرَ المؤمنين، أمّا قيامُكَ إليه فقيامُكَ بالسُّنةِ، وقد عَدَّكَ مِن الخُلفاءِ».

وكان إبراهيمُ بنُ محمدٍ التَّيميُّ قاضي البصرةِ يقولُ: «الخلفاءُ ثلاثةٌ: أبو بكرٍ الصِّديقُ قاتلَ أهلَ الرِّدةِ، وعمرُ بنُ عبدِ العزيزِ ردَّ مظالِمَ بني أُميَّةَ، والمُتوكِّلُ مَحا البِدعَ وأَظهرَ السُّنةَ».

ثمَّ إنَّ المُتوكِّلَ أَشخَص إليه الفقهاءَ والمُحدِّثينَ فقُسِّمَتْ فيهم الجَوائزُ.

وأَمرهم أنْ يَجلسوا للناسِ، وأَمرهم بالتَّحديثِ بما فيه ردٌّ على المُعتزلَةِ والجَهميَّةِ، وأنْ يُحدِّثوا بأحاديثِ الرُّؤيةِ...

فجَلس عثمانُ بنُ أبي شَيبةَ ووُضِعَ له منبرٌ، واجتَمعَ عليه نحوٌ مِن ثلاثينَ ألفًا.

وجَلس أبو بكرِ بنُ أبي شيبةَ في مسجدِ الرُّصافةِ، واجتَمعَ عليه نحوٌ مِن ثلاثينَ ألفًا.

ورُؤي المُتوكِّلُ في النَّومِ بعدَ مَوتِه فقيلَ له: ما فَعلَ اللهُ بكَ؟ قال: غَفرَ لي بقَليلٍ مِن السُّنةِ أَحييتُها[1].

وأَنشدَ أبو جعفرٍ الخَواصُ بعدَ زَوالِ المِحنَةِ فقال:

ذَهبتْ دولةُ أصحابِ البِدَعْ ووَهى حَبلُهم ثمَّ انقطَعْ

---

(١) في النُّسخ: «أحييته»، والمثبتُ مِن المصادر والمراجع.

وتَداعــــى بانصــــرامٍ[1] جَمعُهـــم حِــزبُ إبليــسَ الــذي كانَ جَمَــع

هــل لهــم يــا قــومُ فــي بدعَتِهــم مِــن فـقـيــــهٍ أو إمــــامٍ مُتَّبَــع

مثــلَ سـفيانَ أخــي الثَّــورِ[2] الــذي عَلَّــمَ النــاسَ دَقيقــاتِ الــوَرَع

أو سُــليمانَ أخــي التَّيــمِ الــذي تَــركَ النَّــومَ لِهَــولِ المُطَّلَــع

أو فَقيـــهِ الحَرَمَيـــنِ مالـــكٍ ذلـكَ البحــرُ الغَزيــرُ المُنتَجَــع

أو فتــى الإســلامِ أعنــي: أحمــدا ذاكَ لــو قارعــه القُــرا قَــرَع

لــم يَخَــفْ سَــوطَهم إذ خَوَّفــوا لا ولا سَــيفَهم لمّــا لَمَــع

وذَكر البيهقيُّ: «أنه رَفعَ رجلٌ إلى أميرِ المؤمنينَ المُتوكِّلِ على اللهِ قِصَّةً: أنَّ أحمدَ بنَ حنبلٍ يَشتُم أبائكَ ويَنسِبُهم إلى الزَّندقة، قال: فوَقعَ المُتوكِّلُ فيها.

أمّا المأمونُ: فإنه خَلطَ وأَوجدَ للمَقالِ على نفسِه سبيلًا.

وأمّا أبو إسحاقَ المُعتَصمُ: فإنه كان صاحبَ حَربٍ، ولم يكنْ له بَصرٌ بالكلامِ.

وأمّا أخوه[3] هارونُ يعني الواثِقَ: فإنه استحقَّ ما قيل فيه يُضرَبُ هذا الرَّجلُ، يعني: الذي رَفعَ القِصَّةَ مئتي سَوطٍ.

قال: فجرَّده خليفتُه بالبابِ وهو عبدُ اللهِ بنُ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ وضَرَبه خمسَمئة، فرُفعَ الخبرُ إلى المُتوكِّلِ فدعاهُ، وقال له: أَمرتُكَ أنْ تَضرِبَ رجلًا مئتي سَوطٍ، فلِمَ ضَربتَه خمسَمئةِ سَوطٍ؟!

---

(١) في (ش) إشارةٌ لوجود نسخةٍ: «بانصراف».

(٢) في (ش): «الثوري».

(٣) في النُّسخ: «أخي»، والمثبتُ موافقٌ للسياق، وكذلك هو في «الجوهر المحصَّل» (ص٧١).

قال يا أميرَ المؤمنين: ضَربتُه مئتَي سَوطٍ لطاعةِ أميرِ المؤمنين، ومئتي سَوطٍ ابتغاءَ مَرضاتِ اللهِ، ومئةَ[1] سَوطٍ لِما تَكلَّم في ذلكَ الشَّيخِ الصّالحِ أحمدَ بنِ حنبلٍ».

وقال بعضُ أعداءِ الإمامِ أحمدَ لِلمُتوكلِ: إنَّ أحمدَ لا يأكلُ مِن طعامِكَ، ولا يَجلِسُ على فِراشِكَ، ويُحرِّمُ هذا الشَّرابَ الذي تَشرَبُ!

فقال في الجوابِ: لو نُشر المُعتَصمُ ـ يعني: أباه ـ وقال فيه شيئًا لم أقبَلْه.

وقال صالحُ بنُ الإمامِ أحمدَ: «قَبض الخليفةُ ـ يعني: المُتوكِّلَ ـ على ابن أبي دُؤادٍ وأَرسلَ يقولُ لأبي: ما تقولُ في ابنِ أبي دُؤادٍ وفي مالِه؟ فلا يجيبُ في ذلك شيئًا، ثُمَّ أُحدِر[2] ابنُ أبي دُؤادٍ إلى بغدادَ بعدَ أنْ أُشهِدَ عليه ببيعِ ضِياعِه».

ثمَّ إنَّ المُتوكِّلَ في سنةِ: سَبعٍ وثلاثينَ ومئتينِ بعدَ مُضيِّ خَمسِ سِنينَ مِن وِلايتِه بَعثَ يَطلبُ زِيارةَ أبي عبدِ اللهِ أحمدَ بنِ حنبلٍ.

قال صالحٌ: «فوجَّه المُتوكِّلُ إلى إسحاقَ بنِ إبراهيمَ يأمرُه بحملِ أبي إليه،

فقال إسحاقُ لأبي: إنَّ أميرَ المؤمنيَن يأمُرني بإشخاصِك إليه فتأهَّبْ لذلكَ، ثمَّ قال إسحاقُ لأبي عبدِ اللهِ: اجعَلني في حِلٍّ مِن حُضوري ضَربِكَ، فقال له: قد جعلتُ كلَّ مَن حَضرَ في حِلٍّ، ثمَّ لم يَزلْ أحمدُ يَدعو اللهَ في عدَمِ توجُّههِ للخليفةِ، فوَرَد إليه الإذنُ بالرُّجوعِ، فأُمرَ بردِّه مِن بعضِ الطَّريقِ».

ثمَّ سُعيَ في أحمدَ عندَ المُتوكِّلِ: أنَّ عندَه علويًّا مِن طَلبةِ[3] أميرِ المؤمنينَ، فلمّا لم يَجدْه عندَه أَعرضَ عن كلامِ العامَّة.

---

(١) وتحرَّفتْ في بعض النُّسخ إلى: «مئتي».

(٢) جاء في «مختار الصحاح» (ص٦٨): «حَدَر السفينةَ: أَرسلها إلى أسفل، ولا يُقال: أَحدرها».

(٣) أي: مِن الفارِّينَ الذين يَطلبهم أميرُ المؤمنين.

ووَردَ على أحمدَ كتابٌ فيه: إنَّ أميرَ المؤمنينَ قد وَجَّه إليكَ بجائزةٍ وأَمركَ بالقَبولِ، فاللهَ اللهَ أنْ تَردَّ المالَ فيتَّسِعَ القولُ لمَن يُبغضُكَ، فلمّا ورَدَتْ إليه لم يَنظرْ إليها ثمَّ قال لولدِه: خُذْها عندَك، فلمّا أصبحَ بَكى وقال: سَلِمتُ منهم حتّى إذا كان آخرَ عمري بُليتُ بهم، ثمَّ إنه فرَّقَ جميعَ الجائزةِ ولم يُبقِ منها شيئًا.

قال صالحٌ: «ثمَّ سِرْنا وقد طَلَب المُتوكِّلُ أبي ليَزورَه، فلمّا وَصَلْنا العَسكرَ أَرسلَ الرسولُ لأميرِ المؤمنين يُعلمه بقُدومِنا، فجاءَ عليُّ بنُ الجَهمِ وقال لي: قد أَمرَ لكم أميرُ المؤمنينَ بعشرةِ آلافٍ مكان التي فرَّقَها أبوك، وأَمر ألا تُعلمَه بذلك.

ثمَّ جاءَ رسولُ الخليفةِ فقال: إنَّ أميرَ المؤمنين يُكثِر ذِكْرَك ويَشتهي قُربَك، ثمَّ جاءَ إليه يحيى بنُ خاقانَ فقال: قد أَمرني أميرُ المؤمنينَ أنْ أَقطعَ لكَ سَوادًا، وطَيلسانًا وقَلَنسوةً، ويُصيِّركَ في أعلى المراتبِ، ويُصيِّر ولدَه أبا عبدِ اللهِ في حِجرِكَ.

ثمَّ أُركبَ أبو عبدِ اللهِ إلى دارِ وَلدِ الخليفةِ، ثمَّ جاء إليه يحيى فقال: إنَّ أميرَ المؤمنين جاءَ بك ليتَبرَّكَ بكَ ويُصيِّرَ ابنَه في حِجرِكَ».

قال صالحٌ: «وأَخبرني بعضُ الخُدامِ: أنَّ المُتوكِّلَ كان قاعِدًا مِن وراءِ السَّترِ، فلمّا دَخلَ أبي الدّارَ قال المُتوكِّلُ لأمِّه: يا أمّاه قد أنارت الدّار، ثمَّ جاءَ خادمٌ بمِنديلٍ فيه كُسوةٌ لأحمدَ فأَلبسه إياها.

فلما انصَرفَ أحمدُ نَزعَ الثِّيابَ عنه وجَعلَ يَبكي ويقولُ: سَلِمتُ مِن هؤلاءِ منذُ ستينَ سنةً، حتّى إذا كان آخرَ عُمري بُليتُ بهم! ما أحسبُني سَلِمتُ مِن دُخولي على هذا الغُلامِ يعني ابنَ الخليفةِ، فكيف بمَن يَجبُ عليَّ نُصحُه أوَّلَ وُقوعِ عَيني عليه؟!».

وطَلَبَ منه المُتوكِّلُ أنْ يَجعلَ له يومًا في الجمعةِ للزِيارةِ وقال له: إنَّ لي ولدًا وأنا مُعجبٌ به، فأُحبُّ أنْ تُحدِّثَه، فأبى أحمدُ ذلكَ.

قال أبو الحُسينِ بنُ المُنادي: «امتَنعَ الإمامُ أحمدُ مِن الحَديثِ قبلَ أنْ يموتَ بنحوِ ثمانِ سنينَ، وذلكَ أنَّ المُتوكِّلَ وجَّه إليه يَقرأُ عليه السَّلامَ، ويَسألُه أنْ يَجعلَ المُعتزَّ في حِجرِه ويُعلِّمُه العِلمَ، فقال للرَّسولِ: اقرأ على أميرِ المؤمنينَ السَّلامَ وأَعلِمْه أنَّ عليَّ يمينًا مُقفَلةً أنِّي لا أُتمُّ حديثًا حتّى أموتَ، وقد كان أميرُ المؤمنين أعفاني ممّا أكرَه، وهذا مِمّا أكرَهُ، فقامَ الرَّسولُ مِن عندِه».

قال المَرُّوْذيُّ: «سَمعتُ أبا عبدِ اللهِ يقولُ: إنِّي لأَتمنّى الموتَ صباحًا ومساءً، أخافُ أنْ أُفتنَ بالدُّنيا، لقد تفكَّرتُ البارحةَ فقلتُ: هذه مِحنَتان، إحداهما بالدِّينِ، وكنتُ في السِّجنِ آكُل وذاكَ عندي زيادةٌ في إيماني، وهذه مِحنَةٌ بالدُّنيا، وهي فتنةٌ فيه يعني: في الدِّين».

ثمَّ إنَّ المُتوكِّلَ بعثَ إليه ألفَ دينارٍ فردَّها وقال: قد أعفاني أميرُ المؤمنين، فقيل له: وما عليكَ لو قَبلتَ الدُّنيا وقِسْمتَها؟! فقال: وماذا أكونُ؟ أكونُ قَهْرمانًا له؟! ثمَّ إنَّهم كَتبوا إلى المُتوكِّلِ: هذا رجلٌ زاهدٌ، لا يُنتفعُ به.

وقال المَرُّوْذيُّ أيضًا: «سمعتُ إسحاقَ بنَ حنبلٍ عمَّ أحمدَ ونحنُ بالعَسكرِ يُناشِدُه ويَسألُه الدُّخولَ على الخليفةِ ليأمُرَه وينهاه، وقال: إنه يَقبلُ كلامَكَ، هذا إسحاقُ بنُ راهويه يَدخلُ على ابنِ طاهرٍ فيأمُرَه وينهاه، فقال له أحمدُ: تَحتَجُّ عليَّ بإسحاقَ وأنا غيرُ راضٍ بِفعلِه! ما له في رُؤيتي خيرٌ ولا لي في رؤيتِهِ خيرٌ، يَجبُ عليَّ إذا رأيتُه أنْ آمرَه وأنهاه، الدُّنوُّ منه فِتنَةٌ، نحنُ مُتباعِدونَ مِنهم ما أَرانا نَسلَمُ، فكيفَ لو قَرَّبنا منهم؟!».

قال صالحٌ: «وكان إذا أَتى رَسولُ المُتوكِّلِ يُبلِّغُ أبي السَّلامَ نُسرُّ نحنُ بذلكَ، وتأخُذهُ هو نفضَةٌ حتّى نُدثِّرَه، ثمَّ يقولُ: واللهِ لو أنَّ نفسي في يدي لأرسَلتُها، ويَضُمُّ أصابعَه ثمَّ يَفتَحُها».

ولمّا قَبِل عمُّه وولداه[1] صِلةَ السُّلطانِ هَجَرهم، وامتَنعَ مِن أكلِ طَعامِهم ومُؤاكلتِهم بعدَ أنْ كان يَأتيهم ويأكُلُ معهم[2] مِن طعامِهم، ولم يَقبلْ عُذرَ مَن اعتذَرَ إليه منهم بالفقرِ، وأَغلظَ في الكلامِ لعَمِّه وقال له: كيفَ تُخالفُني إلى ما أنهاكَ عنه؟! ثمَّ إنه تركَ الصَّلاةَ خلفَه.

ثم إنَّ صالحًا دَخلَ عليه فقال: يا أبتِ قد طالَ هذا الأمرُ، وتُدخِلُ على نَفسِكَ هذا الغَمَّ! ثمَّ مَكثوا مُدةً لا يأخذونَ شيئًا، ثمَّ كُتب لهم شَيءٌ فقبضُوه، فلمّا بَلغَه هَجرَهم شهرًا، فكُلِّمَ في ذلكَ فقال: أردتُ لهم ما أردتُ لنفسي، فقال له ولدُه: ومَن يَقدِرُ على ما تَقدِرُ أنتَ عليه؟! فقال: وتَحتَجُّ عليَّ!

فلمّا سَمعَ المُتوكِّلُ قال: يحمل إلى وَلدِ أحمدَ السّاعةَ أربعون ألفَ درهمٍ صِحاحٍ مِن بيتِ المالِ، ولا يَعلَمُ أحمدُ بها، فأَخبره صالحٌ بذلكَ، فسكتَ قليلًا وضَربَ بيدِهِ صَدرَه وقال: ما حيلتي؟! أردتُ أمرًا وأرادَ اللهُ أمرًا[3].

وقال المُتوكِّلُ: إنه يَمنعُنا مِن برِّ أهلِهِ، وكان يقولُ: كيف يَقبلوها، والفيءُ غيرُ مقسومٍ، والثُّغورُ مُعطَّلةٌ؟!

وأخبارُه في مثلِ هذا ممّا يَطولُ ذِكرُها، رحمه اللهُ تعالى.

* * *

---

(١) في (ش): «وولده».

(٢) «معهم» زيادة مِن (ك).

(٣) في (ش) زيادةُ «بخلافه»، وعليها إشارةُ نسخة.

فصلٌ في وفاةِ أحمدَ

قال أهلُ التّاريخِ: لمّا استكمَلتْ لأحمدَ سبعٌ وسبعون سنةً، ودَخلَ الثامنةَ حُمَّ في أولِ يومٍ مِن شهرِ ربيعٍ الأول، سنةَ: إحدى وأربعينَ ومئتين.

قال ابنُه صالحٌ: «فدَخلتُ عليه وهو محمومٌ، فتَنفَّس تنفُّسًا شديدًا، فقلتُ: على مَ أفطرتَ البارحةَ؟ فقال: على ماءِ باقِلاء، ثمَّ أرادَ القيام فقال: خُذْ بيدي، فأخذتُ بيدِه، فلمّا صارَ إلى الخَلاءِ ضَعُفتْ رجلاه حتّى توكّأ عليَّ.

وكان يَختلفُ إليه غيرُ مُتطبِّبٍ كلُّهم مُسلمون، وبالَ دمًا عبيطًا[1] فقال الطبيبُ: هذا رجلٌ فتَّتَ الحُزنُ والغَمُّ جَوفَه».

واستأذَنه ابنُه في إدخالِ الناسِ عليه للعيادةِ فأذِنَ، فجَعلَ الناسَ يَدخلون عليه أفواجًا أفواجًا.

وقال له رجلٌ: إنِّي قد حَضرتُ ضَربَك يومَ الدّارِ، فإنْ شِئتَ فها أنا بينَ يدَيكَ فاقتَصَّ مني، وإنْ شِئتَ جَعلتني في حِلٍّ؟! فقال: تتوبَ ألا تَعودَ؟ فقال: نَعم، فقال: قد حَلَّلتُك، ثمَّ إنّه بَكى وأَبكى مَن حَضر مِن الناسِ.

وكان له خُريقَةٌ فيها قُطيعاتٌ فنَظرها ولدُه فإذا فيها دِرهمٌ فأَخبره، فقال: وَجِّهْ إلى بعضِ السُّكانِ فاقبِضْ منه دراهمَ واشترِ تَمرًا، وكَفِّرْ عنِّي كفارةَ يمينٍ، فاشتريتُ وكفَّرتُ وأَخبرتُه، فقال: الحمدُ للهِ.

[وصية الإمام أحمد]

وقال لولدِه: أَحضِر الوَصيَّةَ واقرأْها، وكان كَتبها قبلَ ذلك، وإذا فيها:

بسمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحيم، هذا ما أَوصى به أحمدُ بنُ محمدِ بنِ حنبلٍ، أَوصى أنه

---

(١) دمٌ عَبيط: خالصٌ طريٌّ، انظر «مختار الصحاح» (ص١٩٩).

يَشهدُ أنْ لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شَريكَ له، وأنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه، أَرسله بالهُدى ودِينِ الحَقِّ لِيُظهرَه على الدِّينِ كُلِّه ولو كَرِهَ المشرِكونَ.

وأَوصى مَن أطاعَه مِن أهلِه وأقارِبِه: أنْ يَعبُدوا اللهَ في العابِدِين، وأنْ يَحمَدُوه في الحامِدِين، وأنْ يَنصَحُوا لجَماعةِ المُسلِمينَ.

وأُوصي: أني رَضيتُ باللهِ عَزَّ وجلَّ ربًّا، وبالإسلامِ دِينًا، وبمحمدٍ ﷺ نبيًّا ورسولًا.

وأُوصي: أنَّ لعبدِ اللهِ بنِ محمدٍ ـ المعروفِ بفُورانَ ـ عليَّ نحوًا مِن خمسينَ دينارًا، وهوَ مُصدَّقٌ فيما قال، فيُقضى ما له عليَّ مِن غَلَّةِ الدّارِ إن شاءَ اللهُ، فإذا استَوفى أُعطي ولدُ صالحٍ وعبدِ اللهِ كلَّ ذَكرٍ وأُنثى عشرةَ دراهمَ عشرةَ دراهمَ.

شَهِدَ أبو يوسفَ وصالحُ وعبدُ اللهِ ابنا أحمدَ بنِ محمد بنِ حنبلٍ.

ولمّا اشتدَّ به المَرَضُ كثُرَ الناسُ عليه حتّى مَلؤوا السِّككَ والشَّوارِعَ، فوجَّه السُّلطانُ إليه الرّابطةَ وَوكَّلَ ببابه مَن يَمنعُ عنه خَشيةَ الإضرارِ به، وزادَ الناسُ كثرةً بالأسواقِ والطُّرقاتِ؛ حتّى تَعطَّل على كثيرٍ مِن الناسِ بَيعُهم وشِراؤُهم، وكان بعضُهم ربَّما تَسلَّقَ.

وجاءَه رسولُ الأميرِ فقيلَ له: إنه يُريدُ أنْ يراك، فقال: إنَّ أميرَ المؤمنينَ قد أعفاني مما أَكره.

فلمّا كان قبلَ وفاتِه بيومٍ أو يومينِ جَمعَ الصِّبيانَ، وجَعلَ يُسمِّيهم ويَمسحُ برؤوسِهم وعَينه تَدمع.

وكان يُصلِّي حينئذٍ وهو قاعِدٌ، ويُصلِّي وهو مُضطَجِعٌ، ولا يكادُ يَفتُر.

وقال ابنُه عبدُ اللهِ: «لمّا مَرِضَ أبي واشتَدَّ مرضُه ما أنَّ، فقيل له في ذلكَ قال: بَلغني عن طاوسٍ أنه قال: أَنينُ المَرض شَكوى اللهِ عزَّ وجلَّ، قال عبدُ اللهِ: فما أنَّ حتّى ماتَ».

ولمّا كانتْ ليلةُ الجمعةِ ثَقُل مرضُه، وظَنُّوا أنه قد قُبِض، وجَعلَ يَقبِضُ قدَمَيه وهو مُوجَّهٌ، وجَعلوا يُلقِّنونَه وهو يقول: لا إله إلا الله، يُردِّد ذلك.

وقال ابنُه عبدُ اللهِ: «جَعل أبي عندَ الوفاةِ يَعرَقُ[1] ثمَّ يَفتحُ عَينَيه ويقولُ: لا بعدُ ثلاثَ مراتٍ، فلمّا كان في الثالثةِ قُلتُ له: يا أبتِ أيَّ شيءٍ هذا قد لَهَجْتَ به في هذا الوقتِ؟ فقال لي: يا بنيَّ، إبليسُ ـ لعنَه الله ـ قائمٌ حِذائي عاضٌّ على أناملِه يقول لي: يا أحمدُ فُتَّني! وأنا أقولُ: لا بعدُ حتّى أموتَ»[2].

ثمَّ إنَّ الناسَ مَلؤوا السِّكَكَ، فما كان صَدرُ النَّهارِ إلا وهو مَقبوضٌ رحمه اللهُ، فصاحَ الناسُ وعَلتْ أصواتُهم بالبكاءِ حتّى كأنَّ الدُّنيا قد ارتَجتْ، وقَعدَ الناسُ حتّى خُشيَ فَوتُ الجمعةِ، فصاحَ أهلُه في الناسِ إنا نُخرِجُه بعدَ الجمعةِ.

وكان عندَه ثلاثُ شعراتٍ مِن شَعرِ النبيِّ ﷺ، فأَوصى أنْ يُجعلَ شَعرتانِ في عينَيه، وشَعرةً فوقَ لسانِه، ففُعِلَ به ذلكَ[3].

---

(١) في المصادر والمراجع: «يغرق».

(٢) قال الذهبيُّ في «السير» (١١/ ٣٤١): «فهذه حكايةٌ غريبةٌ، تفرَّد بها ابنُ عَلَم، فالله أعلم».

(٣) وقال الذهبيُّ في «السير» (١١/ ٢١٢): «قال عبد الله بنُ أحمد: رأيتُ أبي يأخذ شعرةً مِن شَعر النبيِّ ﷺ فيَضعها على فيه يُقبِّلها، وأَحسب أني رأيتُه يَضعها على عينه، ويَغمسُها في الماء ويشربُه يَستشفي به»، ثم علَّق الذهبيُّ على ذلك فقال: «قلت: أين المتنطِّع المنكرُ على أحمد؟! أعاذَنا الله وإياكم مِن رأيِ الخوارج ومِن البدع».

[تاريخ وفاته]

وكان تاريخُ موتِه: يومَ الجمعةِ في شهرِ ربيعٍ الأوَّلِ، لاثنتي عشرةَ خَلتْ منه، سنةَ: إحدى وأربعينَ ومئتين.

وقيل: ماتَ في ثانيَ عشرَ ربيعٍ الآخرِ.

وأُخرِجتْ جنازتُه بعدَ انصرافِ الناسِ مِن جُمعتِهم، وفي الحديثِ[١]: «ما مِن مُسلمٍ يموتُ يومَ الجمعةِ إلا وَقاه اللهُ فِتنةَ القبرِ».

وفي يومِ الجمعة: قُتِلَ عثمانُ بنُ عفانَ، وضُرِبَ عليٌّ يومَ الجُمعَةِ، وقُتِلَ فيه الحَسنُ بنُ عليٍّ.

وتوفي فيه العباسُ بنُ عبدِ المُطَّلبِ، وكذلكَ الحسنُ البَصريُّ وابنُ سيرينَ، وخلقٌ كثيرٌ.

*لطيفةٌ[٢]: أبو بكرٍ المعروفُ بـ: (غُلام الخَلالِ)، أحدُ أهلِ الفَهم، مَوثوقًا به في العِلمِ، مُتَّسِعَ الرِّوايةِ، مشهورًا بالدِّيانةِ، له المُصنَّفاتُ في العلومِ المُختَلفاتِ، علامةً بارعًا في مذهبِ أحمدَ، له القَدمُ الرّاسخُ في تفسيرِ القُرآنِ ومَعرفةِ مَعانيه، دَخلوا عليه في مَرضِه فقال: «أنا عندَكم إلى يومِ الجمعة، سمعتُ أبا بكرٍ الخلالَ يقول: سمعتُ أبا بكرٍ المَرُّوْذيَّ يقول: عاشَ أحمدُ بنُ حنبلٍ ثماني[٣] وسَبعينَ سنةً،

---

(١) «مسند أحمد» (١١/ ١٤٧)، «سنن الترمذي» (٢/ ٣٧٧)، «مسند أبي يعلى» (٧/ ١٤٦)، وقال: «حديثٌ غريب وليس إسنادُه بمتَّصل»، وقال الحافظ ابنُ حجرٍ في «الفتح» (٣/ ٢٥٣): «أخرجه الترمذيُّ مِن حديث عبد الله بنِ عمرٍو وفي إسناده ضعفٌ، وأخرجه أبو يعلى مِن حديث أنسٍ نحوَه، وإسنادُه أضعفُ».

(٢) هذه اللطيفةُ جاءت في (ك) و(ش).

(٣) في (ش): «ثمان».

وماتَ يومَ الجمعةِ ودُفِنَ بعدَ الصَّلاةِ، وعاشَ أبو بكرٍ المَرُّوْذيُّ ثماني وسبعينَ سنةً، وماتَ يومَ الجمعةِ ودُفِنَ بعدَ الصَّلاةِ، وعاشَ أبو بكرٍ الخلّالُ ثماني وسبعينَ سنةً، وماتَ يومَ الجمعةِ ودُفِنَ بعدَ الصَّلاةِ، وأنا عندكُم إلى يومِ الجمعةِ ولي ثمانٌ وسبعونَ سنةً»، فلمّا كان يومُ الجمعةِ مات ودُفِنَ بعدَ الصَّلاةِ، وكان يومًا عظيمًا لكثرةِ الجمعِ.

قال صالحٌ: «ولمّا تُوفي أبي أَعلمْتُ مَن بالشَّوارعِ بوفاتِه وأني أُخرِجه بعدَ العصرِ، وكان المُتوكِّلُ غائبًا فوجَّه الأميرُ ابنُ طاهرٍ بمناديلَ فيها ثيابٌ وطيبٌ، فقال لي الرَّسولُ: الأميرُ يُقرِئُكَ السَّلامَ ويقول: قد فَعلتُ ما لو كان أميرُ المؤمنينَ حاضِرَه لكان يفعلُه، فأرسلتُ إليه: إنَّ أميرَ المؤمنينَ قد كان أعفاه ممّا يَكره، وهذا ممّا يَكره، فعاد إليه الرَّسولُ فأَخبره فقال له: قلْ له يكونُ شِعارُه ولا يَكون دِثارُه، فأَعدتُ عليه مِثلَ ذلك، وكفَّناه في ثلاثِ لفائف».

قال المَرُّوْذيُّ: «ولمّا أردتُ أنْ أُغسِلَّه جاء بنو هاشمٍ، واجتَمعَ في الدّارِ خَلقٌ كثيرٌ فأَدخَلتُه البيتَ وغَطَّيتُه بثوبٍ، وأَرخيتُ السِّترَ حتّى فَرغْتُ مِن أمرِه، فلما أردتُ تكفينَه غلَبَنا عليه بنو هاشمٍ، وأَخذوا في البكاءِ عليه، وجَعلَ أولادُهم يَنكبُّونَ عليه ويُقبِّلونه، وحَضَره نحوٌ مِن مئةٍ مِن بني هاشمٍ».

قال صالحٌ: «وأَرسلَ إليَّ ابنُ طاهرٍ يقولُ: مَن يُصلِّي على أبيكَ؟ قلتُ: أنا، فلمّا صِرنا إلى الصَّحراءِ وجدْنا ابنَ طاهرٍ فعزّانا، فلمّا وُضِع السَّريرُ تَقدَّمتُ للصَّلاةِ، فجاءَني ابنُ طالوتٍ ومحمدُ بنُ نَصرٍ وقَبضا على يدي وقالا: الأميرَ! فمانَعتُهم فغَلبوا عليَّ وصَلى عليه، ولم يَعلمْ أكثرُ الناس بتَقدُّمِه، فلمّا انتَشر في الناسِ عِلْمُ ذلكَ مَكثَ الناسُ ما شاء يُصلُّون على قبرِه».

وكان المُتوكِّلُ يقولُ: «طوبى لكَ يا محمدُ الذي صَلَّيتَ على أحمدَ».

وقال حجاجُ بنُ الشّاعرِ: «ما أُحبُّ أنْ أُقتلَ في سبيلِ الله ولم أُصلِّ على أحمدَ».

قال ولدُه عبدُ اللهِ: «وكنّا نحن والهاشميونَ صَلَّينا عليه داخلَ الدّارِ».

وأمّا الجَمعُ الذي صَلّى عليه:

فقال ابنُ أبي صالحٍ: «شَهِدت المَوسِمَ أربعينَ عامًا، فما رأيتُ جَمعًا قَطُّ مثلَ هذا»، يعني: مثلَ الجَمعِ الذي صَلّى على أحمدَ.

وقال عبدُ الوهابِ الورّاقِ: «ما بلَغَنا أنَّ جَمعًا في الجاهليَّةِ والإسلامِ مثلُه، لقد بلغنا أنَّ المَوضعَ مُسِحَ وحُزِر على التَّصحيح فإذا هو نحوٌ مِن ألفِ ألفٍ، وحَزرْنا على السُّورِ نحوًا مِن ستينَ ألفِ امرأةٍ».

وقال أبو زُرعةَ: «بلغني: أنَّ المُتوكِّلَ أَمرَ أنْ يُمسَحَ المَوقِفُ الذي وقَفَ الناسُ فيه للصَّلاةِ على أحمدَ بنِ حنبلٍ، فبَلَغ مَقامَ ألفَي ألفٍ وخمسِمئةِ ألفٍ».

وفَتحَ الناسُ أبوابَ المَنازلِ في الشَّوارعِ والدُّروبِ وصاروا يُنادون: مَن أرادَ الوضوء؟

وفي أُخرى: فإذا هو ألفُ ألفٍ وستُّمئةِ ألفٍ سوى ما كان في السُّفنِ.

ورُوي: أنه لم تُرَ جنازةٌ مثلُها إلا جنازةً في بني إسرائيل.

قلتُ: وأظنُّ أنه هارونُ أخو مريمَ، فقد ذَكروا في التَّفسير أنه حَضر جنازتَه أربعون ألفًا ممَّن اسمُه هارون(١).

وقال عبدُ الله بنُ الإمام أحمدَ: «سَمعتُ أبي يقولُ: قُولوا لأهلِ البِدع: بينَنا وبينكم يومُ الجنائزِ».

---

(١) انظر «تفسير البغوي» (٣/ ٢٣١).

وازدَحمَ الناسُ على قبرِهِ حتّى رُوي عن بعضِهم أنه قال: «مَكثتُ طولَ الأسبوعِ رجاءَ أنْ أصلَ إلى قبرِه فلم أصلْ مِن ازدِحامِ الناسِ، فلمّا انقضى الأسبوعُ وصَلتُ».

وكَثرَ الناسُ على قبرِه حتّى منعَهم المُتوكِّلُ مِن ذلك خشيةَ الفِتنةَ.

ووقعَ المأتَمُ يومَ مَوتِه عندَ أربعةِ أصنافٍ: المسلمينَ واليهودِ والنَّصارى والمجوسِ، وأَسلمَ منهم في ذلكَ اليومِ عشرونَ ألفًا(١).

وأَظهرت الناسُ في ذلك اليومِ مَدحَ السُّنةِ وذَمَّ البدعةِ، ولَعنوا أهلَ البِدعِ بأصواتٍ عاليةٍ، وأظهرَ اللهُ السُّنةَ مِن ذلك اليومِ، وناحتِ الجِنُّ عليه، وهتَفت الهواتفُ بموتِه.

قال أحمدُ بنُ محمودٍ: «كنتُ في البحرِ مُقبِلًا مِن ناحيةِ السِّندِ فقُمتُ في الليلِ، فإذا هاتفٌ مِن ناحيةِ البحرِ يقولُ: ماتَ العبدُ الصَّالحُ أحمدُ بنُ حَنبلٍ، فقلتُ لبعضِ مَن كان معنا: مَن هذا؟ فقال: هذا مِن صالحِ الجِنِّ، فكان موتُ أبي عبدِ اللهِ في تلكَ الليلة».

---

(١) أنكر ذلك الذهبيُّ، فقد قال في «السير» (١١/ ٣٤٣): «العادةُ والعقلُ تُحيل وقوعَ مثلِ هذا، وهو إسلامُ أُلوفٍ مِن الناس لموتِ وليٍّ لله، ولا يَنقل ذلك إلا مجهولٌ لا يُعرف، فلو وَقع ذلك لاشتهر ولتواتر لتوفُّر الهمم والدواعي على نقل مثلِه، بل لو أَسلم لموته مائةُ نفسٍ لقُضي مِن ذلك العجبُ».
وقال في «تاريخ الإسلام» (٥/ ١٠٦٨): «وهي حكايةٌ منكرةٌ، لا أَعلم أحدًا رواها إلا هذا الوَرْكانيُّ، ولا عنه إلا محمدُ بنُ العباس، تفرَّد بها ابنُ أبي حاتم، والعقلُ يُحيل أنْ يقعَ مثلُ هذا الحادث في بغدادَ ولا يَرويه جماعةٌ تَتوفَّر هممُهم ودواعيهم على نقلِ ما هو دونَ ذلك بكثير، وكيف يقع مثلُ هذا الأمر الكبيرِ ولا يَذكره المَرُّوْذيُّ، ولا صالحُ بنُ أحمدَ، ولا عبدُ الله بن أحمد، ولا حنبلٌ، الذينَ حَكَوا مِن أخبار أبي عبد الله جزئياتٍ كثيرةً لا حاجةَ إلى ذكرها، فوالله لو أَسلم يومَ موتِه عشرةُ أنفسٍ لكان عظيمًا، ولكان ينبغي أنْ يرويَه نحوٌ مِن عشرة أنفس، ثم انكشف لي كَذِبُ الحكاية».

وقال أبو زُرعةَ: «كان يُقال عندنا بخراسانَ: إنَّ الجِنَّ نَعتْ أحمدَ بنَ حنبلٍ قبلَ مَوتِه بأربعينَ صباحًا».

وقيلَ مثلُ ذلكَ بعدَ مَوتِه.

وسَمعوا هاتفًا مِن الجِنِّ يقولُ: «ماتَ اليومَ رجلٌ بالعراقِ، فذهَبَتِ الجِنُّ كلُّها تُصلِّي عليه إلا المَرَدةَ».

وقال رجلٌ مِن العلماءِ الفُضلاءِ[1] ليلةَ دَفنِه لبعضِهم: «أتدري مَن دَفنّا؟ فقال: مَن؟ فقال: سادسُ خمسةٍ أبو بكرٍ الصِّديقُ وعمرُ وعثمانُ وعليٌّ وعمرُ بنُ عبدِ العزيزِ»، يُريدُ: أنَّ كلَّ واحدٍ منهم أفضلُ أهلِ زمانِه.

* * *

فصلٌ فيما رَثاه به الأئمَّةُ مِن الأشعار

وهي كثيرةٌ جدًّا، منها ما أَنشده الهَيضَمُ لأبيه:

للزّاهِدِينَ مع الدُّموعِ دموعُ ... والعابِدونَ لهم عليكَ خُشوعُ

يَبكونَ فقْدَكَ والجُفونُ شِفاؤُها ... هَملانُها، ورُقادُها مَمنوعُ

يا أحمدَ الخَير[2] الذي وارى الثَّرى ... وبه الشَّتاتُ[3] مِن الجَميعِ جَميعُ

أروى مَحلَّتَكَ السَّماءُ وجادَها ... دِيَمُ الخَريفِ وصَيِّفٌ ورَبيعُ

---

(١) في «المناقب» لابن الجوزيِّ (ص٥٧٠): «وكان خيِّرًا فاضلاً يُكنى بأبي جعفرٍ».

(٢) في النُّسخ: «الحبر»، والمثبتُ مِن «المناقب» لابن الجوزي: (ص٥٧٧)، و«الجوهر المُحصَّل» (١/ ١٢٦).

(٣) في النُّسخ: «الثبات»، والمثبتُ مِن «المناقب» لابن الجوزي: (ص٥٧٧)، و«الجوهر المُحصَّل» (١/ ١٢٦)، أي: أنَّ فقدَه سببُ الشتات، والله أعلم.

ومنها ما أَنشده إسماعيلُ التِّرمذيُّ وهي طويلةٌ، وفيها:

ولـــم يَحمَـــد اللهُ الجِـــدالَ وأهلَـــه وكان رســـولُ اللهِ عـــن ذاكَ يَزجـــرُ

وسُـــنَّتُنا تَـــركُ الـــكلامِ وأهلِـــه ومَـــن دِينُـــه تَشـــدِيقُه والتَّقعُّـــرُ

تَفـــرَّغَ قـــومٌ للجِـــدالِ وأَغفَلـــوا طَريـــقَ التُّقـــى حتّـــى عـــلا المُتَهـــوِّرُ

وقاسُـــوا بـــآراءٍ ضِعـــافٍ وفَرَّطُـــوا ورأيُّ الـــذي لا يَتَّبـــعُ الحـــقَّ أَبتـــرُ

جَـــزى اللهُ رَبُّ النـــاسِ عنّـــا ابنَ حنبلٍ وصاحِبَـــه خيـــرًا إذا النـــاسُ أُحضِرُوا

سَـــميُّ نَبـــيِّ اللهِ أعنِـــي محمـــدًا فقُـــلْ فـــي ابـــنِ نُـــوحٍ والمقالـــةُ تَقصرُ

سَـــقى اللهُ قَبـــرًا حَلَّـــه مـــا ثَـــوى بـــه مِـــن الغَيـــثِ وسَـــمِيًّا يَـــروحُ ويَبكـــرُ

إلى أنْ قال:

إذا مُيِّـــزَ الأشـــياخُ يومًـــا وحَصَّلـــوا فأحمـــدُ مِـــن بيـــنِ المشـــايخِ جَوهـــرُ

رَقيـــقٌ أدِيـــمُ الوَجـــهِ حُلْـــوٌ مُهـــذَّبٌ إلـــى كلِّ ذِي تقـــوى وقُـــورٌ مُوقَّـــرُ

لعمـــرُكَ مـــا يَهـــوى لأحـــمـــدَ نـــكبـــةً مِـــن النـــاسِ إلا ناقصُ الفَضـــلِ مُعْورُ[1]

هـــو المِحنـــةُ اليـــومَ الـــذي يُبتلـــى بـــه فـــيُعـــتَبـــرُ السُّنـــيُّ فيهـــا[2] ويَســـبرُ

شَـــجًى فـــي حُلـــوقِ المُلحِديـــنَ وقُـــرَّةٌ لأَعيُـــنِ أهـــلِ النُّسْـــك[3] عَـــفٌّ مُشـــمِّرُ

---

(١) في النُّسخ: «مغور»، والمثبتُ مِن «المناقب» لابن الجوزي: (ص٥٧٤)، و«الجوهر المُحصَّل» (١/ ١٢٥).

(٢) في المصادر والمراجع: «فينا».

(٣) في النُّسخ: «الشرك»، والمثبتُ مِن «المناقب» لابن الجوزي: (ص٥٧٤)، و«الجوهر المُحصَّل» (١/ ١٢٥).

فَقَأ أعينَ المُرّاقِ فِعلُ ابنِ حنبلٍ ... وأَخرسَ مَن يَبغي العُيوبَ ويحقِرُ

جَرى سابقًا في حَلْبةِ الصِّدقِ والتُّقى ... كما سَبقَ الطَّرف الجَوادُ المُضَمَّرُ

إذا افتَخرَ الأقوامُ يومًا بسيِّدٍ ... ففيه[1] لنا ـ والحمدُ للهِ ـ مَفخَرُ

فقلْ للألُى يَشنونَه لصَلاحِه ... وصُحبتِه واللهُ بالعذرِ يعذرُ

جُعِلتُم فداءً أجمعونَ[2] لنَعلِه[3] ... فإنَّكم منها أذَلُّ وأَحقرُ

فيا أيُّها السَّاعي ليُدرِكَ شأْوَه ... رُويدَكَ عن إدراكِه ستُقصِّرُ

تَمسَّكْ بالعِلمِ الذي كان قد وَعى ... ولم يُلهِه عنه الخَبيصُ المُزَعفرُ

فلا بغلةٌ[4] هِملاجةٌ[5] مَغربيَّةٌ ... ولا حُلَّةٌ تُطوى مِرارًا وتُنشرُ

حَمى نفسَه الدُّنيا وقد سَنحتْ[6] له ... فمَنزِلُه إلا مِن القُوتِ مُقفِرُ

فإنْ يَكُ في الدُّنيا مُقِلًّا فإنه ... مِن الأدبِ المَحمودِ والعِلمِ مُكثِرُ

ومنها ما أَنشده أبو مُزاحِمٍ الخاقانيُّ:

جَزى اللهُ ابنَ حنبلٍ التَّقيّا ... عن الإسلامِ إحسانًا هَنيّا

---

(١) في النُّسخ: «فقيه»، والمثبتُ مِن «المناقب» لابن الجوزي: (ص٥٧٥)، و«الجوهر المُحصَّل» (١/ ١٢٥).

(٢) في المصادر والمراجع: «أجمعين».

(٣) لو قال: (لروحه) لكان أجمل!

(٤) في النُّسخ: «نعله»، والمثبتُ مِن «المناقب» لابن الجوزي: (ص٥٧٥)، و«الجوهر المُحصَّل» (١/ ١٢٥).

(٥) هِملاجة: حسنة السَّير، انظر «لسان العرب» (٢/ ٣٩٣).

(٦) في النُّسخ: «سخرت»، والمثبتُ مِن «المناقب» لابن الجوزي: (ص٥٧٥)، و«الجوهر المُحصَّل» (١/ ١٢٥).

فقد أعطاه إذ صَبرَ احتِسابًا ... على الأسواطِ إيمانًا قَويّا

هو الوَرِعُ الذي امتَحنُوه قِدْمًا ... فألفُوه عَليمًا لا غَبيّا

وجاءَ بصادِقِ الأخبارِ حتّى ... أقامَ بذلك الدِّينِ الرَّضيّا

حَبا المُتوكِّلُ السُّنيُّ بَدْءًا ... وعَودًا أحمدَ المالَ السَّنيّا

فآثَرَ أحمدُ الإقلالَ زُهدًا ... على الدُّنيا وكانَ بها سَخيّا

فأحمدُ جامِعٌ ورَعًا وزُهدًا ... وعِلمًا نافِعًا حَبرًا تَقيّا

وأحمدُ كان للفَتوى إمامًا ... رِضًا للمسلمينَ[1] معًا وفيّا

وأحمدُ مِحنةٌ في الناسِ طُرًّا ... نُميِّز به[2] المُعْوجَ والسَّويّا

ومنها: ما أَنشده العلّامةُ جمالُ الدِّين يحيى الصَّرصَريُّ، وهي قصيدةٌ طويلةٌ، عِدَةُ أبياتِها: خمسُ مئةٍ وسبعةٌ وخمسونَ بيتًا، منها:

ألَذُّ وأَحلى مِن شَمولٍ وشَمأَلِ ... وأليَقُ مِن ذِكرى حَبيبٍ ومَنزِلِ

وأطيَبُ مِن مِسكٍ تَضوَّعَ نَشرُه ... ونَدٍّ وكافورٍ ومِن عَرْفِ مَندَلِ

وأحسنُ مِن رَوضٍ تَفتَّقَ نُورُه ... على حافَّتَي ماءِ الغديرِ المُسَلسَلِ

ثناءٌ على الرَّحمنِ مِن نَثرِ ناظِمٍ ... مُجيدٍ على عِقدِ الإمامِ ابنِ حنبلِ

حَوى ألفَ ألفٍ مِن أحاديثَ أُسنِدَتْ ... وأَثبَتَها حِفظًا بِقَلبٍ مُحصِّلِ

أجابَ على ستينَ ألفَ قضيَّةٍ ... بأَخبرنا لا مِن صَحائفِ نُقَّلِ

---

(١) في (ش): «للعالمين».

(٢) في النُّسخ: «بمنزلة»، والمثبتُ مِن «المناقب» لابن الجوزي: (ص٥٩٧).

وكان إمامًا في الأحاديث حُجةً	لنَقدِ[1] صَحيحِ ثابتٍ ومُعلَّلِ
وكان إمامًا في كتابٍ وسُنَّةٍ	وعِلمٍ وزُهدٍ كامِلٍ وتَوكُّلِ
فمنهَجُه في الحقِّ أَقومُ مَنهَجٍ	ومَورِدُه في الشَّرعِ أعذَبُ مَنهلِ
فقد كان كالصدِّيقِ في يومِ رِدَّةٍ	وعثمانَ يومَ الدّارِ في الصَّبرِ إذ بُلي
وفي الضَّربِ فانحلَّتْ سَراويلُه دَعا	فما فارَقتْ حَقوى؟؟ مُحِقٍّ مُسرْوَلِ
ومِن وَرَعٍ قد كان يَطوي ثمانيًا	مُواصلةً في عَسكَرِ المُتوكِّلِ
هو العَلَمُ المَنشورُ لم يُطوَ ذِكرُه	فمات بل استَعلى على كُلِّ مُعتَلِ
إمامٌ عَظيمٌ كان للهِ حُجَّةً	على نَفيِ تَشبيهٍ ودَحضِ مُعطِّلِ
وعُوجِلَ مَن عاداهُ قومٌ بفالِجٍ	وقومٌ بتَسميرِ الحَديدِ المُنكَّلِ
وقومٌ بتَغريقٍ وبعضٌ تَعجَّلتْ	له رِيحُ أهلِ النّارِ شَرَّ تَعجُّلِ
وعشرونَ ألفًا أسلَموا حينَ عاينوا	جَنازتَه مِن كُلِّ صِنفٍ مُذَلَّلِ
وصلَّى عليه ألفُ ألفِ مُوحِّدٍ	وستُّمئةِ ألفٍ فأَعظِمْ وأَكمِلِ
فقد بانَ بعدَ الموتِ للناسِ فضلُه	كما كان حيًّا فضلُه ظاهرٌ جَلي
أقرَّ له بالفضلِ أعيانُ وقتِه	وأَثنوا عليه بالثَّناءِ المُبَجَّلِ
أبو حاتِم وابنُ المَدينيِّ والرِّضا	أبو زُرعَةَ الرّازيُّ كَنزُ المُحولِ
ولابنِ مَعينٍ فيه أزكى شَهادةٍ	وشُكرُ ابنِ سلّامٍ له اسمعْ وسَجِّلِ
وأَثنى عليه الشافعيُّ بأنَّه	إمامٌ جَليلٌ في ثمانيةٍ مُلي
حديثٌ وقُرآنٌ وفقهٌ وسُنَّةٌ	وفَقرٌ وزُهدٌ للرِّجالِ مُجمِّلِ

(١) في (ش): «لفقد».

وفـي وَرعٍ شـافٍ وفـي اللغـةِ التـي ... بهـا نَـزلَ القُـرآنُ خيـرُ مَنـزَلِ

وتُربتُـه الزَّهـراءُ مَلجـأَ خائـفٍ ... ونُصـرةُ مَقهـورٍ ووُصلـةُ مَـن وَلـي

تَفـوقَ علـى نَبـتِ الرِّيـاضِ نَضـارَةً ... كأنَّ الثَّـرى منهـا بغاليَـةٍ طُلـي

جـزاهُ عـن الإسـلامِ خيـرًا إلهُـه ... جـزاءَ مُحـامٍ ناصِـرٍ مُتكَفِّـلِ

ومـن تابعيـه كلّ وقـتٍ عِصابـة ... بهـم يُهتـدى فيـه إلـى حَـلِّ مُشـكِلِ

إلى أن قال:

لأنـتَ إلـى الرَّحمـنِ أقـوى وَسـيلةٍ ... إليـه بهـا فـي الحادِثـاتِ تَوسُّـلي

فلسـتُ مِن الخَطـبِ المُلـمِّ بخائفٍ ... وأنـتَ علـى كُلِّ الحوادثِ لـي وَلي

وأنشد ابنُ أعين مُوبِّخًا لأهلِ البِدعِ قبَّحهم اللهُ أجمعين[1]:

أَضحـى ابـنُ حنبـلٍ مِحنَـةً مأمونـةً ... وبِحـبِّ أحمـدَ يُعـرَفُ المُتنسِّـكُ

وإذا رأيـتَ لأحمـدٍ مُتَنقِّصًـا ... فاعلَـمْ بـأنَّ سُـتورَه سَـتُهتَكُ

وأَنشد أبو مُزاحمٍ يقولُ[2]:

لقـد صـارَ فـي الآفـاقِ أحمـدُ مِحنَةً ... وأمـرُ الـوَرى فيهـا فليـسَ بمُشْـكِلِ

تَـرى ذا الهَوى جَهـلًا لأحمدَ مُبغِضًا ... ويُعـرفُ ذو التَّقوى بحُـبِّ ابنِ حنبلٍ

على أنَّ الذي قِيل فيه كثيرٌ لا يَنحصِر، ونحنُ وإنْ حصرْناه بحيثُ لا يَبقى منه شيءٌ، فإنا نَعلمُ أنَّ قَدرَه فوقَ جميعِ ما قيلَ فيه، وفي الإشاراتِ ما يُغني عن الكَلِمِ.

---

(١) «قبحهم الله أجمعين» ليست في (ش).

(٢) «يقول» زيادةٌ مِن (ك).

فصلٌ فيما رُؤيَ له مِن المَنامات بعدَ موتِه[1]

قال عبدُ اللهِ ابنُ الإمام[2] أحمدَ: «رأيتُ أبي في المَنامِ فقلتُ له: يا أبتِ ما فَعلَ اللهُ بكَ؟ فقال: أوقَفني بينَ يدَيه فقالَ لي: يا أحمدُ بسَبَبي ضُربتَ وامتُحِنتَ مِن أجلي! ها وَجهي قد أبحتُكَ النَّظرَ إليَّ».

وقال بُندارُ بنُ محمدٍ: «رأيتُ أحمدَ بنَ حنبلٍ في المَنامِ شَبيهَ المُغضَبِ، فسألتُه عن ذلك؟ فقال: وكيفَ لا أَغضبُ وقد جاءَني مُنكَرٌ ونَكيرٌ فسألاني مَن ربُّكَ؟ فقلت: ولِمثلي يُقال مَن رَبُّكَ؟! فقالا لي: صَدقتَ يا أبا عبدِ اللهِ، ولكنْ بهذا أُمِرنا فأَعذِرنا».

ورآه آخرُ في النَّومِ فقال: «يا أبا عبدِ اللهِ ما فَعلَ اللهُ بكَ؟ فقال: غَفرَ لي وأَدخلَني الجنَّةَ وتَوَّجَني بهذا التاجِ بيدِه، وقال لي: هذا بقولِكَ القرآنُ كلامُ اللهِ غيرُ مَخلوقٍ، فقلتُ له: يا أبا عبدِ اللهِ ما هذه الخَطرةُ[3] التي لم أعرِفْها لكَ؟ فقال: هذه مِشيةُ الخُدّامِ في دارِ السَّلامِ».

وقال المَرُّوْذيُّ: «رأيتُ الإمامَ أحمدَ في المَنامِ كأنه في رَوضَةٍ وعليه حُلَّتانِ خَضراوانِ وعليه تاجٌ مِن نُورٍ، وهو يَمشي مِشيةً لم أعرِفْها منه، فقلتُ له: يا أحمدُ ما هذهِ المِشيةُ؟ فقال: هذه مِشيةُ الخُدّامِ في دارِ السَّلامِ، قلتُ: فما هذا التاجُ الذي على رأسِكَ؟ فقال: إنَّ ربي عزَّ وجلَّ أَوقفَني بينَ يدَيه وحاسَبني حِسابًا يَسيرًا، وقَرَّبني

---

(١) قال الحافظُ الذهبيُّ في «السير» (١١/ ٣٥٣): «ولقد جَمع ابنُ الجوزيِّ فأَوعى مِن المنامات في نحوِ مِن ثلاثينَ ورقة، وأَفرد ابنُ البنَّاءِ جُزءًا في ذلك، وليس أبو عبد الله ممن يَحتاج تقريرُ ولايتِه إلى منامات، ولكنها جندٌ مِن جند الله، تَسرُّ المؤمنَ، ولا سيما إذا تواترتْ».

(٢) «الإمام» زيادةٌ مِن (ش).

(٣) في (ك): «الخطوة»، والمثبتُ موافقٌ للمصادر والمراجع، والله أعلم.

وأباحَني النَّظرَ إليه، وتَوَّجَني بهذا التاجِ وقال: يا أحمدُ هذا تاجُ الوَقارِ تَوَّجتُكَ به كما قُلتَ: القُرآنُ كَلامي غيرُ مَخلوقٍ».

وفي أُخرى: «وقال: يا أحمدُ، ادعُني بتلكَ الدَّعواتِ التي بَلَغتْك عن سفيانَ الثَّوريِّ التي كنتَ تَدعو بهنَّ في دارِ الدُّنيا، فقلتُ: يا ربَّ كلِّ شيءٍ، بقُدرَتِكَ على كلِّ شيءٍ، لا تَسألْني عن شيءٍ، واغفرْ لي كلَّ شيءٍ، فقال لي: يا أحمدُ هذه الجنةُ فقُمْ ادخُلْ، فإذا أنا بسفيانَ الثَّوريِّ له جَناحانِ أخضَرانِ، يَطيرُ بهما مِن نَخلةٍ إلى نَخلةٍ، وهو يقولُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ﴾ [الزمر: ٧٤]، فقلتُ: ما فَعلَ عبدُ الوَهّابِ الوَرّاقُ؟ قال: تَركتُه في بحرٍ مِن نُورٍ يَزورُ ربَّه الغَفورَ، فقلتُ له: ما فَعلَ بِشرٌ؟ فقال: بَخٍ بَخٍ ومَن مثلُ بِشرٍ؟! تَركتُه بينَ يدَي الجَليلِ، وبينَ يدَيه مائدةٌ مِن الطَّعامِ، والجَليلُ جلَّ جلالُه مُقبلٌ عليه يقولُ له: كُلْ يا مَن لم يأكُلْ، واشربْ يا مَن لم يَشرَبْ، وتَنعَّمْ يا مَن لم يَتنعَّمْ».

وقال أحمدُ بنُ أبي الفَتحِ: «رأيتُ بِشرًا الحافيَ في المَنامِ وهو جالسٌ في بُستانٍ، وبينَ يدَيه مائدةٌ، وهو يأكُلُ منها، فقلتُ له: ما فَعلَ اللهُ بكَ؟ فقال: رَحِمني وغَفرَ لي، وأباحَني الجنةَ بأسرِها، وقال لي: كُلْ مِن جميعِ ثمارِها، واشرَبْ مِن جميعِ أنهارِها، وتَمتَّعْ بجميعِ ما فيها، كما أنكَ أَحرَمتَ[1] على نفسِكَ مِن شَهواتِ الدُّنيا، فقلتُ له: أينَ أخوكَ أحمدُ بنُ حنبلٍ؟ قال: هو قائمٌ على بابِ الجنَّةِ يَشفعُ لأهلِ السُّنةِ ممَّن يقولُ: القُرآنُ كَلامُ اللهِ غيرُ مَخلوقٍ، فقلت له: ما فَعلَ اللهُ بمَعروفٍ الكَرخِيِّ؟ فحَرَّكَ رأسَه ثمَّ قال: هَيهات! حالَت الحُجبُ بينَنا وبينَه! ثمَّ قال: اعلَمْ يا أخي: إنَّ مَعروفاً لم يَعبُد اللهَ شَوقًا إلى الجنَّة، ولا خوفًا مِن النار، وإنَّما عَبدَه شَوقًا إليه، فرَفعَه اللهُ

---

(١) كذا في النُّسخ.

إلى الرَّفيقِ الأعلى، ورَفعَ الحُجبَ بينَه وبينَه، فمَن كانت له حاجةٌ فلْيَسأل اللهَ ببركةِ أحمدَ ومعروفٍ وبِشرٍ»[1].

وقال بعضُهم: «رأيتُ كأنَّ القيامة قد قامتْ، وإذا برجلٍ على فَرسٍ به مِن الحُسنِ ما اللهُ به عَليمٌ، ومُنادٍ يُنادي: ألا لا يَتقدَّمَنَّ اليوم أحدٌ[2]، فقلتُ: مَن هذا؟ فقالوا: أحمدُ بنُ حنبلٍ».

وقال عليُّ بنُ الموفَّقِ: «رأيتُ كأنِّي أُدخِلتُ الجنَّةَ، فإذا أنا بثلاثةِ نَفرٍ:

- رجلٍ قاعدٍ على مائدةٍ قد وَكَّل اللهُ به مَلكَينِ، فمَلَكٌ يُطعِمُه، ومَلَكٌ يَسقيه.
- وآخرَ واقفٌ على بابِ الجنةِ يَنظُر إلى وجُوه قَومٍ فيُدخِلُهم الجنةَ.
- وآخرَ واقفٌ في وسَطِ الجنةِ شاخِصٌ ببَصرِه إلى العَرشِ، يَنظُر إلى الرَّب.

فجئتُ إلى رضوانَ فقلتُ: مَن هؤلاء؟ فقال:

- أمّا الأوَّلُ: فبِشرٌ الحافي، خَرجَ مِن الدُّنيا وهو جائعٌ عطشانُ.
- وأمّا الواقِفُ في وسَط الجنةِ: فمعروفٌ الكَرخيُّ، عبدَ اللهَ شوقًا منه للنَّظرِ فقد أُعطي.
- وأمّا الواقِفُ على باب الجنةِ: فهو الصَّادقُ في قولِه، الوَرِعُ في دينِه، أبو عبدِ اللهِ أحمدُ بنُ حنبلٍ، قد أَمره الجبّارُ أنْ يَنظُرَ إلى وُجوهِ أهلِ السُّنةِ فيَأخذَ بأيديهم، فيُدخِلَهم الجنةَ»[3].

---

(١) لم أعثر على هذا السياق لهذه القصة!

(٢) في النسخ: «اليوم هذا أحد»، بزيادةِ كلمة: «هذا»، والمثبتُ موافقٌ لكافَّة المصادر.

(٣) ذَكر الذهبيُّ في «السير» (١١/ ٣٤٩): أنَّ إسنادَها مُظلمٌ.

وقال عبدُ الرَّحمنِ بنُ يُونسَ: «رأيتُ في المَنام لمّا تُوفي أحمدُ بنُ حنبلٍ كأنِّي قد دَخلتُ الجنةَ، فقيل لي: ائتِ في جنَّةِ عَدْنٍ، فاستَقْبلني ثلاثةُ فوارسَ، وبينَ أيديهم فارسٌ بيدِهِ لواءٌ، فقلتُ: مَن هؤلاء؟ فقيل لي: الذي عن يَمينِه جبريلُ، وعن يسارِه ميكائيلُ، والأوسطُ أحمدُ بنُ حنبلٍ، وصاحبُ اللِّواءِ إسرافيلُ، وإنَّ اللهَ أعطاه هذا اللِّواءَ وولّاه جنةَ عَدْنٍ، فلا يَدخلَها إلّا مَن أحبَّه».

وقال عليُّ بنُ إسحاقَ السِّجستانيُّ: «رأيتُ كأنَّ القيامةَ قد قامتْ، وكأنَّ الناسَ جاؤوا إلى موضِعٍ وعندَه قَنطَرةٌ، لا يَتركُ أحدٌ يجوزُ حتّى يَجيءَ بخاتَمٍ، ورجلٌ ناحيةً يَختِمُ للنّاسِ، فمَن جاءَ بخاتَم جاز، فقلتُ: مَن هذا الذي يَختِمُ للنّاسِ؟ فقيل: أحمدُ بنُ حنبلٍ».

وقال في «مجالسِ الأخيار»: «رُويَ أنَّ رجلًا جاءَ بِشرًا الحافيَ فقال: يا أبا نصرٍ رأيتُ في هذه اللَّيلةِ كأنَّ القيامةَ قد قامتْ، والناسُ في كَربٍ وشِدَّةٍ، حتّى رأيتُ دُموعَ الناسِ تَجري دَمًا، إذ خَرجَ مُنادٍ يُنادي: أين بشرٌ؟ وأينَ أحمدُ بنُ حنبلٍ؟ فأَخذوكما فأَدخلوكما على الله تعالى! فقال أهلُ الموقِفِ: إنْ حُوسِبَ هؤلاءِ هَلَكْنا، وإذ[1] قد خَرجَ علينا مَلَكٌ مِن الملائكَةِ فقلنا له: ما فَعلَ بِشرٌ وأحمدُ؟ فقال: يُحاسبانِ بقيامِ الشُّكرِ بما مَنَّ عليهما مِن سَترِهما، فقال بشرٌ: أمّا أحدُ الاثنينِ فالتَّقصيرُ قَرينُه، وأمّا الآخرُ فتَشْهدُ له الحقائقُ بقيامِه بالشُّكرِ، ثمَّ بَكى بِشرٌ وقال: ويحكَ يا بِشرٌ شُدَّ حيازِيمَكَ[2] فإنَّكَ مَطلوبٌ».

---

(١) في (ك) و(ش): «وإذا».

(٢) في (ك): «حيلك»، والحيازم: جمع الحَيزوم، وهو الصَّدرُ، وقيل: وسَطُه، وهذا الكلامُ كنايةٌ عن التَّشمُّر للأمرِ والاستعدادِ له، انظر «لسان العرب» (١٢/ ١٣٢).

وقال إبراهيمُ الحَربيُّ: «رأيتُ في المَنامِ بشرًا الحافيَ كأنَّه خارجٌ مِن جامعِ الرُّصافةِ وفي كُمِّه شيءٌ يتحرَّك، فقلتُ له: ما فعلَ اللهُ بكَ؟ قال: غفرَ لي، وأكرمَني، قلتُ: فما هذا الذي في كُمِّكَ؟ قال: قَدمَ علينا البارِحةَ رُوحُ أحمدَ بنِ حنبلٍ، فنُثِرَ عليها الدُّرُّ والياقوتُ، فهذا مِمّا التقطتُ، قلتُ: فما فَعل يحيى بنُ مَعينٍ وأحمدُ بنُ حنبلٍ؟ قال: تَركتُهما وقد زارا ربَّ العالمينَ، ووُضِعَتْ لهما المَوائدُ، قلتُ: فلِمَ لا تأكلُ[1] معهما؟ قال: قد عَلِمَ هَوانَ الطَّعامِ عليَّ فأَباحَني النَّظَرَ إلى وجهِه».

وقال بُندارُ بنُ بشارٍ: «رأيتُ سفيانَ الثَّوريَّ في المَنامِ فقلتُ: إلى مَ صِرتَ؟ فقال: إلى أكثرِ مِمّا أمَّلتُ، فقلتُ: ما هذا الذي في كُمِّكَ؟ فقال: دُرٌّ وياقوتٌ وجَوهرٌ، قَدِمَتْ علينا رُوحُ أحمدَ بنِ حنبلٍ فأَمرَ اللهُ أنْ يُنثرَ علينا الدُّرُّ والياقوتُ والجَوهرُ، فهذا نَصِيبي».

وقال أبو بكرٍ أحمدُ بنُ محمدٍ الرَّمليُّ قاضي دمشقَ: «دَخلتُ العِراقَ فكتَبتُ كُتبَ أهلِها وأهلِ الحجازِ، فمِن كثرةِ خِلافِهما لم أَدرِ بأيِّهما آخذُ! فلمّا كان جَوفُ اللَّيلِ قُمتُ فتوضَّأتُ وصَلَّيتُ وقلتُ: اللهمَّ اهدِني إلى ما تُحبُّ، ثمَّ أَويتُ إلى فراشي فرأيتُ النبيَّ ﷺ دَخلَ مِن بابِ بَني شَيبةَ، وأَسندَ ظَهرَه إلى الكعبةِ، فرأيتُ الشافعيَّ وأحمدَ بنَ حنبلٍ على يَمينِ النبيِّ ﷺ، والنبيُّ يبتسِمُ إليهما، وبِشرٌ المَريسيُّ مِن ناحيةٍ فقلتُ: يا رسولَ اللهِ مِن كثرةِ اختلافِهما لم أَدرِ بأيِّهما آخذُ، فأَومأ إلى الشافعيِّ وأحمدَ وقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ﴾ [الأنعام: ٨٩]، ثم أَومأ إلى بِشرٍ المَريسيِّ وقال: ﴿فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ۝٨٩ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾».

(١) في (ك): «آكل»، وهو تحريف.

وقال أبو عبدِ اللهِ الزُّبيريُّ: «جاءني رجلٌ مِن أهلِ البَصرةِ يُقال له: أبو محمدٍ القُرَشيُّ، مِن أهلِ العِلمِ والسُّننِ[1] والصَّلاحِ، فقال لي: أُخبِركَ بِرؤيا تُسَرُّ بها؟ رأيتُ النبيَّ ﷺ في النَّومِ، وعندَه أبو بكرٍ وعمرُ وعثمانُ وعليٌّ إذ جاءَه أربعةُ نَفرٍ فقرَّبَهم، فعَجِبتُ مِن تَقرِيبِه لهم، فسألتُ بعضَ مَن حَضَرَ عنهم فقال: هذا مالكُ بنُ أنسٍ وأحمدُ وإسحاقُ والشافعيُّ، فرأيتُ كأنَّ النبيَّ ﷺ أخذ بيدِ مالكٍ فأَجلَسه إلى جنبِ أبي بكرٍ، وأَخذ بيدِ أحمدَ فأَجلَسه إلى جنبِ عمرَ، وأَخذ بيدِ إسحاقَ فأَجلَسه إلى جنبِ عثمانَ، وأَخذ بيدِ الشافعيِّ فأَجلَسه إلى جنبِ عليٍّ، قال الزُّبيريُّ: فسألتُ بعضَ العُلماءِ بالتَّعبيرِ فقال: منزلةُ مالكٍ مِن العلماءِ بمنزلةِ أبي بكرٍ مِن الصَّحابةِ لم يَختلفْ فيه أحدٌ، ومنزلةُ أحمدَ كمنزلةِ عمرَ في صَلابتِه وجلادَتِه، وأنه لم تأخذْه في اللهِ لومةُ لائمٍ، كذلكَ كان أحمدُ بنُ حنبلٍ، احتَملَ الشَّدائدَ ولم يَتكلَّمْ في القرآنِ إلّا بحقٍّ، ولم يَضْعف في الحقِّ، ومنزلةُ إسحاقَ كمنزلةِ عثمانَ فيما لَقيَ حتّى فارقَ منزلَه، ومنزلةُ الشافعيِّ كمنزلةِ عليٍّ، فإنه كان أقضاهم، كذلكَ كان الشافعيُّ أعلمَ بالفقهِ والقضايا».

وقال ابنُ أبي الوَردِ: «رأيتُ النبيَّ ﷺ في المَنامِ فقلتُ: يا رسولَ اللهِ ما شأنُ أحمدَ بنِ حنبلٍ؟ فقال ﷺ: سيأتيكَ موسى فسَلْه، فإذا أنا بموسى عليه السَّلامِ فقلتُ: يا نبيَّ اللهِ، ما بالُ أحمدَ بنِ حنبلٍ؟ فقال: أحمدُ بُليَ في السَّراءِ والضَّراء، فوُجدَ صابرًا صادقًا فأُلحِقَ بالصِّدِّيقِين».

وفي هذا بيانُ فضيلةِ أُمَّةِ محمدٍ ﷺ على الأُمَمِ، حتّى إنَّ موسى عليه السَّلام هو الذي بيَّنَ ذلكَ بتقرُّرِه، وبيانِ قَدرِ أحمدَ بنِ حنبلٍ، حيثُ يَشهدُ بعظيمِ فضلِه نَبيّانِ عليهما الصَّلاةُ والسَّلام.

---

(١) في «المناقب» لابن الجوزي (ص٦٠١): «والستر».

وحِكمَةٌ أُخرى: وهي أنَّ مِحنَةَ أحمدَ إنَّما هي في كونِ القُرآنِ مَخلوقًا، ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾، فهو يَعرِفُ أنَّ القُرآنَ ليس بمَخلوق[1] فيُعرِّفُ الناسَ بذلكَ؛ ليَزدادَ يقينُهم بأنه مُنزَّلٌ غيرُ مَخلوقٍ.

وقال الأسودُ بنُ سالمٍ: «بينا أنا نائمٌ إذ أتاني آتٍ فقال: يا أسودُ إنَّ اللهَ يَقرأُ عليكَ السَّلامَ ويقولُ لكَ: هذا أحمدُ بنُ حنبلٍ يَردُّ الأمَّةَ عن الضَّلالةِ فما أنتَ فاعلٌ؟ اتبعْه وإلّا هَلَكتَ».

وفي رِوايةٍ أُخرى: «مَن خالَفَ أحمدَ عُذِّبَ».

وقال أبو عبدِ الله[2]: «رأيتُ النبيَّ ﷺ في المَنامِ فقلتُ: مَن تَركتَ لنا في عَصرِنا هذا نَقتدي؟ فقال: عليكَ بأحمدَ بنِ حنبلٍ».

وقال أبو زُرعَةَ: «رأيتُ النبيَّ ﷺ في المَنامِ فشَكوتُ إليه ما نَلقى مِن الجَهْميَّةِ فقال: لا تَحزنْ فإنَّ أحمدَ بنَ حنبلٍ قد سَدَّ عليهم الأُفقَ».

ورُؤيتْ زُبيدةُ في المَنامِ فقيل لها: ما فَعلَ اللهُ بكِ؟ قالتْ: غُفرَ لي بأوَّلِ مِعولٍ ضُرِبَ في طريقِ مَكةَ، فقيل لها: ما هذه الصُّفرَةُ التي أَرى بكِ؟ فقالتْ: زَفرتْ جهنَّمُ على رجلٍ يُقال: له بِشرٌ المَريسيُّ زَفرَةً فاقشَعرَّ لها جِلدي، فقيل لها: فما فَعَل أحمدُ بنُ حنبلٍ؟ فقالتْ: فارَقتُه الآنَ، وهو في طيَّارةٍ[3] بيضاءَ في لُجَّةٍ حمراءَ يُريدُ زيارةَ الجَبّارِ عزَّ وجلَّ، فقيل لها: بمَ نال ذلكَ؟ فقالتْ: بقولِه القرآنُ كلامُ اللهِ غيرُ مَخلوقٍ.

---

(١) في (ش): «غير مخلوق»، وفي الهامش: «ليس بمخلوق» وتحتَها إشارةُ (صح).

(٢) في «المناقب» لابن الجوزي (ص٦٢٣): «أبو عبد الله السجستاني».

(٣) في «المناقب» لابن الجوزيِّ (ص٦٢٧): «طيار».

وبالجُملةِ: فهذا بابٌ واسعٌ، أَضربْنا عنه خَوفَ الإطالةِ، وفيما أَشرنا إليه كفايةٌ للمُوقنِ، وهدايةٌ للمُذعنِ بفضلِ هذا الإمام.

***

فصلٌ فيما رَآه مِن المَنامات، وفضلُ زيارَتِه

قال عبدُ اللهِ ابنُ الإمامِ أحمدَ: «سَمعتُ أبي يقولُ: رأيتُ ربَّ العِزَّةِ في المَنامِ فقلتُ: يا رَبُّ ما أفضَلُ ما تقرَّبَ به المُتقرِّبونَ إليكَ؟ فقال: بكلامي يا أحمدُ، قال: فقلتُ: يا ربُّ بفهمٍ أو بغيرِ فهمٍ؟ فقال: بفهمٍ وبغيرِ فهمٍ».

ورَوى صاحبُ «الإشاراتِ»[1]: أنَّ الإمامَ أحمدَ رحمه اللهُ أَجنبَ يومًا فجاءَ إلى الدِّجلةِ ببغدادَ وأَراد التَّطهُّرَ منها، فلم يَجدْ معه ما يَستتِر به، فاستَحيا مِن اللهِ أنْ يَنزلَ عُريانًا، فنَزلَ بقَميصِه واغتَسلَ مِن الجَنابة، ثمَّ ظَهرَ وقَميصُه مَبلولٌ، فلَم يَستطعْ عَصرَه، فجَلسَ في الشَّمسِ والقَميصُ عليه ليُنشِّفَه، فأخذَه سِنةٌ مِن النَّومِ، فرأى النبيَّ ﷺ فقال له: يا أحمدُ كما تَبعتَ سُنَّتي واستَحييت أنْ تَنزِلَ عُريانًا جَعلتُكَ رُبعَ الإسلامِ، وكان ذلكَ في ابتداءِ أمرِه، فكان مِن أمرِه ما كان».

وقال رحمه اللهُ: «سَمعتُ أُمي تَقول: لمّا قَدمنا نَهروانَ في مَجيئنا مِن خُراسانَ مِن مَروٍ فإذا أعرابيٌّ على جسرِ نَهروانَ على ناقَتِه، فقال: يا هذه احفَظي ما في بطنِك، فسَيكونُ لهُ شأنٌ مِن الشَّأنِ»[2].

---

(١) «الإشارات في علم العبارات» (ص٨٧٦).

(٢) «منازل الأئمة الأربعة» (ص٢٣٧).

وقال الإمامُ أبو الفرجِ[١]: «قرأتُ بخطِّ شيخنا أبي الحسنِ بنِ الزاغُونيِّ[٢] قال: كُشِفَ قَبرُ إمامِنا أحمدَ بنِ حنبلٍ رضي الله عنه حينَ دُفِنَ الشَّريفُ أبو جعفرِ بنُ أبي موسى[٣] إلى جانبِه، وجُثَّتُه لم تَتغيرْ، وكَفنُه صحيحٌ ولَم يَبْلَ، قال: وبينَ وفاةِ الإمامِ أحمدَ ووفاةِ أبي جعفرٍ: مئتا سنَةٍ وتسعٍ وعشرونَ سَنةً[٤]».

ورُويَ: أنَّ رجلًا رَأى في المَنامِ على قبرٍ قِنديلًا فسألَ عن ذلكَ؟ فقيل له: هذا بنزولِ أحمدَ بينهم، وقد كان فِيهم مَن يُعذَّبُ فرُحِمَ به.

قال أبو الفَرجِ[٥]: «كنتُ أَزور قبرَ أحمدَ بنِ حنبلٍ فتَركتُه مُدَّةً، فقيلَ لي في المَنامِ: لِمَ تَركتَ قبرَ إمامِ السُّنةِ؟!».

وجاءَ بعضُهم إلى قبرِه مِن ستِّ مئةِ فَرسخٍ، وأَخبرَ أنه رَأى في المَنامِ ببلدِه الذي أَتى منه خلقًا قد فُتِّحتْ لهم أبوابُ السَّماءِ، والملائكةُ تنزِلُ عليهم، فسألَ عن ذلك؟ فقيل له: هؤلاءِ زُوّارُ قبرِ أحمدَ بنِ حنبلٍ رضي اللهُ عنه.

قلتُ: وبالجُملةِ فهذا بابٌ واسعٌ، وفيما ذَكرناه كفايةٌ، واللهُ سبحانه أعلم.

* * *

---

(١) «مناقب الإمام أحمد» (ص٦٤٤).

(٢) شيخ الحنابلة ذو الفنونِ والتصانيف أبو الحسنِ عليُّ بنُ عبيدِ الله الزاغوني البغدادي، قال ابنُ الجوزيِّ: «صحبتُه زمانًا وسمعتُ منه، وعلَّقتُ عنه الفقهَ والوعظ»، انظر «السير» (١٩/ ٦٠٥).

(٣) هو شيخ الحنابلة أبو جعفرٍ عبدُ الخالق بنُ عيسى الهاشميُّ البغدادي (ت٤٧٠)، قال الذهبيُّ في «السير» (١٨/ ٥٤٧): «دُفن إلى جانب قبر الإمام أحمد، وكان يومُ موتِه يومًا مشهودًا».

(٤) ساق هذا الخبرَ الحافظُ ابنُ حجرٍ في «تهذيب التهذيب» (١/ ٤٤) إلا أنه قال: «وذلك بعدَ موتِه بمئتينِ وثلاثينَ سنة»، ولا ضيرَ بذلك.

(٥) القائل هو أبو الفرجِ الهُندبائي كما «المناقب» لابن الجوزي: (ص٦٣٩).

[الخاتمة]

خاتمةٌ في سببِ اختيارِ كثيرٍ مِن أكابرِ العلماءِ والصُّوفيةِ كالشيخِ عبدِ القادرِ الجِيليِّ لمَذهبِ أحمدَ على مذهبِ غيرِه[1]:

قال الإمامُ الحافظُ أبو الفَرجِ بنُ الجَوزيِّ[2]: «اعلمْ: أنه إنَّما يَتبيَّن الصَّوابُ لِمَن أَعرضَ عن الهَوى، والتَفتَ عن العَصبيَّة، فذلكَ الذي يَنجَلي له غامضُ المُشتَبه، فأمّا مَن مالَ به الهوى فعَسيرٌ تَقويمُه!

واعلمْ: أننا نَظَرْنا في أدلَّةِ الشَّرعِ وأُصولِ الفِقه، وسَبَرْنا أحوالَ المُجتهِدين، فرأينا هذا الرَّجلَ ـ يعني: أحمدَ ـ أَوفرَهم حظًّا مِن تلكَ العُلومِ، فإنه كان مِن الحافِظينَ لكتابِ اللهِ، ومِن المُصنِّفِين في فُنونِ علومِ القرآنِ.

وأمّا النَّقلُ: فقدْ سَلَّم الكلُّ له؛ لانفرادِه[3] بما لَم يَنفرِدْ به سواهُ مِن الأئمَّةِ لكثرةِ مَحفوظاتِه، ومَعرفتِه بالصَّحيحِ والسَّقيم، وقد ثَبتَ أنه ليسَ في الأئمَّةِ الأعلامِ قَبلَه مَن له حَظٌّ في الحديثِ كحظِّ مالكٍ، ومَن أرادَ مَعرفةَ مقامِ أحمدَ في ذلكَ فليَنظُرْ فرقَ ما بينَ «المُسنَدِ» و«المُوطَّأ».

---

(١) رحم الله الأئمَّةَ الأربعةَ المُجتهدينَ ومُقلِّديهم أجمعين، فكلٌّ واحدٍ منهم له فضلٌ ومناقب، قد يَجتمعون في بعضها، وقد يَفوق أحدُهم بخصلةٍ ويَفوق غيرُه بغيرها، ولو تتبَّعْنا مُقلِّديهم لوجدْنا في كلِّ مذهبٍ أئمةً وجبالًا في العِلم والعمل.

ولا حرجَ بافتخارٍ ومدحِ أتباعِ كلِّ مذهبٍ لمذهبه ما لم يكن فيه انتقاصٌ لمذاهبِ الآخرين، وسيُشير المؤلِّف رحمه الله لذلك، والله الموفِّق والهادي إلى سواء السبيل.

(٢) «مناقب الإمام أحمد» (ص٦٦٠).

(٣) في «المناقب» لابن الجوزي: «انفراده».

وقد كان أحمدُ رضي اللهُ عنه يَذكرُ الجَرحَ والتَّعديلَ والعِلَلَ مِن حِفظِهِ إذا سُئلَ كما يَقرأُ الفاتحةَ، ولم يكُن هذا لأحدٍ منهم.

وأمّا العربيةُ: فقد قال أحمدُ: كتبتُ مِن العربيةِ أكثرَ مِمّا كَتب أبو عمرٍو الشَّيبانيُّ.

وأمّا القياسُ: فله مِن الاستنباطِ ما يَطولُ شَرحُه.

ثمَّ إنه ضَمَّ إلى العلومِ ما عَجِزَ عنه القومُ مِن الزُّهدِ في الدُّنيا وقوَّةِ الوَرَعِ، ولم يُنقلْ عن أحدٍ مِن الأئمَّةِ أنه امتَنعَ مِن قَبولِ أرزاقِ[1] السُّلطانِ وهدايا الإخوانِ مع الحاجةِ مِثلَه.

ثمَّ إنه ضَمَّ إلى ذلكَ الصَّبرَ على الامتحانِ، وبَذلَ المُهجَةِ في نُصرةِ الحَقِّ.

ورحمةُ اللهِ على الكلِّ، وللنّاسِ فيما يَعشقونَ مذاهبُ»، انتهى كلامُ ابنِ الجَوزيِّ مُلخَّصًا.

وبالجُملةِ: فالأئمَّةُ كلُّهم على هُدًى مِن اللهِ تعالى، يَجبُ تَعظيمُهم على كلِّ مسلمٍ مُوحِّدٍ، ويَجبُ تَركُ الطَّعنِ عليهم.

قال أبو زُرعَةِ الرّازيُّ: «إذا رأيتَ الكُوفيَّ يَطعنُ على سفيانَ الثَّوريِّ وزائدةَ[2] فلا تَشُكَّ أنه رافضيٌّ، وإذا رأيتَ الشّاميَّ يَطعنُ في مَكحولٍ والأوزاعيِّ فلا تَشُكَّ أنَّه ناصبيٌّ، وإذا رأيتَ البَصريَّ يَطعنُ في أيوبَ السَّختيانيِّ وابنِ عَونٍ فلا تَشُكَّ أنَّه قَدريٌّ، وإذا رأيتَ الخُراسانيَّ يَطعنُ على عبدِ اللهِ بنِ المُباركِ فلا

---

(١) في (ش): «إرفاق»، وكذلك هي في «المناقب» لابن الجوزي، والإرفاقُ: سدُّ الحاجة، انظر «تاج العروس» (٢٥/ ٣٤٩).

(٢) تحرَّفتْ في النُّسخ إلى: «وزوائدة».

تَشـكَّ أنَّـه مُرجـئ، وهـذه الطَّوائفُ كلُّهـا مُجمِعـةٌ على حُـبِّ أحمدَ بنِ حنبـلٍ[(١)]».

وقـال أبـو الحَسـنِ الهمدانـيُّ: «أحمدُ بـنُ حنبـلٍ مِحنَةٌ يُعـرفُ به المُسـلِمُ مِن الزِّنديقِ».

وقال أبو جعفرٍ المَخزوميُّ[(٢)]: «إذا رأيتَ أحدًا يَنتقصُ أحمدَ بنَ حنبلٍ فاعلمْ أنه مُبتدعٌ».

وقال عبدُ الوهّابِ الوراقُ: «إذا تَكلَّمَ الرَّجلُ في أصحابِ أحمدَ فاتَّهمه فإنه غيرُ صاحبِ سُنَّةٍ».

وقـال أبـو الفضـلِ: «إنه ذُكـرَ عندَ المُتـوكِّلِ ـ بعدَ أحمـدَ ـ أنَّ أصحـابَ أحمدَ يكـون بينَهـم وبينَ أصحابِ البِدعِ الشَّـرُّ، فقـال المُتـوكِّلُ لصاحِبِ الخَبـر: لا تَرفعْ إلـيَّ مِـن أخبارِهـم شـيئًا، وشُـدَّ علـى أيديهـم، فإنَّهـم وصاحبَهـم مِـن سـادةِ أُمَّـةِ محمـدٍ ﷺ، وقـد عَـرَف اللهُ لأحمـدَ صَبـرَه وبـلاءَه، ورَفـعَ عِلمَه أيـامَ حياتِـه وبعدَ موتِـه، أصحابُـه أجـلُّ الأصحـاب، وأنـا أظـنُّ أنَّ اللهَ تعالـى يُعطـي أحمـدَ ثـوابَ الصِّدِّيقِين».

قلتُ: فهذا بعضُ ما تَيسَّر لنا مِن الوقوفِ على مناقبِ أحمدَ ومناقبِ غيرِه مِن الأئمَّةِ، رضوانُ اللهِ عليهم أجمعين.

وقـد بذلـتُ الجَهـدَ فـي الوقوفِ علـى مناقـبِ كلِّ واحدٍ مِـن الأئمَّـةِ الأربعةِ،

---

(١) كذا العبارةُ في النُّسخ، إلا أنَّ المقولةَ في المصادر وَرَدتْ هكذا: «واعلمْ: أنَّ هذه الطوائفَ كلَّها مُجمِعةٌ على بُغض أحمدَ بنِ حنبل؛ لأنَّ ما منهم أحدٌ إلا وفي قلبِه منه سهمٌ لا بُرءَ له»، انظر «طبقات الحنابلة» (٢/ ٥٥)، و«المناقب» لابن الجوزي (ص٦٥٦)، و«المنهج الأحمد» (١/ ٢٤٥).

(٢) كذا في النُّسخ، وفي المصادر والمراجع: «المُخرِّمي».

فوجدتُ مناقبَ أحمدَ كثيرةً، وفضائلَه غزيرةً، وهذا هو الدّاعي لتَطويلِ مناقبِه دونَ مناقبِ غيرِه، لا سيما[١] وقد[٢] أَفردَ جماعةٌ مِن الأئمَّةِ مناقِبَه بالتّصنيفِ، وتَبجَّحوا[٣] بوَضعِها في قالَبِ التَّرصِيف، منهم: الإمامُ أبو الحُسين بنُ المنادي، والحافظُ ابنُ مَندَه[٤]، والإمامُ البَيهقيُّ، وعبدُ الرَّحمنِ ابنُ أبي حاتِمٍ، وشيخُ الإسلامِ الأنصاريُّ[٥]، والفَقيهُ أبو عليٍّ بنُ البَنّا، والحافظُ ابنُ ناصرٍ[٦]، والحافظُ أبو الفَرجِ بنُ الجَوزيِّ، والحَسنُ[٧] بنُ محمدٍ الخَلالُ، وغيرُهم مِن الأئمَّةِ.

رضيَ اللهُ عنهُم أجمعين، وعن سائرِ أئمَّةِ المُسلمين، وحَشرَنا في زُمرتِهم وتحتَ ألويتِهم، وأمدَّنا بمدَدِهم، إنه على ما يشاءُ قديرٌ[٨]، وبالإجابةِ جَديرٌ، وصلّى اللهُ على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبِه وسلَّمَ، آمين.

* * *

---

(١) «لا سيما» سقط مِن (ش).

(٢) من هنا إلى قوله: «وغيرِهم مِن الأئمَّة» موافقٌ لما جاء في كتاب «الجوهر المحصَّل» لابن السعدي الحنبلي (ت٩٠٠).

(٣) كذا في النسخ، والذي في «الجوهر المحصَّل»: «ونَجحُوا».

(٤) أراد يحيى بنَ عبدِ الوهاب ابنِ مَنْدَه (ت٥١١).

(٥) أراد أبا إسماعيلَ الهرويَّ الانصاري (ت٤٨١).

(٦) هو أبو الفضل محمدُ بنُ ناصرٍ السَّلاَمي البغدادي (ت٥٥٠).

(٧) كذا في النسخ، والذي في «الجوهر المحصَّل»: «الحسين»، والمشهورُ أنَّ الذي جَمَع في أخبار الإمام أحمدَ وأخلاقِه هو: أبو بكر أحمدُ بنُ محمدٍ الخلال (ت٣١١)، والله أعلم.

(٨) إلى هنا انتهى الكلامُ في النُّسخة (ك)، وفيها زيادةُ: «والله سبحانه وتعالى أعلم».

البابُ الخامسُ

في مسائلَ مُتفرِّقةٍ

*[المسألة] الأُولى:

العَجبُ كلُّ العَجبِ مِمَّن يأخذُ في تَفضيلِ بعضِ المَذاهبِ على بعضٍ، تفضيلًا يُؤدي إلى تَنقيصِ المُفضَّلِ عليه وسُقوطِهِ، ورُبَّما أَدى إلى الخِصامِ بينَ السُّفهاءِ، وصارتْ عَصبيَّةَ وحَميَّةَ الجاهليَّة، والعلماءُ مُنزَّهونَ عن ذلكَ.

ويَرحَمُ اللهُ تعالى الإمامَ أبا حنيفةَ حيثُ قالَ لمّا سُئلَ عن الأسودِ وعطاءٍ وعلقمةَ: أيُّهم أفضلُ؟ فقال: «واللهِ ما نحنُ بأهلٍ أنْ نَذكُرَهم، فكيفَ نفاضِلُ بينَهُم؟!».

خِلافًا لمَن حَملَه التَّعصُّبُ والجَهلُ على القَدْحِ في بعضِ الأئمَّةِ، وتفضيلِ بَعضِهم على بَعضٍ.

هذا ومَناقبُهم مأثُورةٌ، وفضائلُهم مَشهورَةٌ، ويَكفي في ذلكَ انتشارُ عِلمِهم، وتَقرُّرُ جلالتِهم على مَدى الأزمانِ، وانتشارُ[1] عِلمِهم في سائرِ البُلدانِ.

قال الشيخُ السُّيوطيُّ في «شَرحه لنظمِه جَمعِ الجَوامعِ»[2] بعدَ أنْ ذَكر الإمامَ أبا حنيفةَ ومالكًا والشافعيَّ وأحمدَ والسُّفيانَينِ والأوزاعيَّ وابنَ جَريرٍ: «نَعتقدُ أنَّ هؤلاءِ الأئمَّةَ وسائرَ أئمَّةِ المُسلمينَ على هُدًى مِن اللهِ تعالى، ولا التِفاتَ إلى مَن تكلَّمَ فيهم مِمّا هم بَريئونَ منه، فقد كانوا مِن العُلومِ والمَواهبِ الإلهيَّةِ،

(١) في (ش): «واشتهار».

(٢) «شرح الكوكب الساطع» (٢/ ٥٧٣).

والاستنباطاتِ الدَّقيقةِ، والمَعارفِ الغَزيرةِ[1]، والدِّينِ والوَرعِ، والعبادةِ والزَّهادةِ، والجلالةِ بالمَحلِّ الذي لا يُسامى»، انتهى.

وقد أفضى ببعضِ مُقلِّديهم الهَوى والحَميَّةُ الجاهليةُ إلى تَرجيحِ مَذهبِ إمامِه، وإطلاقِ لسانِه في غيرِه، بعَدمِ أدَبٍ وغيرِ خوفٍ مِن اللهِ تعالى، فانتَصرَ بعضُ مَن خالفَه وردَّ عليه، وأَطلقَ لسانَه فيه، وتَعدّى إلى إمامِه، وزَعمَ: أنَّ ذلكَ مِن بابِ المُقابَلةِ، ولو عُرِضَ كلامُ كلٍّ منهما على إمامِه الذي قَلَّدَه لزَجرَه وهَجرَه وتَبرأ منه!

قال التاجُ السُّبكيُّ[2]: «هؤلاء الحنفيةُ والشافعيةُ والمالكيةُ وفضلاءُ الحنابلَةِ يدٌ واحدةٌ، كلُّهم على رأيِ أهلِ السُّنةِ والجماعةِ»، ثمَّ قال[3] في آخرِ كلامِه يُخاطِبُ أهلَ المذاهبِ الأربعةِ: «وأمّا تَعصُّبُكم في فُروعِ الدِّين، وحَملُكم الناسَ على مذهبٍ واحدٍ: فهو الذي لا يَقبلُه اللهُ منكُم، ولا يَحمِلُكم عليه إلّا مَحضُ التَّعصُّبِ والتَّحاسُد، ولو أنَّ الشافعيَّ وأبا حنيفةَ ومالكًا وأحمدَ[4] أحياءٌ يُرزقونَ لشَدَّدوا النَّكيرَ عليكم، وتَبرؤوا منكم فيما تَفعَلون»، انتهى.

إذا علمتَ هذا فاعلمْ وفَّقكَ اللهُ تعالى: أنَّ كلَّ واحدٍ مِن الأئمَّةِ المُجتهِدينَ قد صَحَّ عنه سِيرةٌ حسنةٌ، وكراماتٌ مُتعدِّدةٌ، وهم أولياءُ بلا شَكٍّ، فمَن انتقصَ أحدًا منهم فقد أَدخلَ نفسَه فيما لا طاقةَ له به.

---

(١) «الغزيرة» سقطتْ من (ش).

(٢) «معيد النِّعم ومبيد النِّقم» (ص٦٢).

(٣) «معيد النِّعم ومبيد النِّقم» (ص٦٣).

(٤) في (ش): «أحمد بن حنبل».

وقد وَقعَ الاختلافُ في الفُروعِ بين الصَّحابةِ رضي الله عنهم، وهم خيرُ الأُمَّة، فما خاصَمَ أحدٌ منهم أحدًا، ولا عادى أحدٌ أحدًا، ولا نَسبَ أحدٌ أحدًا إلى خطأ ولا قُصورٍ، بل عَذرَ بعضُهم بعضًا.

ويَرحمُ اللهُ الإمامَ مالكًا حيثُ قال لهارونَ الرَّشيدِ لمّا قال له: يا أبا عبدِ اللهِ، نكتبُ هذه الكُتبَ ـ يعني: تَصنيفَ مالكٍ ـ ونُفرِّقُها في آفاقِ الإسلامِ؛ لنَحمِلَ عليها الأُمَّةَ: «يا أميرَ المؤمنينَ إنَّ اختلافَ العلماءِ رحمةٌ مِن الله على هذه الأُمَّةِ، كلٌّ يَتَّبعُ ما صَحَّ عندَه، وكلٌّ على هُدًى، وكلٌّ يُريدُ اللهَ تعالى»، رواه الخطيبُ[١].

ورَوى ابنُ سَعدٍ[٢] عن محمدِ بنِ عمرَ الأسلميِّ قال: «سمعتُ مالكَ بنَ أنسٍ يقولُ: لمّا حَجَّ المنصورُ قال لي: إنِّي قد عَزمتُ على أنْ آمرَ بكُتبِكَ هذه التي وضَعتَها فتُنسخَ، ثمَّ أبعثَ إلى كلِّ مصرٍ مِن أمصارِ المسلمينَ منها بنُسخةٍ، وآمرَهم أنْ يَعملوا بما فيها ولا يَتعدَّوه إلى غيره، فقلتُ: يا أميرَ المؤمنينَ لا تَفعلْ هذا، فإنَّ الناسَ قد سِيقتْ إليهم أقاويلُ، وسَمعوا أحاديثَ، ورَوَوا رواياتٍ، وأَخذَ كلُّ قومٍ بما سِيق إليهم، ودانُوا به مِن اختلافِ الناسِ، فَدَعِ الناسَ وما اختارَ أهلُ كلِّ بلدٍ منهم لأَنفسِهم»، انتهى.

فانظرْ رَحمكَ اللهُ إلى هذا الإنصافِ مِن هذا الإمامِ، ولَعمري إنَّ كثيرًا مِن المُتعصِّبينَ[٣] لو أَمكنَه بُطلانُ جَميعِ المذاهبِ ما عدا مذهبَه لَفعلَ، وربَّما خاضَ في حَقِّ غيرِ إمامِ مذهبِه، كما وَقعَ لكثيرٍ مِن العلماءِ.

---

(١) أخرجها الخطيبُ في كتابه «الرُّواة عن مالك»، كما نقله السيوطيُّ في «جزيل المواهب في اختلاف المذاهب» (ص٢٢).

(٢) «الطبقات الكبير» (٧/ ٥٧٣).

(٣) في (ك): «المُصنِّفين».

فإياكَ يا أخي ثمَّ إياك! أن تَنظرَ فيما وَضَعه بعضُ الرَّعاعِ في مثالِبِ أحدٍ مِن الأئمَّةِ، فيَحصُلَ عندَكَ ما يُخِلُّ بتَعظيمِه، فتَزِلَّ قدمُكَ بعدَ ثُبوتِها.

فلا تَغترَّ بما يُنقلُ عن الأئمَّةِ مِن القَدحِ في بعضِهم بعضًا، فإنَّ ذلكَ ربَّما لا يَصحُّ عنهم؛ لِما مرَّ لكَ مِن تَعظيمِ بعضِهم بعضًا.

وعلى تقديرِ صِحَّتِه:

فإنْ كان قائِلُه مِن غيرِ أقرانِ أبي حنيفةَ مثلًا فهو لم يرَه، ولم يشاهدْ أحوالَه، بل قلَّدَ ما رآه في الأوراقِ التي دوَّنَها أعداؤُه، فهذا لا يُلتفتُ إلى قولِه البتَّة.

وإنْ كان مِن أقرانِ أبي حنيفةَ المُنافِسينَ له فلا يُلتَفتُ إلى قولِه البتَّةَ[١].

ولئنْ صَحَّ عنهم ذلكَ فلعلَّ له مَحاملَ لا تَفهمُها عنهم.

فاشتغلْ بعَيبِ نفسِكَ عن عَيبِ غَيرِكَ!

قال الشيخُ تاجُ الدِّينِ السُّبكيُّ[٢]: «يَنبغي لكَ أيُّها المُسترشِدُ أنْ تَسلُكَ سبيلَ الأدبِ مع جَميعِ الأئمَّةِ الماضينَ، وألا تَنظرَ إلى كلامِ بعضِ الناسِ فيهم[٣] إلا ببرهانٍ واضحٍ، ثمَّ إنْ قَدَرتَ على التأويلِ وتَحسينِ الظنِّ بحَسَبِ قُدرتِكَ فافعَلْ[٤]، وإلا فاضربْ صَفحًا عمّا جَرى بينَهم؛ فإنَّكَ ـ يا أخي ـ لم تُخلَقْ لمثلِ هذا، وإنَّما خُلقتَ للاشتِغالِ بما يَعنيكَ مِن أمرِ دِينكَ».

---

(١) «البتة» زيادةٌ مِن (ك).

(٢) «طبقات الشافعية الكبرى» (٢/ ٢٧٨).

(٣) عبارة «الطبقات»: «إلى كلام بعضِهم في بعضٍ إلا إذا».

(٤) عبارة «الطبقات»: «وتحسين الظنِّ فدونك، وإلا فاضرب».

قال: «ولا يَزالُ الطَّالبُ نَبيلًا حتّى يَخوضَ فيما جَرى بينَ الأئمَّةِ، فتَلحَقُه الكآبةُ وظُلمَةُ الوَجهِ، فإياكَ ثمَّ إياكَ أن تُصغيَ لِما وقعَ بينَ أبي حنيفةَ وسفيانَ الثَّوريِّ، أو بينَ مالكٍ وابنِ أبي ذئبٍ، أو بينَ أحمدَ بنِ حنبلٍ والحارثِ المُحاسبيِّ، وهَلُمَّ جرًّا إلى الشيخِ عِزِّ الدِّين بنِ عبدِ السَّلامِ والشيخِ تقيِّ الدِّينِ بنِ الصَّلاحِ، فإنَّكَ إنْ فَعلْتَ ذلكَ خِفتُ عليكَ الهَلاكَ.

فإنَّ القومَ أئمَّةٌ أعلامٌ، ولأقوالِهم مَحامِلُ ربَّما لم يَفهمْها غيرُهم، فليسَ لنا إلّا التَّرضيَ عنهم، والسُّكوتَ عمّا جَرى بينَهم، كما نَفعلُ فيما جَرى بينَ الصَّحابَةِ رضيَ اللهُ عنهم أجمعين».

قال[1]: «وكان الشيخُ عزُّ الدِّينِ بنُ عبدِ السَّلامِ يقول: إذا بَلغكَ أنَّ أحدًا مِن الأئمَّةِ شَدَّدَ النَّكيرَ على أحدٍ مِن أقرانِه فإنَّما ذلكَ خَوفًا على أحدٍ أنْ يَفهمَ مِن كَلامِه خِلافَ مُرادِه، لا سيما علمُ العقائدِ، فإنَّ الكلامَ في ذلكَ أشَدُّ.

وقد اختفى أحمدُ بنُ حنبلٍ في دارِ إسماعيلَ بنِ إسحاقَ السَّراجِ، وكان الحارثُ المُحاسبيُّ يَنامُ عندَه هو وأصحابُه، فلمّا صلُّوا العِشاءَ تَذاكروا في الطَّريقِ وبَكوا، فبَكى أحمدُ معَهم، فلمّا أصبحَ قال: ما رأيتُ مثلَ هؤلاءِ القومِ، ولا سَمعتُ في عُلومِ الحقائقِ شيئًا يُشبِه كلامَ هذا الرَّجلِ، ومعَ هذا فلا أرى لكَ يا إسماعيلُ صُحبتَهم؛ خوفًا عليكَ أنْ تَفهمَ عنهم غيرَ مُرادِهم»، انتهى كلامُ ابنِ السُّبكي.

---

(١) لم أجد مقالةَ العزِّ بنِ عبدِ السلام في «طبقات الشافعية الكبرى»، وقد نَقَلها الشعرانيُّ في «الميزان الكبرى»، وغالبُ الظنِّ أنَّ المؤلِّفَ نقلها عنه.

ولقد نَصحَ وأبلغَ في النَّصيحةِ، وأَرشدَ وأَحسنَ في الإرشادِ، فالمُوفَّقُ مَن تَدبَّر ما قرَّرناه وعَملَ به، وتَركَ التعصُّبَ وحَميَّةَ الجاهليةَ، وتَركَ الوُقوعَ في أعراضِ العلماء.

فقد قال الحافظُ ابنُ عساكرَ: «لُحومُ العلماءِ مَسمومَةٌ، وهَتْكُ أستارِ مُنتَقِصِهم مَعلُومَةٌ»[1].

وقال[2]: «لُحومَ العلماءِ سُمٌّ، مَن شَمَّها مَرِضَ، ومَن ذاقَها ماتَ».

وقال الحافظُ ابنُ دقيقِ العِيد: «أعراضُ الناسِ حُفرَةٌ مِن حُفرِ النارِ، وَقفَ على شَفيرِها الحُكامُ والمُحدِّثونَ»، انتهى.

وقد وَردَ في الحديثِ ما فيه الرَّدعُ عن الوقُوعِ في أعراضِ الناسِ بغيرِ حَقٍ:

ـ رَوى الشَّيخانِ[3] أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال في خُطبتِه في حَجَّةِ الوداعِ: «إنَّ دِماءَكم وأموالَكم وأعراضَكم حَرامٌ عليكم كحُرمةِ يومِكم هذا، في شَهرِكم هذا، في بَلدِكم هذا، ألا هلْ بَلَّغتُ؟!».

ـ ورَوى مُسلمٌ[4] عن أبي هُريرةَ مرفوعًا: «كلُّ المسلمِ على المسلمِ حرامٌ، دَمُه وعِرضُه ومالُه».

---

(١) «تبيين كذب المفتري» (ص٢٩).

(٢) لم أجد هذه العبارةَ لابن عساكرَ في «تبيين كذب المفتري»، وقد نقلها عنه الصالحيُّ في «عقود الجمان» (ص٣١)، وفي كتابه: «سُبل الهدى والرشاد» (١٠/ ٢٣٦)، والله أعلم.

(٣) «صحيح البخاري» (١/ ٣٣)، «صحيح مسلم» (٣/ ١٣٠٥).

(٤) «صحيح مسلم» (٤/ ١٩٨٦).

ـ وروى ابنُ أبي الدُّنيا والبيهقيُّ[١] عن ابنِ عباسٍ يرفعُه: «إنَّ الرِّبا نيفٌ وسبعونَ بابًا، أهونُهنَّ بابًا، [مثلُ][٢] مَن أتى أُمَّه في الإسلامِ، ودرهمُ رِبًا أشدُّ مِن خمسٍ وثلاثينَ زنيةً، وأشدُّ الرِّبا وأربى الرِّبا وأخبثُ الرِّبا انتهاكُ عِرضِ المسلمِ، وانتهاكُ حُرمتِه».

وأمّا الغِيبةُ: فقال تعالى: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ [الحجرات: ١٢].

وقال رسولُ اللهِ ﷺ[٣]: «مَن أكل لَحمَ أخيه في الدُّنيا قُرِّبَ إليه يومَ القيامةِ فيقالُ له: كُلْه مَيتًا كما أكلتَه حيًّا، فيأكلُه ويَكلَحُ ويَضِجُّ[٤]».

والأحاديثُ في هذا[٥] كثيرةٌ.

---

(١) «ذم الغيبة والنَّميمة» (ص١٧)، «شعب الإيمان» (٩/ ٨٢)، وذَكره ابنُ أبي حاتمٍ في «العلل» (٣/ ٦٦٠): وقال: «قال أبو زرعةَ: هذا حديثٌ منكر».

(٢) ما بينَ معكوفتين مِن «شعب الإيمان» وغيرِها.

(٣) رواه الطبرانيُّ في «المعجم الأوسط» (٢/ ١٨٢)، وقال في «مجمع الزوائد» (٨/ ٩٢): «وفيه ابنُ إسحاقَ وهو مدِّلسٌ، ومَن لم أعرفْه»، وقال الحافظُ ابنُ كثيرٍ في «تفسيره» (٧/ ٣٥٩): «غريبٌ جدًّا».

تنبيه: ذَكر ابنُ حجرٍ هذا الحديثَ في «الفتح» (١٠/ ٤٧٠)، ثم قال: «سندُه حسنٌ»، وفيه نظر! ثم وجدت القسطلانيَّ في «إرشاد الساري» (٩/ ٤١) ذَكر الحديثَ ونَقل تضعيفَه مِن كلام ابنِ كثير، ولم يَذكر كلامَ ابنِ حجرٍ رَغمَ كثرةِ متابعتِه له! رحمهم الله جميعًا.

(٤) قال الإمام البوصيريُّ في «إتحاف الخِيرة المَهرة» (٦/ ٧٥): «يضِج بالضاد المُعجمة: فيها زيادةُ إشعارٍ بمقارنةِ فزعٍ أو قلقٍ، ويَكلح بالحاء المُهملة أي: يَعبس ويَقبض وجهَه مِن الكراهة».

(٥) في (ش): «ذلك».

ورَوى ابنُ أبي شَيبةَ وعبدُ بنُ حُميدٍ وأبو داودَ والتِّرمذيُّ وصَحَّحه وابنُ جَريرٍ وابنُ المُنذرِ وابنُ مَردويهْ عن أبي هُريرةَ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «الغِيبةُ ذِكرُكَ أخاكَ بما يَكره»، وفي لفظٍ: «بما فيه»، قيل: يا رسولَ اللهِ أرأيتَ إنْ كان في أخي ما أقول؟ قال: «إنْ كان فيه ما تقول فقد اغتَبتَه، وإنْ لم يكنْ فيه ما تقولُ فقد بَهتَّه»[1].

وقد جاءَ النَّهيُ عن ذِكرِ مَساوئِ الأمواتِ، والأمرِ بذِكرِ مَحاسنِهم:

فعن ابنِ عمرَ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «اذكُروا مَحاسنَ مَوتاكم وكُفُّوا عن مَساوئِهم»، رواه أبو داودَ والتِّرمذيُّ وابنُ أبي الدُّنيا[2].

وعن عائشةَ قالت: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «لا تَسبُّوا الأمواتَ؛ فإنَّهم قد أَفضَوا إلى ما قدَّموا»، رواه الإمامُ أحمدُ والبخاريُّ والنَّسائيُّ[3].

وفي روايةٍ أُخرى: «لا تَذكُروا مَوتاكم إلّا بخيرٍ، إن يكونوا مِن أهلِ الجنَّةِ تأْثَموا، وإنْ يكونوا مِن أهلِ النارِ فحسبُهم ما هم فيه»[4].

فلا يجوز لِمَن يؤمنُ باللهِ تعالى واليومِ الآخرِ أنْ يَثلُمَ عِرضَ أحدٍ مِن المُسلمينَ بما لا يَليقُ، فكيفَ بأئمَّةِ المُسلمينَ وورَثةِ النَّبيينَ؟! فكيفَ بالأمواتِ منهم؟!

---

(١) «مصنف بن أبي شيبة» (٥/ ٢٣٠)، «سنن أبي داود» (٧/ ٢٣٧)، «سنن الترمذي» (٤/ ٣٢٩) وقال: «وفي الباب عن أبي برزةَ وابنِ عمرَ وعبد الله بنِ عمرٍو، هذا حديثٌ حسنٌ صحيح»، وهو في صحيح مسلم: (٤/ ٢٠٠١).

(٢) «سنن أبي داود» (٧/ ٢٦١)، «سنن الترمذي» (٢/ ٣٣٠) وقال: «حديث غريب».

(٣) «مسند أحمد» (٤٢/ ٢٩٦)، «صحيح البخاري» (٢/ ١٠٤)، «سنن النسائي» (٤/ ٥٣).

(٤) قال العراقيُّ في «تخريج الإحياء» (٦/ ٢٦١٥): «رواه ابنُ أبي الدنيا في كتاب «الموت» هكذا بإسنادٍ ضعيفٍ مِن حديث عائشةَ، وهو عندَ النسائيِّ مِن حديثها بإسنادٍ جيدٍ مُقتصرًا على الجملة الأُولى بلفظ: هَلْكاكم».

قال الحافظُ الناقدُ الذَّهبيُّ في «المِيزانِ» والحافظُ ابنُ حجرٍ في «اللِّسان»[١]: «كلامُ الأقرانِ بعضِهم في بعضٍ لا يُعبأُ به، ولا سيما إذا لاحَ لكَ أنه لعداوةٍ أو لمَذهبٍ، إذ الحَسدُ لا يَنجو منه إلّا مَن عَصمَه اللهُ تعالى، وما علمتُ أنَّ عَصرًا مِن الأعصارِ سَلِمَ أهلُه مِن ذلكَ سِوى النَّبيينَ والصدِّيقِين».

قال الذَّهبيُّ: «ولو شِئتُ لَسودتُ[٢] مِن ذلكَ كَراريسَ».

وقد أَطال الإمامُ الحافظُ المُجتَهدُ أبو عمرَ ابنُ عبدِ البَرِّ[٣] الكلامَ على قولِ العلماءِ بعضِهم في بعضٍ ثمَّ قال: «والدَّليلُ على أنه لا يُقبلُ في حقِّ مَن اتخذَه جمهورٌ مِن جمهورِ[٤] الناسِ إمامًا في الدِّين قولُ أحدٍ مِن الطاعِنينَ، هذا والسَّلفُ قد سَبقَ مِن بعضِهم في بعضٍ كلامٌ كثيرٌ في حالِ الغَضبِ، ومنه ما حَملَ عليه الحَسدُ، ومنه على جِهةِ التأويلِ مما لا يلزمُ المَقولَ فيه ما قال فيه القائلُ، وقد حَملَ بعضُهم على بعضٍ السَّيفَ تأويلًا واجتهادًا، فلا يلزمُ تقليدُهم في شيءٍ منه دونَ برهانٍ وحُجَّة تُوجِبه».

ثم ذَكر ابنُ عبدِ البَرِّ كلامَ جماعةٍ مِن الصَّحابةِ والتابعينَ وأتباعِهم مِن النُّظراءِ بعضِهم في بعضٍ، ثمَّ ذَكر رحمه اللهُ كلامَ ابنِ أبي ذئبٍ، وعبدِ العزيزِ بنِ أبي سَلَمةَ، وعبدِ الرَّحمنِ بنِ زيدِ بنِ أسلمَ، ومحمدِ بنِ إسحاقَ، وابنِ أبي يحيى، وابنِ أبي الزِّنادِ، وإبراهيمَ بنِ سَعدٍ في مالكِ بنِ أنسٍ، وأنَّهم عابوا

---

(١) «ميزان الاعتدال» (١/ ١١١)، «لسان الميزان» (١/ ٥٠٧).

(٢) في (ك): «لكتبت»، والذي في «ميزان الاعتدال»: «لسردت».

(٣) انظر «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ١٠٩٤) وما بعدَها.

(٤) الذي في «جامع بيان العلم»: «جماهير».

أشياءَ مِن مذهبه، وابنِ مَعينٍ في الشافعيِّ، ثمَّ قال ابنُ عبدِ البرِّ[١]: «وقد برّأ اللهُ تعالى مالكًا عمّا قالوا، وكان عندَ اللهِ وجيهًا، قال: وما مَثلُ مَن تكلَّمَ في مالكٍ والشافعيِّ ونظائرِهما إلّا كما قال الأعشى:

كناطِحٍ صَخرةً يومًا ليُوهِنَها فلم يَضِرْها وأَوهى قَرنَه الوَعلُ

قال[٢]: «وقد كان بينَ أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ عندَ الغَضبِ أكثرُ مِن هذا، ولكنَّ أهلَ العِلمِ والفَهمِ لا يَلتفتونَ إلى ذلكَ؛ لأنَّهم بَشرٌ يَغضبونَ ويَرضونَ، والقولُ في الرِّضا غيرُ القولِ في الغَضبِ».

ثمَّ قال[٣]: «فمَن أرادَ أن يَقبلَ قولَ العلماءِ الثقاتِ بعضِهم في بعضٍ، وقولَ مَن ذُكر مِن التابعينَ وأئمَّةِ المسلمِينَ بعضِهم في بعضٍ، فإنْ فَعلَ ذلكَ فقد ضَلَّ ضَلالًا بَعيدًا، وخَسِرَ خُسرانًا مُبينًا».

أَعاذنا اللهُ تعالى مِن الخُسرانِ والطَّردِ والحِرمان.

* * *

(١) «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ١١١٥).

(٢) «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ١١٠٢).

(٣) «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ١١١٧).

* [المسألةُ] الثانيةُ:

التَّقليدُ: هو الأخذُ بقولِ الغَيرِ مِن غَيرِ مَعرِفةِ دليلِه، وغيرِ استنادٍ لعلامةٍ في القائلِ، ولا وجهٍ في المَقول، وهو مَذمومٌ مطلقًا؛ لاستهزاءِ صاحبِه بدِينِه.

والاقتِداءُ: هو الأخذُ بقولِ الغَيرِ مُستنِدًا في ذلكَ لدِيانةِ صاحبِه وعِلمِه، وهذه رُتبةُ اتباعِ المَذاهبِ معَ أئمَّتِها، وإطلاقُ التَّقليدِ عليها مجازٌ.

والتَّبصُّر: هو أخذُ القولِ بدَليلِه الخاصِّ به، مِن غَيرِ استنادٍ للنَّظرِ، ولا إهمالٍ للقَولِ، وهي رتبةُ مشايخِ المذاهبِ[1] وفُضلاءِ الطَّلبةِ.

والاجتِهادُ: هو اقتراحُ الأحكامِ مِن أدِلَّتِها دُونَ مُبالاتٍ بقائلٍ، ثمَّ إنْ لم يَعتبِرْ أصلًا مُتقدِّمًا فمطلقٌ، وإلّا فمُقيَّدٌ.

والمَذهبُ: ما قَويَ في النَّفسِ حتّى اعتَمده صاحِبُه.

والذي عليه الجمهورُ: أنه يَجبُ على مَن ليسَ فيه أهليةُ الاجتهادِ أنْ يُقلِّدَ أحدَ الأئمَّةِ المُجتَهِدِين، سواءٌ أكان[2] عالمًا أم ليسَ بعالمٍ.

قال إمامُ الحرمَينِ[3]: «أَجمعَ المُحقِّقونَ على أنَّ العَوامَّ ليسَ لهم أنْ يَتعلَّقوا بمذاهبِ أعيانِ الصَّحابَةِ رضيَ اللهُ عنهم، بل يَتَّبِعوا مذاهبَ الأئمَّةِ الذين سَبروا ونَظروا وبَوَّبوا؛ لأنَّ الصَّحابةَ رضيَ اللهُ عنهم لم يَعتنوا بتَهذِيبِ مسائلِ الاجتهادِ، وإيضاحِ طُرقِ النَّظرِ، بخلافِ مَن بعدَهم».

---

(١) في (ش): «المذهب».

(٢) في (ش): «كان».

(٣) انظر «البرهان في أصول الفقه» (٢/ ٧٧٤).

قـال الشـيخُ ابنُ الصَّـلاحِ ما مُلخَّصُـه: إنَّ التَّقليـدَ يَتعيَّـنُ لهذه الأئمَّـةِ الأربعةِ دونَ غيرِهـم؛ لأنَّ مذاهبَهـم انتشـرَتْ وانبَسـطتْ، حتّـى ظهـرَ فيهـا تَقييـدُ مُطلقِها، وتَخصيـصُ عامِّها، وشُـروطُ فُروعِهـا، فإذا أَطلقـوا حُكمًا في مَوضعٍ وُجِـدَ مُكمَّلًا فـي موضـعٍ آخـرَ، وأمّا غيرُهـم فتُنقـلُ عنه الفتـاوى مُجـرَّدةً، فلعـلَّ لهـا مُكمِّلًا أو مُقيِّـدًا أو مُخصِّصًـا لـو انضبـطَ كلامُ قائلِه لظهـرَ، فيَصيرُ فـي تَقليدِه على غيـرِ ثقةٍ، بخـلافِ هـؤلاءِ الأربعةِ».

قال القَرافيُّ[1]: «وهذا تَوجيهٌ حَسنٌ فيه ما ليسَ في كلامِ إمامِ الحَرمَينِ».

ثمَّ أَوردَ عليه[2]: أنه يلزَمُ عليه عَدمُ جوازِ نَقلِ مذاهِبِهم لعدَمِ انضباطِها!

وأجابَ بـ: أنَّ النَّقلَ خَفيفٌ بالنِّسبَةِ إلى العملِ، فإنه قد يكونُ المقصودُ منه الاطلاعُ على وجوهِ الفقهِ، والتَّنبيهُ على المَدارِكِ، وعدَمُ الوِفاقِ، فيُوجِب ذلكَ التَّوقفَ عن أمورٍ والحثَّ على أمورٍ.

وذَكـرَ البُرْزُلـيُّ[3] أنَّ ابـنَ العربـيِّ سـألَ الغزالـيَّ: عمَّـن قلَّـدَ الشـافعيَّ مثـلًا وكان مذهَبُـه مُخالفًـا لأحدِ الخلفـاءِ الأربعةِ أو غيرِهـم مِن الصَّحابة، فهـل له اتباعُ الصَّحابـةِ؛ لأنَّهـم أبعدُ عـن الخَطأ، ولِقولِـه ﷺ[4]: «اقتَـدوا باللَّذَين مِـن بَعدي أبي بكـرٍ وعمرَ»؟

---

(١) «نفائس الأُصول في شرح المَحصُول» (٩/ ٣٩٦٧).

(٢) أي: أنَّ القرافيَّ أَورد على كلام الجُوينيِّ إشكالاً، ثم أَجاب عليه.

(٣) هو الإمام الفقيه أبو القاسمِ بنُ أحمدَ البَلَوي التونسي (ت٨٤١)، والنصُّ في «فتاواه» المُسمّى «جامعَ مسائل الأحكام» (١/ ٦٧)، وغالبُ الظنِّ أنَّ المؤلِّفَ نَقل هذا النصَّ مِن «مواهب الجليل» للحطاب (١/ ٣١)، والله أعلم.

(٤) انظر «مسندَ أحمد» (٣٨/ ٢٨٠)، و«سننَ الترمذي» (٦/ ٥٠) وحسَّنه.

فأجابه: بأنه يَجبُ عليه أنْ يَظنَّ بالشافعيِّ أنه لم يُخالفِ الصَّحابيَّ إلّا لدليلٍ أقوى مِن مذهَبِ الصَّحابيِّ، وإنْ لم يَظنَّ هذا فقد نَسبَ الشافعيَّ للجَهلِ بمَقامِ الصَّحابيِّ، وهو مُحالٌ، وهذا سببُ تَرجيحِ مَذهبِ المُتأخِّرينَ على المُتقدِّمينَ مع العلمِ بفَضلِهم؛ لكونِ المُتقدِّمينَ سَمعوا الأحاديثَ أحادًا[١]، وتَفرَّقوا في البلادِ فاختَلفتْ فَتاويهم وأقضيتُهم في البلاد، وربَّما بَلغتْهم الأحاديثُ فَوقَفوا عمّا أَفتَوا به وحَكموا، ولم يَتفرَّغوا لجَمْعِ[٢] الأحاديثِ؛ لاشتغالِهم بالجهادِ وتَمهيدِ الدِّينِ، فلمّا انتهى الناسُ إلى تابعي التابعينَ وجَدوا الإسلامَ مُستقِرًّا مُمهَّدًا، فصَرفوا همَّهم إلى جَمعِ[٣] الأحاديثِ، ونَظروا بعدَ الإحاطةِ بجميعِ مَدارِكِ الأحكامِ، ولم يُخالفوا ما أَفتى بِهِ الأولُ إلّا لدليلٍ أقوى منه، ولهذا لم يُسمَّ في المذاهبِ بكريًّا ولا عمريًّا»، انتهى مَلخَّصًا[٤].

***

---

(١) وقع هنا سقطٌ في النُّسخة (ك).

(٢) في النُّسخ: «لجميع»، والمثبتُ موافقٌ لِما في «جامع مسائل الأحكام»، و«مواهب الجليل».

(٣) في النُّسخ «هِممَهم إلى جميع»، والمثبتُ مِن «جامع مسائل الأحكام».

(٤) تتمَّة: وقريبٌ مِن قول إمامِ الحرمَينِ الجُوينيِّ المتقدِّم قول الشاطبيُّ في «الموافقات» (٥/ ٣٣٦): «فتاوى المُجتهدِينَ بالنِّسبة إلى العوامِّ كالأدلَّة الشرعيَّةِ بالنِّسبة إلى المُجتهدِين، والدليلُ عليه: أنَّ وجودَ الأدلَّةِ بالنِّسبة إلى المُقلِّدينَ وعدمَها سواء؛ إذ كانوا لا يَستفيدونَ منها شيئًا، فليس النظرُ في الأدلَّة والاستنباطِ مِن شأنهم، ولا يجوز ذلك لهم البتة، وقد قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، والمُقلِّدُ غيرُ عالمٍ؛ فلا يصحُّ له إلا سؤالُ أهلِ الذِّكر، وإليهم مرجعُه في أحكام الدِّين على الإطلاق، فهم إذن القائمونَ له مقامَ الشارع، وأقوالُهم قائمةٌ مقامَ أقوالِ الشارع».

*[المسألةُ] الثالثةُ:

ذَهـبَ الجُمهـورُ إلى: أنه يجـوزُ تَقليـدُ المَيْتِ، وعليـه عَملُ النـاسِ ولو وُجِدَ مُجتَهـدٌ حيٌّ.

ومَنـعَ الإمـامُ الـرّازيُّ تَقليدَ المَيْتِ وقـال[١]: «لأنه لا بقاءَ لقـولِ المَيْتِ؛ بدَليلِ انعقـادِ الإجمـاعِ بعـدَ مـوتِ المُخالِف، وتصنيـفُ الكُتبِ فـي المَذاهبِ مـعَ موتِ أربابِهـا لاسـتِفادةِ طريـقِ الاجتهادِ مِـن تَصرُّفِهم في الحـوادِثِ، وكيفيَّةِ بنـاءِ بعضِها علـى بعـضٍ، ولمعرِفةِ المُتَّفـقِ عليه مِـن المُختَلفِ، وعُـورِضَ بـ: حُجيَّـةِ الإجماعِ بعدَ مـوتِ المُجمعِينَ».

وذَهبوا إلى: أنَّ مَن أَخذ بالرُّخَصِ مِن كلِّ مذهَبٍ فهو فاسقٌ.

قال الإمامُ أحمدُ[٢]: «لو أنَّ رجلًا عَملَ بكلِّ رُخصةٍ بقولِ أهلِ الكوفةِ في النَّبيذِ، وأهلِ المدينةِ في السَّماعِ يعني: الغِناء، وأهلِ مكةَ في المُتعَةِ لكان فاسِقًا».

وقال مَعمرٌ[٣]: «لو أنَّ رجلًا قال بقولِ أهلِ المدينةِ في السَّماعِ وإتيانِ النِّساءِ في أدبارِهنَّ، وبقولِ أهلِ مكةَ في المُتعةِ والصَّرفِ، وبقولِ أهلِ الكوفةِ في المُسكرِ كان شَرَّ عبادِ اللهِ».

وسُـئل العلّامـةُ المازِريُّ[٤]: هل يَسـوغُ الأخذُ بقـولِ ابنِ المُسـيّبِ أنَّ المَبتوتَة

---

(١) انظر: «حاشية العطار على شرح جمع الجوامع» (٢/ ٤٣٦).

(٢) «مسائل الإمام أحمد رواية ولده عبد الله» (ص٤٤٩)، وفيه: أنَّ الإمامَ أحمدَ نَقل هذا عن يحيى بنِ سعيدٍ القطان.

(٣) رواه أبو بكر الخلال في «الأمر بالمعروف» (ص٨٨).

(٤) نَقل فتواه هذه البُرْزُليُّ في «جامع مسائل الأحكام» (١/ ٨٦)، ولعلَّ هذه الفتوى مِن «مجموع فتاواه»، ولكنْ لم أطلعْ الآنَ عليها.

تَحِلُّ بالعَقدِ؟ قال: «فأجبتُهم: أنَّ هذا بابٌ إنْ فُتِحَ حَدثَ منه خُروقٌ مِن الدِّياناتِ، وإنِّي رأيتُ مِن الدِّينِ الجازِمِ أنْ أَنهى عن الخُروجِ مِن مذهبِ مالكٍ حمايةً للذَّريعَةِ، ولو سُوِّغَ هذا لَقال رجلٌ: أنا أبيعُ دينارًا بدينارَين مُقلِّدًا لِما رُوي عن ابن عباسٍ، وآخرُ: أنا أتزوَّجُ مِن غيرِ وليٍّ ولا شهودٍ مُقلِّدًا في الوليِّ لأبي حنيفةَ وفي الشُّهودِ لمالكٍ، وبدانقٍ مُقلِّدًا للشَّافعيِّ، وهذا عظيمُ المَوقِعِ في الضَّرَر»، انتهى.

قلتُ: وهذا الذي قالَه هؤلاءِ الأئمَّةُ وأَطلقوه ينبغي تَقييدُه بأنَّ محلَّ كونِ مُتتبِّعِ الرُّخَصِ يُفسَّقُ ما لم تكنْ تلكَ الرُّخصةُ مُتعلِّقةً بالعُقودِ والمُعاملاتِ ونحوِها ممّا ليسَ بعبادةٍ، ويَحكمُ الحاكمُ المُخالِفَ بصحَّةِ تلكَ الرُّخصَةِ وجَوازِها، فحينئذٍ يَرفعُ حكمُه الخِلافَ، ويصيرُ كالمُجمَعِ على جَوازِها، فلا يُفسَّقُ مَن أَخذ بها، وعليه عَملُ المُفتينَ والحكّامِ مِن أهلِ زمانِنا، لا سيما بمحروسةِ مصرَ، وهو واقعٌ بينَهم مِن غيرِ نكيرٍ.

فتأمَّلْ ما قلتُه، فإنَّه جيدٌ جدًّا، واللهُ أعلمُ.

* * *

*[المسألة] الرابعة:

اعلمْ: أنَّ اختلافَ المذاهبِ في هذه المِلَّةِ رَحمةٌ كبيرةٌ، وفضيلَةٌ عظيمةٌ، وله سِرٌّ لطيفٌ أَدرَكه العالِمون، وعَميَ عنه الجاهِلون، واختلافُها خَصيصَةٌ لهذه الأمَّةِ، وتَوسُّعٌ في هذه الشَّريعةِ السَّمحةِ السَّهلَةِ(١).

وكانت الأنبياءُ قبلَ النبيِّ ﷺ يُبعثُ أحدُهم بشَرعٍ واحدٍ وحُكمٍ واحدٍ.

حتّى أنه مِن ضِيقِ شريعتِهم: لم يكنْ فيها تَخيير في كثيرٍ مِن الفُروعِ التي شُرِعَ فيها التَّخييرُ في شَريعتنا، كتَحتُّمِ القِصاصِ في شريعةِ اليهودِ، وتَحتُّمِ الدِّيةِ في شريعةِ النَّصارى.

ومِن ضِيقِها أيضًا: أنه لم يَجتَمعْ فيها النّاسخُ والمَنسوخُ كما وقعَ في شَريعتِنا، ولذا أَنكرَ اليهودُ النَّسخَ، واستعظَموا نسخَ القِبلةِ.

ومِن ضِيقِها أيضًا: أنَّ كِتابَهم لم يُقرأْ إلّا على حَرفٍ واحدٍ، كما وَردَ بكلِّ ذلكَ الأحاديثُ.

وهذه الشَّريعَةُ سَمْحةٌ سَهْلةٌ، لا حَرجَ فيها، كما قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]، وقال: ﷺ: «بُعِثتُ بالحَنيفيَّة السَّمحَة»(٢).

ومِن سَعتِها: أنَّ كتابَها نَزلَ على سبعةِ أحرُفٍ، يُقرأُ بأَوجُهٍ مُتعدِّدةٍ، والكلُّ كلامُ اللهِ تعالى.

---

(١) هذه المسألةُ برُمَّتِها مأخوذةٌ مِن رسالة الإمام السيوطيِّ «جزيل المواهب» (ص٢٥).

(٢) «مسند أحمد» (٣٦/ ٦٢٤)، وفيه ضعفٌ.

ووَقعَ فيها الناسخُ والمَنسُوخُ؛ ليُعملَ بهما معًا في هذه المِلَّةِ[١]، فكأنَّه عُمِل فيها بالشَّرعَينِ معًا.

ووَقعَ فيها التَّخييرُ بينَ أمرَينِ شُرِعَ كلٌّ منهما في مِلَّةٍ، كالقِصاصِ والدِّيَةِ، فكأنَّها جَمعتْ الشَّرعَينِ معًا، وزادتْ حُسنًا بشَرعٍ ثالثٍ، وهو التَّخييرُ الذي لم يَكنْ في أحدِ الشَّرعَينِ.

فكانتْ المَذاهبُ على اختلافها كشَرائعَ مُتعدِّدةٍ، فصارَتْ هذه الشَّريعَةُ كأنَّها عِدَّةُ شَرائعَ بُعثَ النبيُّ ﷺ بجميعِها.

وفي ذلكَ تَوسِعةٌ زائدةٌ، وفخامَةٌ عَظيمةٌ لقَدرِ النَّبيِّ ﷺ، وخُصوصيَةٌ له على سائرِ الأنبياءِ، حيثُ بُعثَ كلٌّ منهم بحُكمٍ واحدٍ، وبُعثَ هو ﷺ في الأمرِ الواحدِ بأحكامٍ مُتنوِّعةٍ، يَحكمُ بكلٍّ منها ويُنفِّذ، ويُصوِّبُ[٢] قائلَه ويُؤجَر عليه.

وقد ذَكر السُّبكيُّ في تأليفٍ له[٣]: أنَّ جميعَ الشَّرائعِ السَّابقةِ هي شرائعُ للنبيِّ ﷺ بُعثَ بها الأنبياءُ السَّابقة كالنِّيابةِ عنه، وقرَّر السُّبكيُّ بذلكَ قولَه ﷺ[٤]: «بُعثتُ إلى الناسِ كافَّةً»، فجَعلَه مَبعوثًا إلى الخَلقِ كلِّهم مِن لدُنِ آدمَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ إلى أنْ تقومَ الساعةُ، وأطالَ السُّبكيُّ الكلامَ على ذلكَ.

---

(١) في (ك): «المدة»، والمثبتُ موافقٌ لِما في «جزيل المواهب».

(٢) في (ك): «يصدق»، والمثبتُ موافقٌ لِما في «جزيل المواهب».

(٣) ذَكر السبكيُّ ذلك في رسالته: «التعظيم والمِنَّة في لتُؤمِنُنَّ به ولتَنصُرنَّه»، انظر «مجموع الفتاوى» (١/ ٣٨).

(٤) «مسند أحمد» (٧/ ٢٨١)، «صحيح مسلم» (٤/ ٢١١٦).

فالمَذاهِبُ التي استنبطَها أصحابُه مِن أقوالِه وأفعالِه على تنوُّعِها شرائعُ مُتعدِّدةٌ له، وقد أَخبرَ بوُقوعِها، ووَعدَ بالهدايةِ على الأخذِ بها.

ومِن الدَّليلِ على ذلكَ: قصَّةُ اختلافِ الصَّحابةِ في أَسرى بدرٍ، فإنَّ أبا بكرٍ الصدِّيقَ رضيَ اللهُ عنه ومَن تابعَه أَشاروا بأخذِ الفِداء، وعمرُ بنُ الخطّابِ ومَن تابعَه أَشاروا بقتلِهم، فحَكمَ النبيُّ ﷺ بالأوَّلِ، ونَزل القُرآنُ بتفضيلِ الرَّأي الثاني مع تقريرِ الأوَّلِ.

وهذا دَليلٌ على تَصويبِ الرّأيينِ، وأنَّ كلًّا مِن المُجتهدَين مُصيبٌ.

ولو كان الرَّأيُ الأوَّلُ خطأً لم يَحكم به النَّبيُّ ﷺ، وكيفَ وقد أَخبرَ اللهُ تعالى أنه عينُ حُكمِه بقوله: ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٦٨]، وطيَّبَ الفِداءَ بقوله تعالى: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ [الأنفال: ٦٩]، وإنَّما وَقعَ العَتبُ على اختيارِ غيرِ الأفضلِ.

فأَكثرُ ما يقعُ التَّرجيحُ في المَذاهبِ بالنَّظرِ إلى الأفضَلِ، مِن حيثُ قوَّةُ الأدِلَّة والقُربُ مِن الاحتياطِ، واللهُ أعلم.

* * *

***[المسألةُ] الخامسةُ:**

ـ ذَهبَ جَمعٌ كثيرٌ إلى أنَّ المَذاهبَ كلَّها صَوابٌ، وأنَّها مِن بابِ: جائزٍ وأفضَلَ، لا مِن بابِ: صَوابٍ وخَطأٍ.

ـ ورجَّحوا القولَ بأنَّ كُلَّ مُجتَهدٍ مُصيبٌ، وأنَّ حُكمَ اللهِ تعالى في كلِّ واقِعةٍ تابعٌ لظنِّ المُجتَهدِ، وهو أحدُ القولَينِ للأئمَّةِ الأربعة، ورجَّحه القاضي أبو بكرٍ، وقال: «الأظهرُ مِن كلامِ الشافعيِّ والأشبَهُ بمَذهبه ومذهبِ أمثالِه مِن العلماءِ القولُ بأنَّ كلَّ مُجتهدٍ مُصيبٌ»، وقال به مِن أصحابِنا[١]: ابنُ سُريجٍ والقاضي أبو حامدٍ وأكثرُ العِراقيين، ومِن الحنفيَّةِ أبو يوسفَ ومحمدُ بنُ الحسنِ وأبو زَيدٍ الدَّبُوسيُّ[٢].

قال الإمامُ العلامةُ المازِرِيُّ: «إنَّ قولَ مَن قال: إنَّ الحَقَّ في طَرفَينِ، هو قولُ أكثرِ أهلِ التَّحقيقِ مِن العلماءِ والمُتكلِّمين، وهو مَرويٌّ عن الأئمَّةِ الأربعةِ وإنْ حُكيَ عن كلٍّ اختلافٌ فيها»[٣].

قال القاضي عياضٌ[٤]: «القولُ بتَصويبِ المُجتَهدِينَ هو الحقُّ والصَّوابُ عندَنا».

واللهُ سبحانَه وتعالى أعلمُ بالصَّوابِ.

والصَّلاةُ على رسولِه ﷺ، وعلى سائرِ إخوانِه مِن النَّبيينَ والمُرسلِين، وعلى آلِ كلٍّ وصحبِه أجمعينَ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمِين.

---

(١) هذا كلامُ الإمامِ السُّيوطيِّ الشافعي في «جزيل المواهب» للسيوطي: (ص٣٥).

(٢) كذا في «جزيل المواهب» للسيوطي: (ص٣٥)، وانظر «البحر المحيط» للزركشي: (٨/ ٢٩٥).

(٣) نقل كلامَه بتمامه ابنُ حجرٍ في «الفتح» (١٣/ ٣٢٠)، وتوسَّع بالمسألة.

(٤) «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» (ص٦٣٢).

قال مؤلِّفُه العبدُ الفقيرُ إلى اللهِ تعالى مَرْعيُّ بنُ يوسفَ المَقدسيُّ الحنبليُّ:

فَرغتُ مِن جَمعِ هذه الفَوائدِ التي لستُ بوليٍّ لِجَمعِها، وأتَممتُ وضعَ هذه الفَرائدِ التي لستُ بكُفؤٍ لوَضعِها، لولا سعادةُ التَّوفيقِ، وهدايةُ اللهِ لي لأَقومِ طريقٍ، وذلكَ في نهارِ السَّبتِ بعدَ العصرِ في شهرِ جُمادى الآخرةِ، بالجامعِ الأزهرِ سنةَ: ثلاثٍ وعشرينَ بعدَ الألفِ، وقد أَفرغتُ فيه طاقَتي وجَهدي، وبَذلتُ فيه فِكرتي وقَصدي، ولولا طَمعُ واضِعه في الثَّوابِ ما كشفَ فضائحَه، ولا عَرَّضَ نَفسه لتَكليمِ الأَلسنةِ الجارِحة، فرَحِمَ اللهُ امرأً نَظر بعينِ الإنصافِ إليه، ووَقفَ على خطأٍ فأَطْلعَني عليه.

هذا، ولم يكنْ في ظنِّي أنْ أَتعرَّضَ لذلكَ، لعلمي بالعَجزِ عن الخَوضِ في تلكَ المسالكِ، فعسى اللهُ ربِّي أنْ يَنفعَ به نَفعًا جَمًّا، وأنْ يَفتحَ به أعيُنًا عُميًا، وقُلوبًا غُلْفًا، وآذانًا صُمًّا، وأنْ يُجازيَني بصَنيعي الجميلِ الوفاةَ على الإسلام، وأنْ يُدخلَني ووالديَّ وإخواني دارَ السَّلامِ بسلام، بمحمدٍ النبيِّ عليه أفضلُ الصَّلاةِ والسَّلام، وأنْ يَنفعني بهؤلاءِ الأئمَّةِ المُجتهِدين، وأنْ يُمدَّني بمدَدِ عِلْمِهم، بجاه سيِّدِ المُرسلِينَ(١)،

---

(١) جاء في خاتمة النسخة (ش): «وقد كَتب هذه النُّسخةَ المُباركةَ العبدُ الفاني الفقيرُ عليُّ بنُ عمرَ الشَّنَوانيُّ مِن نُسخةِ المؤلِّفِ عاملَه اللهُ بلُطفِه، وكَمُلتْ صُبحَ يومِ الأربعاءِ المباركِ، حاديَ عشرينَ محرَّمِ الحرّامِ، افتتاحَ عامِ ثلاثينَ بعدَ الألفِ، وصلَّى اللهُ وسلَّمَ على سيدنا مُحمدٍ وعلى آله وصحبِه أجمعين، والحمدُ للهِ ربِّ العالمِين».

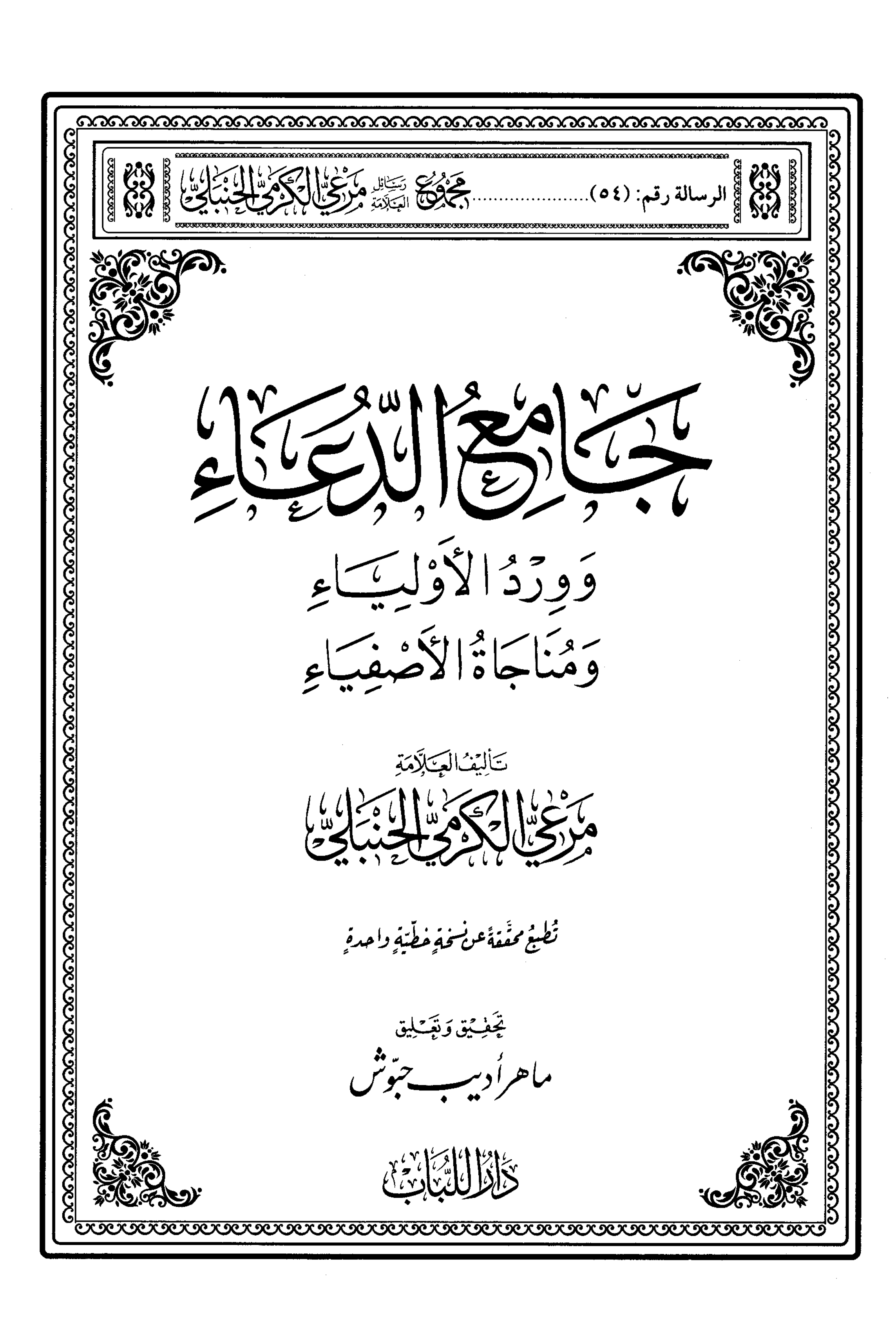
وجاء في خاتمة النسخة (م): ووافق الفراغ من كتابة هذه النسخة المباركة نهار الخميس المبارك بعد صلاة العصر الموافق لثاني عشر شهر صفر الخير من شهور سنة أربع وأربعين ومئة وألف، ختمت بالخير ألوف من هجرة من له العز والشرف سيدنا ونبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم، وعلى آله وأصحابه الكرام مد الليالي والأيام بقلم أفقر الورى وأحوجهم إلى =

صلواتُ اللهِ وسلامُه عليه، وعلى سائرِ إخوانِه مِن النَّبيين، وآلِهم وصحبِهم أجمعين، وتابعيهم بإحسانٍ إلى يوم الدِّين، والحمدُ لله ربِّ العالمين.

خُتم هذا الكتابُ الشريفُ بحمدِ الله وعونِه

* * *

= رب الثرى من في رعاية ربه العلي محمد يعقوب المقدسي الحنبلي بن المرحوم الشيخ محمد بن المرحوم الشيخ يحيى بن المرحوم الشيخ يوسف والد المؤلف لهذا الكتاب، جعلنا الله وإياه من الآمنين يوم الحساب بجاه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وآله والأصحاب، إنه رؤوف رحيم كريم تواب، وغفر أيضاً لكاتبها الذنوب، وستر له العيوب ونظر له بعين الرضا مع التجاوز والصفح عما قد مضى، بجاه محمد المرتضى، آمين آمين آمين».



مجموع رسائل العلامة مرعي الكرمي الحنبلي .... الرسالة رقم: (٥٤)

جامع الدعاء

وورد الأولياء ومناجاة الأصفياء

تأليف العلامة

مرعي الكرمي الحنبلي

تطبع محققة عن نسخة خطية واحدة

تحقيق وتعليق

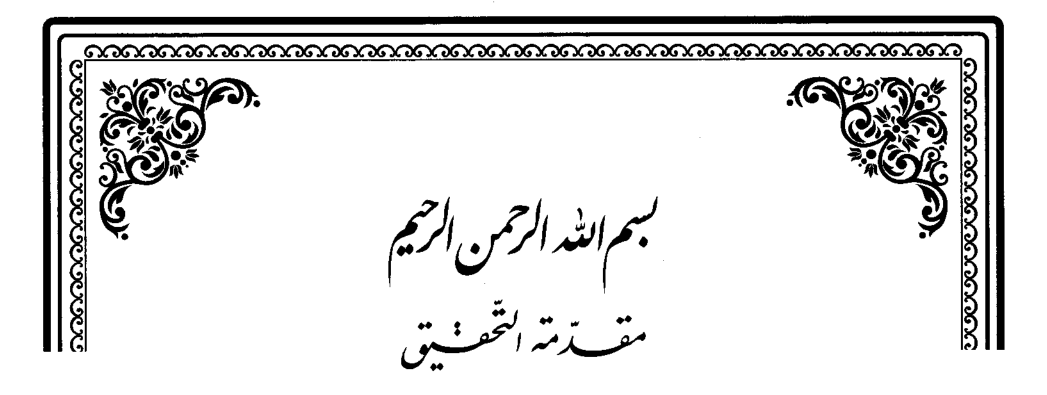
ماهر أديب حبوش

دار اللباب

بسم الله الرحمن الرحيم
قال العبد الفقير الى الله تعالى مرعي ابن يوسف الحنبلي
المقدسي حمدا لوافي نعم من ترفع له اكف السايلين ويكافي
مزيده من يجيب دعوة المضطرين ويوجب الرضوان
لدى من يجب في دعايه الملحين وصلاة وسلاما على
اعبد الخلق واعرفهم بالحق وافضل الداعين وعلى
اله وصحبه اجمعين وبعد فقد استخرت الله تعالى
في جمع فوايد لطيفه وفرايد شريفه تتعلق ببيان
اثبات حقيقة نفع الدعا ودفعه للشر والبلا
معتمدا في ذلك الاحاديث النبوية واقوال الايمة
المرضية جاعلا فيها ادعية القران العظيم وادعية
رسوله النبي الكريم وابتهالات العارفين ومناجاة
للصالحين تقر بها اعين المحبين وتقوى بها المشتاقين
فاقول وبالله استعين منه ... اعلم وفقك الله
تعالى ان الدعا من انفع الادوية وهو عدو البلا
يدافعه ويعالجه ويمنع نزوله ويرفعه او يخففه
اذا نزل وهو سلاح المومن روى الحاكم في صحيحه
من حديث علي بن ابي طالب كرم الله وجهه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعا
سلاح المومن وعماد الدين ونور السموات
والارض وله مع البلا ثلاث مقامات احدها

ان يكون اقوى من البلا فيدفعه الثاني ان يكون
اضعف من البلا فيقوى عليه البلا فيصاب به
العبد ولكن يخففه وان كان ضعيفا الثالث ان يتقاوما
ويمنع كل واحد منهما صاحبه روى الحاكم في صحيحه
من حديث عايشة رضي الله عنها قالت قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغني حذر
من قدر والدعا ينفع مما نزل ومما لم ينزل وان
البلا لينزل فيلقاه الدعا فيعتلجان الى يوم
القيامة وفيه ايضا من حديث ابن عمر عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال الدعا ينفع مما نزل ومما لم ينزل
فعليكم عباد الله بالدعا وفيه ايضا من حديث ثوبان
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يرد القدر
الا الدعا ولا يزيد في العمر الا البر وان الرجل ليحرم الرزق
بالذنب يصيبه ورواه ابو خيثمة عن عبد الله بن
ابي الجعد عن ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم
من انفع الادوية الالحاح في الدعا وروى ابن ماجه
في سننه من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من لم يسال الله يغضب عليه
وفي صحيح الحاكم من حديث انس رضي الله عنه لا تعجزوا
في الدعا فانه لا يهلك مع الدعا احد وذكر الاوزاعي
عن الزهري عن عروة عن عايشة رضي الله عنها

مكتبة دار الكتب المصرية (الأصل)



الحمدُ للهِ مسبِّبِ الأسباب، مفتِّحِ الأبواب، وسامِعِ الأصوات، مُجيبِ الدَّعَوات، والصَّلاةُ والسلامُ على مَن نَسَخَ بنورِ الهُدَى حالِكَ الظُّلُمات، وبَيَّنَ للنَّاس ما أُنْزِلَ إليهِمْ وأَوْضَحَ مُشْكِلاتِ الكِتاب، وتَرَكَهم على المحَجَّةِ البيضاءِ لا سَرَبَ فيها ولا سَرَاب، فصَلَّى اللهُ عليه وعلى جميعِ الآلِ وكلِّ الأصحاب.

وبعدُ:

فإنَّ الدُّعاءَ في الإسلامِ لهُ مكانةٌ رَفيعةٌ وفَضْلٌ عَظيم، ويَكْفي في بيانِ تلكَ المكانةِ وإظهارِ ذلك الفَضْلِ أنَّ الشارعَ جَعَلَ الدُّعاءَ هو العبادةَ كما جاءَ في صَرِيحِ الحديثِ الصَّحِيحِ مِن قولِهِ ﷺ: «الدُّعاءُ هو العِبادةُ، قال ربُّكم: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]»(١).

بل في الحديثِ دلالةٌ على أنَّ ذلك وَقَع بنصِّ القرآن، فقد استَشْهَدَ عليه الصلاةُ والسلامُ على كلامهِ بالآيةِ الكريمةِ التي تتمَّتُها: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾، حيث وُضع فيها: ﴿عَنْ عِبَادَتِي﴾ موضعَ: عن دُعائي، فإنَّ الموضعَ موضعُ ذِكرِ الدُّعاءِ بقَرينةِ السِّياق.

---

(١) رواه أبو داود (١٤٧٩)، والترمذي (٢٩٦٩)، وابن ماجه (٣٨٢٨)، من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما. قال الترمذي: حسن صحيح.

بـل الدعـاءُ هـو أتـمُّ العبـاداتِ وأكملُهـا، كمـا قـال البيضـاويُّ في شـرح هذا الحديـث: لـمَّا حَكَـم بـأنَّ الدُّعـاءَ هـو العبـادةُ الحقيقيَّـةُ التي تَسـتأْهِلُ أنْ تُسـمَّى عبـادةً، مِـن حيـث إنَّه يـدلُّ علـى أنَّ فاعلَـه مُقْبِـلٌ بوَجْهِـهِ إلـى اللهِ تعالـى، مُعْرِضٌ عمَّـا سِـوَاه، لا يَرْجُـو ولا يخـافُ إلَّا منـه = اسـتَدَلَّ عليـه بالآيـةِ، فإنهـا تَـدلُّ على أنَّـه أَمْـرٌ مأمـورٌ بـه، إذا أَتَى بـه المكلَّفُ قُبِلَ منـه لا محالـةَ، وتَرتَّبَ عليـه المقصودُ تَرتُّـبَ الجـزاءِ علـى الشَّـرطِ، والمسـبَّبِ علـى السَّـببِ، ومـا كان كذلـكَ كان أتـمَّ العبـاداتِ وأكملَها[١].

وفضلُ الدُّعاءِ مما لا شكَّ فيه بنصِّ القرآنِ والسُّنَّة، وهو مما كَثُرَ الكلامُ عنهُ في كتبِ العلماءِ من زُهْدٍ وتَفسيرٍ وفقهٍ وشُروحٍ للأحادِيثِ، ولذلك سنَجِدُ أنَّ الغايةَ الأساسيَّةَ من هذا الكتابِ الذي بينَ أيدِينا ليستِ الكلامَ في فَضْلِ الدُّعاءِ فقط لأنَّ هذا الأمرَ مفروغٌ منه، بل بيانُ الأدعيةِ المأثورةِ الواردةِ في كتابِ اللهِ وسنَّةِ رسولِهِ، مع زيادةِ بعضِ الأدعيَّةِ الواردة عن العلماءِ، والردِّ على بعضِ الشُّبهاتِ المتعلِّقةِ بالموضوع.

وكذلك هذهِ المقدِّمةُ ليس المرادُ منها الكلامَ عن فَضْلِ الدُّعاءِ، بل ذكرُ بعضِ الملاحَظاتِ المرتَبِطةِ بالموضوعِ، والتي لم أَنْقُلْها من كتابٍ بل تعلَّمْتُها مِن خلالِ تجربتي مع هذهِ العبادةِ العظيمة.

فاعْلَـمْ أنَّ أَدْنَـى درجـاتِ الدُّعـاءِ هـي أنْ لا يُفْعـلَ إلا فـي أوقـاتِ المحـنِ والشَّـدائدِ ونـزولِ البـلاء، فـإنَّ هـذا أمـرٌ يَشـتركُ فيـه المؤمـنُ وغيـرُ المؤمـنِ كما أَخْبـرَ تعالـى بقولـه:

---

(١) انظر: «تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة» (٢/ ٩).

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ [يونس: ٢٢ ـ ٢٣].

وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴾ [لقمان: ٣٢].

فتَجِدُ الإنسانَ في أوقاتِ الرَّخاءِ ساهياً لاهياً، منشغِلَ القلبِ عن حمدِ اللهِ وشُكرِه، وطلبِ استمرارِ نعمِه وفضلِه، وقد ظنَّ أنَّ الإمدادَ لا يزول، وأنَّ النِّعَمَ لا تَنْقَضِي ولا تَحُول، ثم إذا به عندَما يَحِلُّ به البلاء، وتَزولُ عنه النَّعماء، يَرفَعُ يديهِ إلى السَّماء يا ربِّ يا ربِّ، هذا إذا كان مالُه ومَطْعمُه حلالاً، فما بالُكَ إذا كان اكْتَسَبه بالغشِّ والخِداع، والتزويرِ وأكلِ الحقوق، كما هو حالُ الكثيرِ مِن الناسِ في هذهِ الأيام، ومنهم مَن تَجِدُه في الصَّفِّ الأولِ خَلْفَ الإمام، لكنَّه في أمرِ المالِ لا يَعْرِفُ مَعروفاً ولا يُنْكِرُ مُنْكراً، ولا يعنيهِ إنْ وَصلَ رَحِماً أو قَطَعه ما دام قد حَصَلَ على ما يُريد، فأنَّى يُستجابُ لهذا، بل كيف يَستطيعُ رَفْعَ كفَّيهِ إلى اللهِ وقد تَلطَّخَتا بحقوقِ اللهِ وحُقوقِ العبادِ؟!

ثم إنَّه قد يَظُنُّ البعضُ أنَّ الدعاءَ يَتِمُّ بتخصيصِ لحظاتٍ تُرفَعُ فيها اليدانِ إلى السَّماءِ مع التَّمْتَمةِ ببعضِ الأدعيةِ أو بطَلَبِ الحاجةِ من الله، والحقُّ أنَّ هذا قُصورٌ منه، بل يَحتاجُ الإنسانُ إلى الإلحاحِ في الدُّعاءِ وطلبِ الحاجةِ، وذلك بأنْ يكونَ

هِجِّيراهُ التَّوجُّهَ إلى اللهِ في كلِّ ما يَستطِيعُ من الأوقات، وأنْ لا يَترُكَ لحظةً يمكِنُه فيها الدُّعاءُ ولا وقتاً من أوقاتِ الإجابةِ إلا ويَتوجَّهُ فيه إلى اللهِ، وذلك مع حضورِ القلبِ، واستشعارِ الذلِّ والافتِقار، وإظهارِ التذلُّلِ والخضوع، والعبوديَّةِ والخشوع، وأنْ يدعُوَ اللهَ كأنَّه يَراهُ، في كلِّ وقتٍ وفي كلِّ مكانٍ، وإنْ كان يُمارِسُ عملاً لا يَحتاجُ إلى انْشغالِ القلب به فلْيَشْغَلْه بالدُّعاء، حتى في تقلُّبِهِ وهو نائمٌ، ثم لْيَنْظرْ عطاءَ اللهِ وسرعةَ إجابتِهِ وعونِهِ، وتوفيقِه ونَصرِه.

ولتَعْلَمْ أنَّ اللهَ ما أَلْهمكَ الدُّعاءَ إلَّا ليُجِيبَك إلى ما دعوتَ، كيف وهو القائل: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، وقد أَحْسنَ مَن قال:

لو لم تُرِدْ نَيلَ ما نرجُو ونَطْلبُه ... مِن فَيضِ جُودِكَ ما عَلَّمْتَنا الطَّلبا

وممَّا ينبغي الإشارةُ إليه أيضاً أنَّ أَوْلَى ما يُدْعَى به سبحانَهُ وأقربَهُ للإجابةِ هو أنْ يُدْعَى سبحانهُ بكلامهِ هو الذي أنزلَهُ في كتابهِ الكريم، الذي هو زاخرٌ بالأدعيةِ الجامعةِ المانِعةِ، الشاملةِ لكلِّ ما يحتاجُه المؤمن ويطلبُه.

ثم بعدَ ذلك ما جاءَ في السُّنَّةِ الصَّحيحةِ الثَّابتةِ عن النبيِّ ﷺ، كما قال الخطابيُّ: أَوْلى ما يُدْعَى به ويُسْتَعْمَلُ منهُ ما صحَّتْ به الروايَةُ عن رسولِ اللهِ ﷺ، وثَبتَ عنهُ بالأسانِيدِ الصحِيحَةِ، فإن الغَلَط يَعْرِضُ كثِيْراً في الأدْعِيَةِ التي يَخْتَارُها النَّاسُ؛ لاخْتِلَاف مَعَارِفِهِم، وتَبَايُنِ مَذَاهِبِهِمْ في الاعْتِقاد والانتِحالِ[1].

قلتُ: لذلك فقد أَوْلَيْنا الأحاديثَ الواردةَ في هذا الكتابِ عنايةً خاصَّةً في تخريجِها والحكمِ عليها.

---

(١) انظر: «شأن الدعاء» للخطابي (ص ٢ ـ ٣).

ثم قد يُستَأْنسُ مع ما سَبَقَ ببعضِ الأدعيةِ الواردةِ عن السَّلَفِ الصَّالحِ، والعلماءِ الربانيِّين، الذين ثَبَتَ عنهم السُّلوكُ المستقيمُ، والاعتقادُ الصَّحيحُ، وعرِفَ منهم الكلامُ البَلِيغُ الفَصِيح.

وهذا الكتابُ الذي بين أيدينا مِن أَحْسَنِ وأَوجَزِ ما كُتِبَ في فضلِ الدُّعاءِ وأوقاتِهِ، وما وَرَد فيه من الآياتِ القرآنيَّةِ والأحاديثِ النبويَّة، وأدعيةِ الربانيِّينَ المرضيَّة، وقد بيَّن المؤلِّفُ محتواهُ أحسنَ بيانٍ، فقال بالإيجازِ والاختصارِ: فقد استَخَرْتُ اللهَ سبحانهُ في جَمْعِ فوائدَ لَطيفةٍ وفرائدَ شريفةٍ تتعلَّقُ ببيانِ إثباتِ حقيقةِ نفعِ الدُّعاء، ودَفْعِه للشَّرِّ والبلاء، معتمِداً في ذلك الأحاديثَ النبويَّة، وأقوالَ الأئمَّةِ الـمَرْضيَّة، جامعاً فيها أدعيَةَ القرآنِ العظيم، وأدعيَةَ رسولِهِ النبيِّ الكريم، وابتهالاتٍ للعارِفِين، ومناجاةٍ للصَّالحين، تَقَرُّ بها أعينُ المحبِّين، ونُفوسُ الـمُشْتاقِين.

ولم يذكُرْ هو عُنوانَه، لكنْ جاء العنوانُ في الورقةِ الأولى من النُّسخةِ الخطِّيَّة:

«جامعُ الدُّعاءِ ووِرْدُ الأولياءِ ومناجاةُ الأصفِيَاء»

وقد جاء محتواهُ كما قالَ مؤلِّفُه، فبدأ بِذِكْر مَقاماتِ الدُّعاءِ مع البَلاءِ، وما يَتعلَّقُ بذلك من الأحاديثِ النبويَّةِ الشريفة، ثم ثَنَّى بذكرِ الإلْحاحِ في الدُّعاءِ، وأنَّه مِن أنفعِ الأَدْويَةِ، ثم تَطرَّقَ لبحثِ الأسبابِ التي تؤدِّي إلى تخلُّفِ أثرِ الدُّعاء في رَفْعِ المكروهِ وحُصولِ المطلوبِ، وذكرِ مَوانعِ قَبولِ الدُّعاءِ، وشروطِ إجابته التي منها الإخلاصُ والتَّضرُّعُ والتَّوبةُ، وأكلُ الحلالِ، والاعتمادُ على اللهِ سبحانَهُ في قَبولِ دُعائه، وأنَّ العبد إذا جمعَ في دُعائهِ حُضورَ القلبِ وجمعيَّته بكلِّيتهِ على المطلوبِ، وصادَفَ وقتاً من أوقاتِ

الإجابةِ الستَّةِ، وصادَفَ خُشوعاً في القلبِ، وانكساراً بينَ يَدَيِ الرَّبِّ، وذلَّا وتضرعاً ورِقَّةً، واستَقْبَلَ الدَّاعي القِبلةَ، وكان على طهارةٍ، ورَفَع يَدَيهِ إلى اللهِ، وبَدأ بحمدِ اللهِ وبالثَّناءِ عليه، ثم ثنَّى بالصَّلاةِ على محمَّدٍ ﷺ، ثمَّ قدَّمَ بين يَدَيْ حاجَتِه التَّوبةَ والاستغفارَ، ثمَّ دَخَل على اللهِ وأَلحَّ عليه في المسألةِ، وتملَّقه ودعاهُ رغبةً ورهبةً، وتَوسَّلَ إليه بأسمائهِ وصفاتِهِ وتوحيدِه، وقدَّمَ بين دعائهِ صدقةً، فإنَّ هذا الدعاءَ لا يكادُ يُرَدُّ أبداً بإذن الله.

ثم انبرَى للرَّدِّ على شبهةٍ من أَعْظمِ الشُّبُهاتِ التي تُثارُ في أمرِ الدعاءِ، وهي اعتراضُ قوم بأنَّ المدعوَّ بِهِ إنْ كان قد قُدِّرَ لم يكنْ بدٌّ من وقوعِه دَعَا به العبدُ أو لم يَدْعُ؛ لأنَّ كلَّ مقدَّرٍ كائنٌ كما دلَّتْ عليه الآياتُ الصَّريحةُ والأحاديثُ الصحيحةُ، وإنْ لم يكُنْ قدِّرَ لم يَقَعْ سألَهُ العبدُ أو لم يَسألْ.

فردَّ عليه أَبْلغَ ردٍّ وأقواه، متوصِّلاً إلى أنَّ هذا القائلَ يجب أنْ يَعترِفَ هو نفسُه بأنَّه إذ قالَ ما قالَ وذَهَبَ إلى ما ذَهَبَ أقلُّ فَهْماً من الحيوانِ البَهِيم.

ثم تناوَلَ شبهاتٍ أَخفَّ مِن الأُولى كقولِ طائفةٍ: الاشتغالُ بالدُّعاءِ من بابِ التعبُّدِ المحْضِ، يُثِيبُ اللهُ تعالى عليهِ الدَّاعيَ مِن غيرِ أن يكونَ له تأثيرٌ في المطلوبِ بوجهٍ مّا، فلا فرقَ عندهم بينَ الدعاءِ وبينَ الإمساكِ عنه.

وقولِ أُخرى أَكْيَسَ منهم: بل الدُّعاءُ علامةٌ مجرَّدةٌ نَصَبَها اللهُ تعالى أَمارةً على قضاءِ الحاجةِ، فمتى وُفِّقَ العبدُ للدُّعاءِ كان ذلك علامةً له وأَمارةً على أنَّ حاجتَه قُضِيَتْ.

ثم خَتَم بذِكرِ قولِ الطَّائفةِ الحقِّ، وكلُّ ذلك نقلاً عن كتابِ «الداء والدواء» لابنِ القيِّم.

ثم ساقَ الأدلةَ من الأحاديثِ النبويَّةِ على أنَّ الدُّعاءَ من أَقْوَى الأسبابِ.

ثم ساقَ الأدعيَةَ القرآنيَّةَ، ثم التي وردَتْ في السُّنَّةِ النَّبويَّة، ثم ما وَرَد مِن ابتهالاتِ للعارِفين، ومناجاةٍ للصَّالحين.

ولعلَّ مِن أحسنِ ثمراتِ هذا الكتابِ وأَجَلِّ فوائدِه هو ذاكَ الفصلُ بينَ ما جاء عن الشَّرعِ القويمِ من القرآنِ والسنَّةِ، وبينَ ما قاله الأولياءُ والصالحون على مرِّ السِّنين، هذا مع ما أعاننا اللهُ عليه مِن تخريجٍ لأحاديثه، وبيانٍ لصحيحِها من ضعيفِها، وإنْ كانَتْ كلُّها مما لا ضَيرَ في العملِ بها والدُّعاءِ بألفاظِها ما دامَتْ لا نَكارةَ فيها ولا مخالَفةَ للأصولِ الشَّرْعية من الآياتِ القرآنيَّة والأحاديثِ الثابتةِ النَّبويَّة.

ولكنْ مما يُؤْخَذُ عليه ما وَقَع فيه أثناءَ تخريجِ الأحاديثِ الشريفةِ المشتمِلة على الأدعيةِ النبويةِ، حيث رَمَز في أوَّلِ كلِّ حديثٍ للأئمَّة الذين رَوَوْه، لكنْ وَقَع في رُموزِه تلكَ اضْطِرابٌ كبيرٌ يَظهرُ من خلالِ تخريجنا لها، فمِن ذلكَ نسبةُ حديثِ: «اللهُمَّ إنِّي أعوذُ بكَ مِن الهمِّ والحَزَنِ والعَجزِ والكَسَلِ والبُخْلِ والجُبْنِ وضَلَعِ الدَّينِ وغَلَبةِ الرِّجالِ» للطَّبرانيِّ، في حينِ أنه مرويٌّ في الصَّحيحينِ وباقي الكتبِ السِّتةِ، وأحياناً يَنسبُ حديثاً لأبي داودَ والنَّسائيِّ بينما هو عندَ الطبرانيِّ، ومِثلُ هذا كثيرٌ، ولذا لم نَعْتدَّ كثيراً برموزِه التي وضعَها، لكنْ مع محاولتِنا ما أَمْكنَ العزوُ للمصادرِ التي ذكَرها.

كما يُؤخَذُ عليه إيرادُه لبعضِ الأحاديثِ التي ثبتَ ضعفُها دونَ التنبيهِ عليها، ولعل هذا لأن ذلك الضعفَ لا يَضرُّ في العملِ بالدعاءِ إنْ لم يكُنْ في المعنَى نكارةٌ كما ذكَرْنا.

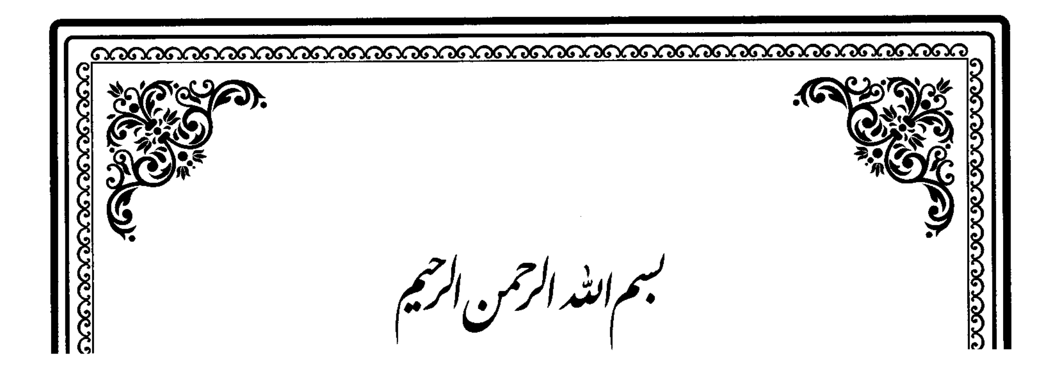
وأخيراً ثمةَ ملاحظةٌ يَنبغي التنبيهُ عليها، وهي أنَّنا اجتَهَدْنا ما أَمْكَنَ في التعمُّقِ في دراسةِ الأحاديثِ من مجمَلِ ما حَكَم به أئمَّةُ هذا الشَّأْن، وإنْ كنَّا نَختمُ أحياناً بالعزوِ لبعضِ الكتبِ المعاصِرة، فذلك لتأكيدِ الحكمِ بالصحةِ أو بالضَّعف، وليس اعتماداً على تلك الكتبِ، كما أنَّنا تعقَّبْنا في أكثرِ من موضعٍ ما ذكرَه البعضُ مِن تصحيحٍ أو تضعيفٍ، لكنْ بما لا يَحِيدُ عن طريقِ الإنْصاف والتجرُّدِ والعلم، هذا مع التَّذكيرِ بأنَّ ما وَقفْنا عندَه هو الأحاديثُ التي فيها علَّةٌ أو ضعفٌ، وما سكَتْنا عنه فهو إمَّا حَسنٌ أو صحيحٌ، واللهُ أعلم.

وقد اعتمدتُ في تحقيقِ هذه الرسالةِ على النسخةِ الخطيةِ المحفوظةِ في دار الكتب المصرية وأشرتُ لهل بـ(الأصل).

والحمدُ للهِ ربِّ العالمين

المحقق

* * *



قال العبدُ الفقيرُ إلى اللهِ تعالى مَرْعيُّ بنُ يوسُفَ الحنبليُّ المقدسيُّ:

حَمْداً يُوافي نِعَمَ مَن تُرفَعَ له أكُفُّ السائلين، ويُكافي مزيدَ مَن يُجيبُ دعوةَ المضْطَرِّين، ويُوجِبُ الرِّضوانَ لدَى مَن يُحبُّ في دعائهِ الملحِّين.

وصلاةً وسلاماً على أَعْبَدِ الخَلْق، وأَعْرفِهم بالحقّ، وأفضلِ الدَّاعِين، وعلى آلِهِ وصَحْبِه أجمعين.

وبعدُ:

فقد استَخَرْتُ اللهَ سبحانهُ في جَمْعِ فوائدَ لَطيفةٍ وفرائدَ شريفةٍ تتعلَّقُ ببيانِ إثباتِ حقيقةِ نفعِ الدُّعاء، ودَفْعِه للشَّرِّ والبلاء، معتمِداً في ذلك الأحاديثَ النبويَّة، وأقوالَ الأئمَّةِ الـمَرْضيَّة، جامعاً فيها أدعيَةَ القرآنِ العظيم، وأدعيَةَ رسولِهِ النبيِّ الكريم، وابتهالاتٍ للعارِفين، ومناجاتٍ للصَّالحين، تَقَرُّ بها أعينُ المحبِّين، ونُفوسُ الـمُشْتاقِين، فأقولُ وباللهِ أَستعين:

مقدمة

اعلَـمْ وفَّقَـكَ اللهُ تعالى: أنَّ الدُّعـاءَ مِن أنفـعِ الأدويَةِ، وهو عدوُّ البـلاءِ يدافعُه ويعالجُـه، ويَمنـعُ نزولَه ويرفعُـه، أو يخفِّفُه إذا نَزَل.

وهـو سـلاحُ المؤمِـنِ؛ روَى الحاكـمُ في «صحيحه» مـن حديثِ علـيِّ بنِ أبي

طالبٍ كرَّمَ اللهُ وجهَه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «الدُّعاءُ سلاحُ المؤمِنِ وعِمادُ الدِّينِ ونُورُ السَّماواتِ والأرض»(١).

وله مع البلاءِ ثلاثُ مقاماتٍ:

أحدُها: أنْ يكونَ أقوى مِن البلاءِ فيَدْفعَه.

الثاني: أنْ يكونَ أضعفَ من البلاءِ، فيَقْوَى عليه البلاءُ، فيُصابُ به العبدُ، ولكنْ يخفِّفُه وإنْ كان ضعيفاً.

الثالث: أنْ يَتَقاوَيَا ويمنعَ كلُّ واحدٍ منهما صاحبَه.

روَى الحاكمُ في «صَحيحه» من حديثِ عائشةَ رضي الله عنها قالتْ: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «لا يُغْنِي حَذَرٌ مِن قَدَرٍ، والدُّعاءُ يَنفَعُ ممَّا نَزَل وما لم يَنْزِلْ، وإنَّ البلاءَ لَيَنزِلُ فيَلْقاهُ الدُّعاءُ فيعتلِجانِ إلى يومِ القيامةِ»(٢).

وفيه أيضاً مِن حديثِ ابنِ عُمرَ عن النبيِّ ﷺ قال: «الدُّعاءُ يَنفَعُ ممَّا نَزَلَ وما لم يَنْزِلْ، فعليكُمْ عِبَادَ اللهِ بالدُّعاء»(٣).

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (١٨١٢)، ورواه أيضاً أبو يعلى في «مسنده» (٤٣٩). وهذا الحديث مع انقطاعه فيه محمد بن الحسن بن أبي يزيد الهمداني وهو متروك، وقد وهم الحاكم فقال: محمد بن الحسن بن الزبير الهمداني، وصحح الحديث. انظر: «ميزان الاعتدال» (٤/ ٨٨) ط: الرسالة.

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (١٨١٣)، ورواه أيضاً الطبراني في «الأوسط» (٢٤٩٨)، وابن عدي في «الكامل» (٣/ ٢١٢)، وابن الجوزي في «العلل» (١٤١١). قال ابن الجوزي: لا يصح. وانظر: «السلسلة الضعيفة» (٦٧٦٤).

(٣) رواه الحاكم في «المستدرك» (١٨١٥)، ورواه أيضاً الترمذي (٣٥٤٨) وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر القرشي، وهو ضعيف في الحديث، ضعَّفه بعض أهل العلم من قِبل حفظه.

وفيه أيضاً مِن حديثِ ثَوْبانَ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ: «لا يَرُدُّ القَدَرَ إلَّا الدُّعاءُ، ولا يَزِيدُ في العُمرِ إلا البِرُّ، وإنَّ الرَّجلَ ليُحْرَمُ الرِّزقَ بالذَّنبِ يُصِيبُه»(١).

ورواهُ أبو حنيفةَ عن عبدِ اللهِ بنِ أبي الجَعْدِ عن ثَوْبانَ عن النبيِّ ﷺ(٢).

مِن أنفعِ الأَدْويَةِ الإلْحاحُ في الدُّعاء:

وروى ابن ماجه في «سننه» من حديث أبي هريرة قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: مَن لَمْ يَسْألِ اللهَ يَغْضَبْ عليه»(٣).

وفي «صحيح» الحاكم من حديثِ أنسٍ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ: «لا تَعْجِزوا في الدُّعاءِ فإنَّه لا يَهْلِكُ مع الدُّعاءِ أحدٌ»(٤).

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (١٨١٤)، ورواه أيضاً ابن ماجه (٩٠) و(٤٠٢٢)، والإمام أحمد في «المسند» (٢٢٣٨٦). والحديث ضعيف الإسناد، لكن المتن حسن دون قوله: «إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يُصيبه». وانظر الكلام عليه في حاشية «المسند».

(٢) كذا قال، والرواية السابقة عند أحمد وابن ماجه والحاكم جميعهم من طريق ابن أبي الجعد عن ثوبان. ولم أجده من طريق أبي حنيفة، ولعل قوله: «أبو حنيفة» محرف عن (أبو خيثمة)، فقد رواه ابن حبان في «صحيحه» (٨٧٢) من طريق أبي خيثمة، عن وكيع، عن سفيان، عن عبد الله بن عيسى، عن عبد الله بن أبي الجعد، عن ثوبان به.

(٣) رواه الترمذي (٣٣٧٣)، وابن ماجه (٣٨٢٧). وجاء في هامش الأصل هنا: «وحديث أنس مرفوعاً: أكثر من الدعاء فإن الدعاء يرد القضاء المبرم»، قلت: رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٣/ ٣٥)، وهو حديث ضعيف جداً. انظر: «السلسلة الضعيفة» (٢٨٧٦).

(٤) رواه الحاكم في «المستدرك» (١٨١٨)، ورواه أيضا ابن عدي في «الكامل» (٥/ ١٣)، وابن الجوزي في «العلل» (١٤١١). قال ابن الجوزي: لا يصح. قال ابن طاهر في «ذخيرة الحفاظ» (٥/ ٢٦٢٤): رواه عمر [وعند الحاكم: عمرو، وهو خطأ] بن محمد بن صهبان، عن ثابت، عن أنس. وعمر متروك الحديث. وانظر: «السلسلة الضعيفة» (٨٤٣).

وذكَرَ الأوزاعيُّ عن الزُّهْريِّ عن عُروةَ عن عائشةَ رضي الله عنها قالَتْ: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «إنَّ اللهَ يُحبُّ الملِحِّينَ في الدُّعاء»(١).

وفي «الزُّهْد» للإمامِ أحمدَ عن قَتادةَ قال: قال مُوَرِّقٌ: ما وجدتُ للمؤمِنِ مَثَلاً إلا رجلاً في البَحرِ على خَشَبةٍ، فهو يَدْعو: يا ربِّ يا ربِّ، لعلَّ اللهَ عزَّ وجلَّ أنْ يُنْجِيَه(٢).

ورَوَى مسلمٌ عن أبي هريرةَ رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ قال: يقولُ اللهُ تعالى: «أنا عندَ ظَنِّ عَبْدِي بي، وأنا مَعَهُ إذا دَعَاني»(٣).

---

(١) رواه الفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٢/ ٢٥١)، والعقيلي في «الضعفاء» (٤/ ٤٥٢)، من طريق بقية بن الوليد عن يوسف بن السفر عن الأوزاعي به، ورواه العقيلي، وابن أبي حاتم في «العلل» (٢/ ١٩٩) من طريق بقية عن الأوزاعي به. قال أبو حاتم: هذا حديث منكر نرى أن بقية دلسه عن ضعيف عن الاوزاعي. قلت: والضعيف المدلَّس عنه هو يوسف بن السفر كما جاء مصرحا به في الرواية الأولى، وقال ابن طاهر في «ذخيرة الحفاظ» (٢/ ٦٠٧): هذا الحديث كان بقية بن الوليد يرويه أحياناً عن الأوزاعي نفسه فيُسقط يوسف لضعفه، وربما قال: يوسف، وربما كناه فيقول: عن أبي الفيض، وكل ذلك لضعفه؛ لأن هذا الحديث يتفرد به يوسف عن الأوزاعي، ويوسف كذاب.

قلت: لكن الإلحاح في الدعاء ورد في الصحيح ما يؤيده، فقد قال أبو بكرِ الصِّدِّيقُ رضي اللهُ عنهُ يوم بدرٍ للنَّبيِّ ﷺ: حسبك يا رسول الله، فقد ألحَحْت على ربِّك. رواه البخاري (٢٩١٥)، وقيده ابن القيم بطلب الرضا والقرب من الخالق، وقال: فإذا كان سُؤالُهُ يُرضيه لم يكُن الإلحاحُ فيه مُنافيًا لرضاهُ، وحقيقةُ الرِّضا: مُوافقتُهُ سُبحانهُ في رضاهُ، بل الذي يُنافي الرِّضا: أنْ يُلحَّ عليه مُتحكِّمًا عليه مُتخيِّرًا عليه ما لا يعلم: هل يُرضيه أم لا؟ كمَن يُلحُّ على ربِّه في ولايةِ شخصٍ أو إغنائه أو قضاء حاجته، فهذا يُنافي الرِّضا؛ لأنَّهُ ليس على يقينٍ أنَّ مرضاةَ الرَّبِّ في ذلك. انظر: «مدارج السالكين» (٢/ ٢٣٨).

(٢) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (١٧٦٠).

(٣) رواه مسلم (٢٦٧٥).

وفي بعضِ كتبِ اللهِ المنزَلةِ: يا عَبْدِي، إذا سألتَ فاسألْني فإنِّي غنيّ، وإذا طَلَبْتَ النُّصرةَ فاطْلُبْها منِّي فإنِّي قويّ، وإذا أَفْشَيْتَ سرَّكَ فأَفْشِه إليَّ فإنِّي وَفيّ، وإذا أَقْرَضْتَ فأَقْرِضْني فإنِّي مَلِيّ، وإذا دَعَوْتَ فادْعُني فإنِّي حَفِيّ[1].

وقد قال سبحانه في التنزيل المقدس: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾ [غافر: ٦٠].

وقال ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

واعْلَمْ وفَّقَكَ اللهُ تعالى: أنَّ الدُّعاءَ مِن أَقْوَى الأسبابِ في رَفْعِ المكروهِ وحُصولِ المطلوبِ، ولكنْ قد يتخلَّفُ أثرُه عنه:

إمَّا لضَعْفِهِ في نَفْسِه بأنْ يكونَ دعاءً لا يحبُّه اللهُ لِمَا فيه مِن العُدوانِ.

وإمَّا لضَعْفِ القلبِ وعَدَمِ إقبالِهِ على اللهِ وجمعيَّتِه عليه وقتَ الدُّعاءِ، فيكونُ بمنزلةِ القوسِ الرِّخْوِ جدًّا.

وإمَّا لحصولِ المانِعِ من الإجابةِ: مِن أَكْلِ الحرامِ، والظُّلمِ، ورَيْنِ الذُّنوبِ على القلوبِ، واستيلاءِ الغَفْلةِ والسَّهْوِ واللَّهْوِ وغلَبَتِها عليها، ففي «صحيح» الحاكمِ من حديثِ أبي هريرةَ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ: «ادْعُوا اللهَ وأنتُم مُوْقِنون بالإجابةِ، واعْلَمُوا أنَّ اللهَ لا يَقْبلُ دعاءً مِن قلبٍ غافِلٍ لاهٍ»[2].

---

(١) انظر: «المستطرف» للأبشيهي (٢/ ٥٣٢).

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (١٧١٨)، ورواه أيضاً الترمذي (٣٤٧٩)، وابن حبان في «المجروحين» (١/ ٣٧٢). قال الترمذي: حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وقال الحاكم: حديث مستقيم الإسناد، تفرد به صالح المري وهو أحد زهاد أهل البصرة. وتعقبه الذهبي بقوله: صالح متروك. وسبقه إلى نحو ذلك المنذري فقال في «الترغيب والترهيب» (٢/ ٣٢٢) متعقباً على الحاكم بقوله: لا شك في زهده، لكن تركه أبو داود والنسائي. وروي له =

وفي «صحيح مسلم» من حديثِ أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «إنَّ اللهَ طيِّبٌ لا يَقْبَلُ إلا طيِّباً، وإنَّ اللهَ أَمَرَ المؤمِنينَ بما أَمَرَ به المرسَلِينَ فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ [البقرة: ١٧٢]، ثم ذَكَر الرَّجلَ يُطيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمدُّ يَدَيْه إلى السَّماءِ يا ربِّ يا ربِّ، ومَطْعَمُه حرامٌ ومَشْرَبُه حرامٌ ومَلْبَسُه حرامٌ، وغُذِّيَ بالحرامِ فأَنَّى يُستَجابُ لذلك»[1].

وذكَرَ عبدُ اللهِ بنُ أحمدَ بنِ حَنبلٍ في كتابِ «الزهد» لأبيه: أصابَ بني إسرائيلَ بلاءٌ فخَرَجوا مَخرجاً، فأَوْحَى اللهُ إلى نبيِّهم أنْ أَخْبِرْهم: تَخرجُون إلى الصَّعيدِ بأبدانٍ نَجِسةٍ، وتَرْفعون إليَّ أَكُفًّا قد سفكْتُم بها الدِّماءَ، ومَلأْتُم بها بيوتَكُم من الحرام، الآنَ حينَ اشتدَّ غَضَبي عليكُم ولن تُزادُوا منِّي إلَّا بُعْداً[2].

ومِن مَوَانعِ قَبولِ الدُّعاءِ: أنْ يَستعجِلَ العبدُ ويَستَبْطِئَ الإجابةَ، ففي «صحيح البخاري» من حديثِ أبي هريرةَ رضي الله عنه: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «يُستجابُ الدُّعاءُ لأحدِكُم ما لم يَعْجَلْ، يقولُ: دَعَوْتُ فلَمْ يُسْتَجَبْ لي»[3].

وفي «صحيح مسلمٍ» عنه: «لا يَزالُ يُستجَابُ للعبدِ ما لَمْ يَدْعُ بإثْمٍ أو قَطيعةِ رَحِمٍ ما لم يَستعجِلْ» قيل: يا رسولَ الله! وما الاستعجالُ؟ قال: «يقولُ: قد دَعَوْتُ فلمْ أَرَ يُسْتَجَبْ لي، فيتحسَّرُ عندَ ذلك ويَدَعُ الدُّعاءَ»[4].

= شاهد من حديث عبد الله بن عمرو، رواه الإمام أحمد «المسند» (٦٦٥٥)، وفيه ابن لهيعة وهو سيئ الحفظ، لكن حسن المنذري إسناده.

(١) رواه مسلم (١٠١٥).

(٢) لم أجده في مطبوع «الزهد» للإمام أحمد، ورواه أبو داود في «الزهد» (١٣) عن مالك بن دينار.

(٣) رواه البخاري (٦٣٤٠).

(٤) رواه مسلم (٢٧٣٥).

وفي «مسند الإمام أحمدَ» عن أنسٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «لا يزالُ العبدُ بخيرٍ ما لم يَسْتَعْجِلْ» قالوا: يا رسولَ الله! كيف يَسْتعجِلُ؟ قال: «يقولُ: دَعَوْتُ رَبِّي فلَمْ يَستجِبْ لي»(١).

قال الأئمَّةُ: فحينئذٍ يكونُ الدَّاعِي بمنزِلِ مَن بَذَر بِذْراً أو غَرَسَ غَرْساً فجَعَلَ يتعاهَدُه ويَسقيهِ، فلمَّا استَبْطَأَ كمالَهُ وإدراكَهُ تَركَهُ وأَهْمله.

واعْلَمْ وفَّقَكَ اللهُ تعالى: أنَّ مِن شروطِ إجابةِ الدُّعاءِ الإخلاصُ والتَّضرُّعُ والتَّوبةُ وأكلُ الحلالِ والاعتمادُ على اللهِ سبحانَهُ في قَبولِ دُعائه.

قال بعضُ العلماءِ: مَن دَعَا اللهَ تعال وفي قلبِه مثقالُ ذرَّةٍ مِن الاعتمادِ على مالِهِ أو جاهِهِ أو أقارِبِهِ أو أصدقائِهِ أو غيرِ ذلك فهو في الحقيقةِ ما دَعَا اللهَ تعالى إلَّا باللِّسان.

واعْلَمْ: أنَّه إذا جمعَ العبدُ في دُعائِهِ حُضورَ القلبِ وجمعيَّتَه بكلِّيتِهِ على المطلوبِ وصادَفَ وقتاً من أوقاتِ الإجابةِ السِّتَّةِ، وهي: الثُّلثُ الأخيرُ من الليلِ، وعندَ الأذانِ، وبينَ الأذانِ والإقامةِ، وأَدبارَ الصَّلواتِ المكتوباتِ، وعندَ صعودِ الإمامِ يومَ الجُمعةِ على المنبَرِ حتَّى تنقضيَ الصَّلاةُ، وآخِرُ ساعةٍ بعد العصرِ من ذلك اليومِ، وصادَفَ خُشوعاً في القلبِ، وانكساراً بينَ يَدَيِ الرَّبِّ، وذلًّا وتضرعاً ورِقَّةً، واستَقْبَلَ الدَّاعي القِبلةَ، وكان على طهارةٍ، ورَفَع يَدَيهِ إلى اللهِ، وبَدأ بحمدِ اللهِ وبالثَّناءِ عليه، ثم ثنَّى بالصَّلاةِ على محمَّدٍ ﷺ، ثمَّ قدَّمَ بين يَدَيْ حاجَتِه التَّوبةَ والاستغفارَ، ثمَّ دَخَل على اللهِ وأَلحَّ عليه في المسألةِ، وتملَّقه

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٣٠٠٨).

ودعاهُ رغبةً ورهبةً، وتَوسَّلَ إليه بأسمائهِ وصفاتهِ وتوحيدِهِ، وقدَّمَ بين دعائهِ صدقةً، فإنَّ هذا الدعاءَ لا يكادُ يُرَدُّ أبداً.

قال ابنُ عطاءٍ رضي الله عنه: للدُّعاءِ أركانٌ وأجنحةٌ وأوقاتٌ وأسبابٌ، فإنْ وافَقَ أركانَه قَوِيَ، وإنْ وافَقَ أجنحتَه ارْتَفَع، وإنْ وافَقَ أوقاتَه فاز، وإنْ وافَقَ أسبابَه نَجحَ:

فأركانُه: حضورُ القلبِ مع اللهِ، والخشوعُ للهِ، والحياءُ من اللهِ، ورجاءُ كرمِ الله.

وأجنحتُه: الصِّدْقُ، وأكلُ الحلالِ.

وأوقاتُه: أوقاتُ الفَراغِ والخَلوةِ كالأسحارِ.

وأسبابُه: الصَّلاةُ على محمدٍ ﷺ، فإنَّ الدُّعاءَ لا يُرَدُّ إذا كان قَبْلَه وبعدَه الصلاةُ على محمدٍ ﷺ.

ويستحَبُّ للدَّاعي الإلحاحُ في الدُّعاءِ برغبةٍ ورهبةٍ، ولا يَرفَعُ صوتَه؛ لقولهِ تعالى: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، وقولهِ ﷺ: «ارْبَعُوا على أنفُسِكم، فإنَّكُم لا تَدْعُون أصمَّ ولا غائباً، ولكنْ تَدْعُون سميعاً بصيراً»[١].

وإذا سأَلَ فلْيَسْأَلْ كثيراً فإنَّه يدعُو كريماً لا يَبْخلُ بما يُعْطِي؛ لحديثِ: «إذا دَعَا أحدُكم فليُعْظِمِ الرَّغبةَ، فإنَّه لا يَتعاظَمُ على اللهِ شيءٌ»[٢].

---

(١) رواه البخاري (٦٦١٠)، ومسلم (٢٧٠٤)، من حديث أبي موسى رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم (٢٦٧٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وبنحوه البخاري (٦٣٣٩).

وحديثِ: «إنَّ ربَّكم كريمٌ يَستَحِي من العبدِ إذا مَدَّ يَدَيهِ إليه أنْ يَرُدَّهما صِفراً ليس فيهما شيءٌ»[١].

وحديثِ جابرٍ: «إنَّ في اللَّيلِ ساعةً لا يُوَافِقُها رجلٌ مسلمٌ يَسأَلُ اللهَ خيراً مِن خيرِ الدُّنيا والآخِرةِ إلا أَعطاهُ إيَّاهُ، وذلك في كلِّ ليلةٍ»[٢].

وحديثِ أبي هريرةَ: «يَنْزِلُ اللهُ تعالى إلى سماءِ الدُّنيا حينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيلِ الأخيرِ فيقولُ: مَن يَدْعوني فأَسْتجيبَ له، مَن يسأَلُني فأُعْطيَه، مَن يَسْتَغْفِرُني فأَغْفِرَ له»[٣].

وحديثِ أبي سعيدٍ الخُدْريِّ: «ما مِن مُسْلمٍ يَدْعُو بدَعْوةٍ ليس فيها إثمٌ ولا قطيعةُ رَحِمٍ إلَّا أعطاهُ اللهُ بها إحدَى ثلاثٍ: إمَّا أنْ يُعَجِّلَ دعوتَه، وإمَّا أنْ يَدَّخِرَها له في الآخرةِ، وإمَّا أنْ يَكُفَّ عنه مِن السُّوءِ بمِثْلِها»[٤].

إذا علِمْتَ ذلك: فالأَدْعيَةُ بمنزِلةِ السِّلاحِ، والسِّلاحُ بضاربِهِ[٥] لا بحَدِّه فقط، فمتَى كان السلاحُ تامًّا لا آفَةَ به، والسَّاعِدُ ساعدُ قويٍّ، والمانِعُ مفقودٌ، حَصَلتْ به النِّكايَةُ في العدوِّ، ومَتَى تخلَّفَ[٦] واحدٌ من هذهِ الثَّلاثِ تَخلَّفَ الثاني.

---

(١) رواه الترمذي (٣٥٥٦)، وابن حبان في «صحيحه» (٨٧٦)، من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه، وقال الترمذي: حديث حسن.

(٢) رواه مسلم (٧٥٧).

(٣) رواه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨).

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١١١٣٣).

(٥) في الأصل: «يضار به»، والمثبت من «الداء والدواء» لابن القيم (ص ١٥).

(٦) في الأصل: «تختلف»، والمثبت من المصدر السابق.

فإذا كانَ الدُّعاءُ في نَفْسِه غيرَ صالحٍ، أو الدَّاعِي لم يَجْمَعْ بينَ قلبِهِ ولسانِهِ في الدُّعاء، أو كان ثَمَّ مانِعٌ من الإجابةِ، لم يُحصُلِ الأثرُ.

وقد اعترَضَ قومٌ بأنَّ المدعوَّ بِهِ إنْ كان قد قُدِّرَ لم يكنْ بدٌّ من وقوعِه دَعَا به العبدُ أو لم يَدْعو؛ لأنَّ كلَّ مقدَّرٍ كائنٌ كما دلَّتْ عليه الآياتُ الصَّريحةُ والأحاديثُ الصحيحةُ، وإنْ لم يكُنْ قدِّرَ لم يَقَعْ سألَهُ العبدُ أو لم يَسأَلْ.

فظنَّتْ طائفةٌ صحَّةَ هذا الكلامِ فتركَتِ الدُّعاءَ، وقالوا: لا فائدةَ فيه.

وهؤلاء مع فَرْطِ جَهْلِهم وضَلالَتِهم مُتناقِضون؛ فإنَّ مَذْهبَهم يُوجِبُ تَعطِيلَ جميعِ الأسبابِ، فيقالُ لأحدِهم: إنْ كان الشِّبَعُ والرِّيُّ قد قُدِّرا لك فلا بدَّ مِن وُقوعِهما أَكلْتَ أو لمْ تَأكلْ، شَرِبْتَ أو لم تَشْرَبْ، فلا حاجةَ للأكلِ والشُّربِ، وإنْ كانَ الولدُ قد قدِّرَ لك فلا بدَّ منه وَطِئْتَ الزوجةَ والأَمَةَ أو لم تَطَأْ، وإنْ لم يقدَّرْ لم يكنْ، فلا حاجةَ للتَّزويجِ والتَّسَرِّي، وهَلُمَّ جَرًّا.

فهل يقولُ هذا عاقلٌ أو آدَميٌّ، بل الحيوانُ البَهِيمُ مَفطورٌ على مباشرةِ الأسبابِ التي بها قَوَامُه وحيَاتُه، فالحيواناتُ أعقلُ وأفهمُ مِن هؤلاءِ الذين هُمْ كالأنعامِ بل هُمْ أَضَلُّ سَبيلاً.

وقالَتْ طائفةٌ: الاشتغالُ بالدُّعاءِ من بابِ التعبُّدِ المحْضِ، يُثِيبُ اللهُ تعالى عليهِ الدَّاعيَ مِن غيرِ أن يكونَ له تأثيرٌ في المطلوبِ بوجهٍ مّا، ولا فرقَ عند هؤلاءِ بينَ الدعاءِ وبينَ الإمساكِ عنه.

وقالَتْ طائفةٌ أُخرى أَكْيَسُ من هؤلاءِ: بل الدُّعاءُ علامةٌ مجرَّدةٌ نَصَبَها اللهُ تعالى أَمَارةً على قضاءِ الحاجةِ، فمتى وُفِّقَ العبدُ للدُّعاءِ كان ذلك علامةً له

وأَمَارةً على أنَّ حاجتَه قُضِيَتْ، وهذا كما إذا رأَيْنا غيماً أسودَ بارداً في الشِّتاءِ، فإنَّ ذلك دليلٌ وعلامةٌ على أنَّه يُمْطِرُ، وهكذا حُكْمُ الطَّاعاتِ مع الثَّوابِ، والكفرِ والمعاصي مع العِقابِ هي أمَاراتٌ محضَةٌ لوقوعِ الثَّوابِ والعقابِ، لا أنَّها أسبابٌ له، وهكذا عندَهُم الكَسْرُ مع الانْكِسارِ، والحريقُ مع الإحراقِ، والإزهاقُ مع القَتْلِ، ليس شيءٌ من ذلك سبباً البتَّةَ، ولا ارْتِباطَ بينَهُ وبينَ ما يترتَّبُ عليه إلَّا مجردُ الاقترانِ العاديِّ لا التَّأثيرِ السَّبَبيِّ.

وقالت طائفةٌ: الصَّوابُ أنَّ المقدورَ قد قدِّرَ بأسبابٍ[1]، ومِن أسبابِهِ مَثَلاً الدُّعاءُ، فلَمْ يُقدَّرْ مجرَّداً عن سببِه، ولكنْ قُدِّرَ بسببِهِ، فمتَى أتى العبدُ بالسَّببِ وَقَعَ المقدورُ، ومتى لم يأتِ بالسَّببِ انْتَفَى، وهذا كما قُدِّرَ الشِّبَعُ والرِّيُّ بالأكلِ والشُّربِ، وقُدِّر الولدُ بالوَطْءِ، وقدَّرَ حصولُ الزَّرعِ بالبَذْرِ، وقدَّرَ خروجُ نَفْسِ الحيوانِ بالذَّبحِ، وكذلك قدَّرَ دخولُ الجنَّةِ بالأعمالِ ودخولُ النارِ بالأعمالِ.

قال بعضُهم[2]: وهذا القسمُ هو الحقُّ، وعلى هذا فالدُّعاءُ من أَقْوَى الأسبابِ، فإذا قُدِّرَ وقوعُ المدعوِّ به بالدُّعاء لم يَصِحَّ أنْ يُقالَ: لا فائدةَ في الدُّعاء، كما لا يقالُ: لا فائدةَ في الأكلِ والشُّربِ وجميعِ الحركاتِ والأعمالِ، وليس شيءٌ من الأسبابِ أَنْفعَ من الدُّعاءِ، ولا أَبْلغَ في حصولِ المطلوبِ منه.

ولـمَّا كان الصَّحابةُ رِضوانُ اللهِ عليهِم أَعْلَمَ الأمَّةِ باللهِ ورسولِهِ، وأَفْقهَهُم في دِينِهِ، كانوا أَقْومَ بهذا السَّببِ وشروطِهِ وآدابِهِ مِن غيرِهم، فكان عمرُ رضي الله عنه

---

(١) في الأصل: «أسباب»، والمثبت من «الداء والدواء» لابن القيم (ص ١٦)، والكلام منه.

(٢) هو ابن القيم. انظر: «الداء والدواء» لابن القيم (ص١٧).

يَسْتنصِرُ به على عدوِّه، وكان أعظَمَ جُندِه، وكان يقولُ لأصحابِهِ: لَسْتُم تُنْصَرون بكثرةٍ، وإنما تُنْصَرون مِن السَّماء[1].

وفي «جامِع التِّرمذيِّ» من حديثِ أبي هريرةَ رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ كان إذا همَّه الأمرُ رَفَعَ رأسَه إلى السَّماء، وإذا اجتَهَدَ في الدُّعاء قال: «يا حيُّ يا قيُّومُ»[2].

وفيه أيضاً من حديثِ أنسِ بن مالكٍ رضي الله عنه: كان النَّبيُّ ﷺ إذا أَحْزنَه أمرٌ قال: «يا حيُّ يا قيُّومُ برحمتِكَ أَسْتَغيثُ»[3].

وفي «صحيح» الحاكمِ من حديثِ سعيدٍ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكم بشيءٍ إذا نَزَلَ برجلٍ منكم فدعا بِهِ يُفَرِّج اللهُ عنه؛ دعاءُ ذي النُّون ـ وفي روايةٍ: دعوةُ ذي النُّون ـ إذ دعا وهو في بطنِ الحوتِ: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ إنه لم يَدْعُ بها مسلمٌ في شيءٍ قطُّ إلَّا استجابَ له» قال الترمذيُّ: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ[4].

والأحاديثُ في مثلِ هذا كثيرةٌ.

فثَبَتَ بذلك: أنَّ الدُّعاءَ ينفعُ وتحصلُ به النَّجاةُ والهلاكُ، لا سيَّما وقد

---

(١) ذكره بهذا اللفظ ابن القيم في «الداء والدواء» (ص١٧)، وانظر رسالة عمر إلى سعد ومن معه من الأجناد في «العقد» لابن عبد ربه (١/ ١١٩).

(٢) رواه الترمذي (٣٤٣٦) وقال: حديث غريب. وانظر: «السلسلة الضعيفة» (٦٣٤٥).

(٣) رواه الترمذي (٣٥٢٤)، وفيه: (... إذا كربه أمر...).

(٤) رواه الترمذي (٣٥٠٥)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٤١٦) و(١٠٤١٧)، والحاكم في «المستدرك» (١٨٦٢) و(٣٤٤٤)، ولم يعقبه الترمذي بالتصحيح، لكن صححه الحاكم ووافقه الذهبي. وانظر: «السلسلة الصحيحة» (١٧٤٤).

دَلَّ العقـلُ والنَّقـلُ والفِطَرُ وتَجـارِبُ الأُممِ على اختلافِ أجناسِـها ومِلَلِهـا ونِحَلِها علـى أنَّ التَّقـرُّبَ إلـى ربِ الأربـابِ، وطَلَـبَ مرضاتـهِ، والإحسـانَ إلـى خَلْقِـه، مِـن أعظـمِ الأسـبابِ الجالِبـةِ لـكلِّ خيـرٍ، وأضدادَهـا مِـن أكبـرِ الأسـبابِ الجالِبةِ لـكلِّ شـرٍّ، فمـا اسـتُجْلِبتْ نِعَـمُ اللهِ واسـتُدْفِعتْ نِقَمُـه بمِثْـلِ طاعتـهِ والتقـرُّبِ إليه والإحسـانِ إلـى خَلْقِه.

وقد رتَّبَ اللهُ سبحانَهُ حصولَ الخيراتِ في الدُّنيا والآخرةِ في كتابهِ العزيزِ على الأعمالِ ترتُّبَ الجزاءِ على الشرطِ والعلَّةِ على المعلولِ والمسبَّبِ على السَّببِ:

فقال جلَّ مِن قائلٍ: ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٩].

وقال: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ﴾ [النساء: ٣١].

وقال: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

وقال: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات: ١٤٣ ـ ١٤٤].

وبالجملةِ: فالقرآنُ مِن أوَّلهِ إلى آخِرهِ صريحٌ في ترتُّبِ الجزاءِ بالخيرِ والشرِّ والأحكامِ الكونيَّةِ والأمرِ به على الأسبابِ، بلْ أحكامِ الدُّنيا والآخِرَةِ ومَصالحِهما ومفاسِدِهما عَلَى الأسبَابِ والأعمَالِ، ومَن تفقَّهَ[1] في هذِهِ المسألَةِ وتأمَّلَها حقَّ التأمُّلِ انتفعَ بها غايةَ النَّفعِ، ولمْ يتَّكلْ عَلَى القَدَرِ جَهلاً منهُ وعَجزاً، وتفريطاً وإضاعَةً، فيكُونَ توكُّلهُ عَجزاً وعجزُهُ توكُّلاً، بلِ الفَقيهُ كلُّ الفقِيهِ الذِي يرُدُّ القدَرَ بالقدَرِ، ويدفَعُ القدَرَ بالقدَرِ، ويُعارِضُ القدَرَ بالقدَرِ، بلْ لا يمكِنُ الإنسانَ أنْ يعيشَ

(١) وهي مطبوعة ضمن هذا المجموع بحمد الله.

إلا بذلِكَ، فإنَّ الجوعَ والعطَشَ والبرْدَ وأنواعَ المخاوِفِ والمحاذِيرِ هيَ مِنَ القدَرِ، والخَلقُ كلُّهمْ ساعُونَ في دفْعِ هذا القدَرِ بالقدَرِ.

وهكذا مَن وفَّقه الله تعالى وأَلْهَمَه رُشْدَه يَدْفَعُ[1] قَدَر العقوبةِ الأخرويَّةِ بقَدَرِ التَّوبةِ والإيمانِ والأعمالِ الصالحةِ.

فهذا وِزانُ القَدَرِ المخُوفِ في الدُّنيا وما يُضادُّه سواءٌ، فرَبُّ الدَّارَينِ واحدٌ، وحكمتُه واحدةٌ، لا يناقضُ بعضُها بعضاً، ولا يُبْطِلُ بعضُها بعضاً.

وهذه المسألةُ مِن أشرفِ المسائلِ لـمَن عَرفَ قَدْرَها ورَعاها حَقَّ رِعايَتِها، ويَتفرَّعُ عليها مسألةُ زيادةِ العُمرِ ونَقْصِه، وقد أَفْردْتُها في مؤلَّفٍ سمَّيتُه: «إرشادَ ذَوِي العِرْفانِ لِمَا للمُعمَّرِ من الزِّيادةِ والنُّقْصان»[2].

***

هذه أدعيةُ القرآنِ العظيم

﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٨].

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١].

---

(١) في الأصل: «بدفع»، والمثبت من «الداء والدواء» لابن القيم (ص٢١)، وهو الصواب، وإلا بقي المبتدأ ـ وهو قوله: (مَن وفقه الله) ـ بلا خبر.

(٢) رواه الترمذي (٣٥٠٥)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٤١٦) و(١٠٤١٧)، والحاكم في «المستدرك» (١٨٦٢) و(٣٤٤٤)، ولم يعقبه الترمذي بالتصحيح، لكن صححه الحاكم ووافقه الذهبي. وانظر: «السلسلة الصحيحة» (١٧٤٤).

﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠].

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ۝٨ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ٨ ـ ٩].

﴿رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٦].

﴿رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [آل عمران: ٣٨].

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٣].

﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

﴿رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝١٩١ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ۝١٩٢ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ۝١٩٣ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ١٩١ ـ ١٩٤].

﴿رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٧٥].

﴿رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٥].

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [المائدة: ٨٣].

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٧].

﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩].

﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٦].

﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥١].

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [يونس: ٨٥ ـ ٨٦].

﴿رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [هود: ٤٧].

﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ﴾ [إبراهيم: ٤٠].

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤١].

﴿رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٠].

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠].

﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى﴾ [طه: ٢٥ ـ ٢٨].

﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

﴿رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٧ ـ ٩٨].

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [المؤمنون: ١٠٩].

﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [المؤمنون: ١١٨].

﴿رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥].

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

﴿رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [الشعراء: ٢٦ ـ ٢٨].

﴿وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ [الشعراء: ٢٨].

﴿رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء: ١٦٩].

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى﴾ [القصص: ١٦].

﴿رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص: ٢١].

﴿رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٠].

﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [غافر: ٧ ـ ٨].

﴿رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ [الدخان: ١٢].

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ ۖ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٥].

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الممتحنة: ٤].

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الممتحنة: ٥].

﴿رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحريم: ٨].

﴿رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التحريم: ١١].

﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا﴾ [نوح: ٢٨].

* * *

هذه أدعيةُ النبيِّ ﷺ ورموزُ رُواتِها من الأئمَّة

(طب ك): «اللهُمَّ رَبَّ جِبْرِيلَ ومِيكائِيلَ وإِسْرَافِيلَ ومحمَّدٍ نَعُوذُ بكَ منَ النَّارِ»[١].

(ن): «اللهمَّ رَبَّ جِبْرِيلَ ومِيكائِيلَ وَرَبَّ إِسْرَافِيلَ، أعُوذ بِكَ مِنْ حَرِّ النَّارِ ومن عَذابِ القَبْرِ»[٢].

---

(١) رواه الطبراني في «الكبير» (٥٢٠)، والحاكم في «المستدرك» (٦٦١٠) من حديث أسامة بن عمير رضي الله عنه. وانظر: «السلسلة الصحيحة» (١٥٤٤).

(٢) رواه النسائي (١٣٤٥) من حديث عائشة رضي الله عنها. وفيه جسرة بنت دجاجة، لم يوثقها سوى =

(حم حب): «اللهمَّ إنِّي أعوذُ بكَ مِن عِلْمٍ لا يَنْفَعُ وعَمَلٍ لا يُرْفَعُ ودُعاءٍ لا يُسْمَعُ»[1].

(ت ن): «اللّهُمَّ إنّي أعُوذَ بكَ منْ قلْبٍ لا يَخْشَعُ، ومنْ دُعاءٍ لا يُسْمَعُ، ومنْ نَفْسٍ لا تَشْبَعُ، ومن عِلْمٍ لا يَنْفَعُ، أعوذُ بكَ منْ هؤُلاءِ الأَرْبَعِ»[2].

(م د ن ه): «اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلْتُ وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ أَعْمَلْ»[3].

(م): «اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِن زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وفُجَاءةِ نِقْمَتِكَ، وجَمِيعِ سَخَطِكَ»[4].

(م د ت): «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مُنْكَرَاتِ الأَخْلَاقِ وَالأَعْمَالِ وَالأَهْوَاءِ والأَدْوَاء»[5].

= العجلي وابن حبان، وقال البخاري في «التاريخ الكبير» (٢/ ٦٧): عندها عجائب. وقد صحَّ عذابُ القبر من حديث عائشة عند البخاري (٦٣٦٦)، ومسلم (٩٠٣) قالت: دخلت علي عجوزان من عُجُز يهود المدينة، فقالتا: إن أهل القبور يُعذَّبون في قبورهم، فكذَّبتُهما، ولم أنعم أن أصدقهما، فخرجتا، ودخل عليَّ النبي ﷺ فقلت له: يا رسول الله، إن عجوزين... وذكرت له، فقال: «صدقتا، إنهم يعذَّبون عذاباً تسمعه البهائم كلها» فما رأيتُه بعدُ في صلاة إلا تعوَّذ من عذاب القبر.

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٣٠٠٣)، وابن حبان في «صحيحه» (١٠١٥)، من حديث أنس رضي الله عنه، وإسناده على شرط مسلم.

(٢) رواه الترمذي (٣٤٨٢)، والنسائي (٥٤٤٢)، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما. قال الترمذي: حسن صحيح.

(٣) رواه مسلم (٢٧١٦)، وأبو داود (١٥٥٠)، والنسائي (١٣٠٧)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٤) رواه مسلم (٢٧٣٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٥) رواه الترمذي (٣٥٩١) من حديث عم زياد بن علاقة وهو: قُطْبَةُ بنُ مالكٍ صاحِبُ النَّبيِّ ﷺ. قال الترمذي: حسن غريب. قلت: ولم يروه غيره من أصحاب الكتب الستة.

(ن طب): «اللَّهُمَّ أني أَعُوذُ بِكَ من يَوْمِ السُّوءِ ولَيْلَةِ السُّوءِ، ومِن سَاعَةِ السُّوءِ، ومِن صَاحِبِ السُّوءِ، ومِن جَارِ السُّوءِ في دَارِ المُقَامَةِ»(١).

(طب): «اللهمَّ إني أَعُوذُ بِكَ من غَلَبَةِ الدَّيْنِ وَغَلَبَةِ العَدُوِّ وَشَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ»(٢).

(ن ك): «اللَّهُمَّ إني أَعُوذُ بِكَ من غَلَبَةِ الدِّينِ وَغَلَبَةِ العَدُوِّ ومِن بَوَارِ الأَيِّمِ، ومن فِتْنَةِ المسيح الدَّجَّالِ»(٣).

(قط طب): «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ التَّرَدِّي، والهَدْمِ، والغَرَقِ، والحَرِقِ، وأعُوذُ بِكَ أنْ يَتَخَبَّطَني الشَّيْطانُ عِنْدَ المَوْتِ، وأعُوذُ بِكَ أنْ أَمُوتَ في سَبِيلِكَ مُدْبِرًا، وأعُوذُ بِكَ أنْ أَمُوتَ لَدِيغًا»(٤).

(ن ك): «اللَّهُمَّ إِنِّي أعوذُ بكَ مِن الفَقْرِ والقِلَّةِ والذِّلَّةِ، وأعوذُ بكَ مِن أنْ أَظْلِمَ أو أُظْلَمَ»(٥).

---

(١) رواه الطبراني في «الكبير» (١٧/ ٢٩٤) من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٤٤): رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير بشر بن ثابت البزار وهو ثقة.

(٢) رواه الطبراني في «الدعاء» (١٣٣٧)، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، ورواه أيضاً النسائي (٥٤٧٥) و(٥٤٨٧)، وابن حبان في «صحيحه» (١٠٢٧).

(٣) رواه الطبراني في «الكبير» (١١٨٨٢)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وليس في شيء من الكتب الستة. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٤٣): وفيه عباد بن زكريا الصريمي ولم أعرفه وبقية رجاله رجال الصحيح. قلت: وللحديث شواهد مذكورة ضمن أحاديث هذا الكتاب، عدا الاستعاذة من بوار الأيم فهو الضعيف.

(٤) رواه النسائي (٥٥٣١) و(٥٥٣٢) من حديث أبي اليسر رضي الله عنه. وانظر: «صحيح الجامع» (١٢٨٢).

(٥) رواه أبو داود (١٥٤٤)، والنسائي (٥٤٦٠)، والحاكم في «المستدرك» (١٩٨٣) وصححه، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(د ن طب): «اللَّهمَّ إنِّي أعوذُ بكَ مِن الشِّقَاقِ والنِّفاقِ وسوءِ الأَخْلاق»[١].

(د ن): «اللهُمَّ إنِّي أعوذُ بكَ من البَرَصِ والجُنونِ والجُذَامِ، ومِن سيِّئِ الأَسْقامِ»[٢].

(حم د ن): «اللهُمَّ إنِّي أعوذُ بوجهِكَ الكَريمِ واسْمِكَ العَظيمِ مِن الكُفْرِ والفَقْرِ»[٣].

(طب): «اللهُمَّ إنِّي أَعوذُ بكَ مِن الهمِّ والحَزَنِ، والعَجْزِ والكَسَلِ، والبُخْلِ والجُبْنِ، وضَلَعِ الدَّينِ وغَلَبَةِ الرِّجالِ»[٤].

(حم ق): «اللهُمَّ إنِّي أعوذُ بكَ مِن العَجْزِ والكَسَلِ، والجُبْنِ والبُخْلِ والهَرَمِ، وأعوذُ بكَ مِن عذابِ القَبْرِ، وأعوذُ بكَ مِن فِتَنةِ المَحْيَا والمَمَات»[٥].

(حم ق): «اللهُمَّ إنِّي أعوذُ بكَ مِن عذابِ القَبرِ، وأعوذُ بكَ من عذابِ النَّارِ، وأعوذُ بكَ مِن فتنةِ المحْيَا والممَاتِ، وأعوذُ بكَ مِن فتنةِ المسيحِ الدَّجَّال»[٦].

---

(١) رواه أبو داود (١٥٤٦)، والنسائي (٥٤٧١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه أبو داود (١٥٥٤)، والنسائي (٥٤٩٣)، والحاكم في «المستدرك» (١٩٤٤) وصححه، من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) رواه الطبراني في «السنَّة» عن عبد الرحمن بن أبي بكر. انظر: «الفتح الكبير» للسيوطي (١/ ٢٢٨). وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٤٣): رواه الطبراني وفيه من لم أعرفهم.

(٤) رواه الطبراني في «الأوسط» (١٢٩)، ورواه أيضاً البخاري (٥٤٢٥)، ومسلم (١٣٦٥)، وأبو داود (١٥٤١)، والترمذي (٣٤٨٤)، والنسائي (٥٤٥٣)، من حديث أنس رضي الله عنه.

(٥) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٢١١٣)، والبخاري (٢٨٢٣)، ومسلم (٢٧٠٦)، وأبو داود (١٥٤٠)، والنسائي (٥٤٤٨)، من حديث أنس رضي الله عنه.

(٦) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٩٤٤٧)، والبخاري (١٣٧٧)، ومسلم (٥٨٨)، وأبو داود (٩٨٣)، والترمذي (٣٦٠٤)، والنسائي (٢٠٦٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(ح ن): «اللهُمَّ إنِّي أعوذُ بكَ من فِتْنةِ النِّساءِ، وأعوذُ بكَ مِن عَذابِ القَبر»[١].

(ص): «اللهُمَّ إنِّي أعوذُ بكَ من العَجزِ والكَسَلِ، والجُبْنِ والبُخْلِ، والهَرَمِ وعذابِ القَبْرِ، وفِتْنةِ الدَّجَّال، اللهُمَّ آتِ نَفْسي تَقْواهَا وزَكِّهَا أنتَ خَيْرُ مَن زكَّاها، أنتَ وَليُّها ومَوْلَاها، اللهُمَّ إنِّي أعوذُ بكَ مِن عِلْمٍ لا يَنْفَعُ، ومِن قَلْبٍ لا يَخْشَعُ، ومِن نَفْسٍ لا تَشْبَعُ، ومِن دَعْوةٍ لا يُسْتَجابُ لها»[٢].

(حم م ن): «اللهُمَّ إنِّي أعوذُ بِرضاكَ مِن سَخَطِكَ، وبمعافاتِكَ مِن عُقوبَتِكَ، وأعوذُ بكَ مِنكَ لا أُحْصِي ثناءً عليكَ أنتَ كمَا أَثْنَيْتَ على نَفْسِكَ»[٣].

(م حم): «اللهُمَّ إنِّي أعوذُ بكَ من العَجْزِ والكَسَلِ، والجُبْنِ والبُخْلِ والـهَرَمِ، والقَسْوةِ والغَفْلةِ، والعَيْلَةِ والذِّلَّة والـمَسْكَنَةِ، وأعوذُ بكَ من الفَقْرِ والكُفْرِ والفُسوقِ، والشِّقَاقِ والنِّفَاقِ، والسُّمْعةِ والرِّياءِ، وأعوذُ بكَ مِن الصَّمَمِ والبَكَمِ، والجُنونِ والجُذامِ، والبَرَصِ وسَيِّئِ الأَسْقام»[٤].

---

(١) رواه بهذا اللفظ الخرائطي في «اعتلال القلوب» (٢٠٠) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه. وهو عند البخاري (٢٨٢٢)، والترمذي (٣٥٦٧)، والنسائي (٥٤٤٥)، والإمام أحمد في «المسند» (١٥٨٥)، وغيرهم من الأئمة بلفظ: «فتنة الدنيا».

(٢) رواه النسائي في «الكبرى» (٧٨١٥)، والطبراني في «الكبير» (٥٠٨٨)، من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه.

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٤٣١٢)، ومسلم (٢٧٠٦)، وأبو داود (٨٧٩)، والترمذي (٣٤٩٣)، والنسائي (١٦٩)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٣٠٠٤)، وأبو داود (١٥٥٤)، والطبراني في «الصغير» (٣١٦)، والحاكم في «المستدرك» (١٩٤٤)، من حديث أنس رضي الله عنه. واقتصر لفظ أحمد وأبي داود على القطعة الأخيرة: «اللهم إني أعوذُ بكَ مِن البَرَصِ والجُنون، والجُذامِ، ومِن سيئ الأسقَام».

قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» =

(ك): «اللهُمَّ إنِّي أعوذُ بكَ مِن عِلْمٍ لا يَنْفَعُ، وقَلْبٍ لا يَخْشَعُ، ودُعاءٍ لا يُسْمَعُ، ونَفْسٍ لا تَشْبَعُ، ومِن الجوعِ فإنَّه بِئْسَ الضَّجِيعُ، ومِن الخِيانَةِ فإنَّها بِئْسَتِ البِطانةُ، ومِن الكَسَلِ والبُخْلِ والجُبْنِ والـهَرَمِ، وأنْ أُرَدَّ إلى أَرْذَلِ العُمرِ، ومِن فِتْنةِ الدَّجَّالِ، ومِن عَذابِ القَبْرِ وفِتْنةِ الـمَحْيَا والمماتِ، اللهُمَّ إنَّا نسألُكَ قلوباً أوَّاهةً مُخْبِتةً مُنِيبةً في سَبِيلِكَ، اللهُمَّ إنَّا نَسألُكَ عَزائِمَ مَغْفِرتِكَ، ومُنْجِياتِ أَمْرِكَ، والسَّلامةَ مِن كلِّ إثمٍ، والغَنِيمةَ مِن كلِّ بِرٍّ، والفَوْزَ بالجَنَّةِ، والنَّجاةَ مِن النَّار»[1].

(ك): «اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الكَسَلِ وَالهَرَمِ، وَالمَأْثَمِ وَالمَغْرَمِ، ومِن فِتْنَةِ القَبْرِ، وعَذَابِ القَبرِ، ومِن فِتْنَةِ النَّارِ وعَذَابِ النَّارِ، ومِن شَرِّ فِتْنَةِ الغِنَى، وأَعُوذُ بِكَ مِن فِتْنَةِ الفَقْرِ، وأَعُوذُ بِكَ مِن فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ، اللَّهُمَّ اغْسِلْ عَنِّي خَطَايَايَ بِمَاءِ الثَّلْجِ وَالبَرَدِ، وَنَقِّ قَلْبِي مِنَ الخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ، وَبَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ»[2].

(د ت ن): «اللهُمَّ إنِّي أعوذُ بِكَ مِن شَرِّ سَمْعِي ومِن شَرِّ بَصَري، ومِن شَرِّ لِسَاني ومِن شَرِّ قَلْبي ومِن شرِّ مَنِيِّي»[3].

= (١٠/ ١٤٣): في الصحيح بعضه، رواه الطبراني في «الصغير» ورجاله رجال الصحيح.

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (١٩٥٧)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه. وروى بعضه أبو داود (١٥٤٧)، والنسائي (٥٤٦٨)، وابن ماجه (٥٤٦٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «اللهم إني أعوذُ بكَ عن الجُوع فإنه بِئسَ الضَّجيعُ، وأعوذُ بكَ مِن الخِيانَة فإنها بئسَتِ البِطَانَةُ».

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٤٣٠١)، والبخاري (٦٣٦٨)، ومسلم (٥٨٩)، والحاكم في «المستدرك» (١٩٨٤)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) رواه أبو داود (١٥٥١)، والترمذي (٣٤٩٢) وحسَّنه، والنسائي (٥٤٤٤)، والحاكم في «المستدرك» (١٩٥٣) وصححه، من حديث شَكَلِ بن حُميد رضي الله عنه. ووقع بعد هذا الحديث في الأصل كما في «الفتح الكبير» للسيوطي (١/ ٢٢٧): (د ك)، وهي والله أعلم رمز لتخريجه أيضاً؛ لأن ما =

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِن [جَارِ السُّوءِ، ومِن زَوْجٍ تُشَيِّبُنِي قَبْلَ المَشِيبِ، ومِن وَلَدٍ يَكُونُ عَلَيَّ ربًّا، ومِن مَالٍ يَكُونُ عَلَيَّ عَذَابًا، ومِن] خَلِيلٍ مَاكِرٍ عَيْنَاه تَرَيانِي وَقَلْبُهُ يَرْعَانِي إنْ رَأَى حَسَنَةً دَفَنَهَا، وإذا رَأَى سَيِّئَةً أَذَاعَها». نجّار[1].

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الأَمْرِ، وأسأَلُكَ عَزِيمَةَ الرُّشْدِ، وأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ، وحُسْنَ عِبَادَتِكَ، وأَسْأَلُكَ لِسَانًا صَادِقًا، وقَلْبًا سَلِيمًا، وأَعُوذُ بِكَ

= بعده من الأحاديث جاء التخريج عند نهايتها على طريقة السيوطي في «الفتح الكبير».

(١) رواه ابن النجار في «تاريخه» - كما في «الفتح الكبير» (١/ ٢٢٧) - عن سعيد المقبري مرسلًا، وكذا رواه هناد في «الزهد» (١٠٣٨) و(١٤٠٢) فقال: حدثنا أبو خالد، عن محمد بن عجلان، عن سعيد قال: (كان من دعاء داود النبي ﷺ: اللهم إني أعوذ بك...).

ورواه الطبراني في «الدعاء» (١٣٣٩) فقال: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، ثنا الحسن بن حماد الحضرمي، ثنا أبو خالد الأحمر، عن محمد بن عجلان، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (كان من دعاء رسول الله ﷺ: اللهم إني أعوذ بك..)، وما بين معكوفتين منه ومن رواية هناد الأولى. ومحمد بن عجلان قال عنه الحافظ في «التقريب»: صدوق إلا أنه اختلطت عليه أحاديث أبي هريرة.

قلت: ولم يتابعه أحد على رفع الحديث، فالصواب والله أعلم مرسل سعيد المقبري، ولعله لهذه العلة اقتصر السيوطي عليه، فما فعله الألباني رحمه الله من إيراد هذا الحديث في «السلسلة الصحيحة» (٣١٣٧) عن «الدعاء» للطبراني، وقوله: (وهذا إسناد جيد، رجاله كلهم من رجال «التهذيب» ولولا الخلاف المعروف في ابن عجلان لقلت بصحته)، فيه نظر، فالحديث ضعيف، علما أن الشيخ رحمه الله هو نفسه قد أورده في «ضعيف الجامع» (١١٩٩) عن سعيد المقبري مرسلاً وحكم بضعفه.

وقد روي له شاهد لا يفرح به، رواه الطبراني في «الأوسط» (٦١٨٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٨٣): رواه الطبراني في «الأوسط» وفيه من لم أعرفهم.

مِـنْ شَـرِّ مـا تَعْلَـمُ، وأسْـأَلُكَ مِـن خَيرِ مـا تَعْلَـمُ، وأسْـتَغْفِرُكَ مِمَّـا تَعْلَمُ، إنَّـكَ أنت عَـلَّامُ الغُيُـوبِ» (ت ن)[١].

«اللَّهُـمَّ إنِّي أسْألُكَ العِفَّةَ والعافِيَةَ في دُنْيايَ ودِيني وأهْلِي ومالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَتِي وآمِنْ رَوْعَتِي، واحْفَظْنِي مِنْ بَيْن يَدَيَّ ومِنْ خَلْفِي وَعِنْ يَمِينِي وعن شمالي، ومِنْ فَوْقِي، وأعُوذُ بِكَ أنْ أُغْتالَ مِن تَحْتِي» (ب ز)[٢].

«اللهُمَّ إنِّي أسْألُكَ إيماناً يُباشِرُ قَلْبِي حتَّى أعْلَمَ أنْ لا يُصِيبُني إلَّا ما كَتَبْتَ لي، ورَضِّنِي من المَعيشةِ بما قَسَمْتَ لي» (ب ز)[٣].

«اللَّهُـمَّ إنِّـي أسْـألُكَ باسْـمِكَ الطَّاهِـرِ الطَّيِّـبِ المُبـارَكِ الأَحَـبِّ إلَيْـكَ، الـذي إذا دُعِيـتَ بـه أجَبْـتَ، وإذا سُـئِلْتَ بـه أعْطَيْـتَ، وإذا اسْـتُرحِمْتَ بـه رَحِمْـتَ، وإذا اسْـتُفْرِجْتَ بـه فَرَّجْـتَ» (ه)[٤].

---

(١) رواه الترمذي (٣٤٠٧)، والنسائي (١٣٠٤)، من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه. ورواه أيضاً الإمام أحمد في «المسند» (١٧١١٤)، وابن حبان في «صحيحه» (١٩٧٤).

(٢) رواه البزار في «مسنده» (٣١٩٦ ـ كشف الأستار) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وفي مطبوعه: «العفو والعافية»، ولفظ المؤلف من «الفتح الكبير» للسيوطي (١/ ٢٢٤)، ومثله في «صحيح الجامع الصغير» (١٢٧٤).

(٣) رواه البـزار فـي «مسـنده» (٣١٩١ـ كشـف الأسـتار) من حديث ابـن عمر رضـي الله عنهما، وقال الهيثمـي فـي «مجمـع الزوائـد» (١٠/ ١٨١): (رواه البـزار وفيـه أبـو مهدي سـعيد بن سـنان وهو ضعيـف فـي الحديـث). وأبـو مهـدي المذكـور قال عنـه الحافـظ فـي «التقريـب»: متـروك، رماه الدارقطنـي وغيـره بالوضع.

(٤) رواه ابن ماجه (٣٨٥٩) من حديث عائشة رضي الله عنها، وفي إسناده مقال كما قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٤/ ١٤٦).

«اللَّهُمَّ إنِّي أسْألُكَ مِن الخَيْرِ كُلِّهِ عاجِلِهِ وآجِلِهِ ما عَلِمْتُ مِنْهُ وما لَمْ أعْلَمْ، وأعُوذُ بِكَ مِن الشَّرِّ كُلِّهِ عاجِلِهِ وآجِلِهِ ما عَلِمْتُ مِنْهُ وما لَمْ أعْلَمْ، اللَّهُمَّ إنِّي أسْألُكَ مِن خَيْرِ ما سألَكَ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، وأعُوذُ بِكَ مِن شَرِّ ما عاذ بِهِ عَبْدُكَ ونَبِيُّكَ، اللَّهُمَّ إنِّي أسْألُكَ الجَنَّةَ وما قَرَّبَ إليها مِن قَوْلٍ أو عَمَلٍ، وأعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وما قَرَّبَ إلَيْها مِن قَوْلٍ أو عَمَلٍ، وأسْألُكَ أنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضاءٍ قَضَيْتَهُ لِي خَيْراً» (ه)[1].

«اللهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ مِن الخَيْرِ كلِّهِ ما عَلِمْتُ منهُ وما لَمْ أَعْلَمْ، وأَعوذُ بكَ مِن الشَّرِّ كُلِّه ما عَلِمْتُ منهُ وما لَمْ أَعْلَمْ» (طب)[2].

«اللَّهُمَّ إنَّا نَسْألُكَ مُوجِباتِ رَحْمَتِكَ، وَعَزائِمَ مَغْفِرَتِكَ، والسَّلامَةَ مِنْ كُلِّ إثمٍ، والغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بِرٍ، والفَوْزَ بالجَنَّةِ، والنَّجاةَ مِن النَّارِ» (ك)[3].

«اللهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ الهُدَى والتُّقَى والعَفَافَ والغِنَى» (م ت ه)[4].

«اللهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ، يَا مُحَمَّدُ، إنِّي تَوَجَّهْتُ بِكَ إِلَى رَبِّي في حَاجَتِي هذه لِتُقْضَى لي، اللهُمَّ فَشَفِّعْهُ فِيَّ» (ت ه ك)[5].

---

(١) رواه ابن ماجه (٣٨٤٦)، والإمام أحمد في «المسند» (٢٥٠١٩)، من حديث عائشة رضي الله عنها. وانظر: «السلسلة الصحيحة» (١٥٤٢).

(٢) رواه الطبراني في «الكبير» (٢٠٥٨) من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه، وانظر الحديث السابق.

(٣) رواه الحاكم في «المستدرك» (١٩٢٥) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، وقال: صحيح على شرط مسلم.

(٤) رواه مسلم (٢٧٢١)، والترمذي (٣٤٨٩)، وابن ماجه (٣٨٣٢)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٥) رواه الترمذي (٣٥٧٨)، وابن ماجه (١٣٨٥)، والحاكم في «المستدرك» (١١٨٠) من حديث عثمان بن حنيف رضي الله عنه، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب. وقال الحاكم: إسناده صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

«اللهُـمَّ إنِّي أسـأَلُكَ الصِّحَّةَ والعِفَّةَ والأمانةَ وحُسْـنَ الخُلُـقِ والرِّضَى بالقَدَرِ» (ب ز)[١].

«اللَّهُـمَّ إنِّـي أسـأَلُكَ صِحَّةً في إيمـانٍ، وإيماناً في حُسْـنِ خُلُقٍ، ونَجَاحـاً يَتْبَعُهُ فَـلاحٌ، ورَحْمَةً منكَ وعافِيَـةً، وَمَغْفِرَةً منكَ ورِضْوانـاً» (طب ك)[٢].

«اللَّهُمَّ إنِّي أسْأَلُكَ التَّوْفِيقَ لِمَحابِّكَ مِن الأعمالِ، وصِدْقَ التَّوكُّلِ عليكَ، وحُسْنَ الظَّنِّ بِكَ» (حد حدر)[٣].

«اللهُمَّ إنِّي أَسأَلُكَ مِن فَضْلِكَ ورَحْمَتِكَ فإنَّه لا يَمْلِكُهما إلَّا أَنْتَ» (طب)[٤].

---

(١) رواه البزار في «مسنده» (٣١٨٧ ـ كشف الأستار) من حديث ابن عَمْرٍو رضي الله عنهما، ورواه أيضاً البخاري في «الأدب المفرد» (٣٠٧)، والطبراني في «الكبير» (١٤٦٤٤). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٧٣): فيه عبدالرحمن بن زياد بن أنعم، وهو ضعيف الحديث وقد وثق، وبقية رجال أحد الإسنادين رجال الصحيح.

(٢) رواه الطبراني في «الأوسط» (٩٣٢٩)، والحاكم في «المستدرك» (١٩١٩)، ورواه أيضاً الإمام أحمد في «المسند» (٨٢٧٢)، والنسائي في «الكبرى» (٩٧٦٥) و(١٠٣٢٩)، جميعهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٧٤) بعد عزوه لأحمد: ورجاله ثقات، ورواه الطبراني في «الأوسط». قلت: إنما قال ذلك اعتماداً على توثيق ابن حبان لعبد الله بن الوليد التجيبي أحد رجاله، والمذكور ضعفه الدارقطني وقال: لا يعتبر بحديثه. وتوسط الحافظ في «التقريب» فقال: لين الحديث. وقد اتفق محققو «المسند» والألباني على تضعيف الحديث، وانظر تفصيل الكلام عليه في حاشية «المسند» و«السلسلة الضعيفة» (٢٩١١).

(٣) انظـر: «الفتـح الكبيـر» للسـيوطي (١/ ٢٢٣)، وفيـه: (حل) عـن الأوزاعي مرسـلًا (الحكيم) عن أبـي هريرة.

قلت: فرمز الأصل بـ(حدر) لعله محرف عن (الحكيم). والحديث رواه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٢٢٤) عن الأوزاعي مرسلاً. وانظر: «السلسلة الضعيفة» (٢٩١٠).

(٤) رواه الطبراني في «الكبير» (١٠٣٧٩) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه. وقال الهيثمي في =

«اللهُـمَّ إنِّـي أسـأَلُكَ عِيشـةً هَنِيَّة، ومِيتةً سَـوِيَّة، ومَـرَدًّا غيرَ مُخـزٍ ولا فاضِحٍ». (ب ز طب)[1].

«اللَّهُمَّ إنَّكَ سألْتَنا مِن أنْفُسِنا ما لا نَمْلِكُهُ إلَّا بكَ، اللَّهُمَّ فأعْطِنا منها ما يُرْضِيكَ عَنَّا» (كر)[2].

«اللَّهُـمَّ إنَّـكَ لَسْـتَ بإلـهٍ اسْـتَحْدَثْناهُ، ولا بِـرَبٍّ ابْتَدَعْنـاهُ، ولا كانَ لنـا قَبْلَـكَ مِـن إلـهٍ نَلْجَـأُ إلَيـه ونَـذَرُكَ، ولا أعانَـكَ على خَلْقِنـا أحَـدٌ فَنُشْـرِكَهُ فِيـكَ، تَبارَكْتَ وتَعالَيْـتَ»[3].

= «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٥٩): رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن زياد البرجمي وهو ثقة. وانظر: «السلسلة الصحيحة» (١٥٤٣).

(١) رواه البزار في «مسنده» (٣١٨٦ ـ كشف الأستار)، والطبراني في «الكبير» (١٤٢٨٨)، والحاكم في «المستدرك» (١٩٨٦)، جميعهم من طريق شَرِيك، عن الأعمش، عن مُجاهد، عن عبد الله بن عَمرو، عن النبيِّ ﷺ، ووقع عند الحاكم: ابن عمر. وعندهم جميعا: «عيشة نقية». قال الحاكم: صحيح الإسناد. ورده الذهبي بقوله: وشريك ليس بالحجة. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٧٩): رواه الطبراني والبزار واللفظ له، وإسناد الطبراني جيد. قلت: والحديث حسن إن شاء الله، فله شاهد من حديث عبد الله بن أبي أوفى رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٩٤٠٢)، وفيه ليث بن أبي سليم، وهو ضعيف.

(٢) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٦/ ٣٢١)، ورواه أيضاً تمام في «فوائده» (١٤٧١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وفي إسناده دلهاث بن جبير وهو ضعيف. وانظر: «السلسلة الضعيفة» (١٧٢٤).

(٣) رواه الطبراني في «الكبير» (٧٣٠٠)، والحاكم في «المستدرك» (٥٧٠٨) وصححه، من حديث صهيب رضي الله عنه. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٧٩ و١٨٣): رواه الطبراني وفيه عمرو بن الحصين العقيلي وهو متروك. وانظر: «السلسلة الضعيفة» (١١٥٣).

«اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَسْمَعُ كَلامِي وتَرى مكانِي وتَعْلَمُ سِرِّي وعلانِيَتِي، لا يَخْفى علَيْكَ شَيءٌ مِنْ أمْرِي، وأنا البائِسُ الفَقِيرُ، المُسْتَغِيثُ المُسْتَجِيرُ، الوَجِلُ المُشْفِقُ، المُقِرُّ المُعْتَرِفُ بِذَنْبِهِ، أسْأَلُكَ مسألَةَ المِسْكِينِ، وأبْتَهِلُ إلَيْكَ ابْتِهالَ المُذْنِبِ الذَّلِيلِ، وأدْعُوكَ دعاءَ الخائِفِ الضَّرِيرِ، مَن خَضَعَتْ لَكَ رَقَبَتُهُ، وفاضَتْ لَكَ عَبْرَتُهُ، وَذَلَّ لَكَ جِسْمُهُ، ورَغمَ لَكَ أنْفُهُ، اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْنِي بِدُعائِكَ شَقِيّاً، وكُنْ بي رَؤوفاً رَحِيماً، يا خَيْرَ المَسْؤولِينَ ويا خَيْرَ المُعْطِينَ». (طب ت)[١].

«اللَّهُمَّ إلَيْكَ أشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي وقِلَّةَ حِيلَتِي وَهَوانِي على النَّاسِ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ إِلَى مَنْ تَكِلْنِي إِلَى عَدُوَ يَتَجَهَّمُنِي أمْ إِلَى قَرِيبٍ مَلَّكْتَهُ أمْرِي إِنْ لَمْ تَكُنْ ساخِطاً عَلَيَّ فَلَا أُبالِي غَيْرَ أَنَّ عافِيَتَكَ أَوْسَعُ لِي أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الكَرِيمِ الَّذِي أضاءَتْ لَهُ السَّماواتُ، وأشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُماتُ، وصَلَحَ عليهِ أمْرُ الدُّنْيا والآخِرَةِ أنْ تُحِلَّ عَلَيَّ غَضَبَكَ أَوْ تُنْزِلَ عَلَيَّ سَخَطَكَ وَلَكَ العُتْبى حَتَّى تَرْضى وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إلاَّ بِكَ» (طب)[٢].

«اللهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لا إلهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الحَيُّ الَّذي لَا يَمُوتُ، والجِنُّ والإِنْسُ يَمُوتُونَ» (م)[٣].

---

(١) رواه الطبراني في «الكبير» (١١٤٠٥)، وابن الجوزي في «العلل» (١٤١٢)، من طريق إسماعيل بن أمية عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس رضي الله عنهما. قال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصح، قال الدارقطني: كان إسماعيل بن أمية يضع الحديث.

(٢) رواه الطبراني في «الكبير» (١٤٧٦٤)، ومن طريقه الضياء في «المختارة» (٩/ ١٨١)، من حديث عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٣٥): رواه الطبراني، وفيه ابن إسحاق وهو مدلس ثقة، وبقية رجاله ثقات.

(٣) رواه مسلم (٢٧١٧)، وبنحوه مختصرا البخاري (٧٣٨٣)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

«اللهُمَّ لكَ الحَمْدُ كالّذِي نَقُولُ وخَيْراً مِمَّا نَقُولُ، اللهمَّ لَكَ صلاتِي ونُسُكِي ومَحْيايَ وَمَمَاتِي، وإلَيْكَ مآبِي ولكَ رَبِّ تُراثِي، اللَّهُمَّ إنِّي أعوذ بك من عَذاب القَبْر ووَسْوسَةِ الصَّدْر وشَتَاتِ الأمرِ، اللَّهُمَّ إنِّي أسْأَلُكَ منْ خَيْرِ مَا تَجِيءُ بِهِ الرِّياحُ، وأعُوذُ بكَ منْ شَرِّ مَا تَجِيءُ بهِ الرِّيحُ» (ت هب)(١).

«اللَّهُمَّ إنَّ قُلُوبنا وجَوارِحنا بِيَدِكَ لَمْ تُمَلِّكْنا مِنها شَيئاً، فإذا فَعَلْتَ ذَلِكَ بِهما فَكُنْ أنْتَ ولِيُّهما»(٢).

«اللهمَّ اجْعَلْني أخْشاكَ حَتّى كَأَنِّي أراكَ، وأسْعِدْنِي بِتَقْواكَ ولا تُشْقِنِي بِمَعْصِيَتِكَ، وخِرْ لي في قَضائِكَ، وبارِكْ لي في قَدَرِكَ، حَتّى لا أُحِبَّ تَعْجِيلَ ما أخَّرْتَ ولا تَأْخِيرَ ما عَجَّلْتَ، واجْعَلْ غَنائي في نَفْسِي، وأمْتِعْني بِسَمْعي وبَصَرِي، واجْعَلْهُما الوارِثَ مِنِّي، وانْصُرْنِي على مَن ظَلَمَنِي، وأرِني فِيه ثَأْرِي، وأقِرَّ بذلك عَيْنِي» (طب)(٣).

---

(١) رواه الترمذي (٣٥٢٠)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٢٨٤١)، والبيهقي في «الشعب» (٤٠٧٣)، من حديث علي رضي الله عنه. قال الترمذي: هذا حديثٌ غريبٌ من هذا الوجهِ وليس إسنادُه بالقويِّ.

(٢) هذا الحديث استدرك على هامش الأصل، ولم يرمز له المؤلف، ورمز له السيوطي في «الفتح الكبير» (١/ ٢٢٣) بـ(حل). ورواه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٣٦٧) من طريق بكر بن خنيس، عن ضرار بن عمرو، عن أنس بن مالك رضي الله عنه. وضرار هذا الظاهر أنه الملطي، قال البخاري: فيه نظر. وبكر بن خنيس فيه كلام. انظر: «السلسلة الضعيفة» (٤٠١٦).

(٣) رواه الطبراني في «الأوسط» (٥٩٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٧٨): رواه الطبراني في «الأوسط»، وفيه إبراهيم بن خثيم بن عراك وهو متروك، وروى البزار بعض آخره من قول: «أمتعني بسمعي..» بنحوه بإسناد جيد. قلت: رواه البزار كما قال في «مسنده» (٣١٩٨ ـ كشف الأستار)، وكذا الترمذي (٣٦٠٤)، وهو حديث صحيح روي عن جمع من الصحابة، منهم أبو هريرة، وجابر بن عبد الله، وعلي بن أبي طالب، وعائشة، وسعد بن =

«اللهُـمَّ مَتِّعْنـي بِسَـمْعي وبَصَـرِي، واجْعَلْهُمـا الـوارِثَ مِنِّـي، وانْصُرْنِـي على مَـنْ ظَلَمَنِـي، وخُذْ منـه بثَـأْرِي» (ب ه)[1].

«اللَّهُـمَّ متِّعْنِـي بِسَـمْعي وَبَصَـرِي حَتَّـى تَجْعَلَهُمـا الـوَارِثَ مِنِّـي، وَعافِنِي فِي دِينـي وَفِـي جَسَـدِي، وانْصُرْنِـي مِمَّـنْ ظَلَمَنِـي حَتَّـى تُرِيَنِـي فِيهِ ثـأْرِي، اللَّهُـمَّ إنِّي أَسْـلَمْتُ نَفْسِـي إلَيْـكَ، وَفَوَّضْـتُ أمْـرِي إلَيْـكَ، وأَلْجَـأْتُ ظَهْـرِي إلَيْـكَ، وَخَلَّيْتُ وَجْهِـي إلَيْـكَ، لَا مَلْجَـأَ وَلَا مَنْجَـى مِنْـكَ إلاَّ إلَيْكَ، آمَنْتُ بِرَسُـولِكَ الَّذِي أرْسَـلْتَ وَبِكِتابِـكَ الَّذِي أنْزَلْـتَ». (ك)[2]

«اللهـمَّ عافِنـي فِي جَسَـدِي وعافِنِي فِي بَصَـرِي، واجْعَلْهُ الـوَارِثَ مِنّي، لا إِله إلاّ اللهُ الحَلِيـمُ الكريمُ، سُـبْحانَ الله رَبِّ العَرْشِ العَظِيمِ، الحَمْـدُ لله رَبِّ العالِمينَ». (ت ك)[3]

= زرارة، وأنس بن مالك، وعبد الله بن الشِّخِّيرِ. انظر تخريجها في «السلسلة الصحيحة» (٣١٧٠).

(١) انظر التعليق السابق.

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (١٩٣٣) ـ وصححه ـ من حديث علي رضي الله عنه، وقال المناوي في «التيسير بشرح الجامع الصغير» (١/ ٢١٤): وقال (أي: الحاكم): صحيح، وأقروه.

(٣) رواه الترمذي (٣٤٨٠)، والحاكم في «المستدرك» (١٩٤١)، من طريق حمزة الزيات، عن حبيب بن أبي ثابت، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ. قال الترمذي: غريب، وسمعت محمداً يقول: حبيب لم يسمع من عروة بن الزبير شيئاً. وقال الحاكم: صحيح الإسناد إن سَلِم سماع حبيب من عروة.

قلت: وقد ورد عن أبي داود تصحيح هذا الحديث مع ما يفيد السماع، حيث قال في «سننه» عقب الحديث (١٨٠): وقد روى حمزةُ الزياتُ عن حبيب عن عروة بن الزبير عن عائشة حديثاً صحيحاً.

ويضاف إلى هذا قول ابن عبد البر في «الاستذكار» (١/ ٢٥٧): وحبيب بن أبي ثابت لا ينكر لقاؤه عروة؛ لروايته عمن هو أكبر من عروة وأجل وأقدم موتا، وهو إمام من أئمة العلماء الجلة. =

«اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنا وَبَيْنَ مَعاصِيكَ، ومِنْ طاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنا بِهِ جَنَّتَكَ، ومِنَ اليَقِينِ مَا يُهَوِّن عَلَيْنَا مُصِيباتِ الدُّنْيا، وَمَتِّعْنا بأَسْماعِنا وأَبْصارِنا وقُوَّتِنا مَا أَحْيَيْتَنا، واجْعَلْهُ الوارِثَ مِنَّا، واجْعَلْ ثأْرَنا على مَنْ ظَلَمَنا، وانْصُرْنا على مَنْ عادَانا، وَلَا تَجعَلْ مُصِيبَتَنا فِي دِيننا، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيا أَكْبَرَ هَمِّنا وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنا، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنا مَنْ لَا يَرْحَمُنا» (ت ك)[1].

«اللهمَّ عافِنِي فِي بَدَنِي، اللهمَ عافِنِي فِي سَمْعِي، اللهمَّ عافِنِي فِي بَصَرِي، اللهُمَّ إنِّي أعُوذُ بك من الكفْرِ والفَقْرِ، اللهمَّ إِنِّي أعوذ بكَ منْ عذابِ القَبْرِ، لا إِلـه إلاّ أَنْتَ» (د ك)[2].

«اللهمَّ عافِنِي في قُدْرَتِكَ، وأَدْخِلْنِي في رَحْمَتِكَ، واقْضِ أَجَلِي في طاعَتِكَ، واخْتِمْ لِي بِخَيْرِ عَمَلٍ، واجْعَلْ ثَوابَهُ الجَنَّةَ» (كر)[3].

= قال ابن سيد الناس في «النفح الشذي» (٢/ ٣٠٣): وقولُ أبي عمر هذا أفاد إثبات إمكان اللقاء، وهو مزيل للانقطاع عند الأكثرين، وأرفع من هذا قول أبي داود فيما رويناه عنه...، فذكر كلام أبي داود الذي ذكرناه، وهذا كله يفيد تصحيح الحديث، والله أعلم، فإيراد الألباني له في «السلسلة الضعيفة» (٢٩١٧) فيه نظر.

(١) رواه الترمذي (٣٥٠٢) وحسنه، والحاكم في «المستدرك» (١٩٣٤) وصححه، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) رواه أبو داود (٥٠٩٠)، والحاكم في «المستدرك» (٩٩)، من حديث أبي بكرة رضي الله عنه. قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم.

(٣) رواه ابن عساكر (٢٧/ ٦٤) من طريق عبد الله بن أحمد اليحصبي، نا أبو معيد، عن الحكم الأيلي، عن القاسم بن محمد، عن عمر بن عبدالعزيز، عن عبدالله بن عبدالله بن عمر، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ أنه كان يدعو: «اللهم عافني..». وعبد الله بن أحمد اليحصبي: قال العقيلي في «الضعفاء» (٢/ ٢٣٧): لا يتابع على حديثه. =

«اللهمَّ اجْعَلْ أوْسَعَ رِزْقِكَ عَلَيَّ عندَ كِبَرِ سِنِّي وانْقِطاعِ عُمْرِي» (ك) (١).

«اللهُمَّ اغْفِرْ لي ذَنْبي، ووَسِّعْ لي في دارِي، وبارِكْ لي في رِزْقِي» (ت) (٢).

«اللهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، واجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، واجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ» (م) (٣).

«اللهُمَّ أَغْنِني بالعِلْمِ، وزَيِّنِّي بالحِلْمِ، وأَكْرِمْني بالتَّقْوَى، وجَمِّلْني بالعافِيَة» (نجار)(٤).

= والحكم (وهو: ابن عبد الله بن سعد الأيلي) قال الذهبي في «المغني في الضعفاء» (١/ ١٨٣): متروك متهم. فالحديث ضعيف جداً.

(١) رواه الطبراني في «الأوسط» (٣٦١١)، والحاكم في «المستدرك» (١٩٨٧)، من حديث عائشة رضي الله عنها. قال الحاكم: هذا حديثٌ حسنُ الإسنادِ والمَتنِ، غريبٌ في الدُّعاءِ، مُستحَبٌّ للمشايخ، إلَّا أنَّ عيسى بن ميمونٍ لم يَحْتَجَّ به الشَّيخان. وتعقبه الذهبي بقوله: عيسى متهم. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٨٢): رواه الطَّبرانيُّ في «الأوسط» وإسنادُه حسنٌ. قلت: وهو عنده من طريق عيسى بن ميمون الذي في سند الحاكم، فالحديث ضعيف، بل شديد الضعف.

(٢) رواه الترمذي (٣٥٠٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه مسلم (٢٧٢٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) رواه ابن النجار من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. انظر: «الفتح الكبير» (١/ ٢٢١)، وكذا رواه الرافعي في «التدوين في أخبار قزوين» (٢/ ٣٢٤) من طريق سفيان بن عيينة عن الزهري عن سالم بن عبد الله عن أبيه قال: كان من دعاء النبي ﷺ، ورواه ابن أبي الدنيا في «الحلم» (٣)، وأبو الشيخ في «التوبيخ والتنبيه» (٢٤٩)، عن سفيان عن النبي ﷺ مرسلاً.

«اللهُمَّ الْطُفْ بي في تَيسيرِ كلِّ عَسيرٍ، فإنَّ تَيْسيرَ كلِّ عَسِيرٍ عَليكَ يَسِيرٌ، وأَسْأَلُكَ اليُسْرَ والمعافاةَ في الدُّنيا والآخرة» (ط)[1].

«اللَّهُـمَّ أَصْلِـحْ ذاتَ بَيْنِنـا، وأَلِّـفْ بَيْـنَ قُلُوبِنـا، واهْدِنا سُـبُلَ السَّـلاَمِ، ونَجِّنا مِـنَ الظُّلُمـاتِ إلـى النُّـورِ، وجَنِّبْنا الفَواحِـشَ ما ظَهَـرَ مِنها ومـا بَطَنَ، اللَّهُـمَّ بارِكْ لَنـا فـي أَسْـماعِنا وأَبْصارِنـا وقُلُوبِنـا وأَزْواجِنـا وذُرِّياتِنـا، وتُـبْ علينـا إنَّـكَ أَنْـتَ التَّـوَّابُ الرَّحِيـمُ، واجْعَلْنـا شـاكِرِينَ لِنِعْمَتِـكَ مُثْنِيـنَ بهَا قابِلِيـنَ لَهَـا وأَتِمَّها علينا» (طـب ك)[2].

«اللهُـمَّ بعِلْمِـكَ الغَيْـبَ وقُدْرَتِـكَ على الخَلْـقِ أَحْيِنِي مَـا عَلِمْتَ الحَيـاةَ خَيْراً لِـي، وَتَوَفَّنِـي إِذا عَلِمْتَ الوَفـاةَ خَيْراً لِي، وأَسْـأَلُكَ خَشْـيَتَكَ في الغَيْبِ والشَّـهادَةِ، وأَسْـأَلُكَ كلمـةَ الإِخْـلَاص فـي الرِّضـا والغَضَـب، وأَسْـأَلك القَصْـد فـي الْفقـر والغنـى، وأَسْـأَلك نعيمـاً لَا يَنْفَـدُ، وأَسْـأَلُكَ قُـرَّةَ عَيْـنٍ لا تَنْقَطِـعُ، وأَسْـأَلُكَ الرِّضا بالقَضـاءِ، وأَسْـأَلُكَ بَـرْدَ العَيْـشِ بَعْـدَ المَـوْتِ، وأَسْـأَلُكَ لَـذَّةَ النَّظَـرِ إِلَـى وَجْهِـكَ والشَّـوْقَ إلـى لِقائِـكَ فـي غَيْـرِ ضَـرَّاءَ مُضِـرَّةٍ ولا فِتْنَـةٍ مُضِلَّـةٍ، اللهُـمَّ زَيِّنَّـا بِزينَـةِ الإِيمـانِ واجْعَلْنـا هُـدَاةً مُهْتَدِيـنَ» (ن ك)[3].

---

(١) رواه الطبراني في «الأوسط» (١٢٥٠). وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٨٢): رواه الطَّبرانيُّ في «الأوسط» وفيه من لم أعرفهم.

(٢) رواه الطبراني في «الكبير» (١٠٤٢٦)، والحاكم في «المستدرك» (٩٧٧)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، ورواه أيضاً أبو داود (٩٦٩). قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٧٩): رواه الطَّبرانيُّ في «الكبير» و«الأوسط» وإسناد «الكبير» جيد.

(٣) رواه النسائي (١٣٠٥)، والحاكم في «المستدرك» (١٩٢٣)، من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه. قال الحاكم: صحيح الإسناد.

«اللهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وجَهْلِي، وإِسْرَافِي في أَمْرِي، وما أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطَئِي وعَمْدِي وهَزْلِي وجِدِّي، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وما أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، وأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» (ن)[1].

«اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي حُبَّكَ وحُبَّ مَن يَنْفَعُنِي حُبُّهُ عِنْدَكَ، اللَّهُمَّ مَا رَزَقْتَنِي مِمَّا أُحِبُّ فَاجْعَلْهُ قُوَّةً لِي فِيمَا تُحِبُّ، اللَّهُمَّ وما زَوَيْتَ عَنِّي مِمَّا أُحِبُّ فاجْعَلْهُ فَرَاغًا لِي فِيما تُحِبُّ» (ت)[2].

«اللَّهُمَّ اجعَلْ حُبَّكَ أَحَبَّ الأَشْياءِ [إِلَيَّ، واجْعَلْ خَشْيَتَكَ أَخْوَفَ الأَشْياءِ] عندي، واقْطَعْ عَنِّي حاجاتِ الدُّنْيا بالشَّوْقِ إلى لِقائِكَ، وإذا أَقْرَرْتَ أَعْيُنَ أَهْلِ الدُّنْيا مِن دُنْياهُمَ فأَقْرِرْ عَيْنِي مِن عِبادَتِكَ» (حل)[3].

«اللهُمَّ ارْزُقْنِي عَيْنينِ هَطَّالَتَينِ تَشْفِيانِ القلبَ بذُروفِ الدُّموعِ من خَشْيَتِكَ قَبْلَ أَنْ تَكونَ الدُّموعُ دماً والأَضْراسُ جَمْراً» (كر)[4].

---

(١) رواه البخاري (٦٣٩٨)، ومسلم (٢٧١٩)، من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه. وعند البخاري: «... خطاياي وعمدي وجهلي وهزلي...».

(٢) رواه الترمذي (٣٤٩١) من حديث عبد الله بن يزيد الخطمي رضي الله عنه. وقال: حسن غريب. قوله: (فَاجْعَلْهُ فَرَاغًا لِي)؛ أي: سَبَبَ فَرَاغِ خاطري (فِيمَا تُحِبُّ)؛ أي من الذِّكْرِ والفِكْرِ والطَّاعةِ والعبادةِ. انظر: «تحفة الأحوذي» (٩/ ٣٢٦).

(٣) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٢٨٢) عن الهيثم بن مالك الطائي عن النبي ﷺ مرسلًا. وما بين معكوفتين منه.

(٤) رواه ابن عساكر في «تاريخه» (١١/ ١٢١) من طريق سهل بن صالح أبي معيوف، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ١٩٦) من طريق عبد السلام بن صالح أبي الصلت، كلاهما عن الوليد بن مسلم، عن =

«اللهُمَّ أَحْيِني مِسْكيناً، وتَوَفَّني مِسْكِيناً، واحْشُرْني في زُمْرةِ المسَاكِين» (ك)[1].

«اللهُمَّ أَحْيِني مِسْكيناً، وأَمِتْني مِسْكيناً، واحْشُرْني في زُمرةِ المسَاكِين» (ك)[2].

= أبي سلمة الدوسي، عن سالم بن عبد الله بن عمر، عن أبيه قال: كان من دعاء رسول الله ﷺ: «اللهم ارزقني...».

قال أبو نعيم: رواه دُحَيْمٌ عن الوليد ولم يُجاوِز به سالمًا.

وقال ابن عساكر: كذلك رواه سهل بن صالح الأنطاكي عن الوليد، ورواه داود بن رشيد والحسين بن الحسن المروزي ومحمد بن حسان الأزرق ومقاتل بن عتاب البخاري عن الوليد مرسلا. ثم أورد رواياتهم عن سالم بن عبد الله عن النبي ﷺ.

قلت: وكذا رواه عن الوليد الإمام أحمد في «الزهد» (٤٨)، والحسين المروزي في زوائده على «الزهد» لابن المبارك (٤٨٠)، وهذا هو الصواب مرسل؛ لأن أبا الصلت صدوق له مناكير كما في «التقريب»، وسهل بن صالح أبو معيوف مجهول كما في «التقريب»، فمخالفتهما للإمام أحمد والمروزي وللجماعة المذكورين لا تقبل.

(١) انظر التعليق الذي بعده.

(٢) رواه ابن ماجه (٤١٢٦)، وعبد بن حميد (١٠٠٢)، والحاكم في «المستدرك» (٧٩١١) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. ووقع عند الحاكم: «توفني»، وعند الباقين: «أمتني»، والمعنى واحد. والحديث رواه ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/ ٣٢٨) وقال: لا يصح.

وفي الباب عن أنس عند الترمذي (٢٣٥٢)، وإسناده ضعيف.

وعن عبادة بن الصامت عند الطبراني في «الدعاء» (١٤٢٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ١٢)، وفي إسناده عبيد (أو عبيد الله) بن زياد، ولا يُعرف.

وقال ابن الملقن في «البدر المنير» (٧/ ٣٦٧): وغلا ابن الجوزي فذكر حديث أبي سعيد هذا وحديث أنس السالف في «موضوعاته»... والحق أن يذكر في الأحاديث الضعيفة.

وقد ذكر الألباني هذا الحديث في «الصحيحة» (٣٠٨) من طريق عبد بن حميد؛ لأنه انتقل بصره إلى إسناد الحديث الذي قبله، فحسَّن الحديث بإسناد غيره، ثم بنى على ذلك أن هذه الطريق مع صلاح سندها عزيزة لم يتعرض لذكرها كل من تكلم على هذا الحديث كابن الجوزي وابن الملقن وابن حجر والسيوطي، وإنما الوهم منه رحمه الله.

«اللهُمَّ اغْفِرْ لي وارْحَمْني وأَلْحِقْني بالرَّفِيقِ الأَعْلَى» (ق ت) [١].

«اللهُمَّ أَعِنِّي على غَمَراتِ الموتِ وسَكَراتِ الموتِ» (ت ه ك) [٢].

«اللهُمَّ اعْفُ عَنِّي فإنَّكَ عَفُوٌّ كَرِيمٌ» (ط) [٣].

«اللهُمَّ لا تَكِلْني إلى نَفْسِي طَرْفةَ عينٍ، ولا تَنْزِعْ منِّي صَالِحَ ما أَعْطَيْتَني» (ب ز)[٤].

«اللهُمَّ اجْعَلْني شَكُوراً، واجْعَلْني صَبُوراً، واجْعَلْني في عَيْنِيَّ صَغِيراً وفي أَعْيُنِ النَّاسِ كَبِيراً» (ب ز)[٥].

---

(١) رواه البخاري (٤٤٤٠)، ومسلم (٢٤٤٤)، والترمذي (٣٤٩٦)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) رواه الترمذي (٣٤٩١)، وابن ماجه (٩٧٨)، والحاكم في «المستدرك» (٣٧٣١) و(٤٣٨٦)، من حديث عائشة رضي الله عنها. قال الترمذي: غريب. ووقع عند الترمذي: «غَمَراتِ الموتِ أو سَكَراتِ الموتِ»، وعبارة «غمرات الموت» لم ترد عند الباقين.

(٣) رواه الطبراني في «الأوسط» (٧٧٤٦) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٨٢): فيه يحيى بن ميمون التمار وهو متروك.
قلت: وله شاهد صحيح رواه الترمذي (٣٥١٣)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٦٤٢)، وابن ماجه (٣٨٥٠)، والحاكم في «المستدرك» (١٩٤٢)، عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: قُلْتُ: يا رسولَ الله، أرأيتَ إنْ وافَقْتُ ليلةَ القَدْرِ ما أقولُ فيها؟ قال: قولي: «اللَّهُمَّ إنَّك عَفُوٌّ تحبُّ العفوَ فاعْفُ عنِّي». قال الترمذي: حسن صحيح. وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٤) رواه البزار في «مسنده» (٣١٩٠) من طريق إبراهيمَ بنِ يزيدَ، عن عَمْرِو بنِ دينارٍ، عن ابنِ عُمَرَ، قال: كان مِن دُعاءِ رسولِ اللهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ لا تَكِلْنِي...». قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٨١): رواه البَزَّارُ، وفيه إبراهيمُ بنُ يزيدَ الخُوزيُّ، وهو متروكٌ. وقال الدارقطني في «العلل» (١٢/ ٣٩١): والصحيح: عن عمرو بن دينار عن عبيد بن عمير مرسلاً.

(٥) رواه البزار في «مسنده» (٣١٩٨) من حديث بريدة رضي الله عنه. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» =

«اللهُمَّ احْفَظْني بالإسلامِ قائِماً، واحْفَظْنِي بالإِسْلامِ قاعِداً، واحْفَظنِي بالإِسْلامِ راقِداً، ولا تُشْمِتْ بي عَدُوّاً ولا حاسِداً. اللَّهُمَّ إنِّي أسأَلُكَ مِن كُلِّ خَيْرٍ خزائِنُهُ بِيَدِكَ، وأعُوذُ بِكَ مِن كُلِّ شَرٍ خَزائِنُهُ بِيَدِكَ» (ك)[1].

«اللَّهُمَّ انْفَعْني بِما عَلَّمْتَني، وَعَلِّمْني مَا يَنْفَعُنِي، وَزِدْنِي عِلْماً، الحَمْدُ للهِ على كُلِّ حالٍ، ونعُوذُ بِالله مِنْ حالِ أَهْلِ النَّارِ» (ت ه)[2].

«اللهُمَّ اجْعَلْني أُعْظِمُ شُكْرَكَ، وأُكْثِرُ ذِكْرَكَ، وأَتَّبِعُ نَصِيحَتَكَ، وأَحْفَظُ وَصِيَّتَكَ» (ت)[3].

«اللهُمَّ افْتَحْ مَسَامِعَ قَلْبِي لِذِكْرِكَ، وارْزُقْني طاعَتَكَ وطاعَةَ رسولِكَ وعَمَلاً بكتابِكَ» (طس)[4].

= (١٠/ ١٨١): رواه البزار، وفيه عقبة بن عبدالله الأصم وهو ضعيف وحسن البزار حديثه. وقال أبو حاتم كما في «العلل» لابنه (٢/ ١٦٢): هذا حديث منكر لا يعرف وعقبة لين الحديث.

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (١٩٢٤) وصححه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) رواه الترمذي (٣٥٩٩)، وابن ماجه (٣٨٣٣)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. قال الترمذي: غريب من هذا الوجه.
قلت: فيه موسى بن عبيدة وهو ضعيف، لكن روي له شاهد حسن من حديث أنس بن مالك عند الطبراني في «الدعاء» (١٤٠٥)، والحاكم في «المستدرك» (١٨٧٩)، والبيهقي في «الدعوات» (٢١٠)، أن رسول الله ﷺ كان يقول: «اللهم انفعني بما علمتني، وعلمني ما ينفعني، وارزقني علمًا تنفعني به».

(٣) رواه الترمذي (٣٦٠٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وقال: غريب. قلت: فيه الفرج بن فضالة وهو ضعيف.

(٤) رواه الطبراني في «الأوسط» (١٢٨٦) من طريق الحارث الأعور عن علي رضي الله عنه. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٨٢): الحارث ضعيف.

«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي وخَطايايَ كُلَّها، اللَّهُمَّ أنْعِشْنِي واجْبُرْنِي واهْدِني لِصالِحِ الأَعْمالِ والأَخْلاقِ فإنَّهُ لَا يَهْدِي لِصالِحِها وَلَا يَصْرِفُ سَيِّئَها إلاَّ أنْتَ» (طب) [١].

«اللهمَّ اجعَلْ فِي قَلْبِي نُوراً، وفي لِسانِي نُوراً، وَفِي بَصَرِي نوراً، وفي سَمْعي نُوراً، وعن يَمِينِي نوراً، وعن يَسارِي نوراً، ومِن فَوْقِي نوراً، ومِن تَحْتِي نوراً، ومِن أَمامِي نوراً، ومِن خَلْفِي نوراً، واجْعَلْ لي في نَفْسِي نوراً، وأعْظِمْ لِي نوراً» (حم ق ن) [٢].

«اللهُمَّ خَلَقْتَ نَفْسِي وأنتَ تَوَفَّاهَا، لَكَ مَمَاتُهَا ومَحْيَاهَا، إنْ أَحْيَيْتَهَا فاحْفَظْهَا، وإنْ أَمَتَّهَا فاغْفِرْ لها، اللهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ العَافِيَةَ» (م) [٣].

«اللهُمَّ أَحْسِنْ عاقِبَتَنا في الأُمورِ كُلِّها، وأَجِرْنا مِن خِزْيِ الدُّنْيا وعَذابِ الآخرة» (حم حب) [٤].

---

(١) رواه الطبراني في «الأوسط» (٤٤٤٢)، و«الكبير» (٦١٠)، و«الصغير» (٦١٠)، من حديث أبي أيوب رضي الله عنه. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٧٣): رواه الطبراني ورجاله وثقوا. ورواه الطبراني في «الكبير» (٧٨٩٣) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١١٢): رواه الطَّبرانيُّ، ورجالُه رجالُ الصَّحيحِ غيرَ الزُّبَيرِ بنِ خُرَيْقٍ، وهو ثقةٌ.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٥٦٧)، والبخاري (٦٣١٦)، ومسلم (٧٦٣)، والنسائي في «الكبرى» (٣٩٦)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) رواه مسلم (٢٧١٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٧٦٢٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٩٤٩)، من حديث بسر بن أرطاة. وبسر هذا مختلف في صحبته، وشهادة الأئمة فيه تبعد أن يكون من الصحابة أو أن يكون سمع من النبي ﷺ شيئا، فقد قال الدوري عن ابن معين: أهل المدينة ينكرون أن يكون بسر سمع من النبي ﷺ، وأهل الشام يروون عنه عن النبي ﷺ، قال: وسمعت يحيى يقول: كان بسر بن أرطأة رجل سوء. قال أحمد: وذلك لما قد انتشر من سوء فعله في قتال أهل الحرة. وقال ابن عساكر: شهد =

«اللهُمَّ اجْعَلْني من الذين إذا أَحْسَنوا اسْتَبْشَروا وإذا أساؤُوا اسْتَغْفَروا» (هب)[١].

«اللهمَّ زِدْنا وَلَا تَنْقُصْنا، وأكْرِمْنا وَلَا تُهِنَّا، وأعْطِنا وَلَا تَحْرِمْنا، وآثِرْنا وَلَا تُؤْثِرْ علينا، وأرْضِنا وارْضَ عَنّا» (ت ك)[٢].

«اللهمَّ طهِّرْ قَلْبِي مِن النِّفاقِ، وعَمَلِي مِن الرِّياءِ، ولِسانِي مِن الكَذِبِ، وعَيْنِي مِن الخيانَةِ، فإنّكَ تَعْلَمُ خائنَةَ الأَعْيُنِ ومَا تُخْفِي الصُّدُورُ» (خط)[٣].

= صفين مع معاوية، وولاه معاوية اليمن، وكانت له بها آثار غير محمودة، وقيل: إنه خرف قبل موته. وقال ابن سعد عن الواقدي: قبض النبي ﷺ وبسر صغير ولم يسمع من النبي ﷺ شيئا. انظر: «معرفة السنن والآثار» (٧/ ٤٦)، و«تهذيب التهذيب» (١/ ٣٨١).

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٤٩٨٠)، وابن ماجه (٣٨٢٠)، من حديث عائشة رضي الله عنها. وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٤/ ١٣٥): هذا إسناد فيه علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف.

(٢) رواه الترمذي (٣١٧٣)، والحاكم في «المستدرك» (١٩٦١)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. ورواه أيضا النسائي في «الكبرى» (١٤٤٣) وقال: هذا حديث منكر، لا نعلم أحداً رواه غير يونس بن سُليم، ويونس بن سُليم لا نعرفه. وقال الحاكم: صحيح الإسناد، وتعقبه الذهبي بقوله: سئل عبد الرزاق عن شيخه ذا (يعني يونس بن سليم) فقال: أظنه لا شيء.

(٣) رواه الخرائطي في «مساوئ الأخلاق»، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٨٠٤٠)، والبيهقي في «الدعوات الكبير» (٢٢٧)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٥/ ٢٦٧)، من طريق الفرج بن فضالة عن عبد الرحمن بن زياد عن مولى أم معبد عن أم معبد الخزاعية عن النبي ﷺ أنه كان يدعو: «اللهم طهر...». ووقع عند الخرائطي: (.. عن مولى لأبي سعيد، عن أبي سعيد الخدري..). قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (٢/ ٨٠٨): هكذا وقع في نسخ «الإحياء»: عن أبي سعيد وإنما هو عن أم معبد، كذا رواه الخطيب في «التاريخ»... وإسناده ضعيف.

قلت: فرج بن فضالة وعبد الرحمن بن زياد (وهو الإفريقي) ضعيفان.

«اللهُمَّ كما حَسَّنْتَ خَلْقِي فحَسِّنْ خُلُقِي» (حم)[١].

«اللهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، ابنُ عَبْدِكَ، ابنُ أَمَتِكَ، ناصِيَتِي بِيَدِكَ، ماضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بكُلِّ اسمٍ هو لَكَ، سَمَّيْتَ به نَفْسَكَ، أو عَلَّمْتَهُ أَحدًا مِن خَلْقِكَ، أو أَنْزَلْتَهُ في كِتَابِكَ، أو اسْتَأْثَرْتَ به في عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أنْ تَجْعَلَ القُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، ونُورَ صَدْرِي، وجلَاءَ حُزْنِي، وذَهابَ همِّي» (حم)[٢].

«اللَّهُمَّ إنِّي أسْأَلُكَ رَحْمَةً مِن عِندِكَ تَهْدِي بِها قَلْبِي، وتَجْمَعُ بِها أمْرِي، وَتَلُمُّ بِها شَعَثِي، وتُصْلِحُ بها غائِبِي[٣]، وتَرْفَعُ بها شاهِدِي، وتُزَكِّي بها عَمَلِي، وتُلْهِمُنِي بها رُشْدِي، وتَرُدُّ بهَا أُلْفَتي، وتَعْصِمُنِي بهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ.

اللَّهُمَّ أعْطِنِي إِيماناً ويَقِيناً لَيْسَ بَعْدهُ كُفْرٌ، وَرَحْمَةً أنالُ بِها شَرَفَ كَرَامَتِكَ في الدُّنْيا والآخِرَةِ.

اللَّهُمَّ إنِّي أسْأَلُكَ الفَوْزَ في القَضاء، ونُزلَ الشُّهَداء، وعَيْشَ السُّعَداء، والنَّصْرَ على الأَعْداء.

اللَّهُمَّ إنِّي أُنْزِلُ بِكَ حاجَتِي، فإنْ قَصُرَ رَأْيِي وضَعُفَ عَمَلِي افْتَقَرْتُ إِلَى رَحْمَتِك، فأسْألكَ يا قاضِيَ الأُمُور، ويا شافِيَ الصُّدُور، كما تُجِيرُ بَيْنَ البُحُور،

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٤٣٩٢) من حديث عائشة رضي الله عنها، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٢٠): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. ورواه الإمام أحمد أيضاً في «المسند» (٣٨٢٣)، وابن حبان في «صحيحه» (٩٥٩)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه. وكلا الحديثين بلفظ: «اللهُمَّ أَحْسَنْتَ خَلْقي، فأَحْسِنْ خُلُقي»

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣٧١٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٩٧٢)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه. وصححه ابن القيم في «جلاء الأفهام» (ص١٥٢).

(٣) أي: قلبي، أو باطني، بالأخلاق الرضية والأحوال العلية. انظر: «شرح الشفا» للقاري (١/ ٢٠٠).

أنْ تُجِيرَنِـي مِـن عَذابِ السَّـعِيرِ ومِـن دَعْوَةِ الثُّبُـور، ومِن فِتْنَـةِ القُبُور.

اللَّهُـمَّ مَـا قَصُرَ عنهُ رَأْيـي وَلم تَبْلُغْـهُ نِيَّتِي وَلـم تَبْلُغْهُ مَسْـألَتِي مِن خَيْـرٍ وَعَدْتَهُ أَحَـداً مِـن خَلْقِـكَ أو خَيْـرٍ أَنْـتَ مُعْطِيـهِ أحـداً مِـنْ عِبـادِكَ فإنِّي أرْغَـبُ إلَيْـكَ فِيهِ، وأسْـألُكَ بِرَحْمَتِـكَ يَـا رَبَّ العالَمِينَ.

اللَّهُمَّ يا ذا الحَبْلِ الشَّدِيد، والأَمْرِ الرَّشِيد، أسْألُكَ الأمْنَ يَوْمَ الوَعِيد، والجَنَّةَ يَوْمَ الخُلُود، مَعَ المُقَرَّبِينَ الشُّهُود، الرُّكَّعِ السُّجُود، المُوفِينَ بالعُهُود، إنَّكَ رَحِيمٌ ودُود، وإنَّكَ تَفْعَلُ مَا تُرِيد.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنا هادِينَ مُهْتَدِين، غَيْرَ ضالِّينَ وَلَا مُضِلِّين، سِلْماً لأَوْلِيائِك وعَدُوّاً لأَعْدائِك، نُحِبُّ بِحُبِّكَ مَنْ أحَبَّكَ ونُعادِي بِعَداوَتِكَ مَنْ خالَفَكَ.

اللَّهُمَّ هذا الدُّعاءُ وعَلَيْكَ الإجابَةُ، وهذا الجُهْدُ وعلَيْكَ التُّكْلان.

اللَّهُـمَّ اجْعَـلْ لِي نُـوراً في قَلْبِي، ونـوراً في قَبْرِي، ونـوراً بَيْنَ يَـدَيَّ، ونُوراً مِن خَلْفِـي، ونـوراً عن يَمِينِـي، ونوراً عن شِـمالِي، ونوراً مِـن فَوْقِي، ونوراً مِـن تَحْتِي، ونـوراً فـي سَـمعِي، ونوراً فـي بَصَري، ونوراً في شَـعْرِي، ونُـوراً في بَشَـرِي، ونُوراً فـي لَحْمِـي، ونوراً فـي دَمِي، ونُوراً فـي عِظامِي.

اللَّهُمَّ أعْظِمْ لي نوراً، وأعْطِني نُوراً، واجْعَلْ لي نوراً.

سُبْحانَ الذِي تَعَطَّفَ بالعِزِّ وقالَ به، سُبْحانَ الَّذِي لَبِسَ المَجْدَ وَتَكَرَّمَ به، سُبْحانَ الذِي لا يَنْبَغِي التَّسْبِيحُ إلَّا لَهُ، سُبْحَانَ ذِي الفَضْلِ والنِّعَمِ، سُبْحانَ ذِي المَجْدِ والكَرَمِ، سُبْحَانَ ذِي الجَلالِ والإِكْرامِ» (ت صب ق)[1].

---

(١) رواه الترمذي (٣٤١٩)، والبزار في «مسنده» (٥٢٣٤)، ومحمد بن نصر كما في «مختصر قيام الليل» (ص٣٣٧)، والطبراني في «الكبير» (١٠٦٦٨)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. =

وهذه أدعيةٌ مِن مُناجاةِ العارِفِينَ وابتهالاتِ الصَّالِحين، وربَّما فيها مِن جِنْسِ الأَدْعيَةِ النَّبويَّة:

اللهمَّ إنِّي أَصْبَحْتُ لا أَمْلِكُ تَقْديمَ ما أَرْجُو ولا تأخيرَ ما أَخافُ، وأَمْسيتُ مُرتَهناً بعَمَلي ولا فقيرَ أفقرُ مِنِّي، فوسِّعْ عليَّ وارْزُقْني التَّقْوَى ما أَحْيَيْتَني، والكرامةَ إذا تَوَفَّيْتَني، وشكرَ ما أَنْعمْتَ به فيما مَضَى، وما تُنْعِمُ به فيما بَقِيَ، فاغْفِرْ لي وقِني شُحَّ نَفْسي.

اللهُمَّ مَن أَصبَحَ وأَمْسَى ثِقتُه ورجاؤه غيرُك فأنتِ ثِقَتي ورَجائي، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلا باللهِ العَليِّ العَظيم.

إلهي عَبْدُكَ متضرِّعٌ إليكَ بائسٌ فقيرٌ غيرُ مُستنكِفٍ ولا مُستكبِرٍ ولا مُتسخِّطٍ، بل مُستسلِمٌ لأَمْركَ، راضٍ بقضائِكَ، لا آيِسٌ مِن رَحمتِكَ، ولا آمِنٌ مِن مَكْرِك، بل مُشْفِقٌ مِن عَذابِكَ.

إلهي وسيِّدي، ارْحَمْ نِدَائي إذ نادَيْتُك، فإنِّي مُعترِفٌ بذُنوبي، ذاكِرٌ لك حاجَتِي، أشكو إليكَ مَسْكَنَتي وقَسْوةَ قلبي ومَيلَ نَفْسي، إليكَ يَرْهَبُ المترهِّبونَ، ولك يُخْلِصُ المخلِصونَ هَيبةً لك ورجاءً لعَفْوِك.

إلهي إنَّني عبدٌ لا أقومُ لحسابِكَ فكيف أقومُ لعِقابِكَ؟ فإنْ كنتُ غيرَ أهلٍ لِمَا أرجُو فأنتَ أهلٌ أنْ تجودَ على المذنِبينَ بسَعَةِ رحمتِكَ.

= قال الترمذي: حديث غريب. قلت: في إسناده داود بن علي، قال عنه الذهبي في ترجمته من «الميزان»: ليس بحجة. وذكر له هذا الحديث. وقال في ترجمته من «سير أعلام النبلاء» (٥/ ٤٤٤) مشيرا إلى هذا الحديث: له حديث طويل في الدعاء، تفرد به عنه ابن أبي ليلى وقيس، وما هو بحجة، والخبر يعدُّ منكراً.

إلهي إنْ كان ذَنْبي قد أخافَني فإنَّ حُسْنَ ظنِّي بكَ قد رَجَاني وأنتَ الكريمُ الذي لا يَبْطُلُ عندَكَ رجاءُ الرَّاجِينَ، ولا يَخِيبُ لديكَ أمَلُ الآمِلين.

إلهي إنْ غَفرْتَ فمَن أَوْلَى منكَ بالعَفْوِ، وإنْ عذَّبْتَ فمَن أَعْدَلُ منكَ في الحُكْم.

إلهي لم تَزَلْ تَبَرُّني أيامَ حياتي فلا تَقْطَعْ بفَضْلِكَ بِرَّكَ عنِّي بعدَ مَمَاتي.

إلهي إنْ كان صَغُرَ في جَنْبِ طاعَتِكَ عَمَلي فقد كَثُرَ في جانِبِ رضاكَ أَمَلي.

اللهُمَّ لا تُسلِّطْ عَلَى ظنِّي قُنوطَ الآيِسين، ولا تُبْطِلْ صِدْقَ ودِّي لكَ في الآمِلين.

إلهي لو لم تَهْدِني للإسلامِ ما اهْتدَيْتُ، ولو لم تَرْزُقْني الإيمانَ ما آمَنْتُ، ولو لم تُطْلِقْ لسَاني بدعائِكَ ما دَعَوْتُ، ولو لم تُعرِّفْني حَلَاوةَ مَعرِفَتِكَ ما عَرَفْت.

إلهي سَمِعَ العابِدُونَ بجزيلِ ثوابِكَ فخَشَعوا، وسَمِعَ الزَّاهِدونَ بعَظيمِ جزائِكَ فخَضَعوا، وسَمِعَ المذنِبونَ بسَعَةِ رحمتِكَ فطَمِعوا، وسَمِعَ الموَلُّون عن القَصْدِ بجُودِكَ فرَجَعوا، حتى ازْدَحمتْ ضُروبُ العُصاةِ مِن عِبادِكَ ببابِكَ، وعَرَجَ إليكَ منهُم الدُّعاءُ بالضَّجيجِ في جميعِ بلادِكَ.

إلهي إنْ كنتَ لا تَقبلُ إلا مِن المجتهِدِينَ فإلى مَن يَلْتَجئُ المقصِّرونَ، وإنْ كنتَ لا تُكْرِمُ غيرَ المحسِنينَ فكيفَ يَصنَعُ المُسِيؤون، وإنْ كان لا يَفوزُ يومَ الحشرِ إلا المخْلِصون فبِمَن يَستغيثُ المذْنِبون.

إلهي إنْ عَفَوْتَ فبفَضْلكَ وإنْ عذَّبْتَ فبعَدْلِك.

إلهي أنتَ رَجَائي ومَلْجَئي، وعليكَ تَوكُّلي، وبرحمتِكَ تَعَلُّقي، وبِفِنائِكَ أَحطُّ رَحْلي، وبجُودِكَ أَقْصدُ بطَلِبَتي، وببابِكَ أَفتَتِحُ بدُعائي، ولدَيكَ أرجُو ضيافَتي، وتحتَ ظلِّ رحمتِكَ قيامِي، وإليكَ أَرْفعُ بَصَري، سيِّدي فأينَ الفِرارُ إنْ ضاعَتْ لديكَ رَغْبَتي، وكيفَ النَّجاةُ إنْ عُدِمْتُ فضلَكَ عندَ فاقَتي.

إلهي اجْعَلْني مشغولاً بأمرِكَ، آيِساً مِن خَلْقِك، مُناظِراً عدوَّك، متَواضِعاً لأهلِ طاعتِكَ، مُخْلِصاً في عبادتِكَ، راضياً بقضائِكَ، صابِراً على بلائِكَ، شاكراً لنَعْمائكَ، متلذِّذاً بِذِكْرِكَ، مُناجِياً لك في آناءِ ليلِكَ ونهارِكَ، مستعِدًّا للموتِ مشتاقاً إلى لقائِك، حريصاً على طَلَب ما عِندَك مِن خيرٍ وعافيةٍ وفضلٍ وكرامة.

إلهي مَن أَوْلَى بالزَّلَلِ والتَّقصيرِ منَّا وقد خلَقْتَنا ضعفاءَ، ومَن أَوْلَى بالعفوِ عنَّا منكَ وعِلْمُك فينا سابِقٌ، وأمرُكَ بنا محيطٌ، أطعناكَ بإذْنِكَ فالمِنَّةُ لك، وعصَيْناكَ بعِلْمِكَ فالحجَّةُ لك، فنسألُكَ اللهُمَّ بوجوبِ حُجَّتِكَ وانْقِطاعِ حجَّتِنا وفَقْرِنا إليكَ وغِناكَ عنَّا أنْ تُصلِّيَ على محمدٍ خاتَمِ أنبيائِكَ وسيِّدِ أصفيَائِك، وافْتَحِ اللهُمَّ قلوبَنا لـمَعْرِفتِك، واشْرَحْ صُدورَنا لهدايَتِك، وأَلْهِمْنا حقيقةَ رُبوبيَّتِك، واسْقِنا مِن كأسِ محبَّتِك، وعطِّشْنا بالاشْتِياقِ إلى رُؤيتِك، وحَبِّبْ إلينا لذيذَ معرِفَتِك، وشمِّرْنا مِن الدُّنيا لخدمَتِك، واقْطَعْ علائِقَنا مِن مُخالَفَتِك، واعْصِمْ جَوارِحَنا بعظيمِ هَيْبَتِك، وأَوْزِعْنا شكرَ نِعْمتِك.

إلهي عرَّفْتَنا برُبوبِيَّتِك، وغرَّقْتَنا في بحارِ نِعمتِك، ودَعَوْتَنا إلى دارِ قُدْسِك، ونعَّمْتَنا بذِكْرِكَ وأُنْسِك.

إلهي إنَّ ظُلْمةَ ظُلْمِنا لأنفُسِنا قد عمَّتْ، وبحارَ الغَفْلةِ على قلوبِنا قد طَمَّتْ، فالعَجزُ شاملٌ والحَصرُ حاصِلٌ، والتَّسليمُ أسلمُ، وأنت بالحالِ أَعْلَمُ.

إلهي ما عَصَيْناكَ جَهْلاً بعِقابِنا فلا تُعرِّضْنا لعذابِكَ، ولا استِخْفافاً بنَظَرِك، ولكنْ سوَّلَتْ لنا أنفُسُنا، وأعانَتْنا شِقْوتُنا، وغرَّنا سِتْرُكَ علَينا، وطمَعُنا في عَفْوِكَ وإحسانِكَ إلينا، فالآنَ مِن عذابِكَ مَن يَستنقِذُنا؟ وبحَبْلِ مَن نَعتصِمُ إنْ قُطِعتْ حَبْلُك عنَّا، وا خَجْلتَنا من الوقوفِ غداً بين يَدَيْك، ويا فَضيحتَنا إذا عُرِضتْ أعمالُنا القبيحةُ عليك، اللهُمَّ اغْفِرْ ما عَلِمْتَ ولا تَهْتِكْ ما سَتَرْت.

إلهي إنْ كان قد عَصَيْناكَ بجَهْلٍ فقد دَعَوْناكَ بعَقْلٍ، حيث عَلِمْنا أنَّ لنا ربًّا يَغْفِرُ ولا يُبالي.

إلهي أَتُحرِقُ بالنَّارِ وجهاً كان لكَ ساجداً مُصلِّياً، ولساناً كان لكَ ذاكِراً وداعياً، لا بالذي دَلَّنا عليك، ورغَّبَنا فيما لدَيْك، وأَمَرنا بالخُضوعِ بين يديك، وهو محمدٌ خاتمُ أنبيائِكَ وسيِّدُ أصفِيَائِك، فإنَّ حقَّه علينا أعظمُ الحُقوقِ بعدَ حَقِّك، فصَلِّ اللهُمَّ عليه عدَدَ خَلْقِكَ ورِضَا نفسِكَ وزِنَةَ عرشِكَ ومِدادَ كَلِماتِك، وارْحَمْ عباداً غرَّهم طولُ إمْهالِكَ، وأَطْمَعتْهم كَثرةُ إفْضالِك، وذَلُّوا لعِزِّكَ وجَلالِك، ومَدُّوا أَكُفَّهم لطَلَبِ نَوالِك، ولولا هدايتُكَ لم يَصِلُوا إلى ذلك، سبحانكَ نحنُ عَبيدُك وبَنُو عَبيدِك، فاغْفِرْ لنا ما قَطَع قلوبَنا عن ذِكْرِكَ فيما مضَى من أعمارِنا.

إلهي سَلَكْتَ بأوليائِكَ أَحْسنَ المسالِك، فقَرَّبْتَهم على بِساطِ أَفْضالِك، ولقَّيْتَهم السُّرورَ بيُمْنِ إقْبالِك، وأَحْيَيتَ قلوبَهم لشُهودِ جَمالِك، وعامَلْتَهم

بجزيلِ نَوَالِك، ورَحِمْتَهم بتضرُّعِهم بينَ يديكَ حالةَ سُؤالِك، إلهي فمُنَّ علينا بذلك، ونجِّنا من مَضَارِّ العَطَبِ والمَهَالِك، واستُرْنا بسِتْرِكَ الجميل، وجُدْ علينا بعطائِكَ الجَزِيل.

إلهي أَدِمْ لنا لُزومَ الطريقِ إليك، وامْنُنْ علينا بحُسنِ الظنِّ فيما بيننا وبَيْنَك، واغْفِرْ تقصيرَنا في شُكرِنا، وهَبْ لنا نوراً نَهْتدِي به إليك، كَلَّتْ ألسِنَتُنا عن دُعائِك، لعِظَمِ شأنِكَ وقُربِكَ من أوليائِك، وكثرةِ مِنَّتِك على أهلِ محبَّتِك.

إلهي أَذِقْنا حلاوةَ مُناجاتِكَ، واسلُكْ بنا سبيلَ مَرْضاتِك، واقْطَعْ عنَّا كلَّ ما يُبْعِدُنا عن حَضْرتِك، ويَسِّرْ لنا ما يَسَّرْتَه لأهلِ محبَّتِك، واجْعَلْنا مِن المتَّقِينَ الأخيار، واسْلُكْ بنا سبيلَ عبادِكَ الأخيار، وأَلْهِمْنا رُشْدَنا، وأَجْزِلْ من رضوانِك حظَّنا، ولا تَحْرِمنا بذُنوبنا ولا تَطْرُدْنا بعُيوبِنا.

إلهي أنتَ مَلاذُنا إذا ضاقَتِ الحِيَل، ومَلْجَؤنا إذا انْقَطعَ الأَمَل، بذِكْرِكَ نَتنعَّمُ ونَفْتخِر، وإلى جُودِكَ نلتجِئُ ونَفْتقِرْ، فيك فَخْرُنا، وإليكَ فَقْرُنا.

اللهُمَّ اجْعَلْنا بطاعَتِكَ عامِلِين، وعلى ما يُرْضيكَ مُقْبِلين، وأَلْبِسْنا مَلابِسَ الصَّادِقين، واخْلَعْ علينا خِلَعَ الإيمانِ واليَقين، وحَصِّنَّا بدُروعِ الصِّدْقِ فإنَّهنَّ يَقِيْن، واسلُكْ بنا مَناهِجَ المتَّقِين، وأَصْلحِ اللهُمَّ كلَّ قلبٍ قَسَا فما يَلِين، فها نحنُ لِبابِ جُودِك سائلين، وأَتيناكَ طالِبينَ فلا تَرُدَّنا خائِبين، وارْزُقْنا الإخلاصَ كما رَزَقْتَ المخلِصين.

اللهُمَّ إنَّا نَعبُدكَ طَوْعاً ونَعْصِيكَ كُرهاً، نَخافُكَ لأنكَ عظيمٌ، ونرجُوْكَ لأنَّك كَرِيم، نَرجُوْكَ لأنكَ إلهٌ ونخافُكَ لأنَّا عبيدُك، فلكَ جئنا ولك خوفُنا، فارْحَمْنا لكَرَمِ الرُّبوبيَّة، أو لضَعْفِ العُبوديَّة.

إلهي كيفَ تردُّنا الذُّنوبُ عن سُؤالِكَ ونحن الفقراءُ إلى نَوَالِك، ها نحنُ قد أَنَخْنا ببابِكَ فتعطَّفْ علينا مع أَحْبابِك، كفانا عزًّا أنْ نكونَ لك عبيداً، وكَفانا شَرَفاً أنْ تكونَ لنا ربًّا.

إلهي كلُّ فَرَحٍ بغيرِكَ زائِل، وكلُّ شُغْلٍ بسِوَاكَ باطل، السُّرورُ بكَ هو السُّرور، والسُّرورُ بغيرِكَ هو الغُرُور.

إلهي إنَّكَ قَبِلْتَ الوفاءَ مِن السَّحَرةِ حينَ ذَكَروكَ مَرَّةً، وسجَدُوا لكَ سَجْدةً، وإنَّا لم نَزَلْ مُقِرِّينَ برُبوبيَّتِك، مُعترِفِين بوَحْدانيَّتِك، ما سجَدْنا قطُّ إلَّا بينَ يَديكَ، ولا رَفَعْنا حوائِجَنا إلَّا إلَيْك.

إلهي ذنُوبُنا لها غايةٌ وكَرَمُكَ لا غايَةَ له.

إلهي ذنوبُنا صغيرةٌ في جَنْبِ عَفوِكَ وإنْ كانتْ عَظِيمةً في جَنْبِ نَهْيِك.

إلهي جُدْ علينا بكَرَمِك وتَغَمَّدْنا برحمتِك، ودارِكْنا بلُطْفِك، وعامِلْنا برَأْفتِك، ووَفِّقْنا لخدمَتِك.

إلهي دُلَّنا عليكَ، وارْحَمْ ذُلَّنا بين يدَيك، واجْعَلْ رَغْبَتنا فيما لدَيْك، ولا تَحْرِمنا بذنوبِنا ولا تطرُدْنا بعُيوبنا.

إلهي لولا أنَّكَ بالفضلِ تجودُ ما كان عبدُكَ إلى الذَّنْب يَعود، ولولا محبَّتُكَ للغُفْران ما أَهْمَلْتَ مَن يُبارِزُكَ بالعِصْيان، وأَسْبَلْتَ سِتْرَكَ علينا وقابَلْتَ إساءَتَنا منكَ بالإحسان.

إلهي إنْ نَظَرْنا إلى فضلِكَ فالعَجَبُ ممَّن هَلَكَ كيف هَلَك؟! وإنْ نظرْنا إلى عَدْلِكَ فالعَجَبُ ممَّن نَجا كيفَ نَجا؟!

إلهي إنْ حاسَبْتَنا بفَضْلِكَ نِلْنا رِضوانَك، وإنْ حاسَبْتَنا بعَدْلِك لم نَنَلْ غُفْرانَك.

إلهي إنْ كنَّا لا نَقْدرُ على تَرْكِ ذنبٍ كتَبْتَه علينا فأنتَ تَقْدِرُ على مَغْفِرتهِ لنا.

إلهي إنَّا لن نَبْرحَ عن بابِكَ فلا تُعذِّبْنا بأَليمِ حِجَابِك، نحنُ إنْ لم نَكُنْ كما أَمَرْتَنا فأنتَ ذو غِنًى عنَّا، ونحنُ المساكينُ إنْ لم تكُنْ لنا، إلى مَن نَلْتجِئُ إذا صَرَفْتَنا، إلى أينَ نَذْهبُ إنْ طَرَدْتَنا، بمَن نتوسَّلُ إنْ حَجَجْتَنا، مَن يُقْبِلُ علينا إنْ أَعْرضْتَ عنَّا.

إلهي إنِّي ضعيفٌ إنْ لم تُقَوِّني، ذَلِيلٌ إنْ لم تُعِزَّني، مغلوبٌ إنْ لم تَنْصُرني، فقيرٌ إنْ لم تَرْزُقْني.

إلهي اجْعَلْ عَمَلي صالحاً، واجْعَلْه لك خالصاً، ولا تَجعَلْ لأحدٍ فيه شيئاً.

اللهُمَّ إنَّك تَحُولُ بينَ المرءِ وقَلْبِه فحُلْ بَيْني وبَيْنَ معاصِيك، اللهُمَّ اعْصِمْني حتَّى لا أَعْصِيك، ووَفِّقْني لِمَا تحبُّه ويُرْضِيك.

إلهي اجْعَلْ همَّتي كلَّها لك، ورَغْبَتي كلَّها إليك، وخَشْيَتي كلَّها منك، وأَمَلِي كلَّه فيك، وتوكُّلي كلَّه عليك.

إلهي اجْعَلْ هَوَايَ تابعاً لطاعَتِك، وأَعِذْني مِن شرِّ نَفْسي وسيِّئاتِ عَمَلي.

اللهُمَّ إنَّك دائمُ النِّعَم عليَّ فاجْعَلْني دائمَ الشُّكرِ لك.

إلهي أَعِنِّي على حِفْظِ لساني، وبَصِّرْني على نَفْسي وأضدادِ عَقْلي وكلِّ ما يَعْترِضُ بَيْني وبَيْنَ نَفْعي، واحْفَظْ لي مكانَ النُّورِ والبِرِّ والتَّقْوى مِن قلبي، وارْزُقْني الإقبالَ الدائمَ على الذِّكرِ بقَلْبي، وثَبِّتِ الحزْنَ والوَجَلَ عندِي حتى

أكـونَ مِـن أهـل الجِـدِّ والحَـزْمِ فـي أَمْـرِك، والأداءِ لأمانَتِـك، والوفـاءِ ببَيْعتِـك، والإيمـاءِ بكلماتِـك، والصِّـدْقِ فـي مَعالِـم طاعَتِـك، والنُّهـوضِ إلـى العُـلا مِـن درجـاتِ قُدْسِـك، وأَصْلِـح لـي نَفْسـي، وأَيِّدْني بـرُوحٍ منـك، وأَعِذْني من الكَسَـلِ والفَتـرةِ والتثبُّـطِ والحَيـرةِ فـي أمرك.

إلهـي بسَـطْتُ يَـدِي إليـكَ بَسْـطَ المتضـرِّعِ الرَّاغِـب، المنقَطِـعِ الرَّاهِـب، بالمسـكَنةِ إليـكَ والفقرِ إلى ما عنـدك، واللَّهْفِ إلـى تَعطُّفِك، ولُذْتُ لِـواذَ الهارِبِ المسـتجِيرِ بـك، مُعْتمِداً علـى عَفْـوِك، مُوْقِناً أنّـي إنْ حُرِمْتُ فضلَكَ لـم أَجِدْ فضلاً مِـن سِـوَاكَ، وإنْ لـم تُجِرْنـي لـم أَجِـدْ مُجيـراً غيـرَك، فسـبحانَكَ لا إلـهَ إلَّا أنـتَ، لا يَغفِـرُ الذُّنـوبَ إلَّا أنـتَ، ولا يَصْـرِفُ المكـروهَ إلَّا أنـت، ولا يَهَـبُ الخيراتِ إلَّا أنـت، ولا يَجـودُ بالبَـركاتِ إلَّا أنت.

إنْ رَدَدْتَني إلهي فإلى مَن تَكِلُني، وإنْ أَعرَضْتَ عنِّي إلهي فإلى مَن تُسْلِمُني.

إلهي ارْحَمْ مَوقِفي هذا بينَ يَديك، واستِكانَتي إلى عَفْوك، وعِظَمَ رجائي في فَضْلِك، واجْعَلْ ما وجَّهْتُ من وَسائِلي بنِعْمتِكَ رحمةً مُتتابِعةً متَّصلةً بالرَّحمةِ الكبرى التي لا تَبِيدُ ولا تَبْلَى.

إلهي أَشْكُو إليكَ ضَعْفَ جِسْمي، وقَساوةَ قَلْبي، وغَلَبَةَ هَوَايَ، ووَهْنَ عَزْمِي، وطُولَ أَمَلِي، واقترابَ أَجَلي، وكَثرةَ ذُنوبي، وسوءَ نَظَري لنَفْسي، فنِعْمَ المشتكَى إليكَ أنت يا سيِّدي.

اللهُـمَّ إنَّ ذُنوبـي وإنْ جَلَّـتْ فهـي فـي جَنْـبِ عفـوِكَ يَسـيرةٌ، وهـا أنـا خاضِـعٌ مُشْـفِقٌ أَنُـوحُ علـى نَفْسـي بالتَّقصيـر، وأَعْتـرِفُ لـه بالذُّنـوب، فيـا أَكْـرمَ مَـن أُقِـرَّ له

بالذنوب، ويا أعزَّ[١] مَن خُضِعَ له واعْتُرِفَ له بالعُيوب، لك الحمدُ حينَ عرَّفْتَني قَبيحَ عَمَلي حتَّى اعترَفْتُ، وغرَّقْتَني في بحارِ نِعَمكَ وأنهارِ كَرَمِك، وألْهمْتَني عزَّ سلطانِكَ حتى خَضَعْتُ بذِلَّتي لسُلْطانِك.

إلهي ما أنتَ صانعٌ بي؟! فوَعِزَّتكَ ما يُزيِّنُ إحساني سلطانَك، ولا تَعِيبُ إساءَتي مُلْكَك، ولا يَزيدُ في خزائِنِكَ ما حَرَمْتَني، ولا يَنْقُصُ منها ما أَعْطَيْتَني، فإنْ تَعْفُ فأهلُ ذلكَ أنت، وإنْ تعذِّبْ فأهلُ ذلكَ أنا.

إلهي خَلَقْتَ لي جسماً وجَعَلْتَ لي فيهِ آلاتٍ أُطِيعُكَ وأَعْصيكَ بها، ثم جَبَلْتَ نَفْسي على الميلِ إلى الشَّهَواتِ، والمحبَّةِ للَّذَّات، وأَسْكَنْتَني داراً مُلِئتْ من الآفات، وخَلَقْتَ معي عَدُوًّا يَجْري مِنِّي مَجْرى الدَّمِ في العُروق، وجَعَلْتَه يَراني ولا أَراهُ، ثم قُلْتَ لي اسْتَمْسِكْ فكيفَ أَسْتَمْسِكُ إلهي إنْ لم تُمْسِكْني؟ فبِكَ إلهي أَعْتَصِمُ فاعْصِمْني، وبكَ إلهي أَسْتجِير فأَجِرْني، وأَسْتحفِظُكَ فيما يَنفعُني فاحْفَظْني، وأَسْتوفِقُكَ فيما يُدْنِيني منكَ فوفِّقْني، وأعوذُ بكَ فيما يَصْرِفُني عنكَ فأَعِذْني.

إلهي لا تَجْعلْ صَدْري للشيطانِ مَراغاً[٢]، ولا تُصيِّرْ قَلْبي له مَجالاً، ولا تَجْعلْني ممن استَفزَّه بصَوْتِه، وأَجْلَبَ عليه بخَيْلِهِ ورَجِلِه، وشارَكه في مالِهِ ووَلَدِه، ومازَجَهُ في زَوْجِهِ وجَسدِه، وكُنْ لي مِن حَبائلِه مُنْجِياً، ومِن مَصائدِه مُنْقِذاً، وعن عَوْراتِهِ مُبْعِداً، واسْتُرْني عنه بسِتْرٍ من اليَقينِ، واكْفِني عنه بسُرادِقِ

---

(١) في الأصل: «ويا عز»، والمثبت أنسب بالسياق.

(٢) المراغ: الموضع الذي يُتمرَّغ فيه. انظر: «اللسان» (مادة: مرغ).

العَظَمـة، واضْـرِبْ بَيْنـي وبينَـه سِـرًّا مـن المَعْرِفـة، حتـى لا يَجِـدَ إلـى اسْـتِهْوائي مَسْـلكاً، ولا يُطيـقَ إلـى إغْوائِـي مَنْفَـذاً، وأَيِّدْني عليه بجنـودٍ مِن وِقايَتِـكَ، وكتائِبَ مِـن حمايتِكَ.

اللهُمَّ وإنَّه ربَّما وَسْوَسَ في القلبِ وأَلْقَى في النَّفْس ما لا يُطِيقُ اللِّسانُ ذِكْرَه، ولا تَستطِيعُ النَّفْسُ نَشْرَه، ممَّا نزَّهَكَ عنه عُلُوُّ عِزِّك وسُموُّ مَجْدِك، وجلالةُ سُلطانِك، ونورُ عَظَمتِك، فأَزِلْ يا سيِّدي ما سَطَّره، وامْحُ ما زَوَّرَه، بوابِلٍ من سَحَائبِ عِصْمتِكَ، وطُوْفانٍ من بحارِ نُصْرتِك، واسْلُلْ عليهِ سَيفَ بِعادِك، وارْشُقْه بسَهْمِ إقْصائِك، وأَحْرِقْه بشهابِ انتِقامِك، واجعَلْ خَلاصِي منه زائداً في حُزْنه، ومؤكِّداً لأَسَفه، واعْصِمْني مِن علمٍ يُوْرِثُ الجهلَ بك، ويُخيِّلُ الشكَّ فيك، وارْحَمْني مِن فتنةٍ تُعْقِبُ البُعْدَ مِنك، واأَسَفاهُ إنْ أَضْلَلْتَني على عِلْم، وخَذَلْتَني على فَهْم، وا مُصِيبَتاهُ إنِ انْسلَخْتُ من آياتِكَ، وا غَوْثاهُ إنْ لم تُغِثْني، يا مُغيثُ أَغِثْني، وقِني شرَّ وسوسةِ الشَّيطان، وأَجِرْني منه يا رحمنُ، حتى لا يكونَ له عَلَيَّ سُلطانٌ، ولا تُؤْذِني بعُقوبتِكَ، ولا تؤاخِذْني بتقصِيري عن طاعَتِك، واغفِرْ لي وتَقبَّلْ منِّي وتُبْ عَلَيَّ وارْحَمْني، يا مَن رحمتُه واسعةٌ وفضلُه عظيمٌ.

إلهي إنِّي أَسْتغفِرُك مِن ذَنْبٍ قَوِيَ عليه بَدَني بعافِيَتِك، ونالَتْهُ يَدايَ بفَضْلِ نِعمتِك، وانْبَسطَتْ إليه اليدُ بسَعَةِ رِزْقِك، واحْتَجَبْتُ فيه عن النَّاسِ بسِتْرِكَ، واتَّكلتُ فيه على حِلْمِك، وعوَّلْتُ فيه على عَفْوِكَ ومَغْفرتِك[1]، فارْحَمِ اللهُمَّ غُرْبَتي في

---

(١) في الكلام هنا مبالغة في تقريع النفس على الذنوب، والمعنى: إنك أنعمت علي ورزقتني وسترتني، وكنت الحليم العفو الغفور، فبدلاً من استعمال ذلك في طاعتك أذنبت وعصيت وخالفت، متكلاً على حلمك، ومعولاً على عفوك ومغفرتك.

الدُّنيا، ومَصْرَعي عندَ الموتِ، ووَحْدتي في القَبرِ، ومَقامِي بينَ يَديْك، واجْعَلْني شاكراً ذاكراً، صابراً راضياً، راغباً راهباً، مطيعاً مخبتاً، أوَّاهاً مُنيباً، واهْدِ قَلْبي، واشْرَحْ صَدْري، ويَسِّرْ أَمْري، وضَعْ وِزْري، واجْعَلْ قُرَّةَ عَيْني في عبادتِك، ووَفِّقْني لطاعَتِك، وارْزُقْني خوفَ الوعيدِ ورجاءَ الموعود، ونوِّرْ بالعلمِ قَلْبي، واستَعْمِلْ بطاعَتِكَ بَدَني، وخَلِّصْ مِن الفِتَنِ سِرِّي، واشْغَلْ بالاعْتِبارِ فِكْري، واقْذِفْ في قَلْبي رجاك، واقْطَعْ رجائِي عمَّن سِوَاك، وامْلأْ قَلْبي حياءً مِنكَ حتى أَستَحِيَ منكَ كلَّ وقتٍ، وبَصِّرْني بآفاتِ الرِّيَاءِ وآفَاتِ نَفْسِي ووسوسةِ الشَّيطان، فإنَّكَ تَعلمُ ما في نَفْسي ولا أَعْلَمُ ما في نَفْسِكَ وأنتَ علَّامُ الغُيوب.

إلهي هَبْ لي قَلْباً أُقْبِلُ به إليكَ، يَقودُه الشَّوقُ، ويَسوقُه الترفُّقُ، زادُه الخوفُ ورفيقُه القَلَقُ، وقَصْدُه القَبولُ، ونوِّرْ قَلْبي بنُورِك، وأَيْقِظْني لشُهودِك، وعَرِّفْني الطريقَ إليك، وأَدِّبْني بَينَ يَدَيْك.

إلهي هَبْ لي بفَضْلِكَ لِساناً ناطقاً، وقولاً صادقاً، وفَهْماً لائِقاً، وسِرًّا رائقاً، وقَلْباً قابلاً، وعَقْلاً فاعلاً، وفِكْراً مُشْرقاً، وطريقاً مُطْرقاً، وشَوقاً مُحْرِقاً، ووَجْداً مُقْلِقاً، ويداً قادِرَة، وقوَّةً قاهِرَة، ونَفْساً مطمئنَّة، وجوارِحَ لطاعَتِكَ لَيِّنَة.

إلهي قدِّمْني للقُدومِ عليك، وارْزُقْني التقدُّمَ بين يَدَيك، وقرِّبْني إليك قُرْبَ العارِفين، وطَهِّرْني من اتِّباعِ الشَّيطانِ والهَوَى لأكونَ من المتطهِّرين.

إلهي اخْتِمْ أعمالي بالسَّعادةِ التي خَتَمْتَ بها لأوليائِك، واجْعَلْ خيرَ أيَّامِي وأَسْعدَها يومَ لِقائِك.

إلهي اجْعَلْني صَبوراً، واجْعَلْني شَكوراً، واجْعَلْني في عَيني صغيراً وفي أَعْيُنِ النَّاسِ كبيراً، ولا تَجْعَلْني ممَّن عَدَا بطُغيانِه، وغَلَبتْ شَقاوَتُه على إيمانِه، واجعَلْني مُحبًّا لأوليائِك، ومُعادِياً لأعدائِك، ومتمسِّكاً بسُنَّةِ أنبيائك.

إلهي هَبْ لي نَصيباً مِن رَحمتِكَ الواسِعَة، واهْدِني للخيرِ ببراهِينِكَ السَّاطِعة، وخُذْ بناصِيَتي إلى مَرْضاتِكَ الجامِعة.

إلهي أسألُكَ عِزًّا لا ذُلَّ فيه، وغِنًى لا فَقْرَ معه، وأُنْساً لا كَدَرَ عَقِبَه، وأَمْناً لا خوفَ بعدَه.

إلهي أَمْدِدْني بدَقيقةٍ مِن اسْمِكَ النُّورِ ليَفِيضَ مَدَدُها على ذاتي بنُورِك وامتنانِك، فتَملأَ قَلْبي بنورِ إيمانِك، وعَقْلي بنُورِ مَعْرِفتِك، وبَصَري بنورِ مشاهَدَتِك، وسَمْعي بنورِ خِطابِك، وقَلْبي بنُورِ اقْترابِك، وأَسْبِلْ عَليَّ مِن فَوقي نُوراً مِن سِرِّك، ومِن تَحْتي نوراً يَحفَظُني مِن مَكْرِك، وعن يَميني نُوراً قُدسيًّا، ومِن أمامِي نوراً شريفاً محمَّدِيًّا، ومِن خَلْفي نوراً مُنِيفاً مِن نُورِكَ القَدِيم، أَهْتدِي به إلى صِراطِكَ المستقِيم، وأَيِّدْ رِزْقي بنُورِ تَدْبيرِك، وحُصولِ فَضْلِكَ وتَيْسِيرِك.

إلهي أنا الصَّغيرُ الذي ربَّيْتَه فلَكَ الحمدُ، وأنا العارِي الذي سَتَرْتَه فلك الحمدُ، وأنا الظَّمْآنُ الذي سَقَيْتَه فلك الحمدُ، وأنا الضَّعيفُ الذي قوَّيْتَه فلك الحمدُ، وأنا المريضُ الذي شَفَيْتَه فلك الحمدُ، وأنا الضَّالُّ الذي هَدَيْتَه فلك الحمدُ، وأنا الجاهلُ الذي علَّمْتَه فلك الحمدُ، وأنا الصُّعْلوكُ الذي موَّلْتَه فلك الحمدُ، وأنا الغَرِيبُ الذي آوَيْتَه فلك الحمدُ، وأنا الغائبُ الذي ردَدْتَه فلك الحمدُ، وأنا الآبِقُ الذي قَبِلْتَه فلك الحمدُ، وأنا العاجزُ الذي أَعَنْتَه فلك الحمدُ، وأنا الدَّاعِي الذي أَجَبْتَه فلك الحمدُ.

إلهي أَوْجَدْتَني ورَبَّيْتَني، ووقَيْتَني وحَمَيْتَني، ووفَّقْتَني وهدَيْتَني، وعرَّفْتَني وأعطَيْتَني، وكفَيْتَني ورزَقْتَني، وفرَّحْتني وكرَّمْتَني، وأَكْرَمْتني وعلَّمْتني، وبكلِّ جميلٍ عامَلْتَني، فلك الحمدُ على ما خوَّلْتَني، فإنْ عَرِيتُ كَسَوْتَني، وإنْ مَرِضْتُ شَفَيْتَني، وإنْ كُسِرْتُ جَبَرْتَني، وإنْ عَصَيْتُ ستَرْتَني، وإنْ ظَلَمْتُ أَمْهَلْتَني، وإنْ أَبِقْتُ رَدَدْتَني وإنْ أَقْبَلْتُ قرَّبْتَني، وإنْ تَضرَّعْتُ رَحِمْتَني، وإنِ اعتَذَرْتُ عَذَرْتَني، وإنْ تُبْتُ قَبِلْتَني، وإنِ استَغْفَرْتُ سامَحْتَني، وإنْ أَطَعْتُ شَكَرْتَني، وإنْ شَكَرْتُ زِدْتَني، وإنْ ذَكَرْتُ ذَكَرْتَني، وإنْ دَعَوْتُ أَجَبْتَني، وإنْ سَأَلْتُ أَعْطيْتَني، فكيف أَقُومُ بشُكرِ ما أَوْلَيْتَني.

إلهي فلَكَ الحمدُ كما يَنْبَغي لجلالِ وجهِكَ وعظيمِ سُلطانِك، ولك الشُّكْرُ على جَزيلِ فَضْلِكَ وعَمِيمِ إحسانِك، سبحانَكَ لا أُحْصِي ثناءً عليكَ أنتَ كما أَثْنيتَ على نَفْسِك، فلك الحمدُ حتى ترضَى فتَمُنَّ بِرِضْوانِك.

إلهي لا قوَّةَ على طاعَتِكَ إلا بإعانَتِك، ولا حَوْلَ عن مَعْصَيتِكَ إلا بمشيئَتِك، ولا مَنْجى منكَ إلَّا إليك، ولا خيرَ يُرْجَى إلا في يَدَيْك، فأَسأَلُكَ بأنبيائِكَ الكِرامِ وبأفضلِهِم محمدٍ عليه الصلاة والسلام، أنْ تَرْزُقَني حُسْنَ الإقبالِ عليكَ والفَهْمِ عنك، والبَصيرةَ في امْتِثالِ أَمْرِك ونَهْيِك، والفَناءَ في طاعتِكَ، والمواظَبَةَ على ما يُرْضيك، والمبادَرةَ إلى خِدْمَتِك، وحُسْنَ الأدبِ في معامَلَتِك والتَّسليمِ إليك، وصِدْقَ التوكُّلِ عليك، والرِّضَى بقَضائِك، والصَّبرَ على بلائِك، شاكراً لنَعْمائِك، حامداً على فَضْلِكَ وآلائِك.

إلهي يا مَن بيدِه صلاحُ القلوبِ أَصْلِحْ قَلْبي، يا مَن تَصاغَرُ في عَظيمِ عفوِه الذُّنوبُ اغْفِرْ ذَنْبي.

إلهي إنْ لم تكُنْ لي فمَن لي، فها أنا قد أَبْدَيتُ ذُلِّي، وها هو ظاهرٌ بينَ يَدَيك، وهذا حالي لا يَخْفَى عليك، منكَ أَطْلُبُ الوصولَ إليك، وبكَ أَسْتدِلُّ عليك، فاهْدِني بنُورِكَ إليك، وأَقِمْني بصِدْقِ العبوديَّةِ بين يَدَيْك.

إلهي سيِّئاتي كثيرةٌ غَزيرة، وحَسَناتي قليلةٌ حَقِيرة، وزَلَّاتي عظيمةٌ مَهُولة، وأعمالي غيرُ مَقبولة، ولا عُذْرَ لي فأُبْدِيَه، وهذا مقامٌ لا ينفَعُ إلا الصِّدقُ فيه، وليس لي غيرُ وَجهِكَ الكريمِ، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا باللهِ العَليِّ العَظِيم.

إلهي ذُنُوبي أَخْرَسَتْني عند المَقال، وتَقْصِيري أَخْجَلَني عندَ السُّؤال، فإنْ سَتَرْتَ عَوْرَتي، وأَقَلْتَ عَثْرَتي، وآمَنْتَ وَجَلي، وأَذْهَبْتَ خَجَلي، فأَسْأَلُك اللهُمَّ رضاكَ والجنَّةَ، وأعوذُ بكَ مِن سَخَطِكَ والنَّارِ، والموتَ على السُّنَّةِ والجماعةِ، والشَّوقَ إلى لقائِكَ في خيرٍ وعافِيَةٍ، يا ذا الجَلَالِ والإكرام، وصلَّى اللهُ على سيِّدِنا محمدٍ وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ وسَلَّمَ تَسليماً كثيراً، آمين.

* * *